جامعة آكلي محند أولحاج
-البويرة-

مجلة علمية محكمة تصدرها جامعة آكلي محند أو لحاج بالبويرة
قسم خاص بالعلوم الاجتماعية والإنسانية

معارف

في هذا العدد....

- توكيد الذات و أهميته في حياتنا اليومية
- اضطراب الهوية الجنسية
- واقع ومعيقات استخدام برامج الوسائط المتعددة التعليمية
- دور برمجيات المحاكاة في تنمية مهارات التفكير الابتكاري .
- سوسيولوجيـا الكفـاءات
- مراحل ووسائل صنع واتخاذ القرارات في المنظمات الفعالة
- تجارب الدولة الجزائرية في ميدان تشغيل الشباب
- دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تنظيم وتوحيد جهود الحركة الإصلاحية
- مكتب المغرب العربي بالقاهرة من الائتلاف إلى الاختلاف 1947/1949
- "تطور العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة التحريرية "عام 1956
- مظاهرات ديسمبر 1960م ودور المرأة والطفل فيها
- الدولة العربية وتحدي بناء الاستقلال
- أسباب النزول بين التساهل والطعن
- السلطة التقديرية للقاضي في مجال الإثبات الجنائي

الإيداع القانوني Depot 136 9 _ 2006
ر.د.م.ك ISSN 1112 - 7007

العدد 21 /ديسمبر 2016 (السنة الحادية عشر)

مجلة علمية محكمة تصدرها جامعة آكلي محند أو لحاج بالبويرة العدد 21 / ديسمبر 2016 (السنة الحادية عشر)

Université Akli Mohand Oulhadj
-BOUIRA-

Université de Bouira

Revue académique editée par l'Université Akli Mohand Oulhadj -BOUIRA
Partie des Sciences Sociales et Humaines

MÂAREF

Revue académique

- L'économie des médias en Algérie
- L'effet de l'acculturation sur la motivation intrinsèque et l'implication affective des travailleurs d'origine chinoise en Algérie

معارف

مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة آكلي محند أو الحاج بالبويرة

قسم خاص بالعلوم الإجتماعية والإنسانية

العدد 21 / ديسمبر 2016 (السنة الحادية عشر)

معارف

مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة آكلي محند أو الحاج بالبويرة

قسم خاص بالعلوم الإجتماعية والإنسانية

العدد 21 / ديسمبر 2016 (السنة الحادية عشر)

-الرئيس الشرفي :أ.د. موسى زيرق

المدير مسؤول النشر: د.وهيبة بلعالية

- رئيس هيئة التحرير:

-مصطفى سعداوي

- أعضاء هيئة التحرير

- زوينة حلوان
- عفيفة جديدي
- سامية فرفار
- صابر راشدي
- ياسين بودريعة
- أحمد سليماني
- علجية دوداح
- جميلة أوشان

Tele:+21326936968 **مكتب** Fax : :+21326936968

موقع الجامعة على الانترنت http://www.univ-bouira.dz/ar/

البريد الإليكتروني لرئيس التحرير salisada@gmail.com

صفحة المجلة على الفيس بوك facebook.com/revue.maaref

الإيداع القانوني : Depot 1369 _ 2006

ر.د.م.ك: ISSN 1112 – 7007

جامعة آكلي محند أو الحاج بالبويرة

البويرة – الجزائر

الهيئة الاستشارية (الدولية والوطنية)

الهيئة الاستشارية الدولية:

أ.د. عبد الله بلحاج (تونس)

أ.د. عبد القادر فيدوج(البحرين)

أ.د عبد الرحمان عزي (الامارات)

أ.د كمال شاشوة (فرنسا)

أ.د احمد بوحسن (المغرب)

أ.د. محمد الحيدروسي (الاردن)

أ.د. محمد الزحيلي (سوريا)

أ.د. أحمد بن ناعوم (فرنسا)

أ.د. محمد ايت المكي (المغرب)

أ.د. إبراهيم حمداوي (المغرب)

أ.د. فريد الماسيوي (فرنسا)

الهيئة الاستشارية الوطنية:

أ.د موسى زيرق (البويرة)

ا.د . علي عزوز (الجزائر)

ا.د.احمد دوقة (الجزائر)

ا.د.عمار بن اخروف (البويرة)

ا.د. علي براجل (باتنة)

د.كريم مكيري (البويره)

أ.د. محمود بوسنة (الجزائر)

أ.د محمد بومخلوف (الجزائر)

د..صليحة بوماجن (البويرة)

أ.د كمال بوزيدي (الجزائر)

أ.د. زوبيدة بلعربي (البليدة)

د. عبد النور ارزقي (البويرة)

أ.د. عمر بوساحة (الجزائر)

أ.د. ارزقي شويتام (الجزائر)

د محمد برو (المسيلة)

أ.د. محمد الأمين بلغيث (الجزائر)

أ.د. الطيب بلعربي (الجزائر)

د. كمال الدين قاري (البويرة)

لجنــة قراءة العــدد

أ.د. محمد بومخلوف (جامعة الجزائر2)

أ.د. ستار أوعثماني (جامعة بجاية)

د. أحمد فلاق (جامعة الجزائر3)

د. محمد الشريف حسين (جامعة البويرة)

د. حياة بوتفنوشات (جامعة البليدة 2)

د. كريم زايدي (جامعة الجزائر1)

د. سعيد خنزش (جامعة الجزائر1)

د. نبيل حليلو (جامعة بسكرة)

د. فاطمة مساني (جامعة البويرة)

د. الطاهر بن تونس (جامعة تيزي وزو)

د. عبد النور أرزقي (جامعة البويرة)

د. فريد بوطابة (جامعة تيزي وزو)

د. ساجية مخلوف بن تونس (جامعة الجزائر2)

د. كريمة خدوسي (جامعة البويرة)

د. حميد قرليفة (جامعة غرداية)

قواعد النشر في المجلة:

يشترط في البحوث والمقالات التي تنشر في مجلة معارف ما يأتي :

1. أن يكون البحث مبتكرا أو أصيلا، ويشكل إضافة نوعية في اختصاصه .
2. أن تتوفر فيه الأصالة والعمق وصحة الأسلوب .
3. ألا يكون قد سبق نشره .
4. أن يلتزم بالقيم الإنسانية وبمعايير البحث العلمي وبخاصة ما يلي :

أ- الابتعاد عن التجريح والإسفاف في القول، والتعريض بالآخرين .

ب- مراعاة البنية المنهجية .

ج- وضع هوامش وإحالات للمقال، على أن تكون مستقلة عن قائمة المصادر والمراجع .

د- وضع قائمة بمصادر البحث ومراجعه .

5. أن تكون مكملات البحث من خرائط أو جداول في صورتها الأصلية .
6. أن يكون البحث المترجم مصحوباً بأصله المترجم عنه .
7. أن يقدم لإدارة المجلة مطبوعاً على الورق ومخزناً في قرص مدمج CD أو في وسيلة من وسائل استقباله في جهاز الحاسوب .
8. أن تقدم سيرة ذاتية للباحث في ورقة مستقلة عن البحث .
9. عدد كلمات البحوث النظرية بين 3000 و5000 كلمة حسب المقاييس الدولية، أي (بين10-20 صفحة بمعدل300 كلمة /صفحة) والكتابة تكون بخط-traditionnel arabic: 14للغة العربية، وبخط times new roman-12 :بالنسبة للغة الاجنبية.
10. ترفق بالبحث ملخصات باللغات الثلاث (العربية والفرنسية والانجليزية) بما لا يتجاوز الصفحة الواحدة لكل لغة .

مع ملاحظة أن البحوث والمقالات :

. تخضع للتقويم العلمي واللغوي ويعلم الباحث بالنتيجة، كما أنها تخزن في أرشيف المجلة، ولا ترجع لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر .

. وهي تعبر عن آراء كتابها وحدهم ، فهم المسؤولون عن صحة المعلومات وأصالتها، ولا تتحمل الإدارة أي مسؤولية في ذلك.

فهرس المقالات	الصفحة
1-توكيد الذات و أهميته في حياتنا اليومية، صليحة براك، المدرسة العليا للأساتذة – سكيكدة.	24/08
2- اضطراب الهوية الجنسية؛ في ضوء ديناميات المراهقة أ.د/ يامنة اسماعيلي أ. سمير محند جامعة محمد بوضياف المسيلة	47/25
3- واقع ومعيقات استخدام برامج الوسائط المتعددة التعليمية في الطور المتوسط -دراسة ميدانية من وجهة نظر الأساتذة - د/ بن حامد لخضر – جامعة البويرة.	70/48
4- دور برمجيات المحاكاة في تنمية مهارات التفكير الابتكاري لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي -دراسة ميدانية بثانويات ولاية المسيلة-، أحمد سعودي، جامعة الجزائر 2.	99/71
5- سوسيولوجيا الكفاءات: من مفهوم التأهيل إلى مفهوم الكفاءة، نجاة نحلة، جامعة الجزائر.	119/100
6- مراحل ووسائل صنع واتخاذ القرارات في المنظمات الفعالة، د/الأمين بلقاضي، المركز الجامعي تيبازة.	134/120
7- تجارب الدولة الجزائرية في ميدان تشغيل الشباب: رؤية تقييمية بمنظور سوسيولوجي، د.شويمات كريم، جامعة البليدة-2- ود.حجال سعود، جامعة تلمسان.	161/135
8- دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تنظيم وتوحيد جهود الحركة الإصلاحية: تحليل مضمون لعينة من صحيفة البصائر 1935 -1936. مريم لعماري، جامعة الجزائر.	211/162
9- مكتب المغرب العربي بالقاهرة من الائتلاف إلى الاختلاف 1949/1947، د. سعيد جلاوي، جامعة البويرة.	235/212
10- تطور العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة التحريرية "عام 1956" قراءة تاريخية وسياسية، أ.د. عبد الله مقلاتي، جامعة المسيلة	251 /236
11- مظاهرات ديسمبر 1960م ودور المرأة والطفل فيها من خلال الصحافة الاستعمارية المكتوبة، أ.زيدين قاسيمي، جامعة البويرة.	270/252
12- الدولة العربية وتحدي بناء الاستقلال، أ.أحمد غزال، جامعة المسيلة.	285/271
13- أسباب النزول بين التساهل والطعن، د/ الشيخ التجاني أحمدي، جامعة نواكشوط (موريطانيا)	310/286
14- السلطة التقديرية للقاضي في مجال الإثبات الجنائي -الإثبات بالقرائن نموذجا- -دراسة فقهية مقارنة-، د/ سمير بشيرباشا، جامعة الجزائر.	342/311
15- L'économie des médias en Algérie (Etude comparative entre deux entreprises médiatiques: El Khabar et Echourouk), Zahra DJEKRIF, Université Costantine3.	369/343
16- L'effet de l'acculturation sur la motivation intrinsèque et l'implication affective des travailleurs d'origine chinoise en Algérie. Cas pratique : Les salariés du groupement Sino-algérien « CRCC-SAPTA », HOCINI Amar, Université de Bejaia.	405/370

توكيد الذات و أهميته في حياتنا اليومية

أ. صليحة براك المدرسة العليا للأساتذة – سكيكدة

الملخص:

توكيد الذات هو مجموعة من المهارات المكتسبة والتي يتم تعلمها خلال مرحلة الطفولة عن طريق أساليب التنشئة الاجتماعية السليمة أو عن طريق ملاحظة الطفل للنماذج التوكيدية الحية الموجودة في بيئته الاجتماعية و تقليدها . أما إذا لم يتمكن الفرد من اكتسابها خلال مرحلة الطفولة فبإمكانه تعلمها بمفرده عن طريق التدريب الذاتي أو من خلال الالتحاق ببرامج تدريبية مختصة في هذا المجال . ومهارات توكيد الذات ضرورية لنا في حياتنا اليومية كأفراد ، لان من خلالها يحمي الفرد حقوقه المادية والمعنوية دون أن يخل بحقوق الآخرين ، يرفع من تقديره لذاته ومن تقدير الآخرين له ويحافظ على صحته النفسية والجسمية ، كما يزيد من ثقته في نفسه ويطور مهاراته الاتصالية وقدراته العقلية و يحافظ على استقلاليته لذلك لابد من تعلمها والأهم من ذلك ممارستها كلما أتيحت الفرصة..

Abstract :

Assertiveness is a combination of learnable skills by which the person stands up for his rights without violating the rights of the other , wins the other ' s respect beside the self - respect, protects his mental and physical health ,rises his self - confidence , keeps his independence , improves his mental capacities and communication skills.

The individuals can learn all the skills of assertiveness gradually during childhood by the correct parental treatment styles and the positive modeling but after this stage of development they can acquire the assertiveness by self-training or by training programs.

مقدمة :

مما لاشك فيه هو أننا نحن البشر كائنات اجتماعية بامتياز ، فالفرد منا لا يستطيع إشباع حاجاته المختلفة سواء كانت نفسية (الحب ، التقدير ، الانتماء....) أو مادية (اللباس ، الأكل، الأثاث....) إلا في وجود الآخرين . و أثناء سعينا لذلك نجد أنفسنا نتفاعل مع أنماط لا حصر لها من الشخصيات . من هذه الشخصيات الشخص اللطيف الودود الذي يجذبك بأقواله اللبقة و أفعاله المؤدبة ، ومنهم الاستغلالي الذي يسعى لجعلك وسيلته للحصول على ما يريد دون أن يهتم بما قد تخسره ، ومنهم الأمين الذي حافظ على وعده مرات عدة وعليك أن ترد له الجميل، و منهم الظالم الذي يدعي انه ظُلم ، ويسوق لك الأدلة الواحد تلو الأخر ليجعلك تتعاطف معه ، ومنهم المعطاء الذي يغمرك بفضله حتى تجد نفسك لا تستطيع رفض أي طلب له، ومنهم المتكبر الذي لا غاية له سوى إشعارك بالدونية أمامه ، والتقليل من قيمتك أمام الآخرين و منهم ....ومنهم ....الخ . وفي كل هذه المواقف نعمل على أن تكون ردود أفعالنا صائبة رغم الصعوبة البالغة التي قد نجدها في بعض المواقف لفعل ذلك ، لأننا علينا أن نحمي أنفسنا ، كما أن ضميرنا و حسنا الاجتماعي يفرض علينا أن نقوم بواجباتنا تجاه مجتمعنا و أفراده ، لان حقوقنا لا تحفظ إن لم نساهم في حفظ حقوق الآخرين. وهذا يتطلب منا أن نتسم بالحزم وان نملك القدرة على إظهار وجهة نظرنا بطريقة حاسمة ، لكن هذا لن يتم إلا إذا كان سلوكنا توكيديا ، أي لدينا القدرة على توكيد الذات . فما هو توكيد الذات ؟ و ما أهميته في حياتنا ؟

1 - تعريف توكيد الذات : حتى يتسنى لنا توضيح مفهوم توكيد الذات سوف نورد عدد من التعريفات و ذلك كمايلي:

عرف **Spielger** توكيد الذات على انه استثمار للطاقة العدوانية السوية لصالح غرائز الحياة ، و يتضمن ذلك الدفاع عن الحقوق أو الحصول على هدف دون المساس بحقوق الآخرين.[1]

هذا التعريف ربط توكيد الذات بالعدوان كغريزة ، فتوكيد الذات يعني استخدام العدوانية من اجل حماية الذات دون الإساءة للآخرين و لحقوقهم المادية و المعنوية.

أما كل من **Lanz** و **Adams** فقد عرفاه على أنه وسيلة تعبير واضحة و أمينة عن الذات ، يحافظ بها الفرد عن حقوقه ، و يراعي حقوق الآخرين ، وهو سلوك يتيح للفرد أن يدافع عن أرائه و معتقداته دون قلق.[2]

حسب وجهة نظر صاحبا هذا التعريف يعد توكيد الذات طريقة للتعبير الصادق والصريح عن الذات وللمحافظة على الحقوق يمارسها الفرد دون توتر من خلال الدفاع عن ما يؤمن به من أفكار ومعتقدات.

في حين يرى **Cotler** أن توكيد الذات سمة شخصية ، وأن الشخص التوكيدي هو الذي يستطيع التعبير عن مشاعره و عواطفه و أفكاره السالبة و الموجبة بطريقة لفظية أو غير لفظية ، و يستطيع اتخاذ القرارات ، و يتمتع بحرية الاختيار في الحياة ، كما يمكنه إقامة علاقات اجتماعية محكمة و صريحة ، ووقاية نفسه من أن يكون ضحية أو يستغله احد.[3]

يتضح من هذا التعريف أن توكيد الذات سمة من السمات الشخصية تظهر في سلوك الفرد الذي يمتلكلها ، و تتجسد في قدرته على التعبير عن مشاعره الايجابية و السلبية و عما يريد ، وعلى الاختيار الواعي والحر ، وعلى تشكيل علاقات سوية مع الآخرين دون أن يسمح لهم بالإساءة إليه. لذلك كان هذا التعريف مفصلا أكثر من سابقيه .

كما قدم **طريف شوقي محمد فرج** التعريف التالي : هو مهارات سلوكية لفظية وغير لفظية ، نوعية ، موقفية ، تتضمن تعبير الفرد عن مشاعره الايجابية و السلبية بصورة ملائمة و مقاومته للضغوط الهادفة للتأثير عليه سلبا.[4]

لم يختلف هذا التعريف كثيرا عن سابقيه ، فقط بين أن توكيد الذات عبارة عن مجموعة من المهارات نلمسها في سلوك الفرد ، تختلف من موقف إلى أخر، و تبدو في قدرته على التعبير عن مشاعره بلباقة ، وكذلك في قدرته على التعامل الايجابي مع محاولات الآخرين للتأثير سلبا عليه.

نلاحظ أن كل التعاريف السابقة تشترك في وصف توكيد على انه :

- ✓ يتضمن التعبير عن الذات بشكل مباشر.
- ✓ يهدف إلى حماية الذات من خلال الدفاع عن الحقوق و تحقيق الأهداف دون انتهاك حقوق الآخرين (احترام الذات و الأخر).
- ✓ يظهر في سلوك الفرد.

ومنه نستنج أن توكيد الذات يقصد به قدرة الفرد على إظهار مشاعره و أفكاره السلبية و الايجابية تجاه الأشخاص ، الأحداث و المواقف من خلال التعبير الملائم عنها قولا و فعلا دون الإخلال بحقوق الآخرين مع تمسكه بالدفاع عن حقوقه و الإقرار بأخطائه وتصحيحها ، أي أن الشخص التوكيدي باختصار هو الشخص الذي يحترم نفسه و الآخرين.

2 - مهارات توكيد الذات :

الشخصية التوكيدية تتميز بامتلاكها لمجموعة من المهارات منها مايلي :

2-1 **الوعي بالذات** :

التوكيديون أفراد يعرفون أنفسهم جيدا لأنهم يمارسون الاستبطان على الدوام .لذا هم على علم بدوافعهم ، مدركون لأهدافهم ، مشاكلهم و كل ما يحيط بهم من ظروف مساعدة كانت أو معيقة .[5]

2-2 **القدرة على مقاومة الضغوط** :

يستطيع الشخص التوكيدي مقاومة الضغوط التي يمارسها الآخرون عليه بمختلف أنواعها خاصة تلك الهادفة إلى إجباره على القيام بما لا يرغب أو قول ما سيندم عليه لاحقا [6] وبذلك نجده لا يساير من اجل المسايرة ، و لا يخضع لشروط الآخرين دون اقتناع ، ولا يتجنب المواقف الضاغطة بل يواجهها ، ولا يرضي الآخرين على حساب نفسه ووقته . لذلك تتميز استجاباته بأنها مباشرة و صريحة ، مقبولة اجتماعيا و مناسبة لطبيعة الموقف في اغلب الأحيان.

2-3 **القدرة على المبادأة و الاستمرار في التفاعلات الاجتماعية و إنهائها** :

إذا أراد الشخص التوكيدي أن يدخل في أي تفاعل اجتماعي ، أو ينشىء علاقة مع الآخرين فانه يبادر لإنشائها ويؤثر فيها. فإن رآها مفيدة يبقي عليها وان أدرك أنها ليست كذلك ينهيها بسهولة [7] وهذا ينطبق على ما يقوم به من أعمال.

2-4 **التعبير عن الذات بطريقة مناسبة** :

يظهر التعبير عن الذات بطريقة مناسبة في إبداء الرأي بوضوح دون تردد أو خوف وكذلك في إظهار المشاعر ، حيث نجده يبدى إعجابه و تقديره و حبه للآخرين ، يطلب تفسيرات منهم ، يوجه النقد إليهم و يتقبل نقدهم له ، يظهر موافقته و اختلافه في الرأي معهم ، يصارحهم إن طلبوا منه ذلك أولم يطلبوا، يعتذر علنا ، يرفض ، يعارض ، يحاجج ، يسأل ، يغير رأيه ، يمدح ، يعاتب ، يظهر غضبه [8] وانزعاجه بصوت الواثق الصادق المهتم لكن في إطار ثقافة المجتمع و بلباقة تتماشى مع طبيعة الموقف الذي هو فيه.

2-5 **الموضوعية** :

إن التوكيديين يتعاملون مع المواقف و الأشخاص و الأحداث كما هي دون تضخيم أو تقليل من قيمتها لذلك غالبا ما تكون ردات فعلهم صائبة تجلب لهم احترام الآخرين و تقديرهم.

2-6 **الثقة بالنفس** :

يتميز الأشخاص التوكيديون بأنهم مؤمنون بقدراتهم وإمكانياتهم ، لا يخافون من نقد الآخرين و لا يشعرون بالنقص أو الخجل في المواقف الاجتماعية ، كما أنهم لا يقللون من قيمتهم أمام الآخرين و لا يسلكون سلوك المتكبرين لذا يعتمدون على أنفسهم في تسيير أمورهم والأهم من ذلك أنهم يستغلون قدراتهم كلما سمحت لهم الفرصة لتحقيق النجاح في مختلف المجالات [9]. لذلك لا يمكن وصف فرد بالشخص التوكيدي وهو يستخدم أسلوب الاستكانة ليحصل على ما يريد.

2-7 **القدرة على الاتصال** :

تملك الشخصية التوكيدية القدرة على الاتصال بطريقة مباشرة و فعالة مع الآخرين باختلاف مستوياتهم العلمية ، الغرباء منهم والأصدقاء وكذلك أفراد الأسرة[10] بما في ذلك

القدرة على الاتصال البصري الذي يخلق ارتباط نفسي بين المرسل والمستقبل ويجعل الاتصال أكثر عمقا و حميمية . [11] فالشخص المؤكد لذاته لا يتجنب عيني محدثه بإدارة رأسه إلى احد الجانبين أو بطأطأته وهو مرتبك ، وان كان في موقف محرج ، بل ينظر إلى وجه محدثه و يواجهه بصريا و يعبر عن موقفه بوضوح على خلاف الشخص غير التوكيدي الذي يتميز بضعف قدرته على التواصل البصري لدرجة كبيرة.[12]

2-8 **المرونة في التفكير و السلوك و البعد عن الاندفاعية** :

الشخص التوكيدي يتحكم في انفعالاته و بالتالي في سلوكاته ، غير متسرع في قراراته ولا متهور، أفعاله ليست تلقائية مستعجلة ، بل يصدرها بعد التفكير في عواقبها و بالتالي لا يفقد القدرة على الحكم السليم [13]. بالإضافة إلى ذلك ينوع استجاباته لتتماشى مع متطلبات ومكونات الموقف الذي يتفاعل فيه مع الآخرين ، وإن أدرك انه على خطا يغير من أفكاره و سلوكه ، و لا يتبنى أنماط فكرية و سلوكية محددة سلفا غير قابلة للتغيير. [14]لذا نجده يسعى دائما للتغيير الايجابي بهدف التخلص من نقاط الضعف.

2-9 **الاهتمام بالمظهر** : هو الأخر من مميزات التوكيديون ، لذا نجدهم أنيقين في ملبسهم ، يعتنون بنظافتهم .

2-10 **الدفاع عن الذات** :

من سمات الشخص التوكيدي الدفاع عن الذات ، فهو ليس شخص سلبي يستسلم ويتنازل عن حقوقه بسهولة بل يسعى لحمايتها ويستميت في الدفاع عنها عندما يتم الاعتداء عليها ، لأنه يرفض أن يكون ضحية للآخرين[15] أو للظروف ، خاصة وان حقوقنا و مصالحنا كثيرا ما تتعرض للانتهاك من قبل بعض الأشخاص الانتهازيين ، و المنتقمين ، و المخادعين ، و الظالمين الذين تدفعنا الحاجة إلى التعامل معهم سواء في أماكن العمل أو الأسواق أو حتى داخل الأسرة ، كما أنه لا يقدم مشاعر الآخرين على حقوقه.

2-11 **احترام الآخرين و حقوقهم** :

لا يخل الأفراد ذوي الشخصية التوكيدية بمصالح الآخرين المعنوية و المادية ولا يسعون أبدا إلى إلحاق الضرر بالآخرين [16]، بل كثيرا ما نجدهم يساهمون في حمايتها باقتراحاتهم و أفعالهم ، فهم يحترمون الأكبر منهم سنا ، يراعون مشاعر الآخرين و يحترمون عادات المجتمع الذي يعشون فيه ويلتزمون بالقيم الأخلاقية.

2-12 **القدرة على التفاوض** :

القدرة عل التفاوض كمهارة اجتماعية تبدو في قدرة الشخصية التوكيدية على إيجاد الحلول الوسط للمشكلات و القضايا التي تربطها بالآخرين ، وعلى إدارة الحوارات بنزاهة يشعر فيها من يفاوضها بالرضا عن المكاسب التي حصل عليها من عملية التفاوض.[17]

2-13 **القدرة على الإقناع و الاقتناع** :

بسهولة يقتنع الشخص التوكيدي إذا وجد الحجج ، فهو شخص لا يناقش إلا عن قناعة وبالأدلة العقلية ، الأخلاقية و المادية ، كما لا يساير الآخرين إلا إذا اقتنع ، ولا يرفض أفكارهم واقتراحاتهم إلا عن قناعة حيث يقول **ظريف شوقي محمد فرج** في ذلك مايلي : الفرد الأكثر توكيدا سيكون هو الأكثر قدرة على التعبير عن أرائه إبان المحاجة و بالتالي إدراكه لكفاءته الحجاجية سيزيد من احتمال تفضيله إياها والانخراط فيها والعكس صحيح ، و يفترض أن يتجنب منغلقي الفكر.[18]

3 - كيفية تعلم مهارات توكيد الذات :

بما أن كل هذه الخصائص التي يتمتع بها الشخص التوكيدي هي مهارات متعلمة ، فان للتنشئة الأسرية دور كبير في تكوين أفراد توكيديين أو العكس ، لأنها هي التي تبلور شخصية الفرد وتساهم في صقلها أكثر من باقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى ، وذلك من خلال الأسلوب التربوي المتبع من طرف الوالدين . لذلك فالتنشئة الأسرية السليمة التي يشجع بواسطتها الآباء الطفل على الاعتماد على نفسه و يدعمون سلوكاته الايجابية من خلال مايلي :

- ✓ تحميله بعض المسؤوليات التي تتناسب مع مستوى نموه.
- ✓ التشاور معه خاصة في الأمور التي تخصه هو بالذات و الأخذ بآرائه إن كانت صائبة.
- ✓ منحه الفرصة للتعامل مع المواقف التي تواجهه فيها عوائق حتى وان أخطا في العمل على تجاوزها.
- ✓ تعليمه كيفية اتخاذ القرارات وتحمل تبعاتها وتبعات أفعاله السلبية و الايجابية.
- ✓ عدم السخرية منه أو انتقاده.

- ✓ تركه يقوم بمفرده بالأشياء التي يستطيع القيام بها بدلا من القيام بها نيابة عنه كلبس ملابسه ، الدفاع عن نفسه وعن ممتلكاته. [19]
- ✓ التركيز على الصفات الايجابية التي يتميز بها ووصفه بها خاصة أمام الآخرين الذين يتفاعل معهم حتى ترسخ لديه.
- ✓ العمل على تخليصه من سلوكاته السلبية . [20]
- ✓ الاستماع إليه وعدم مقاطعته أثناء التحدث وكذلك احترام آرائه و تقبلها [21] حتى نشجعه على التعبير عن ذاته وحاجاته وإن بدى حديثه تافه وممل بالنسبة لنا ككبار.
- ✓ مكافأته على كل سلوك ايجابي جديد يتعلمه حتى يكرره و يصبح عادة لديه.
- ✓ اللعب معه و تقبليه وضمه واستغلال هذه المواقف لإرشاده وتعليمه ما يجهله.
- ✓ عدم مقارنته بالأطفال الآخرين سواء إخوته أو جيرانه أو أقاربه حتى لا ننمي لديه مشاعر الغيرة ، الكره و الحقد. [22]
- ✓ تعليمه احترام الآخرين لاسيما الكبار وكذلك العادات والتقاليد ، و القيام بالواجبات الدينية والاجتماعية من خلال ممارستها أمامه وإلزامه بها.

سوف تزيد من ثقة الطفل في نفسه وفي قدراته و ترفع من كفاءته وتنمي لديه الشعور بالمسؤولية تجاه الذات و الآخرين لأنه يشعر أن والداه يثقان به [23] و يهتمان لأمره ، و بالتالي يكتسب الطفل مبكرا هذه المهارات ، و كلما تقدم في العمر تتطور لديه أكثر فأكثر ويصبح قوي الشخصية.

أما إذا كانت الأسرة تهمل الطفل وتحتقر إمكاناته و تستهزئ به و باقتراحاته وسلوكياته ولا تعترف بحقوقه كفرد ، أو إذا كانت تقوم بتدليله و حمايته بإفراط فانه لا شك ينشأ ضعيف الشخصية ، لا يستطيع توكيد ذاته في جل المواقف ، إن لم نقل في كلها ، و الأمر ذاته إذا كان الوالدان قاسيان مع الابن أو متسلطان .[24] لأنه لم يحترم في أسرته ولم تراعى حاجاته فكيف سيحترم الآخرين ؟ .

كذلك النماذج الأبوية و غير الأبوية الموجودة داخل الأسرة والتي تعاني من ضعف توكيد الذات لها دورها الذي تلعبه في تعليم الأبناء الاستجابات السلوكية غير التوكيدية من خلال الاقتداء. فمن المؤكد أن هذه النماذج ستُظهر في السلوكات اليومية للطفل علامات ضعف توكيد الذات كالخجل ، التردد ، الخوف من المواقف الاجتماعية ، عدم الثقة بالنفس ، الشعور بالقلق و النقص و ضعف القدرة على التعبير عن الذات [25]. أما وجود النماذج التوكيدية داخل الأسرة فيكسب الأبناء مهارات توكيد الذات و يعززها لديهم في وقت مبكر لأنها تمارس أمامهم كل يوم.

أما إذا اجتاز الفرد مرحلة الطفولة ولم يكتسب هذه المهارات أو اكتسب البعض منها فقط فما عليه سوى أن ينميها لأننا كمراهقين أو راشدين قادرين على فعل ذلك و المطلوب من كل واحد منا أن يقيم وبشكل مستمر سلوكه التوكيدي من خلال مراجعة المواقف التي استطاع فيها أن يؤكد ذاته ، و المواقف التي فشل فيها ، والمواقف التي واجه فيها عوائق عندما حاول فعل ذلك وتحليلها تحليلا مفصلا و موضوعيا حتى يستطيع فهمها ، ومن ثمة التعرف على العوامل التي ساعدته على توكيد ذاته في هذا الموقف ، والعوامل التي حالت دون ذلك في الموقف الأخر ، وكذلك العوامل التي كانت عائقا بالنسبة له عندما كان يحاول توكيد ذاته في ذاك الموقف ليعمل على تغييرها أو على الأقل التقليل من تأثيرها حتى يتمكن فيما بعد من التخلص منها ولو بشكل تدريجي من خلال تدريب نفسه على ذلك إلى أن تصبح السلوكات التوكيدية لديه تلقائية . كما علينا مراقبة سلوكات الأشخاص التوكيديين والناجحين في حياتهم ، وكيفية تعاملهم مع الأشخاص و المواقف الصعبة بمهارة للاستفادة منها لان الاستجابات التوكيدية متعلمة و بالتالي يمكن اكتسابها عن طريق مشاهدة نماذج تتصرف بتلك الاستجابات [26]. وان لم نستطيع تعلمها بالاعتماد على أنفسنا لسبب ما كنقص معلوماتنا حول توكيد الذات وكيفية التدرب عليه أو لعدم التزامنا فما علينا إلا طلب المساعدة المختصة في هذا المجال . وبذلك بإمكان أي فرد أن يكتسبها في أي وقت إذا قرر فعل ذلك . وهذا لا يحتاج منه سوى التخلص من عاداته وأفكاره الخاطئة التي نشأ عليها ، وإحلال هذه المهارات محلها تدريجيا بالاعتماد على المثابرة ، و قوة الإرادة حتى يكتسب الشخصية التوكيدية.

4 - أهمية توكيد الذات في حياتنا اليومية :

إن الفوائد التي يجنيها الشخص المؤكد لذاته كثيرة جدا ، وهنا تبرز أهمية السلوك التوكيدي في حياتنا اليومية لاسيما أننا بحاجة إليه في كل المواقف الاجتماعية التي تتطلب منا التواصل والتفاعل مع الآخرين ، وهي لا تنتهي إلا بموتنا . وفي مايلي بعض ايجابيات السلوك التوكيدي :

إن السلوك التوكيدي لا نحمي به فقط ممتلكاتنا المادية و حقوقنا المشروعة كبشر و كأفراد داخل المجتمع من خلال دفاعنا عنها و المطالبة بها [27]، بل من خلاله أيضا نردع الآخرين بالقول والفعل ونجعلهم يقروا أن هناك حدود لا ينبغي تجاوزها ، وان كانوا أصحاب نفوذ خاصة إذا ما استمتنا في الدفاع بكل ما أتيح لنا من وسائل وأساليب مقبولة اجتماعيا حتى لا يكرروا سلوكاتهم السلبية مرة أخرى معنا ومع غيرنا ، وان لم نحقق إلا القليل ونحن ندافع.

كما أن السلوك التوكيدي يولد شعورا بالراحة النفسية ، ويمنع تراكم المشاعر السلبية لان الشخص التوكيدي يفصح عن مشاعره بالكلام ولا يكبتها ، وبذلك يقوم بالتفريغ الانفعالي وهذا يجعله يتخلص من المشاعر السلبية ومن أثار عملية الكبت التي غالبا ما تخفي وراءها الشعور بالذنب و بالإحباط و تتسبب في الكثير من الأمراض النفسية التي تجعل الفرد ينسحب من الحياة الاجتماعية ، لذا نجد التوكيديون مرحون متفائلون لأنهم يجددون نشاطهم النفسي من خلال التعبير عن الذات بشكل دائم وهذا يظهر في تمتعهم بالحيوية الاجتماعية وبالصحة النفسية والجسمية على عكس الأشخاص الذين يتميزون بضعف توكيد الذات الذين غالبا ما يصابون بأمراض نفسية خطيرة كالاكتئاب ، القلق وحتى الخوف الاجتماعي و يتعرضون للإحباط باستمرار لأنهم يسعون دائما لإرضاء الآخرين وهم غير راضين على سلوكاتهم هذه ويعيشون صراعات نفسية داخلية بسبب عدم قدرتهم على إبداء رفضهم أو انزعاجهم للأخر.[28] لذلك التوكيدية تعد من وجهة علماء النفس دليل على السواء لأنها تقي الفرد من الكثير من الأمراض النفسية ومن تبعاتها السلبية على الصحة الجسمية . أما إذا كانت المشاعر الموجهة للآخرين ايجابية كالحب والإعجاب و الصداقة فان إعلانه عنها[29] يقوي علاقته بهم و

يجعلهم سعداء وهذا بدوره يجعل الشخص التوكيدي أكثر توافقا من الناحية الاجتماعية.

السلوك التوكيدي أيضا يجعل الفرد أكثر نشاط من الناحية الفكرية [30]وينمي قدراته العقلية و يجعله أكثر قدرة على التمييز بين الصحيح و الخاطئ من أراء الآخرين ، ويرفع من مستوى تقدير الذات لديه . فالشخص التوكيدي عندما يبدي وجهة نظره و يعلن عن قناعاته الفكرية أمام الآخرين و يدخل في مناقشات معهم حولها و حول أرائهم سوف تتسع معرفته حول مختلف القضايا التي تثار أثناء النقاش على خلاف الشخص غير التوكيدي الذي يتصف بالكسل العقلي و يفضل الابتعاد عن الدخول في مناقشات مع الآخرين لعدم قدرته على تحمل الغموض وضعف قدرته على المواجهة الفكرية و سعيه للحصول على الطمأنينة الزائفة بتجنبه التفاعل الفكري مع الأخر[31] لاسيما الحاد منه و بذلك يتعلم الشخص التوكيدي احترام وجهة نظر الآخرين و الاختلاف السليم معهم ، كما يستطيع تقييم أفكاره ، فإذا كانت خاطئة يصححها و إذا كانت صائبة ومفيدة للآخرين و للمجتمع سوف يتلقى التشجيع ممن يتبنوها ، وهذا يشجعه على إنتاج أفكار أخرى ، كما يشعره ذلك بأهميته وبأهمية أفكاره ، وبأن لوجوده معنى في مجتمعه ، و أنه مقبول اجتماعيا خاصة إذا كانت هذه الأفكار على شكل اقتراحات عملية قابلة للتطبيق وبذلك يزداد تقديره لذاته .

بالإضافة إلى ذلك يجلب السلوك التوكيدي الاحترام لصاحبه لأن الشخص التوكيدي تتطابق أقواله ليس فقط مع نواياه بل أيضا مع أفعاله [32] ، وهذا يجعل الآخرين يثقون فيه لاسيما المقربون منه و الذين أتيحت لهم فرصة للتعامل معه ، وتزداد ثقتهم فيه كلما تكرر ذلك معهم ، وقد يذيع صيته بين أفراد المجتمع و يصبح موضع ثقة و إعجاب حتى لدى أعدائه على قلتهم ، وهذا بدوره يزيد من تمسكه بهذه الصفة لأنها جعلته موضع تقدير الآخرين . إلى جانب ذلك يحظى الشخص التوكيدي بالاحترام بسب سلوكياته الخالية من التسلط و التعالي [33]على الآخرين ومن الاستكانة والتذلل أمام الغير.

يحررنا توكيد الذات من التبعية للآخرين و الرضوخ لمطالبهم خاصة تلك التي تعيقنا عن إدارة حياتنا بالطريقة التي نريد أو تشغلنا عن الوصول إلى أهدافنا، من خلال

رفض طلباتهم التي قد تلحق الضرر بنا خاصة إذا تكررت سواء كان هذا الضرر مادي أو معنوي . وبذلك لا نظل طوال حياتنا خاضعين لهم من خلال تلبية طلباتهم على حساب صحتنا ، عملنا و أبنائنا فقط من اجل أن نحظى بقبولهم ونحصل على رضاهم المؤقت ، أو حتى من اجل أن نتلقى مجاملاتهم و نوصف بالتواضع من قبلهم ، أو بسبب خجلنا .[34] لان الشخص التوكيدي يدرك تماما قول **Andrew Fuller**: " إذا كنت شخصا تريد فعلا من الآخرين أن يحبوك فالذي يحدث انك ستصبح كالعجينة بين أيديهم. "[35] كما يدرك أن من الجيد أن يكون لطيفا مع الناس ، لكنه يعلم أن هناك أفراد من هؤلاء الناس لا يتأثرون باللطافة [36] ، بل إذا كنت لطيفا معهم سوف يعاملوك كأنك أحد ممتلكاتهم و تكون بذلك ضحيتهم . لذلك لا يقدم الشخص التوكيدي المساعدة للآخرين إلا بإرادته الحرة ، ولا يستجيب لطلباتهم إلا إذا كانت لا تستغله و لا تجعله يتخلى عن قيمه و مبادئه ، وإذا كانت لا تؤذيه هو ، أو عمله ، أو علاقاته ، أو احد أفراد أسرته ، ولا تحرجه أو تذله أمام الغير و إلا سوف يبذل ما في وسعه للتخلص منها للمحافظة على استقلاليته و تقديره لذاته .

كما أن توكيد الذات يزيد من ثقة الفرد في نفسه [37] وفي ما يملك من قدرات ومهارات اجتماعية و يجعله يشعر بأنه موجود و مقبول [38]، ذلك أن الشخصية التوكيدية كثيرا ما تخرج بمكاسب من جل مواقف التفاعل الاجتماعي ونادرا ما تخفق . و كلما نجحت تتعزز مشاعر الثقة بالنفس لديها وتزداد كفاءتها الاجتماعية ، وبذلك يصبح الفرد أكثر قدرة على توكيد ذاته في المستقبل .

وفوق كل هذا السلوك التوكيدي إذا مارسناه أمام أفراد غير توكديين و حققنا من خلاله أهدافنا و ظهرنا أمامهم بمظهر القوي سوف نثير إعجابهم و بالتالي نساعدهم في تعلم توكيد الذات من خلال تشجيعهم على التعبير عن مشاعرهم و أفكارهم و الدفاع عن حقوقهم دون إيذاء الآخرين [39] لاسيما إذا كانوا أطفالا أو مراهقين إن اقتدوا بنا و مارسوا ما تعلموه خاصة إذا ساعدهم الموقف على فهم ذواتهم بشكل أفضل ، أو كانوا من الأشخاص الذين يسعون إلى إثبات وجودهم وإشباع رغبتهم في الشعور بالأهمية.

وبما أننا بشر فإننا نخطئ ، وان حرصنا ألا نخطئ وكنا ذوي شخصية توكيدية ، وبالتالي لا يسعنا أن نكون توكديين دائما وفي كل المواقف ، لأن هناك مواقف يمكننا

فيها ضبط ذاتنا بسهولة وتجاوزها دون أن نتضرر نحن أو من نتفاعل معهم و أخرى تفوق إمكانياتنا لا نستطيع السيطرة عليها لعدم قدرتنا على ضبط سلوكنا فيها وقد نخرج منها متضررين ، أي في بعض الأحيان تكون مهاراتنا التوكيدية غير فعالة ، وقد تجلب لنا الكثير من المتاعب خاصة في المواقف التي نتعامل فيها مع الشخصيات العدوانية ، الانتهازية والتي تخترق قيم المجتمع و تؤذي الآخرين لتصل إلى أهدافها ، لكن هذا لا يعني أننا نتميز بضعف توكيد الذات ، بل يعود ذلك إما لنقص خبرتنا ، أو لأن من نتفاعل معه يحتاج إلى إعادة تأهيل.

الخاتمة :

في الأخير نقول إن توكيد الذات بكل ما يتضمنه من مهارات يقود الأفراد الذين يتعاملون به في حياتهم اليومية إلى التحرر من التأثير السلبي للآخر الذي يعيق تقدمهم في أي شان من شؤون حياتهم أثناء تفاعلهم معه ، وبالتالي يجعل منهم لا شك أشخاص أقوياء نفسيا واجتماعيا ، ايجابيين داخل المجتمع ومؤثرين فيه . لذلك من الضروري أن يعمل كل واحد منا على تعلم هذه المهارات وعلى تطويرها حتى يحمي ذاته و ممتلكاته ويثبت ذاته داخل المجتمع بطريقة سوية تجعله موضع تقدير.

المراجع :

1. أبو الحجاج ، يوسف ، **كيف تكتسب قوة الإرادة و احترام الذات : مهارات إنسانية لتطوير الذات** . دار الوليد ، ط 1 ، دمشق ، سوريا ،2010 م .
2. الحمادي، علي ، **السهل الممتنع : مهارات التفاوض و فنون الحوار و الاتفاق** . دار ابن حزم ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، 2000 م .
3. الزعبي ، احمد ، **المعجم الفلسفي المدرسي الميسر** .دار الآثار ، ط 1 ، الجزائر ، 1996 م.
4. الناطور، فايز عبد الكريم ، **التحفيز ومهارات تطوير الذات** . دار أسامة ، ط 1 ، عمان ، الأردن ، 2011 م.
5. بني جابر، جودت و آخرون ، **المدخل إلى علم النفس** .دار الثقافة و الدار العلمية الدولية ، ط 1 ، عمان ، الأردن ، 2002 م .
6. بني يونس، محمد محمود مجدي ، **سيكولوجية الدافعية و الانفعالات** . دار المسيرة ، ط 2 ، عمان ، الأردن ، 2009 م .
7. شاكر مجيد ، سوسن ، **اضطرابات الشخصية : أنماطها ، قياسها** .دار صفاء ، ط 1 ، عمان ، الأردن ، 2008 م .
8. شحاتة ، حسن و النجار، زينب ، **معجم المصطلحات التربوية و النفسية** . الدار المصرية اللبنانية ، ط 1 ، مصر، 2003 م .
9. شوقي محمد فرج ، طريف ، **المهارات الاجتماعية و الاتصالية : دراسات و بحوث نفسية** .دار غريب ، القاهرة ، مصر، 2003 م .
10. عبد الواحد إبراهيم ، سليمان ، **الشخصية الإنسانية و اضطراباتها النفسية : رؤية في إطار علم النفس الايجابي** .الوراق ، ط 1 ، عمان ، الأردن ، 2014 م .
11. عبد العظيم حسن ، سلامة و عبد العظيم حسن ، طه ، **الذكاء الوجداني للقيادة التربوية** . دار الوفاء ، ط 1 الاسكندرية ، مصر، 2006 م .
12. عزت عبد الهادي ، جودت و العزة ، سعيد حسني ، **تعديل السلوك الإنساني : دليل الآباء و المرشدين التربويين في القضايا التعليمية و النفسية و الاجتماعية** .دار الثقافة ، ط 1 ، عمان ، الأردن ، 2005 م .
13. فولر ، اندرو، ترجمة عبير منذر و أمال الاتات ، **7 شخصيات تسمم حياتكم** . دار الفراشة ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، 2011 م .
14. محمد الأحمر، نبيل ، **المربون الرابحون : قضاياهم ، طرقهم ، وسائلهم ، مهاراتهم و أخطائهم** . وحي القلم ، ط 1 ، دمشق ، سوريا 2015 م .
15. هارون ، رمزي فتحي ، **الإدارة الصفية** . دار وائل ، عمان ، الأردن ، 2003 م .

الهوامش:

[1] - محمد محمود مجدي بني يونس ، سيكولوجية الدافعية و الانفعالات . دار المسيرة ، ط 2 ، عمان ، الأردن ، 2009 م ، ص 322 .

[2] - سليمان عبد الواحد إبراهيم ، الشخصية الإنسانية و اضطراباتها النفسية : رؤية في إطار علم النفس الايجابي .الوراق ، ط 1 ، عمان ، الأردن ، 2014 م ، ص 85 ، 86 .

[3] - محمد محمود مجدي بني يونس ، المرجع السابق ، ص 322 . .

[4] - طريف شوقي محمد فرج ، المهارات الاجتماعية و الاتصالية : دراسات و بحوث نفسية . دار غريب ، القاهرة ، مصر، 2003 م ، ص 480 .

[5] - سلامة عبد العظيم حسن و طه عبد العظيم حسن ، الذكاء الوجداني للقيادة التربوية . ط 1 ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، مصر ، 2006 م ص 69 – 70 .

[6] - ظريف شوقي محمد فرج المرجع السابق . ص 480 .

[7] - نفس المرجع السابق ، ص 480 .

[8] - نفس المرجع .ص 492 .

[9] - سوسن شاكر مجيد ، اضطرابات الشخصية : أنماطها ، قياسها .دار صفاء ، ط 1 ، عمان ، الأردن ، 2008 م ، ص 288 .

[10] - محمد محمود مجدي بني يونس ، المرجع السابق ، ص323.

[11] - رمزي فتحي هارون ، الإدارة الصفية . دار وائل ، عمان ، الأردن ، 2003 م ، ص 354 ، 361 .

[12] - يوسف أبو الحجاج ، كيف تكتسب قوة الإرادة و احترام الذات : مهارات إنسانية لتطوير الذات . دار الوليد ، ط 1 ، دمشق ، سوريا ، 2010 م ، ص157

[13] - احمد الزعبي ، المعجم الفلسفي المدرسي الميسر .دار الآثار ، ط 1 ، الجزائر ، 1996 م ، ص 33 .

[14] - حسن شحاتة و زينب النجار ، معجم المصطلحات التربوية و النفسية . الدار المصرية اللبنانية ، ط 1 ، مصر ، 2003 م ، ص 268 .

[15] - محمد محمود مجدي بني يونس ، المرجع السابق ، ص323 .

[16] - سليمان عبد الواحد إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 83 ، 84 .

[17] - على الحمادي ، السهل الممتنع : مهارات التفاوض و فنون الحوار و الاتفاق .دار ابن حزم .،ط 1 ، بيروت ، لبنان ، 2000 م ، ص 27 .

[18] - ظريف شوقي محمد فرج ، المرجع السابق . ص 484 .

[19] - نبيل محمد الأحمر ، المربون الرابحون : قضاياهم ، طرقهم ، وسائلهم ، مهاراتهم و أخطائهم .وحي القلم ، ط 1 ، دمشق ، سوريا 2015 م ، ص 35 ، 36 .

[20] - نفس المرجع السابق ، ص 45 .

[21] - نفس المرجع ، ص 31 .

[22] - نفس المرجع ، ص 55 – 58 .

[23] - نفس المرجع ، ص 35 ، 36.

[24] - جودت بني جابر و آخرون ، المدخل إلى علم النفس .دار الثقافة و الدار العلمية الدولية ، ط 1 ، عمان ، الأردن ، 2002 م ، ص 414 .

[25] - نفس المرجع ، ص 413 ، 414 ،

[26] - نفس المرجع ، ص 413 .

[27] - سليمان عبد الواحد إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 88 .

[28] - يوسف أبو الحجاج ، المرجع السابق ، ص 156 ، 157 .

[29] - محمد محمود مجدي بني يونس ، المرجع السابق ، ص325 .

[30] - فايز عبد الكريم الناطور ، التحفيز ومهارات تطوير الذات .دار أسامة ، ط 1 ،عمان ، الأردن ،2011 م ، ص 84 .

[31] - طريف شوقي محمد فرج ، المرجع السابق ، ص 484 .

[32] - يوسف أبو الحجاج ، المرجع السابق ، ص 156 .

[33] - نفس المرجع ، نفس الصفحة.

[34] - جودت عزت عبد الهادي و سعيد حسني العزة ، تعديل السلوك الإنساني : دليل الآباء و المرشدين التربويين في القضايا التعليمية و النفسية و الاجتماعية .دار الثقافة ، ط 1 ، عمان ، الأردن ، 2005 م ، ص 107 ، 106 .

[35] - اندرو فولر ، ترجمة عبير منذر و أمال الاتات ، 7 شخصيات تسمم حياتكم .دار الفراشة ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، 2011 م ، ص 10

[36] - نفس المرجع السابق ، ص 12 .

[37] - فايز عبد الكريم الناطور ، المرجع السابق . ص 84 .

[38] - جودت عزت عبد الهادي ، سعيد حسني عزة ، المرجع السابق ، ص 105 .

[39] - فايز عبد الكريم الناطور ، المرجع السابق .ص 83 .

اضطراب الهوية الجنسية؛ في ضوء ديناميات المراهقة.

أ.د/ يامنة اسماعيلي أ. سمير محند جامعة محمد بوضياف المسيلة

ملخص الدراسة:

تمثل الهوية الجنسية سيرورة معقدة نتاج تفاعل بين مظاهر بيولوجية موضوعية وأخرى اجتماعية، ثقافية وذاتية، تُبنى من خلال السياق التقمصي طيلة مراحل النمو النفسي الجنسي، وتتحدد من طريقة حل عقدة أوديب، في ضوء مجموعة من الشروط: التفريق بين الجنسين، التخلي عن الثنائية الجنسية والتخلي عن الطابع الجنسي لمواضيع الحب الأولى، ونجاح هذه السيرورة هو ما يعطي الفرد الإحساس بجنسه وتحديد هويته الجنسية ذكرا كان أم أنثى.

غير أن فشل هذه العمل النفسي يظهر من خلال اضطرابات على المستوى النفسي منها اضطراب الهوية الجنسية، أين يظهر تناقض لدى الفرد بين هويته بطابعها التشريحي وما يحس به، يترجم من خلال الرغبة في أن يكون من الجنس الآخر.

في هذه الورقة البحثية سنقوم بمناقشة الهوية الجنسية في ضوء ديناميات المراهقة باعتبارها مرحلة بناء نهائي للهوية الجنسية، وفرصة أخرى أمام الفرد لكي يحل أزمة الأوديب بشكل عفوي، حيث خلصنا إلى أن اضطراب الهوية الجنسية يشير إلى فشل سيرورة المراهقة في ارصان هوية جنسية ملائمة وسوية.

الكلمات المفتاحية: اضطراب الهوية الجنسية ـ المراهقة ـ التقمص..

Résumé :

Le trouble d'identité sexuelle à la lumière de dynamiques de l'adolescence.

l'identité sexuelle représente un processus complexe d'interaction entre les aspects biologiques objectives, et d'autres sociales, culturelles et subjectifs, construite durant les étapes du développement psycho-sexuel, par des procédés identificatoires, et est déterminée par la résolution du complexe d'œdipe, conditionner à : la différence des sexes, la résolution de la bisexualité psychique et l'acceptation de la prohibition de l'inceste, et le succès de cet aménagement qui détermine une identité a l'individu comme un être sexué, homme ou femme.

Cependant, l'échec de ce travail psychologique montre à travers des perturbations dans la réalité psychique, y compris le trouble de l'identité sexuelle, où une contradiction entre l'identité du caractère anatomique et ce qui est ressenti, se ci se traduit par un désir d'appartenir au sexe oppose.

Dans cet article, nous allons parler sur l'identité sexuelle a la lumière de dynamiques de l'adolescence, cette dernière est considérée comme une étape de construction finale de l'identité, et une occasion devant l'individu pour une résolution spontanée de complexe d'œdipe, où nous avons conclu que le trouble de l'identité sexuelle se réfère au processus de l'adolescence a échoué dans le travail d'élaborer une identité sexuelle approprier.

Mots clés : L'identité sexuelle - l'adolescence - l'identification.

Abstract:

The sexual identity disorder in the light of the dynamics of adolescence

Sexual identity represents the product of a complex process of interaction between the biological aspects, and another social, cultural and subjective, adopted by identification context through stages of psycho-sexual development, and is determined by the way the Œdipe complex solution, in light of the range of conditions : the distinction between Differentiate of sexes, to abandon the bisexuality, abandon the sexual nature of the first topics of love, and the success of this process is what gives the individual a sense of same type of wealth and determine sexual identity, male or female.

However, the failure of the psychological work shows through disturbances on the psychological level, including sexual identity disorder, where a contradiction between the identity of anatomical character and feels it appears, translates into a desire to be of the opposite sex.

In this paper we will discuss sexual identity in the light of the dynamics of adolescence as the construction final of a sexual identity, another opportunity for the individual to solution spontaneously of Œdipe complex, where we concluded that the Sexual identity disorder refers to the failed of process adolescence in elaboration a sexual identity appropriate.

Keywords : Sexual identity disorder - adolescence – identificati

.

تمهيد:

منذ الميلاد يمكن أن نحدد جنس الطفل؛ ذكرا كان أم أنثى من الناحية التشريحية، وهذا ما سوف يتعزز فيما بعد بالطريقة التي يعبر بها الفرد عن نفسه في علاقاته مع الآخر، إذ أن الهوية الجنسية لا تقتصر فقط على المعطيات البيولوجية الفطرية، بكل ذلك التفاعل بين المعطيات الفطرية وأخرى اجتماعية، ثقافية و نفسية، فالطابع الجنسي لدى الفرد يتحدد من ثلاث مظاهر أساسية مميزة، هي الهوية الجنسية، التوجه نحو الآخر والتفضيل الجنسي انطلاقا من الرغبة والانجذاب نحو شخص من الجنس الآخر، أومن نفس الجنس؛ ثم الممارسة الجنسية، هذه المظاهر الثلاث تتطور مع الوقت وتتخذ حالتها النهائية في مرحلة الرشد.

فاذا سار الامر بشكل سوي، كان هناك تناسق بين الهوية الجنسية بطابعها الموضوعي والذاتي، وتمكن الفرد من ارصان هوية جنسية سوية، غير أن الاختلال في عمل هذه السيرورة ينتج تناقض بين الجنس البيولوجي التشريحي ورغبات الفرد المعبر عنها في ان يكون من الجنس الآخر، وهو ما نسميه باضطراب الهوية الجنسية، الذي له أثر كبير على التوافق النفسي للفرد مع نفسه وفي علاقاته مع الاخرين.

ونحن اذ نركز هنا على دراسة إشكالية الهوية الجنسية في ضوء ديناميات المراهقة، فهذا راجع لكون هذه الأخيرة مرحلة نمو هامة تقوم بتحديد نهائي للهوية الجنسية الذي تم إرساء أولى أسسها في مرحلة الطفولة، وقد اهتمت الدراسات بهذا الموضوع أين نجد دراسات،kathering, 1982[1] ، Turnobull, 1982[2] ، Beaty, 1995[3] التي اشارت إلى أن الغياب الفعلي للأب أو الغياب النفسي من خلال عدم تأديته لدوره في مراكل مبكرة من نمو الطفل تنعكس على قدرته في مرحلة المراهقة من خلال صعوبات في تقمص الدور الجنسي الملائم، والتكيف مع الأقران، وأشارت دراسة Martinerie, Heuzey, Bargiacchi, 2016[4] إلى أن هذا الاضطراب يظهر منذ الطفولة أو المراهقة ونادرا في سن الرشد، تصاحبه صعوبات في الحياة الأسرية، الاجتماعية والدراسية، ودراسة Mendes, Lagrange 2016[5] التي خلصت إلى وجود أعراض القلق و الاكتئاب، مع افكار

انتحارية لدى المراهقين الذين لديهم انزعاج من نوعهم الجنسي، و أن علاجهم حسب دراسة Krouch, Moro, 2016[6] يحتاج إلى عمل جماعي من أطباء الاطفال و أخصائيي الطب العقلي للأطفال.

ومن هنا سننطلق في هذه الورقة البحثية نحو مناقشة نمو الهوية الجنسية منذ الطفولة، ثم كيف يؤثر نجاح سيرورة المراهقة باعتبارها مرحلة تحديد نهائي للهوية، إعادة بناء التقمصات، مرحلة حداد على المواضيع الأولية، مرحلة علاقة جديدة مع الجسد وتغيرات البلوغ، في ارصان هوية جنسية ملائمة؟ وكيف يؤثر فشل تلك السيرورات في اضطراب الهوية الجنسية؟

1. بناء الهوية الجنسية:

تمثل الهوية الجنسية سيرورة معقدة تبدأ من الحمل لتستمر من خلال مظاهر النمو النفس جنسي، وهي تتجاوز الجنس البيولوجي الذي يتحدد من خلال الأعضاء التناسلية ليشمل أبعادا متعددة، اجتماعية، ثقافية ونفسية، اذ من غير المعقول اختصار الهوية الجنسية في الكروموسومات والهرمونات أو الخلايا العصبية التي يولد بها، ولا باتباع المعايير الثقافية المحددة لمجتمعه فقط، بل هي تفاعل بين تلك المظاهر الموضوعية objectifs وأخرى ذاتية subjectifs، ترجع لشعور الفرد بالانتماء إلى جنس معين، يرتبط ـ حسب التناول التحليلي ـ إلى طريقة حل عقدة أوديب.

ويتم بناء الهوية الجنسية لدى الطفل من خلال السياق التقمصي خلال مراحل النمو النفسي الجنسي، ففي البداية لا يميز الطفل بين الجنسين، وليس له اهتمام بمسألة الهوية الجنسية، إنه لا يزال يؤمن بنظريته الطفلية حول وجود جنس وحيد، وعند اكتشافه للفرق التشريحي بين الجنسين، يجد نفسه أمام تهديد الخصاء، أين يكتب فرويد بأن "عقدة الخصاء هي جزء من النظرية الجنسية الطفلية التي تعتقد بأن العالم مكون من جنس واحد يمتلك القضيب"[7] عندها يأخذ هذا العضو اهتمامه ويجعل منه موضوعا شبقيا، ولا يمكن أن يتصور أن هناك جنس آخر ينقصه هذا

العضو، وتتزعزع فيما بعد هذه النظرية عندما يتبين بأن هناك طرف آخر يختلف عنه من الناحية التشريحية، فتبدو له أولوية الذكر، ويعيش قلق فقدانه، أي قلق الخصاء.

خلال الأنا والهو1923 le moi st le ça،يضع فرويد النموذج الأولي للأوديب في شكله الإيجابي والسلبي، والتقمصات الإيجابية والسلبية التي تنتج عنه، في روابط تفاعلية وظيفية ضمن الثنائية الجنسية la bisexualité psychique والتي يتم من خلالها بناء الهوية الجنسية، اين يرى بأن الاستعداد التشريحي الفطري هوما يساعد على تقمص شخصية الأم أو الأب، ضمن عقدة الأوديب البسيطة، غير أن هناك عقدة أوديب كاملة كما يسميها فرويد، وهي ذات وجهين، إيجابي وسلبي، وهي ترجع إلى الجنسية الثنائية التي يقول بوجودها لدى الأطفال اين يكتب: "إن الولد لا يقف فقط موقف التناقض الوجداني من أبيه وموقف المحب من أمه، وانما هو يسلك في نفس الوقت سلوك البنت ويبدي ميلا أنثويا عاطفيا نحو أبيه، كما يبدي اتجاه العداء نحو أمه"[8]

وخلال عقدة أوديب يكون الطفل منخرطا في مثلث عاطفي لأول مرة، أين تصطدم رغبته بأحد الوالدين المختلف عنه جنسا مع رغبته في إزالة الوالد من نفس الجنس، وتحت ضغط قلق الخصاء l'angoisse de castration، يقوم الطفل بتقمص الأب ويدمج سلطة الأب في ذاتيته عبر تركيبة نفسية تحمل النواة الأولى للأنا الأعلى، "فالتقمص يأتي لإصلاح الإحباط والجرح النرجسي الذي تعرض له الطفل لاستحالة تحقيق رغباته الليبيدية المرتبطة بالممنوع، هذا الممنوع هو ما يهدده بالخصاء"[9]

ويحدد الشكل الذي تنحل به عقدة أوديب فيما بعد نوعية الحياة النفسية بين السواء والاضطراب، "فأوديب يبني الراشد ويهيكله"[10]، ومن خلال السياق التقمصي يتمكن الطفل من الإحساس بجنسه وتحديد هويته الجنسية، أين تظهر الذكورة من خلال مظاهر: الفعالية، السادية، والإيجابية، والانوثة من خلال مظاهر الخضوع، المازوشية والسلبية.[11]

ان تهديد الخصاء يصيب الطفل بالارتباك، فهو أمام خيارين، إما الحفاظ على استثماره النرجسي لعضوه، واما الحفاظ على تعلقه الشبقي بالأم، فاذا سارت الأمور بطريقة طبيعية، فانه يتقمص الاب ويتخلى عن التعلق الشبقي بالأم ويجرد علاقته بها من محتواها الجنسي، ومن خلال التسامي la sublimation تتحول إلى محبة وعطف، ويحتفظ بعضوه سالما وما يمثله من ثقل نرجسي بعد تعطيل وظيفته المحرمة، عندها لا يبقى مبرر لقلق الخصاء لأنه تخلى عن تعلقه الشبقي بالأم وقام بتحويل دوافعه الليبيدية عنها، ليدخل في مرحلة الكمون، حتى البلوغ أين تظهر دوافعه الليبيدية من جديد ويتم توجيهها نحو مواضيع خارجية جديدة[12].

غير أن الحل غير السوي لعقدة أوديب ينجم عنه تشبث بالأم وتشبه بها، والابتعاد عن الأب وهذا ما يكون النواة الأولى للانحرافات الجنسية، فتقمص الطفل للام يضعه في موقف سلبي تجاه الأب، هذا التقمص يجعله يفقد عضوه الذكري ويبحث عن تعويض من الأب بمثابة موقف انكاري لقلق الخصاء، حيث أنه يحاول تجنبه بقلب الأدوار والتخلي عن الوظيفة الجنسية لعضوه[13].

ومن هنا يظهر بأن الفشل الكبير في نزع التقمصات عن الموضوع يتجلى من خلال مظاهر باثولوجية مختلفة، منها ظاهرة التحول الجنسي la transsexualisme، أين يكون الفرد من الناحية التشريحية سليم ويرغب في التحول إلى الجنس الآخر، وهنا يوضح كريستوف ديجور Christophe Dejours أن "التحول الجنسي من الذكر إلى الأنثى لا يعني بأن الفرد يعتقد بأنه من الجنس الآخر، بل يرى بأن جنسه التشريحي sexe anatomique سيء، وهو مقتنع بأنه من جنس أنثوي ويفكر بأن جنسه التشريحي خطأ من الطبيعة[14]."

فما هي الشروط اللازمة من أجل ارصان هوية جنسية ملائمة؟

2. شروط اكتساب الهوية الجنسية:

من خلال ما عرضناه سابقا حول الجنسية الطفلية، والبناءات التي يقوم بها الفرد في مراحل مبكرة من حياته، يتضح وجود مجموعة شروط من خلالها يتم تنظيم هوية جنسية واضحة وسوية، نذكرها فيما يلي:

2.1. التفريق بين الجنسين:

يتعرف الطفل على الفرق بين الأب والأم، مما يمثله من واقع مختلف جنسا، فالطفل يتعرف في مراحل مبكرة بأن الأب يمثل أحد الوالدين الذي يفصل العلاقة المندمجة بين الأم والطفل، ورغم ذلك يظل محتفظا بتصوراته حول وجود جنس وحيد، ليقوم فيما بعد بتقمص الوالدين، ويجد نفسه في مثلث أوديبي لا ينجذب فيه إلى الوالد من الجنس الآخر فقط، بل أيضا إلى الوالد من نفس الجنس، ضمن علاقة مثلية homosexuelle لينتقل فيما بعد نحو علاقة غيرية hétérosexuelle في علاقة عاطفية مع الأب من الجنس الاخر كموضوع حب، وهذا ما يسمح له بإيجاد مكانه ككائن مجنس être sexué، يأخذ فيما بعد يتصرف كذكر مثل أبيه، وتتصرف كأنثى مثل أمها.

وفي هذه الوضعية يحتاج الفردي إلى:

– التعرف وتقبل جنسه التشريحي الذكري أو الأنثوي، حيث أن "رفض الجسم البيولوجي يؤدي إلى معايشة الجسد الهوامي[15]"، ففي البداية يعيش الفرد الفرق بين الجنسي كمقارنة سلبية، ثم في وقت لاحق كفرق إيجابي يسمح له بالحصول على الثقة في نفسه؛

– وجود عمل نفسي يتميز بالديمومة، يضمن التناسق بين الشخصية في داخلها وخارجها.

2.2. التخلي عن الثنائية الجنسية la bisexualité

يتم اختيار الموضوع من طرف الفرد انطلاقا من الاختلاف بين الجنسين، فيتوجه نحو الجنس الآخر، لكن هناك أيضا توجه نحو نفس النوع، هذه الجاذبية

للجنسين معا سببها دافع الفضول، غير أن الكف الاجتماعي والرغبة في إنجاب الأطفال تمثل معيقات لتحقيق العلاقة المثلية la relation homosexuelle.[16]

ومن هنا تظهر مساهمة الحياة الاجتماعية في توجيه النزوات الجنسية نحو موضوع من الجنس الآخر، فالمراهق يقوم بتحديد هويته من خلال انتماءه الجنسي، ويقوم بتقوية هذا الانتماء وايقاظه نحو الجنس الآخر ليتم توجيه رغباته نحو الجنس الآخر l'hétérosexualité

2 . 3 . التخلي عن الطابع الجنسي لمواضيع الحب الأولى:

هناك عمل يجب أن يقوم به الطفل، ويواصله في المراهقة من أجل بناء هوية جنسية سوية ومتناسقة مع الجسد البيولوجي، هي أن يقوم بعمل حداد على الموضوع الأوديبي، ونزع الطابع الجنسي لتصورات الموضوع، ليقوم فيما بعد باستثمار موضوع حب خارجي جديد.

فاختيار الموضوع لدى المراهق يتحقق أولا على شكل تصورات، لأن الحياة الجنسية للمراهق لا تمكنه في الوقت الراهن من تحقيقها واقعيا، لتبقى على المستوى الهوامي، وفي نفس الوقت يتم رفض الهوامات المحرمية وتجاوزها من خلال عمل نفسي مؤلم يتم خلال البلوغ، للتخلي عن الطابع الجنسي لمواضيع الحب الأولى، لتدخل العلاقة بين الطفل ووالديه ضمن علاقة عائلية بطابعها الاجتماعي والعاطفي[17].

3. هوية النوع l'identité de genre

الملاحظ أن الكتابات الأنجلوساكسونية Anglo-saxon عندما تتحدث عن مصطلح (الجنس-sex-sexe) فهي تقصد المفهوم البيولوجي، في حين أن استعمال مصطلح (النوع-Gender-genre) يشير إلى المفهوم الثقافي الاجتماعي والذاتي، غير ان المستعمل في الترجمة العربية هو مصطلح اضطراب الهوية الجنسية، وهو المصطلح الذي سوف نستعمله في هذا البحث.

وقد أدرج مفهوم هوية النوع من طرف جون موني John Money 1955 أخصائي نفساني عمل في مصلحة طب الغدد لدى الأطفال endocrinologie pédiatrique، أين لاحظ

وجود صراع بين الصفات البيولوجية والجنس الذي يتقمصه الطفل، إذ ليس هنالك تناسق بينهما.

ليأتي فيما بعد ستولر Stoller ويثري هذا المفهوم من خلال المصطلح الذي ساغه "نواة هوية النوع" noyau de l'identité de genre التي يتم من خلالها شيئا فشيئا بناء الذكورة والأنوثة، تبعًا لثلاث عوامل أساسية: المعطيات البيولوجية التي يولد بها الطفل، تعيين جنس الطفل من خلال الأسرة أو الأهل ثم القوة البيولوجية التي تظهر خلال الحياة والتي لها أصل وراثي من خلال التنظيم النورولوجي للدماغ.[18]

قام لابلانش Laplanche بنقد واثراء نظرية ستولر Stoller حول أصل هوية النوع، وأعطى ستة أسس ايثيولوجية لتحديد هوية النوع لدى الفرد هي: القوة البيولوجية، تحديد الجنس عند الميلاد، المواقف المحددة للطفل انطلاقا من جنسه البيولوجي، الظواهر النفس بيولوجية، النمو الجسدي وأيضا النمو الضمن نفسي، وهذه الأسس هي ما تحدد نوع/جنس الفرد.[19]

فهوية النوع اذن تعرف اجتماعيا من خلال مجموعة من السلوكات النمطية، لكنها تُعاش كخصائص طبيعية، لذلك يرى غرينسونGreenson "بأن هشاشة أسس هوية النوع لدى الرجل يُعبر عنه بصفة كبيرة من خلال الرغبة في التحول إلى الجنس الآخر[20]."

4. **اضطراب الهوية الجنسية حسب الدلائل التشخيصية:**

بعد عرضنا للمنظور النفس دينامي لاضطراب الهوية الجنسية، سنقوم بإيضاح تناول الدلائل التشخيصية لهذا الاضطراب والذي يتجه نحو النظرة الوصفية العرضية.

يتكلم الدليل الاحصائي والتشخيصي للاضطرابات العقلية في نسخته الرابعة DSM IV عن اضطراب الهوية الجنسية Le trouble d'identité sexuelle من خلال الأعراض المحددة له، أين يظهر تقمص شديد ودائم للجنس الآخر، لا يكون بهدف الحصول على

أي منافع متعلقة بالجنس الآخر، مع الانزعاج الدائم من الانتماء إلى جنسه التشريحي، يظهر لدى الأطفال من خلال التوجه نحو ألعاب، ملابس وأدوار الجنس الآخر، في حين يظهر لدى المراهق من خلال الرغبة الصريحة في أن يكونوا من الجنس الآخر أو الرغبة في أن يعيشوا أو يُعامَلوا على أنهم من الجنس الآخر، أو القناعة بأن لديهم مشاعر نموذجية وردود أفعال الجنس الآخر[21].

ويتكلم التصنيف العالمي للاضطرابات النفسية CIM 10 عن اضطراب الهوية الجنسية، بكونه "رغبة عامة عند الطفل للتحول إلى الجنس المقابل للجنس الفعلي، أو الإصرار على الانتماء إلى الجنس المقابل، بالإضافة إلى رفض شديد لسلوك أو صفات أو ملابس الجنس الفعلي أولها جميعا.[22]"

الملاحظ هو أن النسخة الرابعة من DSM و10 CIM قد تكلما عن الرغبة في أن يكون الفرد من الجنس الآخر باعتبارها (اضطراب-trouble-Disorder) في حين أن الـ DSM 5 يسمي نفس الاعراض باسم (الانزعاج-Dysphorie-dyphoria) أي (انزعاج من النوع-dysphorie de genre-Gender dysphoria)، هذا التغيير لا يزال محل نقاش علمي.

وفيما يلي سوف نعرض المؤشرات التشخيصية للانزعاج من النوع الجنسي لدى المراهق حسب DSM 5:

تناقض واضح بين الجنس المعبر عنه والجنس الفعلي لمدة ستة أشهر، يصاحبه تدني واحباط ملحوظين في مجالات الأداء الاجتماعي، المهني والأكاديمي، يتجلى من خلال أحد المظاهر التالية،

- تناقض في الجنس المعبر عنه والخصائص الجنسية الأولية والثانوية؛
- رغبة في التخلص من الخصائص الجنسية؛
- رغبة في الخصائص الجنسية للجنس الآخر؛
- رغبة في أن يكون من الجنس الآخر؛
- رغبة في أن يُعامل كالجنس الآخر؛
- قناعة قوية في أن لديه مشاعر وردود فعل مثل الجنس الآخر[23].

يتضح لنا بأن الفرد الذي يحمل هذه الاعراض يعيش حياته باعتباره ولد في الجنس الخطأ، مثل أن يعتقد الذكر بأنه أنثى في جسد ذكر، لذلك يرغب في التخلص من هذا الجسد الخطأ، ليعيش في جسد آخر موافق لما يحس به، ومن أجل إيضاح موضع هذا البحث سننتقل فيما يلي إلى مناقشة إشكالية الهوية الجنسية في ضوء ديناميات المراهقة.

5. **المراهقة واضطراب الهوية الجنسية:**

تعد مرحلة المراهقة أحد المراحل الهامة والحاسمة في حياة الفرد، لما تتميز به من خصائص في مختلف جوانب النمو، وتحدد مآل الفرد في سن الرشد، ثم أنها تحمل كثير من الصراعات وسوء التكيف التي تعتبر ضرورية من أجل التوازن النفسي الداخلي.

ونحن إذ نتحدث في هذه الورقة البحثية عن الهوية الجنسية بين السواء والاضطراب في مرحلة المراهقة، فهذا لكونها مرحلة تحديد نهائي للهوية، أين يعد بناء هوية جنسية مستقرة مؤشر لنهاية المراهقة، عندها يتمكن الفرد من التكيف مع ذاته ثم مع الآخر من خلال تحديد جنسه وعلاقاته مع الجنس الآخر على المستوى الاجتماعي والعاطفي.

فيما يلي سنناقش مفهوم الهوية الجنسية في ضوء متغيرات المراهقة وتغيراتها، وعند الحديث عن المراهقة نجد أنفسنا أمام تساؤل مهم، هل المراهقة سيرورة أم أزمة؟

5 . 1. المراهقة: أزمة أم سيرورة l'adolescence; crise ou processus

اثارت أهمية المراهقة اهمام الباحثين، مما أنتج تراث علمي هام تختلف نظرته باختلاف النظريات، فنجد البعض يطلق عليها مصطلح أزمة المراهقة، صدمة البلوغ وسيرورة المراهقة.

- **المراهقة كمرحلة أزمة:**

يتكلم بيرجوري Bergeret عن هذه المرحلة باعتبارها أزمة، أي أزمة مراهقة، تبدأ مع نهاية مرحلة الكمون، والسمة النفسية الرئيسية فيها، هي تكيف الشخصية مع

الشروط الجديدة الناتجة عن التحولات الجسدية، حيث "تعتبر كل الظواهر النفسية الخاصة بالبلوغ كمحاولات لبناء التوازن المختل[24]،" إذ "ليس هنالك مراهقة دون أزمة[25]"، فهذه المرحلة تمر بمرافقة بعض الأعراض النفس جسدية مثل العنف الموجه نحو الذات أو نحو الآخر، ومرور المراهقة دون مشاكل يمكن أن يترجم كسيرورة مرضية، وهذا لا يعني أن كل التظاهرات التي تصاحب المراهقة تدخل في السجل السوي.

فالفرد يمر في حياته بجملة من الأزمات: أزمة قلق الشهر الثامن، أزمة أوديب، أزمة المراهقة، هذه الأزمات تعد ضرورية، وتؤدي بالفرد إلى تحقيق نضج أكبر، وغيابها يعد مرضياً[26]، وهذا يجعل منها مرحلة نمو صعبة، نظرا للصراعات مع الوالدين والرغبة في التحرر من القمع الأسري، هذه الصعوبات تظهر خلال الحياة الدراسية وبداية الحياة المهنية[27].

هذه المظاهر النفسية الشديدة والهامة تأتي لمجابهة تغيرات المرحلة سواء كانت من ناحية اقتصادية (زيادة الطاقة النفسية) أو دينامية، يرافقها استعمال ميكانيزمات دفاعية جديدة والتخلي عن أخرى قديمة، وأهمية هذه التغيرات المعقدة والمتناقضة تأتي لتسوية الأخطار المرضية المحتملة، وربطها في شخصية المراهق، "تهدف إلى التكيف مع النمو المحقق والتوافق مع الأزمات المهيكلة، مثل قلق الشهر الثامن، الأوديب أوفي ميدان الحياة، ويعبر التطور النسقي الذي يطبعها عن اختلال مؤقت يتم تعديله من خلال ميكانيزمات محددة[28]."

- **المراهقة كسيرورة:**

يتم النظر إلى المراهقة كسيرورة من خلال التنظيم النفسي الذي يسجل في زمنية متغيرة، ومن الصعب ضبط حدودها، يتم في ضوئها إعادة التنظيم النزوي، عودة الصراع الأوديبي، تغيرات تقمصية، إشكالية الانفصال في عملية متداخلة طوال هذه السيرورة، التي "تجعل من المراهق تحت ضغط التغيرات النفسية والفيزيولوجية الناتجة عن البلوغ، لذلك فهو مجبر على إعادة بناء ذاته رغبة في البلوغ والبحث عن رموز جديدة للهوية[29]."

حدد **بلوس** Blos مراحل تطور تظهر خلال هذه المرحلة، ترتبط بالتجديد النزوي للبلوغ في علاقات جديدة مع الجماعة، ثم فك الارتباط مع المواضيع الأولية، والتوجه نحو تجارب مع الجنس الآخر واكتشاف مواضيع حب وكراهية جديدة خارج الأسرة Extra–Familiaux.[30]

نلاحظ أيضا أن بعض المراجع تتحدث عن بعض المراجع التي تنظر إلى المراهقة كمرحلة انتقال من الطفولة إلى الرشد دون أن تعيرها أي أهمية أو خصوصية، وهذا تجاهل للعمل النفسي الصعب الذي يتم من خلالها في سبيل الوصول إلى مرحلة أكثر توازن، في حين أن تحديدها بزمن معين يعد أيضا أمر صعب نظرا للاختلاف بين الباحثين في تحديدها بفترة زمنية محددة، ضف إلى ذلك فإن هذا لا يشير إلى جانبها الدينامي، ونحن نفضل أن نستعمل مصطلح سيرورة لأن مصطلح الأزمة يصبغ هذه المرحلة بصبغة سلبية.

2.5. المراهقة وبناء الهوية:

ما يميز المراهقة هو ذلك العمل النفسي الذي يهدف إلى إعادة بناء الذات في ظل التغيرات النفسية والفيزيولوجية الخاصة بالمرحلة، حتى أن هناك من الكتابات التي تتكلم عن هذه المرحلة باعتبارها أزمة هوية، أين يكون "المراهق في حاجة إلى البحث عن رموز جديدة للهوية[31]" وتجاوز حالة الطفولة بكل ما ترمز اليه من اعتماد على الاخر، والبحث عن الحرية المنشودة، وفي ظل هذا العمل تظهر تساؤلات مقلقة حول هويتهم من خلال الصراعات التي يعيشونها حول ماهيتهم، فتحقيق الهوية يتم من خلال الاعتراف بالفروق بين الجنسين وبالفروق بين الأجيال، هذا بدوره يساهم في تكوين المعالم التقمصية المرتبطة بالأوديب[32].

لعل من أهم الكتابات التي تكلمت عن الهوية في هذه المرحلة هي كتابات Kestemberg من خلال مقالها الموسوم بـ الهوية والتقمصات لدى المراهقين L'identité et

l'identification chez les adolescents، أين ترى بأن "الهوية والمراهقة هما وجهان لعملة واحدة، لا يمكن أن نتصورهم منفصلين[33]".

فمفهوم الهوية يرجع إلى تأثير نرجسية الفرد من خلال نوعية العلاقات الأولى والتقبل الذي يلقاه، أي علاقات الاهتمام السابقة التي تبني نرجسيته[34]، لتأتي مرحلة المراهقة وتقوم ببناء نهائي للتقمصات وتصورات متناسقة للأنا والهوية والشخصية، تلك التقمصات تتحول إلى تصورات معقدة ومتناسقة تقوم ببناء هوية المراهق وتسمح له بأن يصبح أب في يوم ما.

ولأن الوظيفة الرئيسية لمرحلة المراهقة حسب لوفر M Laufer هي "بناء نظام هوية جنسية نهائية مع إدماج صورة نهائية للجسم بما في ذلك الأعضاء التناسلية الناضجة والرغبات والتقمصات الجديدة"[35]، فان اضطراب الهوية الجنسية يشير إلى فشل المراهق في بناء تصور واضح لهويته الجنسية، ومختلف السلوكات النمطية التي تتعلق بها، ثم بناء توجه جنسي واضح وسوي نحو الجنس الأخر، واشباع حاجته إلى الانتماء إلى جنسه وتحقيق تمايزه، هذا الفشل هوما أدى إلى صعوبة ارصان هوية جنسية وتجاوز أزمة الهوية وعجز عن تحقيق تمايز تبعا لاختلالات سابقة في مراحل النمو الطفلية ثم عجز عن تصحيحها.

3.5. المراهقة وإعادة بناء التقمصات:

يتكلم فرويد عن التقمص باعتباره الشكل الأكثر بدائية للتعلق الوجداني بموضوع آخر، ويعرفه لابلانش وبونتاليس بأنه: "عملية نفسية يتمثل الشخص بواسطتها أحد مظاهر أو خصائص أو صفات شخص آخر، ويتحول كليا أو جزئيا تبعا لنموذجه[36]."

ويرجع أصل التقمصات إلى خصائص الأنا، ونتيجة للعلاقات الموضوعية للطفل الذي يتخلى عنها من أجل أن يكبر، فهو يقوم بحداد على مواضيع حبه الأولية في الواقع، ويستدخلها في ذاته وتبقى كمعنى علائقي، فالأنا يُبى إذن من هذه السيرورة.[37]

وتمثل المراهقة مرحلة لإعادة بناء وهيكلة التقمصات، وبناء تقمصات جديدة خارج إطار الأسرة، أين ترى كاستمبرغ Kestemberg بأن "المراهقة تعتبر كمنظم نفسي Organisateur psychique يقوم بإعادة تنظيم بناء الأنا الذي يعيش تغيرات البلوغ، أين يجب عليه أن يدمج هذا النضج الفزيولوجي ضمن نظامه العلائقي الليبيدي[38]."

في هذه المرحلة يقوم المراهق بنزع الطابع الجنسي لتقمصات الطفلية الثنائية الجنسية التي شكلت حلا للصراع الأوديبي الطفلي، هذه التقمصات أصبحت صراعية ومرفوضة وتثير استفهام مقلق حول الهوية وانشغال حول التماسك الداخلي للفرد وشعور غير ملائم أو شعور بالغرابة أمام الصورة الجديدة للجسد، فالمراهق -حسب جاميJeammet - عليه أن يراجع تقمصاته الطفلية من خلال ادماج الصورة الجديدة للجسد الجنسي الموروثة من قبل البلوغ[39]، هذا ما يؤدي إلى تقلد هوية رجل أو امرأة، هذه الحركة من تغير التقمصات تتم جنبا إلى جنب مع ضرورة أخذ مسافة واستقلالية عن الآباء، واستدخال مرونة أكبر وقاعدة نرجسية تمكنه من التخلص من التبعية الطفلية.

فحسب كان cahn تسجل الإشكالية التقمصية في المراهقة في سياق نزع الطابع الجنسي لتقمصات المواضيع الأولية[40]، غير أن فشل سيرورة المراهقة في هذا العمل الذي يتجه نحو إعادة بناء تقمصات مرنة، وادماج التغيرات الصراعية والبيولوجية الجديدة للمرحلة، ثم نزع الطابع الجنسي المحرمي لتقمصات الموضوع، هذا الفشل سيؤثر على ارصان هوية جنسية ملائمة أين يحس الفرد نفسه كرجل أو كامرأة، ومن هنا تظهر اضطرابات على المستوى النفسي، من ضمنها اضطراب الهوية الجنسية الذي نهتم بدراسته هنا.

4.5. المراهقة والجسد:

تتميز مرحلة المراهقة بظهور الخصائص الجنسية الثانوية مع نمو الأعضاء التناسلية، يرافقه نمو سريع وهام للجسد، وظهور اختلافات في جسد الذكر والأنثى،

وهوما يجعل التمييز بين الجنسين واضحا، إن هذه التحولات الجسدية تلقي بآثارها على الجانب النفسي من حيث العلاقات مع الوالدين والزملاء أين نلاحظ سرعة تغير المزاج، "فالعنف يلخص إشكالية المراهقة[41]."

في هذه المرحلة يجد المراهق نفسه أمام عمل نفسي لتقمص جسده بطابعه التناسلي، من أجل الوصول إلى نظرة كاملة عن جسده، فصورة الذات هي صورة جسد مفعم بالمشاعر لها علاقة مع تقدير الذات، أي مع الطابع الإيجابي أو السلبي الذي يعطيه المراهق لنفسه، انطلاقا من نظرته لنفسه ثم نظرة الآخر إليه، هذه الصورة تدمج في طياتها قدراته الجسدية، فعاليته وهويته الجنسية[42].

كل هذه التحولات تعتبر هامة، والأهم منها كيف يكون مآلها على المستوى النفسي؟ وكيف يتمكن من إدماجها داخل عمل التوظيفات النفسية السائدة في هذه المرحلة؟ إذ يمكن أن تكون هذه التغيرات مصدر اعتزاز لدى المراهق، أو قد توقظ قلق متعلق بصورة الجسد، كما يمكن أن نلاحظ اهتمام مفرط أو قلة اهتمام، وفي كل الأحوال فإن المراهق أمام حتمية إدماج الصورة الجسدية الجديدة ضمن توظيفه النفسي مع عناصر البلوغ التي طرأت عليه.

وتصاحب مرحلة البلوغ la puberté أحد التغيرات المهمة في حياة المراهق بظهور الهوامات الاستمنائية، التي تُمكن الفرد ـ حسب لوفر Laufer ـ من الإحساس الجنسي وإرصان هوية جنسية وصورة جسد تتلاءم مع صورة الشخص الناضج، من خلال إدخال عناصر البلوغ في صورة جسده باعتبارها عناصر فاعلة في حياته، وهي " تسمح له بإمكانية عيش جسده الناضج كأنه ملك له وليس شيئا لا يزال ينتمي إلى الأم[43]".

تحمل علاقة المراهق بجسده دور هام في تنظيم بناء الشخصية والتعبير عن المظاهر المرضية عند وجود مشكل على مستوى التقمصات والهوية، فالأعراض تظهر بلغة الجسد، أين يكون هذا الأخير حسب Jeammet "وسيلة تعبير عن الصراعات النفسية التي يعيشها المراهق[44]"، و "وسيلة علاقة، مع الواقع الخارجي والواقع الهوامي[45]" حسب Mercelli.

ومن هنا فاضطراب الهوية الجنسية يُظهر عجز المراهق على تقمص جسده بطابعه التناسلي وعجز عن ادماج عناصر البلوغ في صورة جسد متكاملة باعتبارها عناصر فعالة، وهوما يظهر من خلال رفض جسده بمعطياته التشريحية ومعايشة الجسد الهوامي، والرغبة في أن يكون من الجنس الآخر.

5.5. المراهقة كعمل حداد:

إن الاهتمام الأمومي الذي تلقاه المراهق في حياة الطفولة، واقع سيفقده في مرحلة المراهقة، ويجب عليه أن ينزع استثماره عن ذلك الواقع لاستثمار واقع جديد ضمن عمل نفسي صعب هو عمل الحداد، الذي يسمح للمراهق . حسب بلوس Blos . بـ "طرح المواضيع التي قام باستدخالها، واستثمار مواضيع خارجية أخرى من خلال سيرورة ثانية من انفصال/فردنة[46]."

والانفصال الذي يبدأ في المراهقة يمس ميادين ضمن نفسية Intrapsychique، تتعلق بالنرجسية والعلاقة بالموضوع، ويؤدي إلى تحريك عمل نفسي للتخلي عن الروابط الطفلية مع الصور المستدخلة عن الوالدين Imagos، ومع أفاق هذا الانفصال العاطفي مع الوالدين والطفولة التي تشكل أساس الحماية له، يفقد المراهق جزءا من ذاتيته ويقلل تقمصاته لهم، وخلال هذا الانفصال "يظهر ازدواج ميل Ambivalence في علاقاته مع الآخرين، يعيشها حسب ميلاني كلاين M Klein كوضعية اكتئابية، ومع نهاية هذه المرحلة تظهر تبادلات عاطفية جديدة مع الوالدين[47]."

وعلى الفرد أن يتوجه نحو تجاوز التقمصات البدائية للوالدين ونزع الاستثمار واستثمار مواضيع جديدة خارج الأسرة، فالمراهق عليه أن يقوم بعمل حداد متعلق بالأم[48]، إذ تمثل المراهقة ضرورة إرصان إشكالية الانفصال التي تلعب دور وضعية اكتئابية، وهوما يضعف أسسه النرجسية، فالمراهقة تضع الفرد أمام حالة كشف جودة نرجسيته أو ضعفها، أنماط العلاقة مع الموضوع من حيث الاستقلالية والتبعية وكشف نوعية العمل الذي أُنجز خلال مرحلة الطفولة.

ولأن المراهقة تشكل فرصة أخرى أمام الفرد لكي يحل أزمة الأوديب بشكل عفوي، والتي تم حلها في مرحلة سابقة، أين يرى غوتون Gutton بأن "المراهق يتابع طريق الأوديب بصورة عنيفة من خلال نزع الطابع الجنسي للتقمصات[49]"، فان اضطراب الهوية الجنسية يشير إلى عجز المراهق عن عمل حداد على المواضيع الأولية، من خلال تجاوز التقمصات البدائية للوالدين واستثمار مواضيع جديدة خارج الأسرة، وعجزه عن استغلال فرصة ثانية لحل سوي للأوديب.

من خلال ما سبق مناقشته يظهر بأن اضطراب الهوية الجنسية يُشير إلى فشل سيرورة المراهقة في عملها الدينامي في إيجاد تناسق بين الطابع التشريحي للجسد والواقع النفسي الذي يعيشه المراهق.

خلاصة:

تمثل الهوية الجنسية سيرورة معقدة تبدأ من الحمل لتستمر من خلال مظاهر النمو النفس جنسي، تتحدد من خلال تفاعل بين مظاهر موضوعية وأخرى ذاتية، تعطي الفرد الإحساس بالانتماء إلى جنس محدد، يبنى من خلال

ويتم بناء الهوية الجنسية لدى الطفل من خلال السياق التقمصي، أين يقوم الطفل بتقمص الأب ويدمج سلطة الأب في ذاتيته عبر تركيبة نفسية تحمل النواة الأولى للأنا الأعلى، ويحدد الشكل الذي تنحل به عقدة أوديب فيما بعد نوعية الحياة النفسية بين السواء والاضطراب، فأوديب يبني الراشد ويهيكله، فمن خلال هذا السياق التقمصي يتمكن الطفل من الإحساس بجنسه وتحديد هويته الجنسية.

وهناك شروط يجب تحققها لإرصان هوية جنسية ملائمة، تبدأ من ضرورة التفريق بين الجنسين، ثم التخلي عن الثنائية الجنسية والتخلي عن الطابع الجنسي لمواضيع الحب الأولى ليقوم فيما بعد باستثمار موضوع حب خارجي جديد، غير أن فشل هذا العمل النفسي والحل غير السوي لعقدة أوديب يؤدي إلى اختلال في الاحساس بالهوية الجنسية لدى الفرد.

ففي الحالات السوية تأتي المراهقة باعتبارها أحد المراحل الهامة والحاسمة في حياة الفرد، نظرا لتغيراتها على مستوى مختلف جوانب النمو، لتقوم بوظيفة بناء نظام هوية جنسية نهائية من خلال إعادة بناء وهيكلة التقمصات، عمل حداد على المواضيع الأولية من خلال تجاوز التقمصات البدائية للوالدين واستثمار مواضيع جديدة خارج الأسرة، ثم إدماج صورة نهائية للجسم بما في ذلك الأعضاء التناسلية الناضجة والرغبات والتقمصات الجديدة، غير أن اضطراب الهوية الجنسية يشير إلى فشل تسوية صحيحة لعقدة أوديب في الطفولة، ثم فشل مرحلة المراهقة في تصحيح هذا الاختلال، وهو ما يظهر من خلال تناقض لدى الفرد بين هويته بطابعها التشريحي وما يحس به، يترجم من خلال الرغبة في أن يكون من الجنس الآخر.

الهوامش:

[1] Kathering C, 1983: The long term, Effects of father absence in childhood on male university students, sex role identity and personal adjustment, Psychological abstract, vol, 69, no, 5,

[2] Turnbull, W, 1982, The long term effects of father absence in childhood on male university student sex-role identity and personal adjustment, journal of genetic psychology, 141, p 271-276.

[3] Beaty, Lee A, 1995, (Effects of Paternal absence on male adolescents peer relations and self - image), Adolescence, vol, 30, Issue 120, p873, 8p, 2charts.

[4] Martinerie. F, Heuzey. A, Bargiacchi, 2016, Évaluation et prise en charge d'une dysphorie de genre chez l'enfant et l'adolescent, revue de littérature, Vol.23(6) :668–673.

[5] Mendes. N, Lagrange. A, 2016, La dysphorie de genre chez l'enfant et l'adolescent : revue de littérature, Vol.64(4) :240–254.

[6] Krouch. T, Moro. R, 2016, Trouble de l'identité de genre chez l'enfant et l'adolescent : expériences de prise en charge à l'étranger, revue de littérature, Vol.64(4) :232–239.

[7] فرويد سيجموند، 1983، ثلاث مباحث في نظرية الجنس، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط 2، ص69.

[8] فرويد سيجموند، 1982، الأنا والهو، ترجمة محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت، ط4، ص 55-56.

[9] Perron. R, Perron – Borelli. M, 1994, Le complexe d'Œdipe, PUF, Paris, p 97.
[10] Perron. R, Perron – Borelli. M, ibid, p 20.
[11] Cournut. J, 1998, le pauvre homme ou pourquoi les hommes ont peur des femmes, revue française de psychanalyse, 62(2), p 397.
[12] حب الله عدنان، 2004، التحليل النفسي للرجولة والأنوثة: من فرويد إلى لاكان، منشورات ANEP، الجزائر، ص 117.

[13] حب الله عدنان، نفس المرجع، ص 118.

[14] Dejours C. (2005). L'indifférence des sexes : fiction ou défi ? In Les sexes indifférents, sous la direction de J. André, Paris : PUF, P 41.
[15] Tony Anatrella, 1988, interminables adolescences : les 12 / 30 ans, Cujas, France, p51.
[16] Tony Anatrella, ibid, p52.
[17] Tony Anatrella, ibid, p55.
[18] Stoller R. J. (1964). A contribution to the study of gender identity. International Journal of Psycho-Analysis, 45, p 223.
[19] Laplanche J. (2003). Le genre, le sexe, le sexual, In Sur la théorie de la séduction, sous la direction de C. CHABERT, Libres Cahiers pour la Psychanalyse, Editions In Press, p73.
[20] Greenson R.R. (1968). Dis-identifying from mother : its special importance for the boy. International Journal of Psychoanalysis, 49, p371.
[21] APA, 2003, DSM 4TR, Masson, Paris, p 666.

[22] المنظمة العالمية للصحة، 1999، التصنيف الدولي للاضطرابات النفسية والسلوكيةICD 10، ترجمة أحمد عكاشة، المكتبة الطبية القومية، القاهرة، ص 228.
[23] APA (2013), diagnostic and statistical manual of mental disorders, DSM-5, British Library, London, p 453-452.
[24] Bergeret Jean, 1979, Psychologie psychopathologique : théorie et clinique, Masson, Paris, p36.
[25] Emmanuelli Mechel, 2009, l'adolescence, PUF, Paris, 2 éditions, p 27.
[26] Marcelli daniel, Braconnier Alain, 2011, Adolescence et psychopathologie, Masson, Paris, p 40.
[27] Michel Vincent, 2011, problématique de l'adolescence entre narcissisme et Œdipe, IN problématiques de l'adolescence sous la direction de Si Moussi et Roger Perron, OPU, Alger, p127.
[28] Cahn Raymond, 1998, l'adolescent dans la psychanalyse, PUF, Frans, p 10.
[29] Gutton Philippe, 2002, violence et adolescence, presse édition, Paris, p 55.

[30] Cahn Raymond, ibid, p 11.
[31] Gutton Philippe, ibid, p 55.
[32] Françoise Brelet-Foulard, Catherine Chabert, 2003, Nouveau manuel du TAT : Approche psychanalytique, Dunod, PARIS, 2eedition, p86.
[33] Kestemberg Evelyne, L'identité et l'identification chez les adolescents, L'adolescence à vif, Paris, Presses Universitaires de France, « Le fil rouge », 1999, p 87.
[34] Braconnier, 2009, l'adolescence, sous la direction de François Marty, les grandes problématiques de la psychologie clinique, Dunod, PARIS, P55.
[35] Marty. F, J.-Y. Chagnon, 2006, Identité et l'identification à l'adolescence, Psychiatrie/ Pédopsychiatrie, EMC, Paris, p 4.
[36] لابلانش، بونتاليس، 2002، معجم مصطلحات التحليل النفسي، ترجمة مصطفى حجازي، المؤسسة الجامعية للدراسات وللنشر والتوزيع، بيروت، ط4، ص 198.
[37] Tony Anatrella, ibid, p148.
[38] Kestemberg Evelyne, ibid, p 88.
[39] Marty. F, J.-Y. Chagnon, ibid, p 6.
[40] Cahn Raymond, 2002, les identifications à l'agresseur, PUF, Paris, p 112.
[41] Pierre Delion, 2010, La consultation avec l'enfant Approche psychopathologique du bébé à l'adolescent, Elsevier Masson, Paris, p 111.
[42] Pierre G. Coslin, 2010, psychologie de l'adolescent, Armand Colin, Paris.3 edition, p 38.
[43] فكتور سميرنوف، 1985، التحليل النفسي للولد، ترجمة: فؤاد شاهين، المؤسسة الجامعية للدراسات، النشر والتوزيع، بيروت، ط 3، ص 216.
[44] Jeammet. Ph, 2001, Evolution des problématiques à l'adolescence, groupe liason, France, p 20.
[45] Mercelli, 2004, Adolescence et psychopathologie, Masson, Paris, P127.
[46] Marty. F, J.-Y. Chagnon, ibid, p 5.
[47] Emmanuelli Mechel, ibid, p 42.
[48] Braconnier, 2004, menasse de dégressivité, idées de vie, idées de mort, la déprissions en question chez l'adolescent, Masson, paris, 66.
[49] Marty .F, J.-Y. Chagnon, ibid, p 6.

قائمة المراجع:

1. المنظمة العالمية للصحة، 1999، التصنيف الدولي للاضطرابات النفسية والسلوكية ICD 10، ترجمة أحمد عكاشة، المكتبة الطبية القومية، القاهرة.
2. حب الله عدنان، 2004، التحليل النفسي للرجولة والأنوثة: من فرويد إلى لاكان، منشورات ANEP، الجزائر.
3. فرويد سيجموند، 1982، الأنا والهو، ترجمة محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت، ط4.
4. فرويد سيجموند، 1983، ثلاث مباحث في نظرية الجنس، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط 2.
5. فكتور سميرنوف، 1985، التحليل النفسي للولد، ترجمة: فؤاد شاهين، المؤسسة الجامعية للدراسات، النشر والتوزيع، بيروت، ط 3.
6. لابلانش، بونتاليس، 2002، معجم مصطلحات التحليل النفسي، ترجمة مصطفى حجازي، المؤسسة الجامعية للدراسات وللنشر والتوزيع، بيروت، ط4.
7. APA, 2003, **DSM 4TR**, Masson, Paris.
8. APA, 2013, **diagnostic and statistical manual of mental disorders, DSM-5**, British Library, London.
9. Beaty, Lee. A, 1995, **Effects of Paternal absence on male adolescents peer relations and self - image**, Adolescence, vol, 30, Issue 120, 2charts.
10. Bergeret Jean, 1979, **Psychologie psychopathologique** : théorie et clinique, Masson, Paris.
11. Braconnier, 2004, **menasse de dégressivité, idées de vie, idées de mort**, la déprissions en question chez l'adolescent, Masson, paris, 66.
12. Braconnier, 2009, **l'adolescence**, sous la direction de François Marty, les grandes problématiques de la psychologie clinique, Dunod, PARIS, P55.
13. Cahn Raymond, 1998, **l'adolescent dans la psychanalyse**, PUF, Frans.
14. Cahn Raymond, 2002, **les identifications à l'agresseur**, PUF, Paris.
15. Cournut. J, 1998, **le pauvre homme ou pourquoi les hommes ont peur des femmes**, revue française de psychanalyse, 62(2).
16. Dejours C. (2005). **L'indifférence des sexes** : fiction ou défi ? In Les sexes indifférents, sous la direction de J. André, Paris : PUF.
17. Emmanuelli Mechel, 2009, **l'adolescence**, PUF, Paris, 2 éditions.
18. Françoise Brelet-Foulard, Catherine Chabert, 2003, **Nouveau manuel du TAT** : Approche psychanalytique, Dunod, PARIS, 2eedition,
19. Greenson R.R. (1968). **Dis-identifying from mother** : its special importance for the boy. International Journal of Psychoanalysis, 49.
20. Gutton Philippe, 2002, **violence et adolescence**, presse édition, Paris.
21. Jeammet.Ph, 2001, **Evolution des problématiques à l'adolescence**, groupe liason, France.
22. Kathering C, 1983, The long term, **Effects of father absence in childhood on male university students**, sex role identity and personal adjustment, Psychological abstract, vol, 69, no, 5,
23. Kestemberg Evelyne, **L'identité et l'identification chez les adolescents**, L'adolescence à vif, Paris, Presses Universitaires de France, « Le fil rouge », 1999.

24. Krouch. T, Moro. R, 2016, **Trouble de l'identité de genre chez l'enfant et l'adolescent** : expériences de prise en charge à l'étranger, revue de littérature, Vol.64(4) :232–239.
25. Laplanche J. (2003). **Le genre, le sexe, le sexual**, In Sur la théorie de la séduction, sous la direction de C. CHABERT, Libres Cahiers pour la Psychanalyse, Editions In Press.
26. Marcelli daniel, Braconnier Alain, 2011, **Adolescence et psychopathologie**, Masson, Paris.
27. Martinerie. F, Heuzey. A, Bargiacchi, 2016, **Évaluation et prise en charge d'une dysphorie de genre chez l'enfant et l'adolescent,** revue de littérature, Vol.23(6) :668–673.
28. Marty .F, J.-Y. Chagnon, 2006, **Identité et l'identification à l'adolescence**, Psychiatrie/ Pédopsychiatrie, EMC, Paris.
29. Mendes. N, Lagrange. A, 2016, **La dysphorie de genre chez l'enfant et l'adolescent** : revue de littérature, Vol.64(4):240–254.
30. Mercelli, 2004, **Adolescence et psychopathologie**, Masson, Paris.
31. Michel Vincent, 2011, **problématique de l'adolescence entre narcissisme et Œdipe**, IN problématiques de l'adolescence sous la direction de Si Moussi et Roger Perron, OPU, Alger.
32. Perron. R, Perron – Borelli. M, 1994, **Le complexe d'Œdipe**, PUF, Paris.
33. Pierre Delion, 2010, **La consultation avec l'enfant** : Approche psychopathologique du bébé à l'adolescent, Elsevier Masson, Paris.
34. Pierre G. Coslin, 2010, **psychologie de l'adolescent**, Armand Colin, Paris.3 edition.
35. Stoller R. J. (1964). **A contribution to the study of gender identity**. International Journal of Psycho-Analysis, 45.
36. Tony Anatrella, 1988, **interminables adolescences** : les 12 / 30 ans, Cujas, France.
37. Turnbull, W, 1982, The long term **effects of father absence in childhood** on male university student sex-role identity and personal adjustment, journal of genetic psychology, 141.

واقع ومعيقات استخدام برامج الوسائط المتعددة التعليمية في الطور المتوسط - دراسة ميدانية من وجهة نظر الأساتذة -

د/ بن حامد لخضر – جامعة البويرة.

الملخص:

هدفت الدراسة الحالية لمعرفة واقع استخدام برامج الوسائط المتعددة التعليمية في التعليم المتوسط من وجهة نظر الأساتذة، ولتحقيق أهداف الدراسة تمّ بناء استبيان مكون من 34 عبارة، تمّ توزيعه على عينة قدرها 60 أستاذا وأستاذة، وكانت النتائج كالتالي:

هناك اتجاهات ايجابية لدى أساتذة التعليم المتوسط نحو استخدام برامج الوسائط المتعددة التعليمية في تدريس مادة العلوم الفيزيائية والتكنولوجيا.

- يستخدم أساتذة الطور المتوسط برامج الوسائط المتعددة التعليمية بدرجة كبيرة.
- هناك عدة معيقات تحول دون استخدام أساتذة المتوسط لبرامج الوسائط المتعددة التعليمية من وجهة نظرهم.
- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أساتذة التعليم المتوسط في درجة استخدامهم لبرامج الوسائط المتعددة تبعا لمتغير الجنس.
- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أساتذة التعليم المتوسط في درجة استخدامهم لبرامج الوسائط المتعددة تبعا لمتغير المؤهل العلمي.
- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أساتذة التعليم المتوسط في درجة استخدامهم لبرامج الوسائط المتعددة تبعا لمتغير الخبرة المهنية.

Summary:

The present study aimed to find out the reality of the use of educational multi-medium education from the perspective of professors media programs, and to achieve the objectives of the study were built Created questionnaire of 34 words, was distributed to a sample of 60 professor, and the results were as follows:

-There are positive trends among professors of average education about the use of multi-media educational programs in the teaching of the physical sciences and technology.

-Phase professors average uses multimedia educational programs significantly.

-There are several obstacles preventing the use of professors average multimedia programs for educational media from their point of view.

-The lack of statistically significant differences between the average education professors in the degree of their use of multimedia programs related to gender differences.

-The lack of statistically significant differences between the average education professors in the degree of their use of multimedia software attributed to the educational qualification variable differences.

-The lack of statistically significant differences between the average education professors in the degree of their use of multimedia software due to the variable professional experience differences.

1- **إشكالية الدراسة:**

يمر العالَم اليوم بتغيرات جذرية على مختلف الأصعدة العلمية منها والتكنولوجية، مسّت بشكل واضح مختلف مجالات الحياة ومنها ميدان التربية والتعليم، الذي وضع على عاتقه ضرورة اللحاق به، إذ بات دمج المستحدثات التكنولوجية الحديثة في مجال التعليم ضرورة ملحّة في هذا العصر، تحسينا للعملية التعليمية التعلمية، وإثراء لبيئتها التعليمية، وذلك من خلال تطوير العديد من البرامج التعليمية المختلفة، ومن بينها برامج الوسائط المتعددة الحاسوبية، والتي من شأنها العمل على إثراء البيئة الصفية، وتعزيز الموقف التعليمي داخل الفصل، و هذا ما يؤكده بيل جيتس إذ يقول: " أنّه على الرغم من أنّ حجرة الدراسة ستظل كما هي، إلاّ أنّ التكنولوجيا ستغير الكثير من التفاصيل داخلها، حيث ستتضمن عروضا متعددة الوسائط بل أكثر من ذلك" **(مرعي، 2009، 48)**

كما يرى (فرجون 2004)أنّ:" المعلومةَ إذا قُدّمت عن طريق أكثر من وسيط، يُخاطب أكثرَ من حاسة لدى المتعلم، تكون أكثر فاعلية وأفضل ممّا لو قدّمت عن طريق وسيط واحد" **(فرجون،2004 ،119)**

ويؤكد (خميس 2003)على أنَّ:" الوسائطَ المتعددة تساعد على تحقيق التعلّم النوعي، وليس الكمي، حيث يهدف المعلّمون إلى أن يتعلمَ التلاميذ مبادئَ العلم وأسسه بطرق ذات معنى، وليس عن طريق تشجيع المتعلمين على الفهم المطلوب، وهذا يتطلب استخدام مداخل عميقة للتعلّم، وتبنّي طرقا جديدة للتعليم أكثر فاعلية، وتتمركز حول المتعلم" **(خميس،2003، 197)** .

ومن بين النظريات التربوية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالمستحدثات التكنولوجية النظرية البنائية، إذ أنّها تدعّم إلى حد كبير تلك المستحدثات وخصائصها، وتركّز على الدور الايجابي والفعّال للمتعلم أثناء عملية التعلم من خلال ممارسته للعديد من الأنشطة التعليمية المتنوعة، فالتعلّم حسب البنائيين عمليةُ تفاعل نشطة يستخدم فيها التلاميذ أفكارهم السابقة لإدراك معاني التجارب والخبرات الجديدة التي يتعرضون لها، ويكون دور المعلم ميسّرا لا ناقلا للمعرفة، ويكون للتلاميذ الدور الفعّال في عملية التعلّم إذ يبنون المعرفة بأنفسهم، ولا توجد مستقلة عنهم، فالتلاميذ فعّالون للمعلومات .(***monssians, s, (Norman j,2001,26***

فبالرغم من الاهتمام الكبير باستخدام الحاسوب وولوجه في كثير من مجالات الحياة، وبالرغم من الأهمية الكبيرة له والعائد الذي يحققه على مستوى منظومة التعليم، الا أننا نلمس تأخرا كبيرا لدى مؤسساتنا التربوية في امتلاك واقتناء الحاسوب وبرامجه التعليمية بأنواعها ، مع أنَّ لها بالغ الأثر في تفعيل العملية التعليمية وإثراء البيئة الصفية، وكذا تقديم الأنشطة الصفية والمحتويات بأسلوب مشوّق وجذّاب بفعل هذه البرامج الحاسوبية، كونها تخاطب وتشرك حواس المتعلم بفضل التنوع والتكامل الذي يتخلل أجزاءَها، جاءت هذه الدراسة لتقف على واقع ومعيقات استخدام براج الوسائط المتعددة التعليمية في الطور المتوسط من وجهة نظر الأساتذة، وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما واقع استخدام برامج الوسائط المتعددة التعليمية لدى أساتذة المتوسط من وجهة نظرهم؟
- ما درجة استخدام أساتذة الطور المتوسط لبرامج الوسائط المتعددة التعليمية؟
- ما معيقات استخدام برامج الوسائط المتعددة التعليمية في المتوسط حسب وجهة نظر الأساتذة؟
- هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في درجة استخدام أساتذة التعليم المتوسط لبرامج الوسائط المتعددة التعليمية والتي تعزى لمتغيرات (الجنس، المؤهل العلمي، الخبرة المهنية)؟

فرضيات الدراسة:

- يستخدم أساتذة الطور المتوسط برامج الوسائط المتعددة التعليمية بدرجة متوسطة.
- هناك عدة معيقات تحول دون استخدام أساتذة المتوسط لبرامج الوسائط المتعددة التعليمية من وجهة نظرهم.
- هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين أساتذة التعليم المتوسط في درجة استخدامهم لبرامج الوسائط المتعددة تعزى لمتغيرات(الجنس، المؤهل العلمي، الخبرة المهنية)

دواعي الدراسة: جاءت هذه الدراسة استجابة لمجموعة من المبرّرات والدوافع من بينها:

- الوقوف على واقع استخدام التقنيات التعليمية الحديثة في الطور المتوسط.

-الرغبة في مسايرة التغيرات الحاصلة في الميدان التربوي خصوصا فيما يتعلق بدمج التقنية في العملية التعليمية التعلمية .

-الاهتمام بتطوير أداء المعلم من خلال الاهتمام بالأساليب المبتكرة والاتجاهات الحديثة التي ظهرت في مجال إعداد المعلم وتأهيله .

أهداف الدراسة : تصبو الدراسة الحالية إلى تحقيق جملة من الأهداف تتمثل في:

- الكشف عن واقع استخدام برامج الوسائط المتعددة التعليمية في المرحلة المتوسطة من حيث توفرها، وكذا درجة استخدامها في ضوء متغيرات(الجنس، المؤهل العلمي، الخبرة المهنية)
- الوقوف على اتجاهات أساتذة الطور المتوسط نحو استخدام برامج الوسائط المتعددة التعليمية.
- التعرف على أهم معيقات استخدام برامج الوسائط المتعددة التعليمية لدى أساتذة التعليم المتوسط.

أهمية الدراسة: تبرز أهمية الموضوع من خلال ما يلي:

- توجيه نظر القائمين على التربية والتعليم ببلادنا إلى أهمية ودور برامج الوسائط المتعددة التعليمية *multimédia* في تحقيق نتائج تعليمية هامة.

- اثراء المناهج التعليمية ببرامج تعليمية محوسبة تهتم بتحقيق الأهداف التربوية للتدريس.

- طرح رؤية تربوية وتعليمية تتلاءم مع التطورات العلمية والتكنولوجية الحديثة، وتتّسق مع الرؤى التعليمية المستقبلية العلمية لتطوير منظومة التعليم، قد تفيد المعنيين بتطوير المناهج التربوية.

- قد تساهم هذه الدراسة في تذليل بعض صعوبات ومعيقات التدريس لمختلف المواد، والتي هي محل شكوى لدى المعلم و المتعلم على حد سواء.

- قد تلفت هذه الدراسة انتباه القائمين على المناهج التعليمية من مشرفين ومدراء الى ضرورة توفير الإمكانيات المادية من الأدوات والتجهيزات اللازمة للتدريس.

- قد تساهم الدراسة الحالية في تشجيع المعلمين على تصميم واستخدام وسائط التعليم في شرح الدروس تماشيا مع التقدم التقني المعاصر.

المفاهيم الأساسية للدراسة: يستلزم علينا هنا أن نحدّد إجرائيا ما نريده ببعض المفاهيم ، تفاديا للخلط وتداخل المفاهيم مع بعض المصطلحات الواردة في الدراسة والتي من بينها:

الوسائط المتعددة: *Multimedia*

لغويا: يتألف هذا المصطلح من جزئين: *Multi* بمعنى: متعدّد، و *media* بمعنى واسطة أو وسيلة، أي الوسائط الحاملة للمعلومات سواء أكانت أشرطة أو أقراص سمعية أو بصرية، أو برمجيات الحاسب الآلي التي توفر المعلومات والصور والرسوم المتحركة والنصوص " **(علي، فؤاد، 2007، 289.)**

اصطلاحا: عرّفت الوسائط المتعددة بتعريفات عديدة ومتنوعة، ومن بين هذه التعريفات ما يأتي:

يعرّف محمد الحيلة 2004 الوسائط المتعدّدة بأنّها:"استعمال وسيطين أوأكثر لعرض المعلومات، ويمكن أن تتضمن هذه الوسائل رسوما ثابتة أو متحركة، أو صوتا، ونحوها.**(محمد محمود الحيلة، 2004، 12)**

و يعرّفها الفار 2004 بأنّها: " برمجيات تتضمن الصور الثابتة والمتحركة، لقطات الفيديو، الألوان المختلفة، وأشكال ظهور النصوص والمؤثرات الصوتية، تنوع المثيرات كالألعاب التعليمية والمحاكاة"**(الفار، 2004، 158)**

بينما يذهب جلبرتش *Galbeath* 1994 إلى القول بأنّ برامج الوسائط المتعددة هي: " برامج تمزج بين الكتابات والصور الثابتة والمتحركة والتسجيلات الصوتية والرسومات الخطية لعرض الرسالة، وهي التي يستطيع المتعلم أن يتفاعل معها مستعينا بالحاسوب **(الفار، 2002، 231)**

في حين يرى خميس 2006 بأنها:" منظومة تعليمية كاملة تتكون من ثلاثة وسائط على الأقل قد تشمل المكتوبة والمسموعة والمرسومة والمصورة والمتحركة متكاملة ومتفاعلة مع بعضها البعض في نظام واحد، يتفاعل معها المتعلم ايجابيا لتحقيق أهداف تعليمية مشتركة"**(خميس، 2006، 19)**

بينما يعرفها فرجون (2004) بأنها:" منظومة تعليمية تتكون من مجموعة من المواد التي تتكامل مع بعضها، وتتفاعل تفاعلا وظيفيا في برنامج تعليمي لتحقيق أهدافه، وتنظم هذه الوسائط في ترتيب متتابع محكم يسمح لكل طالب أن يسير في البرنامج التعليمي وفق إمكاناته وقدراته الخاصة بشكل نشط وايجابي" (**فرجون**، 2004، 122)

ويذهب (سرايا 2009) إلى القول بأنّ الوسائط المتعددة هي مجموعة من العناصر الكمبيوترية المتفاعلة التي تتكامل معا لعرض المحتوى التعليمي لأي مقرر دراسي

على هيئة نصوص مكتوبة أو مسموعة، وصوت ومؤثرات موسيقية، ورسوم خطية ومتحركة، وصور ثابتة ومتحركة داخل مواقف التعليم المفرد والجماعي لإحداث التعلم"**(سرايا، 2009، 72)**

من خلال التعريفات السابقة نخلص إلى أنّ الوسائط المتعددة ما هي إلاّ اتحاد مجموعة من الوسائط(مواد مكتوبة، رسوم ثابتة، رسوم متحركة، صور ثابتة، صور متحركة، لقطات الفيديو، والمؤثرات الموسيقية، والأصوات البشرية) بحيث تعمل معا في تكامل وتفاعل في شكل برنامج يتحكم في تشغيله الحاسوب

أستاذ التعليم المتوسط: هو الأستاذ الذي يدرس في مرحلة التعليم المتوسط، وفي دراستنا هذه هو الأستاذ الذي يدرس بإحدى متوسطات بلدية عين الحجل ولاية مسيلة للموسم الدراسي 2016/2015.

الدراسات السابقة: من بين الدراسات التي تم الاطلاع عليها وذات علاقة بالدراسة الحالية ما يلي:

1- دراسة (**أبو عمر ، 1998**) فقد كان هدفها معرفة "**واقع استخدام الحاسوب في مدارس محافظات جنوب الأردن**، تكونت عينة الدراسة من المعلمين (47 معلما) وقد أشارت النتائج إلى عدم كفاية الأجهزة المتوافرة، وعدم كفاية تدريب المعلمين، وعدم مناسبة البرمجيات المستخدمة. (**أبو عمر ، 1998 ، ص70**)

2- دراسة **(شحادة، 2001)** هدفت إلى تقييم "**واقع استخدام الحاسوب في مدارس الضفة الغربية في المرحلتين الابتدائية والإعدادية**، تكونت عينة الدراسة من 1495 معلما ومعلمة، أشارت نتائج الدراسة إلى عدم كفاية الحواسيب المتوفرة، وأنّ نسبة المعلمين الذين يستخدمون الحاسوب كانت 20.46 ٪.**(شحادة، 2001، 2)**

3- دراسة (**نداف، 2003**) هدفت الى الكشف عن "**واقع استخدام الحاسوب والانترنت في المدارس الخاصة في الأردن**، تكونت عينة الدراسة من 81 معلما ومعلمة من معلمي المرحلة الثانوية، وأشارت النتائج الى توافر أجهزة الحاسوب كان مقبولا، أما خدمات الانترنت فعير كافية، وقلة توفر البرمجيات، وعدم امتلاك المعلمين للكفايات اللازمة في هذا المجال، وعدم وجود فروق في الاستخدام تعزى للجنس والمؤهل والخبرة. (**نداف، 2003، 112**)

4- دراسة(***vanfossen et phillip*;2001**) هدفت الى معرفة" **درجة استخدام معلمي الدراسات الاجتماعية في المرحلة الثانوية للانترنت ومعيقات هذا الاستخدام،** تكونت عينة الدراسة من 191 معلما، وأشارت النتائج إلى أنّ نسبة قليلة من معلمي الدراسات الاجتماعية يستخدمون الانترنت بشكل مستمر، وأنّ من أهم المعيقات عدم كفاية التدريب.

(***vanfossen et phillip*;2001 ,12**)

5-دراسة **(أروى بنت عبد الله أخضر، 2006)** والتي هدفت الى التعرف على **واقع استخدام الحاسب الآلي ومعوقاته في مناهج معاهد وبرامج الامل للمرحلة الابتدائية بمدينة الرياض** من وجهة نظر المشرفين والمعلمين، وللإجابة على أسئلة الدراسة استخدمت الباحثة المنهج الوصفي المسحي، وصممت اداة الدراسة التي تكونت من استبيانين احدهما للمشرفين و الأخر للمعلمين ، تم التأكد من صدقهما وثباتهما، وشملت الدراسة جميع افراد مجتمعها من المشرفين والمشرفات على معاهد وبرامج الامل، والبالغ عددهم 42 مشرفا ومشرفة، ومن معلمي ومعلمات معاهد الامل الابتدائية بالرياض والبالغ عددهم 564 معلما ومعلمة، يمثلون المجتمع الكلي للدراسة، ولتحليل نتائج الدراسة احصائيا تم استخدام اختبار(ت) واختبار تحليل التباين الأحادي ، وأسفرت النتائج على ما يلي:

- وجود معوقات تحد من استخدام الحاسب الالي وكانت اكثر المعوقات أهمية من وجهة نظرهم قلة المخصصات المالية، ضعف تاهيل وتدريب المعلم على استخدام الحاسب الالي ، قلة توفر اجهزة الحاسب الالي بالمعهد الالي.
- عدم وجود فروق دالة احصائيا فيما يتعلق بالمعوقات تعزى الى اختلاف المتغيرات الشخصية(الجنس، المؤهل التعليمي، الخبرة، التخصص، المناهج، المقررات، البيئة)
- لا توجد فروق دالة احصائيا بين مناهج التعليم الخاص والعام في واقع استخدام الحاسب الالي حسب وجهة نظر المعلمين

التعقيب على الدراسات السابقة: من خلال الدراسات السابقة يمكن استخلاص جملة من النتائج تتمثل في:

من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع الدراسة الحالية نقف على أنها في مجملها تناولت واقع استخدام الحاسوب وكذا الانترنت في التعليم

- أكدت نتائج أغلب الدراسات على وفرة الحاسوب على مستوى المؤسسات التربوية وندرة توفر البرامج الحاسوبية التعليمية .
- كما اكدت الدراسات على عدم امتلاك المعلمين للكفايات اللازمة في مجال استخدام الحاسوب وبرامجه.
- كذلك جل الدراسات توصلت الى عدم وجود فروق في استخدام الحاسوب تعزى لمتغيرات: الجنس- المؤهل العلمي -والخبرة
- كما توصلت الدراسات الى جملة من المعيقات منها: عدم كفاية الحواسيب – وكذا قلة العمليات التدريبية لدى المعلمين في هذا المجال.بالاظافة الى عدم مناسبة البرمجيات الحاسوبية.

2- إجراءات الدراسة :

1.2-**منهج الدراسة**: تمّ استخدام المنهج الوصفي التحليلي لجمع المعلومات، بحكم أننا بصدد وصف ظاهرة كما هي موجودة في أرض الواقع، وكذا لملاءمته لأغراض الدراسة.

2.2- **مجتمع الدراسة:** تكون مجتمع الدراسة من جميع الأساتذة الذين يدرسون بالطور المتوسط للموسم الدراسي 2016/2015، والمقدّر عددهم بـ 155 أستاذا وأستاذة، ويتوزعون على خمس متوسطات ببلدية عين الحجل ولاية مسيلة، والجدول التالي يوضح توزيع عدد أفراد المجتمع حسب كل متوسطة.

جدول رقم(01): يوضح توزيع أفراد مجتمع الدراسة حسب المتوسطات.

المتوسطة	عدد الذكور	النسبة المئوية	عدد الإناث	النسبة المئوية	المجموع
بلطرش ثامر	13	%44.82	16	%55.18	29
المركزية	16	%39.02	25	%60.98	41
محمد رشيد رضا	13	%40.62	19	%59.38	32
عبداوي عبد الرحمان	24	%68.57	11	%31.43	35
الجديدة عين الحجل	03	%16.67	15	%83.33	18
المجموع	**69**	**%44.51**	**86**	**%55.49**	**155**

يتضح من الجدول أنّ عدد أفراد مجتمع الدراسة قد بلغ 155 أستاذا وأستاذة بمتوسطات البلدية، منهم 69 أستاذا بنسبة 44.51 % و86 أستاذة بنسبة مئوية 55.49%، حيث بلغ عدد أساتذة متوسطة محمد رشيد رضا 32 منهم 19 أستاذة بنسبة 59.38%و13 أستاذا بنسبة 40.62%، في حين بلغ عدد أساتذة متوسطة بلطرش ثامر 29 منهم 13 أستاذا بنسبة44.82% و16 أستاذة بنسبة55.18%، بينما بلغ عدد أساتذة متوسطة المركزية 41 منهم 16 أستاذا39.02% بنسبة و25 أستاذة بنسبة60.98%، أما متوسطة عبداوي عبد الرحمان البصيري فقد بلغ 35 منهم 11 أستاذا31.43% بنسبة و24 أستاذة بنسبة68.57%، وبلغ عدد أساتذة المتوسطة الجديدة 18 منهم 03 أساتذة بنسبة16.67%و15 أستاذة بنسبة83.33.

3.2- **عينة الدراسة :** تمّ اختيار عينة قوامها 60 أستاذا وأستاذة بطريقة عشوائية بسيطة، والجداول التالية توضح توزيع أفراد عينة الدراسة وفقا لمتغيرات (الجنس، المؤهل العلمي، الخبرة المهنية)

1.3.2- **توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الجنس:**

جدول رقم(2): يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الجنس.

الجنس	العدد	النسبة المئوية
ذكور	28	%46.66
إناث	32	%53.34
المجموع	60	%100

من خلال الجدول يتضح أن عدد أفراد العينة قد بلغ 60 أستاذا وأستاذة، يتوزعون الى 28 أساتذة بنسبة 46.66% و32 أستاذة بنسبة 53.34%.

2.3.2- **توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المؤهل العلمي:**

جدول رقم(3): يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المؤهل العلمي.

المؤهل العلمي	العدد	النسبة المئوية
خريج معهد تكنولوجي	26	%43.33
ليسانس تعليم	34	%56.66
المجموع	60	%100

من خلال الجدول يتضح أن عدد أفراد العينة قد بلغ 60 أستاذا وأستاذة، منهم 26 أستاذا من خريجي المعهد التكنولوجي للتربية بنسبة 43.33% و34 أستاذا وأستاذة من حملة الليسانس بنسبة 56.66%.

3.3.2- **توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الخبرة المهنية:**

جدول رقم(4): يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الخبرة المهنية.

الخبرة المهنية	العدد	النسبة المئوية
أقل من 15 سنة	36	%60
أكثر من 15 سنة	24	%40
المجموع	60	%100

من خلال الجدول يتضح أن عدد أفراد العينة قد بلغ 60 أستاذا وأستاذة، منهم 36 أساتذة من ذوي خبرة مهنية أقل من 15 سنة بنسبة 60% و24 أستاذا وأستاذة من ذوي خبرة مهنية أكثر من15 سنة بنسبة 40%.

4.2- **حدود الدراسة:**

1.4.2-**الحدود البشرية**: تمّ إجراء الدراسة على عينة قوامها 60 أستاذا وأستاذة من التعليم المتوسط ا بمتوسطات بلدية عين الحجل للموسم الدراسي 2016/2015

2.4.2-**الحدود المكانية:** أجريت الدراسة بمتوسطات بلدية عن الحجل والبالغ عددها خمس متوسطات.

3.4.2-**الحدود الزمنية:** تمّ إجراء الدراسة في بداية شهر مارس للموسم الدراسي 2016/2015.

5.2- **أداة الدراسة:** بهدف تحقيق أهداف الدراسة، وبالرجوع والاطلاع على الأدب التربوي والدراسات السابقة ذات العلاقة، تمّ بناء استبيان تكون من 34 عبارة، يحتوي على محورين، محور يتعلق بواقع استخدام برامج الوسائط المتعددة التعليمية(اتجاهات الأساتذة) يضم 20 عبارة، والمحور الثاني يتعلق بمعوّقات استخدام برامج الوسائط المتعددة ويضم 14 عبارة، وقد تمّ تدريجها وفق سلّم ليكرت الثلاثي، حيث وزّعت الدرجات على الفقرات كالتالي:

الدرجة	موافق	محايد	غير موافق
العبارات الموجبة	03	02	01
العبارات السالبة	01	02	03

6.2- **الدقة العلمية لأداة الدراسة:**

1.6.2- **الثبات**: تمّ التأكد من ثبات أداة الدراسة من خلال حساب معامل ألفا كرونباخ (*cronback alpha*) على عينة قوامها 15 أستاذا وأستاذة، حيث بلغت قيمة ألفا (0.81) ممّا يدل على أنّ الأداة على درجة عالية من الثبات تشجع على استخدامها.

2.6.2- **الصدق**:تم التأكد من صدق الأداة من خلال:

1.2.6.2- **صدق المحكمين**: حيث تمّ عرض الأداة في صورتها الأولية على مجموعة من المحكمين من الأساتذة والباحثين من مختلف الجامعات من اجل إعطاء آرائهم حول صلاحية الأداة، وكذا ملاءمتها لما وضعت لقياسه، من حيث وضوح العبارات، وكذا مدى ملاءمتها لأهداف الدراسة، وبعد الأخذ بآراء المحكمين تمّ الوصول بالأداة إلى صورتها النهائية.

2.2.6.2- **الصدق التمييزي:** تمّ حساب الصدق وهذا بأسلوب المقارنة الطرفية، حيث تمّ سحب (27%) من طرفي التوزيع للدرجات التي حصل عليها 30 أستاذ وأستاذة كعينة استطلاعية وُزعت عليهم الأداة بعد ترتيبها من أعلى إلى أدنى درجة **(بشير معمرية، 2007، 179)**

أخذ من كل طرف (08 أفراد) وبعدها تمّ استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل عينة على حدى، ثمّ حسبت قيم (ت) لدلالة الفروق بين المجموعتين المتطرفتين (العليا والدنيا) والجدول التالي يبين ذلك:

جدول رقم(05): يوضح قيم (ت) لدلالة الفروق بين متوسطي المجموعة العليا والمجموعة الدنيا.

	المجموعة العليا (ن=8)		المجموعة الدنيا (ن=8)		(ت) المحسوبة	الدلالة الإحصائية
استبيان واقع استخدام البرامج الحاسوبية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	6.45	دال عند 0.05
	53.47	3.03	50.55	2.92		

من الجدول يتضح بأنّ قيمة (ت) المحسوبة والمقدرة بـ 6.45 وبمقارنتها بـ(ت) الجدولية والمقدرة بـ 2.14 عند درجة حرية 14، نجد أنّها دالة إحصائيا عند المستوى0.05 ،ممّا يشير إلى أنّ أداة القياس لها القدرة على التمييز بين المجموعتين وهو دليلٌ على صدقها.

3- **نتائج الدراسة:**

1.3- **النتائج المتعلقة بالسؤال الأول** والذي ينص على:" ما واقع استخدام برامج الوسائط المتعددة التعليمية لدى أساتذة المتوسط من وجهة نظرهم؟

ومن اجل الإجابة على السؤال تمّ استخدام كل من التكرارات والنسب المئوية المتعلقة بكل عبارة، وكذا بالمحور ككل، وكانت النتائج كالتالي:

جدول رقم(06): يوضح التكرارات والنسب المئوية لكل عبارة من عبارات محور واقع استخدام البرامج الحاسوبية.

رقم العبارة	**موافق**		**محايد**		**غير موافق**	
	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %
01	*40*	*66.7*	*17*	*28.3*	03	05
02	30	50	26	43.3	04	6.7
03	43	71.7	16	26.7	1	1.7
04	46	76.7	12	20	2	3.3
05	44	73	16	26.7	00	00
06	36	60	12	20	12	20
07	33	55	17	28.3	10	16.7
08	29	48.3	24	40	07	11.7
09	34	56.7	16	26.7	10	16.7
10	24	40	23	38.3	13	21.7
11	32	53.3	15	25	13	21.7

12	37	61.7	15	25	8	13.3
13	40	66.7	15	25	8	13.3
14	43	71.7	12	20	5	8.3
15	49	81.7	10	16.7	01	1.7
16	42	70	18	30	00	00
17	36	60	19	31.7	5	8.3
18	40	66.7	13	21.7	7	11.7
19	*35*	*58.3*	*18*	*30*	7	11.7
20	49	81.7	8	13.3	3	05
المحور ككل	**762**	**%63,50**	**322**	**26,83 %**	**119**	**%9,91**

من خلال الجدول أعلاه يتضح أنّ أغلب الأساتذة 63.50 % لديهم اتجاهات ايجابية نحو استخدام برامج الوسائط المتعددة التعليمية في تدريس مادة العلوم الفيزيائية والتكنولوجيا، تبين كذلك من خلال الجدول حصول بعض العبارات على نسبة عالية كالعبارتين رقم (15)و(20) اللتين تنصان على الترتيب :(**تعمل برامج الوسائط المتعددة التعليمية على زيادة حماس التلاميذ للتعلم) (من خلال برامج الوسائط المتعددة تتوفر فرص تعليمية عادلة لكافة التلاميذ**.) فقد تحصلتا على النسبة 81.7% ، ثم تلتهما في المرتبة الثانية العبارة (4) والتي تنص على(**أوظف الحاسوب في تقديم المحتوى التعليمي بأنماط تعليمية مختلفة**)) بنسبة مئوية قدرت بـ(76.7 %)، ثم تأتي العبارة (5) والتي تنص على :(**أستخدم الحاسوب في إنتاج برمجيات تعليمية لدروس متنوعة**)، بنسبة مئوية 73 %، حيث أنّه من خلال هذه النتائج المقدمة يتضح مدى أهمية استخدام تكنولوجيا برامج الوسائط المتعددة في إثراء بيئة التعليم وتعزيز المواقف التعليمية، كذلك نلمس أيضا وجود اتجاهات ايجابية لدى أساتذة العلوم الفيزيائية والتكنولوجيا في مرحلة الطور المتوسط نحو استخدام هذا النوع من البرامج، ممّا يدل على وجود قابلية لديهم من أجل الاستعانة بهذه البرامج في تقديم دروسهم، بطريقة ممتعة وشيقة، تعمل على استثارة

انتباه التلاميذ نحو النشاطات المعروضة خصوصا وإن عرضت بطريقة حل المشكلات، التي تسمح هي الأخرى بإثارة تفكير التلاميذ وحفزهم على المشاركة الايجابية، من خلال تفاعلهم مع ما يعرضه البرنامج.

2.3- **النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني** والذي ينص على: ما درجة استخدام أساتذة العلوم الفيزيائية والتكنولوجيا في الطور المتوسط لبرامج الوسائط المتعددة التعليمية؟ ومن اجل الإجابة على السؤال تمّ استخدام كل من المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وكانت النتائج كالتالي:

جدول رقم(07):يوضح درجة استخدام أساتذة العلوم الفيزيائية لبرامج الوسائط المتعددة التعليمية.

الترتيب	العبارة	رقم العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الاستخدام
1	أوظف التقنيات المعتمدة على الحاسوب بفاعلية في التدريس.	15	2.85	0.36	كبيرة
2	استخدم الحاسوب وبرامجه في طباعة الدروس ومختلف النشاطات التي أحضرها.	20	2.80	0.52	كبيرة
3	تعمل الإدارة على توفير البرامج الحاسوبية التعليمية ذات العلاقة بالمواد الدراسية	16	2.80	0.41	كبيرة
4	أوظف الحاسوب في تقديم المحتوى التعليمي بأنماط تعليمية مختلفة.	14	2.75	0.55	كبيرة
5	أوظف الحاسوب في إنتاج برمجيات تعليمية لدروس متنوعة.	05	2.75	0.44	كبيرة
6	اعتماد البرامج الحاسوبية في التعليم يعمل على تحديث العملية التربوية بكل جوانبها.	04	2.75	0.55	كبيرة
7	يساعد استخدام البرامج التعليمية الحاسوبية على تغيير دور الأستاذ من ملقن إلى موجه.	03	2.75	0.44	كبيرة

8	استخدام البرامج الحاسوبية في التعليم يزيد من الأعباء الملقاة على عاتق الأستاذ	13	2.70	0.57	كبيرة
9	ضعف إلمامي بقواعد استخدام البرامج الحاسوبية يقلل من استخدامي لها.	01	2.65	0.58	كبيرة
10	ليس لي دراية بكيفية استخدام الحاسوب في التدريس.	19	2.55	0.68	كبيرة
11	استخدام البرامج الحاسوبية التعليمية يؤخر عملية إنهاء البرنامج الدراسي في وقته.	12	2.55	0.68	كبيرة
12	استطيع التعامل مع الحاسوب بصورة سهلة.	18	2.55	0.68	كبيرة
13	بإمكاني تصميم برامج حاسوبية بمجهوداتي الفردية	17	2.50	0.60	كبيرة
14	تقدم برامج الحاسوب تطبيقات مثيرة للتعلم.	09	2.45	0.75	كبيرة
15	تعمل برامج الحاسوب التعليمية على زيادة حماس التلاميذ للتعلم.	11	2.40	0.82	كبيرة
16	برامج الحاسوب الموفرة تناسب المستوى التعليمي للتلاميذ.	06	2.40	0.82	كبيرة
17	البرامج الحاسوبية التعليمية تسهم في تحقيق أهداف المنهاج الدراسي.	02	2.40	0.68	كبيرة
18	البرامج التعليمية الحاسوبية تساعد في تقويم تعلم التلاميذ للمادة الدراسية.	07	2.40	0.75	كبيرة
19	طريقة التدريس العادية تعطي نتائج أفضل من التعلم بالحاسوب.	08	2.35	0.74	كبيرة

20	من خلال البرامج التعليمية الحاسوبية تتوفر فرص تعليمية عادلة لكافة التلاميذ.	10	2.15	0.81	متوسطة
المحور ككل			2.57		كبيرة

المحك:درجة استخدام ضعيفة(1.66-1)، درجة استخدام متوسطة(2.33-1.67)، درجة استخدام كبيرة(2.34- 3).

يتبيّن من الجدول أعلاه أنَّ المتوسطات الحسابية لتقديرات أفراد عينة البحث على جميع عبارات المحور الأول ككّل قد بلغ 2.57 بدرجة استخدام كبيرة، ممّا يعني امتلاك أساتذة العلوم الفيزيائية والتكنولوجيا لثقافة استخدام البرامج الحاسوبية في العملية التعليمية، وهذا نظرا لطبيعة المادة التي تكتسي طابعا تجريبيا بحتا، وهذا ما يجعلها في حاجة ماسّة للاستعانة بالحاسوب وبرامجه، من اجل تقديم المحتوى العلمي للمادة بصورة واضحة، وأكثر تشويقا، وبالتالي توفير بيئة تعليمية ثرية يُتاح فيها استخدام التكنولوجيا الحاسوبية الحديثة من اجل عرض أفضل للمادة العلمية، وكذا تعزيزا للموقف الصفي بمثيرات من شانها العمل على تحفيز المتعلم وإثارته للمشاركة بفعالية في صُنع تعلّماته، وهذا ما تنادي به المقاربات البيداغوجية الحديثة.

ونجد أنَّ درجة استخدام الأساتذة لبرامج الوسائط المتعددة قد كانت كبيرةً، حيث تراوحت متوسطاتها الحسابية ما بين 2.15 إلى 2.85، وذلك اعتمادا على المحك المستخدم، حيث جاءت في المرتبة الأولى العبارة رقم 15 والتي تنص على:(أوظف التقنيات المعتمدة على الحاسوب بفاعلية في التدريس) حيث حصلت على أعلى متوسط حسابي قدر بـ 2.85 بدرجة استخدام كبيرة، وجاءت في المرتبة الثانية والثالثة والرابعة العبارات(20)(16)(14) والتي تنص على الترتيب:(استخدم الحاسوب وبرامجه في طباعة الدروس ومختلف النشاطات التي أحضّرها)، (تعمل الإدارة على توفير البرامج الحاسوبية التعليمية ذات العلاقة بالمواد الدراسية)، (أوظّف الحاسوب في تقديم المحتوى التعليمي بأنماط تعليمية مختلفة)، أما العبارات :(07) (08)(10) فقد احتلّت المراتب الأخيرة بمتوسطات حسابية قُدّرت على الترتيب بـ:(2.40) (2.35) (2.15)، لتحل بذلك العبارة رقم 10 والتي تنص على:(ليس لي دراية بكيفية استخدام الحاسوب في التدريس) المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي قدره 2.15 بدرجة متوسطة.

3.3- **النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث**: والذي ينص على:" ما معيقات استخدام برامج الوسائط المتعددة التعليمية في المتوسط من وجهة نظر الأساتذة؟

ومن اجل الإجابة على هذا السؤال، تمّ استخدام كل من التكرارات والنسب المئوية المتعلقة بكل عبارة، وكذا بالمحور ككّل، وكانت النتائج كالتالي:

جدول رقم(08): يوضّح التكرارات والنسب المئوية لكل عبارة من عبارات محور معيقات استخدام برامج الوسائط المتعددة.

العبارة	موافق		محايد		غير موافق	
	التكرار	النسبة%	التكرار	النسبة%	التكرار	النسبة%
21	44	73.3	12	20	04	6.7
22	43	71.7	15	25	02	3.3
23	36	60	16	26.7	08	13.3
24	46	76.6	14	23.3	00	00
25	34	56.7	25	41.7	01	1.7
26	44	73.3	15	25	01	1.7
27	45	75	14	23.3	01	1.7
28	36	60	22	36.7	02	3.3
29	41	68.3	18	30	01	1.7
30	45	75	14	23.3	01	1.7
31	35	58.3	25	41.7	00	00
32	37	61.7	20	33.3	03	05
33	39	65	17	28.3	04	6.7
34	43	71.7	12	20	05	8.3
المحور ككل	568	%67,61	239	%28,45	33	%3,92

من خلال استنطاق النتائج الواردة في الجدول أعلاه نجد أنّ نسبة **67.61**% من أساتذة مادة العلوم الفيزيائية والتكنولوجيا يرون بوجود معيقات تحول دون استخدامهم لبرامج الوسائط المتعددة التعليمية بفعالية، حيث تتنوّع وتتعدّد طبيعة هذه المعيقات، منها ما يتعلق بالتجهيزات والهياكل، وهذا ما أشارت إليه العبارة (24) ، والتي تنص على (**عدم وجود قاعات مجهزة فنيا لعرض هذا النوع من البرامج الحاسوبية)**، حيث أنّها تصدّرت قائمة المعيقات بنسبة مئوية قدرت بـ 76.6%، ومنها ما تعلق بالمواقيت والبرامج مثلما أشارت إليه العبارة رقم (27) و(30) اللتان تنصان على الترتيب:(**استخدام الحاسوب للتعليم يتطلب توفير وقتا كافيا**)، **(البرامج الحاسوبية التي تقتنيها المؤسسة لا تتماشى مع حاجات المتعلمين، وكذا مع الكفاءات المنتظرة من تطبيق البرنامج)** ،حيث جاءتا في المرتبة الثانية بنسبة مئوية قدرت بـ 75 **%.**

كما أنّ هناك معيقات أخرى مثلما أشارت إليه العبارات(21)،(23)،(25)،(26)،(34) حيث تمثّلت أهمّ المعيقات في عدم وفرة الحواسيب بالعدد الكافي الذي يتلاءم وأعداد التلاميذ، كذلك عدم وجود وسائل العرض المصاحبة للحاسوب بشكلٍ كافٍ، ضف إلى ذلك الاتجاهات السلبية لدى بعض الأساتذة نحو استخدام الحاسوب، ومن بين المعيقات التي تحول دون استخدام البرامج الحاسوبية كذلك وجود اكتظاظ في الأقسام الدراسية، الشيء الذي من شأنه أن يعرقل استخدام الحاسوب بشكل مفيد.

4.3- **النتائج المتعلقة بالسؤال الرابع:** والذي ينص على:" هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في درجة استخدام أساتذة التعليم المتوسط لبرامج الوسائط المتعددة التعليمية تعزى لمتغير الجنس؟

وللإجابة على هذا التساؤل تمّ استخدام كلّ من المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار(ت) لمعرفة دلالة الفروق في درجة الاستخدام، وكانت النتائج كالتالي:

جدول رقم(09): يوضح دلالة الفروق في درجة استخدام برامج الوسائط المتعددة لدى أساتذة المتوسط تبعا لمتغير الجنس.

الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة(ت)	الدلالة الإحصائية
ذكر	28	50,5000	4,78810	0.40	غير دال عند 0.05
أنثى	32	51,0000	4,71785		

من خلال النتائج المدونة في الجدول أعلاه ، يمكن تسجيل الملاحظات التالية:

بلغ المتوسط الحسابي للأساتذة الذكور50.50 بانحراف معياري قدره 4.78، في حين بالمقابل بلغ المتوسط الحسابي للأستاذات 51.00 بانحراف معياري قدره 4.71، وبالتالي فهناك تقارب كبير بين متوسطي أفراد المجموعتين من الذكور والإناث.

وبالنظر إلى قيمة(ت) المحسوبة والمقدرة بـ (0.40) عند درجة حرية 58 نجد أنها غير دالة إحصائيا عند المستوى 0.05 بمستوى ثقة 95 %، ممّا يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في استخدامهم للبرامج الحاسوبية التعليمية، ممّا يبين بأنّ استخدام الحاسوب وبرامجه لا علاقة له بجنس الأستاذ.

على اعتبار كل الأساتذة من الجنسين يطبقون نفس المنهاج ويخضعون للتدريب نفسه خلال الملتقيات والندوات العلمية وبالتالي فهم يتلقون المعلومات نفسها، وان كان هناك اختلاف بين الجنسين فقد يعود إلى المجهودات الفردية وكذا التكوين الذاتي لكل منهما فيما يخص التعامل مع الحاسوب وبرامجه.

5.3- **النتائج المتعلقة بالسؤال الخامس:** والذي ينص على:" هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في درجة استخدام أساتذة التعليم المتوسط لبرامج الوسائط المتعددة تعزى لمتغير المؤهل العلمي؟

وللإجابة على هذا التساؤل تم استخدام كل من المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار(ت) لمعرفة دلالة الفروق في درجة الاستخدام، وكانت النتائج كالتالي:

جدول رقم(10): يوضح دلالة الفروق في درجة استخدام البرامج الحاسوبية لدى أساتذة المتوسط تبعا لمتغير المؤهل العلمي.

المؤهل العلمي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة(ت)	الدلالة الإحصائية
خريج معهد تكنولوجي	26	50,9231	4,90651	0.22	غير دالة إحصائيا عند 0.05
ليسانس تعليم	34	50,6471	4,63767		

من خلال النتائج المدونة في الجدول أعلاه ، يمكن تسجيل الملاحظات التالية:

بلغ المتوسط الحسابي للأساتذة خريجي المعهد التكنولوجي 50.92 بانحراف معياري قدره 4.90، في حين بالمقابل بلغ المتوسط الحسابي للأساتذة حملة شهادة الليسانس 50.64 بانحراف معياري قدره 4.63، وبالتالي فهناك تقارب كبير بين متوسطي أفراد المجموعتين.

وبالنظر إلى قيمة(ت) المحسوبة والمقدرة بـ (0.22) عند درجة حرية 58 نجد أنّها غير دالة إحصائيا عند المستوى 0.05 بمستوى ثقة 95 %، ممّا يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الأساتذة سواء خريجي المعاهد التكنولوجية أو حملة الليسانس في استخدامهم لبرامج الوسائط المتعددة التعليمية، ممّا يبيّن بأنّ استخدام الحاسوب وبرامجه لا علاقة له بالمؤهل العلمي الأستاذ.

6.3- **النتائج المتعلقة بالسؤال السادس:** والذي ينص على:" هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في درجة استخدام أساتذة التعليم المتوسط لبرامج الوسائط المتعددة التعليمية تعزى لمتغير الخبرة المهنية؟

وللإجابة على هذا التساؤل تمّ استخدام كل من المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار(ت) لمعرفة دلالة الفروق في درجة الاستخدام، وكانت النتائج كالتالي:

جدول رقم(11): يوضح دلالة الفروق في درجة استخدام برامج الوسائط المتعددة لدى أساتذة المتوسط تبعا لمتغير الخبرة المهنية.

الخبرة المهنية	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة(ت)	الدلالة الإحصائية
أقل من 15 سنة	36	50,5278	4,84318	0.47	غير دال إحصائيا عند 0.05
أكثر من 15 سنة	24	51,1250	4,59974		

من خلال النتائج المدونة في الجدول أعلاه ، يمكن تسجيل الملاحظات التالية:

بلغ المتوسط الحسابي للأساتذة ذوي الخبرة المهنية أقل منن 15 سنة 50.52 بانحراف معياري قدره 4.84، في حين بالمقابل بلغ المتوسط الحسابي للأساتذة ممّن لهم خبرة مهنية تفوق 15 سنة في ميدان التعليم 51.12 بانحراف معياري قدره 4.59 وبالتالي فهناك تقارب كبير بين متوسطي أفراد المجموعتين.

وبالنظر إلى قيمة(ت) المحسوبة والمقدرة بـ (0.47) عند درجة حرية 58 نجد أنّها غير دالة إحصائيا عند المستوى 0.05 بمستوى ثقة 95 %، ممّا يدل على عدم وجود فروق ذات

دلالة إحصائية بين الأساتذة تعزى لمتغير الخبرة المهنية في درجة استخدامهم لبرامج الوسائط المتعددة التعليمية، ممّا يبيّن بأنّ استخدام الحاسوب وبرامجه لا علاقة له بالخبرة المهنية الأستاذ.

التوصيات: في ضوء الخلفية النظرية، وكذا النتائج التي أسفرت عنها الدراسة الحالية يتقدم الباحث بالتوصيات التالية:

– الاهتمام باستخدام تكنولوجيا الحاسوب في تدريس المقررات التعليمية، لما لها من مميزات عديدة.

-تشجيع أساتذة العلوم الفيزيائية على أخذ المبادرة من أجل إعداد وتصميم برامج حاسوبية في وحدات تعليمية أخرى، وفي مستويات تعليمية مختلفة.

- تسخير التكنولوجيا الحديثة لخدمة العملية التعليمية، حيث يجب أن يحصل كل متعلم على مهارة كيف يتعلم، وكيف يفكر، وكيف يتعامل مع المعلومات والمعارف .

- تنوير المعلمين تكنولوجيا من خلال توضيف الحاسوب وبرامجه كمدخل للتدريس من خلال عقد دورات تدريبية وورشات عمل تسعى لتحقيق هذا الهدف .

- التوسع في استخدام مثل هذه البرامج الحاسوبية في تدريس المواد العلمية الأخرى مع التأكيد على استخدام الحاسوب كوسيلة تعليمية في التدريس .

– عقد دورات تدريسية للمعلمين حول استخدام البرامج الحاسوبية وتدريس المواد التعليمية.

– تدريب المعلمين على تبني ادوار جديدة تكسبهم مهارة التعامل مع تطبيقات البرامج الحاسوبية التعليمية المتاحة في بيئة تفاعلية يكون المتعلم هو محورها.

قائمة المراجع:

1- إبراهيم عبد الوكيل الفار، **استخدام الحاسوب في التعليم**، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،2002.

2- إبراهيم عبد الوكيل الفار، **الحاسوب في التعليم**، دار الفكر، عمان 2002.

3- إبراهيم، عبد الوكيل الفار، **تربويات الحاسوب وتحديات مطلع القرن الحادي والعشرين**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2004 م.

4- أبو عمر، عبد اللطيف" **واقع استخدام الحاسوب في مدارس محافظات جنوب الأردن واتجاهات المعلمين والطلبة نحوه**"، جامعة مؤتة، الأردن، .1998

5- بشير معمرية، **القياس النفسي وتصميم أدواته**، ط2، منشورات الخبر، الجزائر، 2007

6- الحيلة، محمد محمود، **تكنولوجيا التعليم بين النظرية والتطبيق**، ط4، دار المسيرة، عمان، 2004م.

7- خطايبة، عبد الله محمد، **تعليم العلوم للجميع**، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة،الأردن، 2005 م.

8- خميس محمد عطية، **منتوجات تكنولوجيا التعليم**، ط1، مكتبة دار الكلمة، القاهرة،2003م.

9- خميس، محمد عطية، **تكنولوجيا إنتاج مصادر التعلم**، دار السحاب، القاهرة، 2006 م

10- سرايا، عادل السيد محمد، **تكنولوجيا التعليم ومصادر التعليم الالكتروني**، مفاهيم وتطبيقات عملية، ط1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ج2، الرياض،2009 م .

11- شحادة إسماعيل إبراهيم،" **الحاسوب في مدارس وكالة الغوث، واقع وطموحات**"، مؤتمر العملية التعليمية في عصر الإنترنت ،،من09الى 10 أيار ،جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2001 .

12- علي محمد محمود، عبد الخالق فؤاد، **وسائل وتكنولوجيا التعليم**، مكتبة الرشد، الرياض 2007م.

13- نداف، شاري فريد،**" واقع استخدام الحاسوب التعليمي والإنترنت في المدارس الثانوية الخاصة في الأردن من وجهة نظر المعلمين**"، جامعة اليرموك، الاردن، 2002 .

14- فرجون، محمد خالد، **الوسائط المتعددة بين النظرية والتطبيق**، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع،الكويت،2004 م.

15- مرعي، السيد محمد، **الوسائط المتعددة ودورها في مواجهة الدروس الخصوصية**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة،2009 م.

ب/المراجع باللغة الأجنبية :

1- monssianx,s,and norman,j,(2001),constructivist teaching practices, perceptions of teachers and students retrieved ;feb,25,2005 from: http//www.ed.psy,edu,/ci/journals/97 pop 32 f-htm.

2-- Vanfossen, Dr. & Phillip, J. (2001), "Degree of Internet, WWW Use and Barriers to Use Among Secondary Social Studies Teachers",International Journal of Instructional media, 28 (1), (1-15)

دور برمجيات المحاكاة في تنمية مهارات التفكير الابتكاري لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي دراسة ميدانية بثانويات ولاية المسيلة

أ. أحمد سعودي أستاذ مساعد بجامعة الجزائر2

ملخص:

هدفت الدراسة إلى الكشف عن مدى فعالية برامج المحاكاة في تنمية التفكير الابتكاري ومهاراته (الطلاقة ، المرونة، والأصالة)، وإمكانية استخدامها في بقية المواد، وفي جميع المستويات في ضوء ما يتم التوصل إليه من نتائج، ولهذا الغرض تم استخدام المنهج الوصفي المقارن من خلال تطبيق اختبار تورانس بصورته الشكلية (ب) على عينة مكونة من 235 تلميذا من تلاميذ السنة الثانية ثانوي تم اختيارها بطريقة عشوائية طبقية نسبية، لمعرفة دور هذه البرامج في تنمية التفكير الابتكاري ومهاراته سالفة الذكر، وخلصت إلى جملة من النتائج، أهمها:

- لبرامج المحاكاة دور مهم في تنمية التفكير الابتكاري ومهاراته (الطلاقة، المرونة، والأصالة)

- وجود فروق ذات دلالة في التفكير الابتكاري بين التلاميذ تعزى لمتغير التخصص، ولصالح تخصصي الهندسة الميكانيكية، والكهربائية.

- عدم وجود فروق ذات دلالة بين التلاميذ مطبقي التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة تعزى لمتغير الجنس.

Abstract:

The study aims at discovering the effectiveness of imitation program in developing the inventory thinking and its competencies (fluency, flexibility, and originality); as well the possibility of their use in other modules for all levels in the light of obtained results. For that aim, the descriptive comparative procedure has been used through applying the experiment of Torrens in its format (B) on a sample of 235 students of second year of higher school, arbitrarily, classificatory, and relatively chosen; in order to know about the role these programs play in developing the inventory thinking and its competencies pre-cited. The results are as follow:

- Imitation programs have an important role in developing the inventory thinking and its competencies (fluency, flexibility, and originality),
- Some important differences exist in inventory thinking between students due to the specialization variable for mechanical and electrical architecture,

There exist no important differences between students sing technology through the imitation program due to the sex variable.

مقدمة:

فرضت تكنولوجيا الإعلام والاتصال نفسها اليوم، حيث لا يمكن تجاهل هذا الميدان، والاستغناء عنه، فقد أصبح يحتل المقام الأول في التجديد البيداغوجي، ويتجلى ذلك في إسهامه المتنامي في موارد وأدوات شبكة التعليم والتعلم في مختلف أطوار التعليم في العديد من الدول.

وتشهد هذه التكنولوجيات تطورا لم يسبق له مثيل، فهي تتيح للمتعلم الفرصة لكي يصبح الفاعل الأساس في بناء المعارف؛ إذ لا بد من التسليم بالقول، أن المتعلم اليوم ينتج المحتوى، ولا يستهلكه فقط، وقد أصبح التقدم التكنولوجي الهائل سمة القرن الواحد والعشرين؛ حيث أنتج للمجتمعات تقنيات متعددة ومتطورة، ولعل من أهمها ظهور الحاسب الآلي وبرمجياته المتنوعة، والذي صار يستخدم في الدول المتقدمة علميا في المواقف التعليمية؛ إذ اتخذت التدابير المتوالية، والتسهيلات المتصلة بتكنولوجيات المعلومات بهدف تحسين عملية التدريس للارتقاء بالعملية التعليمية وتطويرها.

طرح الإشكالية:

إن المحاكاة من أهم استخدامات الكمبيوتر في التعليم الفعال، حيث تنقل واقع المتعلم الحقيقي أمامه في شكل واقع شبيه به، ويتميز عنه بكونه يستطيع التجريب الآمن والمحاولات المتكررة دون الخوف من أخطار الأخطاء.

وبعد أن كان التعليم التكنولوجي والتقني حكرا على الثانويات التقنية، وكان يحرم الكثير من التلاميذ من مزاولته بالرغم من ميلهم إليه نظرا لبعد المسافات الفاصلة عن هذه المؤسسات، تم إنشاء مخابر للإعلام الآلي في جميع مؤسسات التعليم الثانوي لتدريس هذا النوع من التعليم باستخدام أجهزة الكمبيوتر وبرامج مخصصة لهذا الغرض تسمى برامج المحاكاة.

وبمقابل هذا عارض وشكك جزء من أساتذة التعليم التقني في نجاح مثل هذه الاستراتيجيات، ووجهوا نداء في أول نوفمبر سنة 2006م، ومن ضمن ما ورد فيه: إن هذا التوجه الذي ينقص من قيمة التعليم التقني لن ينتج إلا تكوينا رديئا و متدنيا. فإذا فقدت الثانوية التقنية أولوية تلقين الثقافة التقنية كما يجب، فإنها ستتلاشى بفعل التشعب الذي يزيل المعارف التقنية، وإن تلقين المهارات التقنية بطريقة مفروضة لا يلائم نظم ترسيخ هذه الثقافة".[1]

ويشير مصطلح المحاكاة إلى عملية نسخ أو تقليد سلوك الآخرين، ويتضمن التعلم بالمحاكاة والتعزيز اكتساب استجابات جديدة أو تعديل استجابات قديمة نتيجة لرؤية أو ملاحظة سلوك القدوة أو البرنامج، كما أن التعليم بالمحاكاة قديم بدأ منذ أرسطو، وفي العصر الحديث شارك في تطويره عدد كبير من الباحثين منهم " Bandura's "في نظرية التعلم الاجتماعي التي تستند الى مفهوم التطويع الفعال، وتدور هذه النظرية أساسا حول التعزيز والمحاكاة ودورهما في التحكم في السلوك، وهي مستمدة من عمل "Skinner" في التطويع الفعال باستخدام أساليب سلوكية مستمدة من سلوك التعلم، غير أن المحاكاة بمفهومها الحديث والمعني بالدراسة تستند إلى نظرية "Bruner" القائمة على التعلم بالاستكشاف.

وإن للتعليم بالمحاكاة دورا مهما في خلق بيئة ابتكارية من خلال احترام تفكير المتعلم وتشجيعه وتدريب الأفراد على إيجاد حلول للمشكلات، من خلال إعادة تنظيم خبرة المتعلم لإنتاج شيء جديد يتصف بكونه غير مألوف وصحيح في ضوء معيار ما، وقد أصبحت التربية الحديثة تعنى بالتفكير الابتكاري، وتهتم بإدخال التكنولوجيا، كما يؤكد التدريس الفعال أهمية تنمية التفكير بصورة عامة، والتفكير الابتكاري بصورة خاصة، ويرى " Guilford " أن الابتكار أصبح مفتاح التربية في أكمل معانيها ومفتاح الحل لمعظم المشكلات المستعصية التي تعاني منها البشرية، لذلك علينا كمجتمعات نامية أن نفتح الأبواب على مصراعيها لندخل الابتكار في جميع المجالات وخاصة مجال التربية والتعليم وفي جميع المراحل التعليمية [2].

وفي هذا الإطار جاءت الدراسة الحالية لتجيب عن التساؤلات التالية:

تساؤلات الدراسة:

01- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مهارات التفكير الابتكاري بين تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي، تعزى لطريقة تطبيق مادة التكنولوجيا؟

02- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الدرجة الكلية للتفكير الابتكاري بين تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي، تعزى للتفاعل بين التخصص وطريقة تطبيق مادة التكنولوجيا؟

03-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي مطبقي التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة في التفكير الابتكاري ومهاراته، تعزى لمتغير التخصص؟

04- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي مطبقي التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة في التفكير الابتكاري ومهاراته، تعزى لمتغير الجنس؟

فروض الدراسة:

01- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مهارات التفكير الابتكاري بين تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي، تعزى لطريقة تطبيق مادة التكنولوجيا.

02- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الدرجة الكلية للتفكير الابتكاري بين تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي، تعزى للتفاعل بين التخصص وطريقة تطبيق مادة التكنولوجيا.

03-توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي مطبقي التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة في التفكير الابتكاري ومهاراته، تعزى لمتغير التخصص.

04-توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي مطبقي التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة في التفكير الابتكاري ومهاراته، تعزى لمتغير الجنس.

أهمية الدراسة: تتمثل أهمية البحث في:

- المزايا المتعددة لبرامج المحاكاة كوفرة النفقات، التحكم في الزمن، والتدريب حتى الإتقان
- اكتشاف الطاقات من ذوي القدرات الابتكارية، ورعايتهم وحسن استثمارهم ، لأن التطور والتقدم العلمي لابد أن يقوده في الأساس ذَوو القدرات الابتكارية من أبناء الوطن.

- لفت انتباه المهتمين بمجال المناهج وطرق التدريس إلى ضرورة إعادة النظر في الطرق والأساليب المستخدمة في التدريس مما يجعلها تنعكس على تنمية التفكير الابتكاري لدى التلاميذ.

أسباب اختيار متغيرات الدراسة: هناك جملة من الأسباب أدت إلى تناول المشكلة من أهمها:

- حداثة التجربة الجزائرية في استخدام برامج المحاكاة في التعليم الثانوي.

- الجدل القائم بين الخبراء حول هذه البرامج في التدريس، وقدرتها على غرس الثقافة التقنية.

- مدى قدرة هذه البرامج على تنمية التفكير بصورة عامة والتفكير الابتكاري بصورة خاصة.

أهداف الدراسة:

-التعرف على مدى فعالية برامج المحاكاة في تنمية مهارات التفكير الابتكاري.

- محاولة الإسهام في تكوين اتجاهات إيجابية نحو المبتكرين من التلاميذ.

- إمكانية استخدام برامج المحاكاة في بقية الشعب والمستويات في ضوء ما يتم التوصل إليه.

الدراسات السابقة:

-دراسة (أحمد صادق عبد الحميد ، 1998م): أثر استخدام الكمبيوتر في تدريس الاحتمالات على التحصيل وتنمية التفكير الابتكاري لدى طلاب الفرقة الثالثة شعبة الرياضيات بكلية التربية بسوهاج، جامعة عين شمس، "رسالة ماجستير"، ومن تساؤلات الدراسة:

- ما أثر استخدام الكمبيوتر في تدريس الاحتمالات على تنمية التفكير الابتكاري لدى طلاب الفرقة الثالثة رياضيات بكلية التربية بسوهاج؟

- ما العلاقة بين التحصيل في الاحتمالات والتفكير الابتكاري لدى عينة البحث التجريبية؟ و تم إعداد برنامج محوسب في الوحدة الأولى والثانية من مقرر الاحتمالات

في المقرر على عينة من البحث كما تم إعداد اختبار تحصيلي وآخر للتفكير الابتكاري في الاحتمالات لمعرفة مدى تحصيلهم وتفكيرهم الابتكاري وذلك بعد إجراء تجربة البحث، وكان من نتائج الدراسة ما يلي:

- وجود فروق ذات دلاله إحصائية بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في التطبيق البعدي للاختبار التفكيري الابتكاري في الاحتمالات ككل لصالح المجموعة التجريبية.

2-دراسة(مدحت صالح، 2003م**):** هدفت هذه الدراسة إلى قياس أثر برامج الكمبيوتر متعدد الوسائط في تنمية مهارات قراءة الصور والتفكير الابتكاري لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية المستقلين والمعتمدين على المجال الإدراكي وتحصيلهم في مادة العلوم، وقد اشتملت عينة الدراسة على(84) تلميذا وتلميذة من تلاميذ الصف الأول الإعدادي بمدينة الإسماعيلية، وتم تقسيمهم تبعا لاختبار الأساليب المعرفية إلى مستقلين إدراكيا ومعتمدين إدراكيا. واستخدمت الدراسة اختبارا للتحصيل المعرفي، واختبار مهارات قراءة الصور، واختبار التفكير الابتكاري في العلوم، واختبار الأساليب المعرفية، وقد أسفرت نتائج الدراسة على وجود فروق دالة إحصائيا في اختبار التحصيل المعرفي ومهارات قراءة الصور والتفكير الابتكاري لمادة العلوم، ويرجع ذلك لاختلاف طريقة التدريس لصالح الذين درسوا من خلال برامج الكمبيوتر متعدد الوسائط بصري/نصي، نصي/بصري.[3]

3-دراسة (جمال عبد الناصر، 2005م**):** وهدفت إلى محاولة بناء برنامج كمبيوتر تعليمي متعدد الوسائط باستخدام أساليب الذكاء الاصطناعي، والتعرف على فعالية البرنامج في تنمية التفكير الابتكاري (الطلاقة، المرونة، الأصالة، الدرجة الكلية) لدى طلاب الصف الأول الثانوي، وقد استعانت الدراسة بأداة المعالجة التجريبية المتمثلة في برنامج الكمبيوتر التعليمي متعدد الوسائل، واختبار تورانس للتفكير الابتكاري بالأشكال (صورة ب)، ونتج عن هذه الدراسة أن النظام التعليمي المفتوح والقائم على بعض استراتيجيات الذكاء الاصطناعي يمكن أن يساعد في إثارة وتحسين وتنمية التفكير الابتكاري، وذلك لما يتميز به من العرض التعليمي الجيد والتنوع في أساليب عرض المادة التعليمية، وما يتيحه من فرص المشاركة والحوار والاكتشاف والمحاكاة.[4]

التعليق على الدراسات: من خلال استعراض الدراسات السابقة نجد أنها:

- بينت مساهمة برامج الكمبيوتر في إكساب المتعلمين مهارات وقدرات عقلية سهلت التعامل مع قضايا العصر، وبخاصة قضية المعلومات وكيفية اختيارها وجمعها وتحليلها وتفسيرها، ومن ثم توظيفها توظيفا سليما في العملية التعليمية، وتنشيط الفكر واتساع الخيال وتنمية التفكير الابتكاري، ومساعدة المعلمين على اكتساب مهارات التفاعل والمتعة والثقة والاتصال والجدل.

- استخدمت اختبار تورانس للتفكير الابتكاري الشكلي، وهو ما يدلل على مدى صلاحية هذا الاختبار لقياس مهارات التفكير الابتكاري، وكذا درجة صدقه وثباته، الشيء الذي جعل الدراسة الحالية تعتمده، كما أن أغلبها استخدم المنهج التجريبي، وهذا ما تختلف فيه عن الدراسة الحالية.

- تناولت الدراسات الطرائق الحديثة والوسائط التكنولوجية كمتغير مستقل، ودوره أو أثره، و فاعليته في تنمية مهارات التفكير الابتكاري، وهذا ما تتقاطع فيه مع الدراسة الحالية.

تحديد المفاهيم:

برمجيات المحاكاة: مجموعة البرمجيات الكمبيوترية التي تستخدم في تدريس مادة التكنولوجيا لتلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي بتخصصاتها المختلفة، سواء تلك التي تصف مواقف شبيهة بالمواقف الحقيقية، - ويكتفي فيها المتعلم بالملاحظة- أو تلك التي يكون له فيها دور بحيث يستطيع تغيير أو تعديل الموقف، ومن أمثلة ذلك: برنامج (**الملتسيم**، MultiSim) لمحاكاة الدارات الكهربائية، وبرنامج (**الصوليد ووركس**، Solidworks) لتصميم ورسم القطع الميكانيكية، وبرنامج (**الأوتوكاد**، AutoCAD) لتصميم وإنشاء مخططات البنايات، وبرنامج (**الكروكوديل**،**crocodile**) لمحاكاة التجارب الكيميائية.

الطريقة التقليدية: طريقة تكون فيها وسيلة اتصال الأستاذ بالمتعلمين عند عرضه للحقائق والمعلومات الألفاظ، والعبارات، والرسوم التخطيطية، ومختلف الوسائل التقليدية المعتمدة على الاتصال اللفظي.

المهارة: يقصد بها في الدراسة: الطلاقة، المرونة، والأصالة.

التفكير الابتكاري: يعبر عنه في هذه الدراسة بالدرجة الكلية التي يحصل عليها تلميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي في اختبار تورانس للتفكير الابتكارى الشكل(ب)، من خلال جمع الدرجات الفرعية للاختبار(الطلاقة، المرونة، الأصالة) .

الطلاقة: يعبر عنها في الدراسة بالدرجة التي يحصل عليها التلميذ في اختبار تورانس الشكل (ب)، وتدل على عدد الاستجابات.

المرونة: يعبر عنها في الدراسة بالدرجة التي يحصل عليها التلميذ في اختبار تورانس الشكل (ب)، وتدل على عدد الفئات التي وزعت عليها الاستجابات.

الأصالة: يعبر عنها في الدراسة بالدرجة التي يحصل عليها التلميذ في اختبار تورانس الشكل (ب)، وتدل على عدد الاستجابات التي تبلغ نسبة تكرارها اقل من(5%) بالنسبة للنشاطين الأول والثاني، و(10%) بالنسبة للنشاط الثالث) من بين استجابات جميع المفحوصين.

شعبة تقني رياضي: شعبة مستحدثة بموجب إعادة هيكلة التعليم الثانوي العام والتكنولوجي 2005م/ 2006م يوجه إليها تلاميذ السنة الأولى جذع مشترك علوم وتكنولوجيا بناء على نتائجهم في مجموعة توجيه هذه الشعبة، [5]وتضم أربعة تخصصات (هندسة ميكانيكية، هندسة كهربائية، هندسة مدنية، هندسة الطرائق)، وترتكز على ثلاث مواد أساسية هي الرياضيات بمعامل 06، الفيزياء بمعامل05، والتكنولوجيا بمعامل06، وتم استحداثها بناء على سوق العمل وتوفير اليد العاملة المؤهلة والإطارات التقنية المتخصصة.

المنهج المتبع: بما أن الدراسة تهدف إلى المقارنة بين المتعلمين الذين طبقوا مادة التكنولوجيا باستخدام برمجيات المحاكاة، والمتعلمين الذين درسوها بالطريقة التقليدية، في مهارات التفكير الابتكاري، والدرجة الكلية، وعليه فالمنهج الوصفي المقارن هو الأنسب.

مجتمع الدراسة: تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي بتخصصاتها الأربعة (هندسة كهربائية، هندسة ميكانيكية، هندسة مدنية، وهندسة الطرائق)، وقد أتيحت الدراسة مع تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي بولاية المسيلة، الموزعين على النحو التالي:

جدول رقم (01): توزيع أفراد المجتمع وفق طريقة تطبيق مادة التكنولوجيا، التخصص، والجنس.

التخصص		هـ كهربائية	هـ ميكانيكية	هـ مدنية	هـ الطرائق	المجموع	النسبة%
مستخدمو برامج المحاكاة	ذكور	128	105	73	17	323	65.51
	إناث	70	38	33	29	170	34.48
	مجموع	198	143	106	46	493	100
مستخدمو الطريقة التقليدية	ذكور	41	19	44	02	106	67.51
	إناث	12	02	21	16	51	32.48
	مجموع	53	21	65	18	157	100
المجموع		251	164	171	64	650	
النسبة %		38.61	25.23	26.30	09.84	100	

يتضح من الجدول رقم (01) أن الهندسة الكهربائية تحتل المرتبة الأولى بتعداد 251 تلميذا بنسبة (38.61%)، أما تخصص هندسة الطرائق فيأتي في المؤخرة بتعداد 64 تلميذا بنسبة (09.84%)، وقد بلغ تعداد تلاميذ السنة الثانية تقني رياضي بجميع تخصصاتها 650 تلميذا (**429** ذكرا، **221** أنثى) بنسبة (05.93%) من إجمالي تلاميذ السنة الثانية ثانوي بولاية المسيلة، وهي نسبة تبقى دون التحجيم المطلوب من قبل الجهات الوصية والمقدر بـ (12%) [5]،وقد فاق عدد الذكور عدد الإناث في جميع التخصصات باستثناء تخصص هندسة الطرائق التي فاق فيها تعداد الإناث 45 بنسبة (70.31%) تعداد الذكور 19 بنسبة (29.68%).

عينة الدراسة: تم اختيار العينة بالطريقة العشوائية الطبقية النسبية؛ حيث تم تحديد تعداد العينة بداية وفق طريقة تطبيق مادة التكنولوجيا بحسب تمثيل كل طريقة في المجتمع المتاح، والجدول رقم (02) يوضح ذلك، ليتم الحصول على عينتين بحسب كل طريقة تدريس، وفي المرحلة الثانية تم تحديد العينة وفق التخصصات الأربعة، وذلك بحسب تمثيل كل تخصص في المجتمع محل الدراسة، ليتم في المرحلة

الثالثة الاختيار عشوائيا وفق الجنس وبطريقة عملية القرعة، مع إعطاء كل الأفراد نفس فرصة الاختيار، والجداول التالية توضح ذلك:

جدول رقم (02): توزيع أفراد العينة وفق طريقة تطبيق مادة التكنولوجيا، التخصص، والجنس.

التخصص		هـ كهربائية	هـ ميكانيكية	هـ مدنية	هـ الطرائق	المجموع	النسبة%
مستخدمو برامج المحاكاة	ذكور	49	35	27	07	118	63.78
	إناث	29	15	12	11	67	36.21
	مجموع	78	50	39	18	185	100
مستخدمو الطريقة التقليدية	ذكور	20	05	03	02	30	60
	إناث	09	02	04	05	20	40
	مجموع	29	07	07	07	50	100
المجموع		107	57	46	25	235	
النسبة %		45.53	24.25	19.57	10.63	100	

يتضح أن إجمالي عينة الدراسة 235 تلميذا (36.15%)من المجتمع؛ منهم 185تلميذا ممن يطبقون التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة؛ أي مانسبته (34.19%) من مجموع مستخدمي برامج المحاكاة، ومنهم 50 تلميذا ممن يطبقون التكنولوجيا بطريقة تقليدية؛ أي ما نسبته (45.87%) من مجموع مستخدمي الطريقة التقليدية.

كما أن عينة مطبقي التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة تتوزع على التخصصات بنسب متفاوتة؛ (الهندسة الكهربائية 78 تلميذا، الهندسة الميكانيكية 50 تلميذا، الهندسة المدنية 39 تلميذا، وهندسة الطرائق 18 تلميذا)، ومرد ذلك التفاوت الموجود بين التخصصات إلى تعداد مجتمع الدراسة المتاح.

إضافة إلى ذلك نلاحظ أن نسبة الذكور (63.78%) تفوق نسبة الإناث (36.21%)، وذلك تبعا لتمثيل كل جنس في مجتمع الدراسة المتاح، كما يتضح أيضا أن عدد الذكور

يفوق عدد الإناث في كل التخصصات باستثناء هندسة الطرائق، الشيء نفسه تمت ملاحظته في مجتمع الدراسة المتاح.

حدود الدراسة:

الحدود الزمانية: تم تطبيق اختبار تورانس خلال العام الدراسي 2012/2013، ، وقد تمت الاستعانة بمستشاري التوجيه والإرشاد المدرسي، وذلك بعد مناقشتهم في الكيفية والتوقيت.

الحدود المكانية: تمت الدراسة الميدانية في ثانويات ولاية المسيلة التي توجد بها أفواج السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي بتخصصاتها الأربعة، والمقدر عددها بـ35 ثانوية من مجموع 53 ثانوية على مستوى الولاية، كما أن عدد أفواج التقني رياضي بتخصصاتها الأربعة يقدر بـ 53 فوجا.

الأدوات المستخدمة: اختبار تورانس للتفكير الابتكارى الشكل(ب):

هو اختبار غير لفظي يتناسب مع تلاميذ التقني رياضي لكثرة استخدامهم الرسومات والأشكال في مادة التكنولوجيا.

وتعتبر اختبارات تورانس بنوعيها اللفظي والشكلي من أهم الاختبارات الموجودة لقياس التفكير الابتكارى، حيث استخدمت من قبل العديد من الدول في أمريكا وآسيا وأوروبا وأفريقيا.

- قدرة الاختبار على قياس مكونات التفكير الابتكارى التي أخبر عنها **جيلفورد** وهي : الطلاقة، والمرونة ، والأصالة، وهي أبعاد التفكير التباعدي.

- قنن وطبق في العديد من الدول "**مصر**، 1977م"،"**الأردن**، 1983م" ،"**السودان**، 2006م"، وتم استخراج خصائص سيكومترية عالية، وقد استخدم في الكثير من الدراسات، منها: "**فائقة بدر**، 1985م"، "**جواهر الزيد**، 1993م"، "**عواطف زمزمي**، 2004م"، "**الباكستاني**، 2007م".

- يعتبر أكثر الأنشطة أو المقاييس حرية للمفحوص فيحرره من أفكار الزاوية والمنظور والامتداد المكاني.[6]

- يستخدم هذا الاختبار في كل المراحل الدراسية من الروضة حتى مرحلة الدراسات العليا.

وقد طبقت هذه الدراسة الصورة الشكلية (ب)، والتي أعدها **تورانس** وترجمها إلى العربية **عبد الله سليمان، وفؤاد أبو حطب(**1971**م)** ، والذي يتكون من ثلاثة أنشطة وهي كالتالي[7]:

-النشاط الأول: (تكوين الصورة):

يطلب من المفحوص في هذا النشاط تكوين صورة من الشكل المنحني الذي يشبه حبة الفاصوليا أو الكلية، ويضيف إليها ما يراه مناسبا ليكون شكلا يشير إلى قصة أو معنى معين، ويطلب من المفحوص أن يعبر عن الرسم بعنوان مثير وجديد غير مألوف، في المكان المخصص لذلك، والهدف الأساسي من هذا النشاط استثارة استجابات المفحوص الأصيلة، والزمن المخصص لهذا النشاط عشرة دقائق فقط.

-النشاط الثاني: (تكملة الخطوط):

الهدف من هذا النشاط استثارة مهارات المفحوص الثلاث التي يتكون منها التفكير الابتكارى وهي الأصالة والمرونة والطلاقة ، أما النشاط فيتكون من عشرة أشكال ناقصة مرسومة على صفحتين ويطلب فيها من المفحوص إكمال هذه الأشكال بإضافة خطوط إلى كل شكل تجعله يعبر عن موضوع جديد وذلك قدر استطاعته وأخيرا يختار عنواناً لكل شكل يكتبه بجانب رقم الشكل، والزمن المخصص لذلك عشرة دقائق.

-النشاط الثالث (الدوائر):

يعطى المفحوص في هذا النشاط (36) دائرة مكررة بنفس الحجم، ويطلب منه وفي خلال عشرة دقائق فقط أن يكون من هذه الدوائر ما يستطيعه من موضوعات، أو صور، بإضافة خطوط سواء داخل الدائرة أو خارجها أو داخلها وخارجها، ويطلب منه وهو يؤدي النشاط أن يحاول قدر الإمكان أن يفكر في أشياء لم يفكر فيها أحد، وأن يوجد أكبر قدر ممكن من الأفكار والمواضيع، وللمفحوص الأحقية في أن يدمج أو يجمع عددا من الدوائر في شكل واحد، يقيس هذا النشاط المهارات الثلاث للتفكير الابتكارى (**الأصالة والمرونة والطلاقة**).

الخصائص السيكومترية للاختبار: 1- صدق الاختبار:

معاملات الارتباط (الاتساق الداخلي): لقد تم حساب معاملات الارتباط بين درجات مهارات الاختبار الثلاثة: (الطلاقة، المرونة، الأصالة)، وأيضا بين هذه الأبعاد والدرجة الكلية باستخدام معامل **ارتباط بيرسون**، ورتبت هذه المعاملات في الجدول (03):

جدول رقم (03): قيم معامل الارتباط بين درجات مهارات الاختبار، وبينها وبين الدرجة الكلية.

البعد	الطلاقة	المرونة	الأصالة	الدرجة الكلية
الطلاقة	1			
المرونة	.887**	1		
الأصالة	.964**	.890**	1	
الدرجة الكلية	.980**	.926**	.994**	1

نلاحظ من مصفوفة الارتباط أن الأبعاد المكونة للاختبار ترتبط ببعضها البعض وبالدرجة الكلية ارتباطا دالا يمتد مابين(0.88- 0.99)، وسجل أعلى معامل ارتباط بين الأصالة والدرجة الكلية، بواقع (0.99) يليه الارتباط بين الدرجة الكلية والطلاقة بواقع (0.98)، وتم تسجيل أدنى معامل ارتباط للعلاقة بين المرونة والطلاقة (0.88) وفي ذلك دلالة على أن أبعاد الاختبار الطلاقة، المرونة، الأصالة، متسقة مع بعضها البعض ومع الدرجة الكلية، وتم استخدام هذه الطريقة في دراسة كل من: (**السليماني**، 1990)، (**الشنطي**، 1991)، (**عواطف زمزمي**، 2004)، (**الباكستاني**، 2007).

ويتفق البحث الحالي مع ما توصلت إليه الدراسات السابقة من نتائج دالة على أن أبعاد الاختبار متسقة مع بعضها البعض من جانب ومع الدرجة الكلية من جانب آخر.

2-ثبات الاختبار:

أ-ثبات المصححين: تم الاستعانة بمستشارة توجيه وإرشاد مدرسي حيث تم إعطاؤها عينة من أوراق الإجابات بلغ عددها (30) كراسة، مع دليل التصحيح، وبعد تصحيحها تم حساب معاملات الارتباط لمكونات الاختبار في درجات كل من: (الطلاقة، المرونة، الأصالة، والدرجة الكلية) مع تصحيح الباحث باستخدام معامل ارتباط **بيرسون**، والجدول (04) يوضح النتائج:

جدول رقم (04): قيم معامل الارتباط بين درجات المصححين في المهارات، وفي الدرجة الكلية.

البعد	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
الطلاقة	.975**	0.01
المرونة	.985**	0.01
الأصالة	.970**	0.01
الدرجة الكلية	.990**	0.01

يتضح من الجدول (04) أن معاملات الارتباط امتدت مابين(0.97 – 0.99) وجميعها دالة عند مستوى دلالة (0.01)، و ظهر أعلى معامل ارتباط في بعد الدرجة الكلية (0.99)، وأدنى معامل في بعد الأصالة (0.97)،وهي كلها مؤشرات ارتباط موجبة وقوية جدا تقترب من الواحد الموجب، وتدلل على ثبات الاختبار، الشيء الذي حفز على استخدامه في الدراسة الحالية، وقد تم استخدام هذه الطريقة في دراسة كل من: (**أبو حطب وسليمان**، 1977م)، (**الشنطي**، 1983م)، (**فائقة بدر**، 1985م)، (**السليماني**، 1991م)، (**النافع وآخرون**، 2000م)، (**عواطف زمزمي**، 2004م)، (**عطا الله**، 2006 م)، (**الباكستاني**، 2007م)، وتتوافق النتائج التي تم التوصل إليها مع نتائج هذه الدراسات.

إجراءات تصحيح الاختبار: تم في عملية التصحيح التقيد بالتعليمات والمعايير التي وضعها "تورانس، Torrance "

نتائج الدراسة: النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى:

جدول (05): الفروق بين متوسطات التلاميذ في مهارات التفكير الابتكاري وفق متغير طريقة تطبيق مادة التكنولوجيا.

المهارة	الطريقة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة (ت)	الدلالة الإحصائية	اتجاه الفروق
الطلاقة	المحاكاة	185	28.0270	9.67709	233	6.169	.000	دالة
	التقليدية	50	18.5600	9.44406				
	المجموع	235						
المرونة	المحاكاة	185	19.7081	6.04253	233	5.941	.000	دالة
	التقليدية	50	13.9000	6.46577				
	المجموع	235						
الأصالة	المحاكاة	185	74.5081	27.15637	233	6.627	.000	دالة
	التقليدية	50	46.4200	24.34370				
	المجموع	235						

يبين الجدول (05) أن قيمة **(ت)** المحسوبة (6.169) أكبر من المجدولة (2.576)، وبالتالي فهي دالة عند مستوى (0.01)؛ وعليه فهناك فروق ذات دلالة إحصائية في مهارة الطلاقة بين التلاميذ الذين طبقوا مادة التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة، والذين تناولوها بطريقة تقليدية، كما يتضح ذلك من الفرق الموجود بين المتوسطين الحسابيين (28.02) و(18.56).

من خلال الجدول (05) يتضح أن قيمة **(ت)** المحسوبة (5.941) أكبر من المجدولة (2.576)، لذا فإنها دالة عند مستوى (0.01)، وعليه فإنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي تعزى لطريقة تناول مادة التكنولوجيا، وذلك لصالح الأعلى متوسط حسابي(19.70)؛ أي الذين طبقوا مادة التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة.

بما أن (ت) التي تم حسابها (6.627) أكبر من الموجودة في الجدول (2.576)، فإنها دالة عند مستوى (0.01)، ولصالح العينة ذات المتوسط الحسابي الأعلى (74.50)؛ أي التلاميذ الذين طبقوا مادة التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة.

ومما سبق يمكن القول بأن هناك فروقا في مهارات التفكير الابتكاري (الطلاقة، المرونة، الأصالة) لصالح التلاميذ الذين طبقوا مادة التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة، مقابل التلاميذ الذين تناولوها بطريقة تقليدية، ومنه نقول إنه :

توجد فروق في مهارات التفكير الابتكاري بين تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي، تعزى لطريقة تطبيق مادة التكنولوجيا.

التخصص	الطريقة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	فروق المتوسطات	درجة الحرية	قيمة (ت)	الدلالة الإحصائية	دلالة الفروق
هندسة كهربائية	طريقة المحاكاة	78	126.82	43.75	35.061	105	3.738	.000	دالة
	الطريقة التقليدية	29	91.75	41.35					
هندسة ميكانيكية	طريقة المحاكاة	50	133.50	40.20	55.928	55	3.519	.001	دالة
	الطريقة التقليدية	7	77.57	31.92					
هندسة مدنية	طريقة المحاكاة	39	106.30	38.64	32.450	44	2.172	.035	دالة
	الطريقة التقليدية	7	73.85	15.95					
هندسة الطرائق	طريقة المحاكاة	18	106.38	35.84	74.531	23	5.241	.000	دالة
	الطريقة التقليدية	7	31.85	16.33					
إجمالا	طريقة المحاكاة	185	122.31	42.19	43.433	233	6.627	.000	دالة
	الطريقة التقليدية	50	78.88	39.79					

النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية:

جدول رقم (06): الفروق بين متوسطات التلاميذ في الدرجة الكلية للتفكير الابتكاري وفق التفاعل بين التخصص وطريقة تطبيق مادة التكنولوجيا.

عند ملاحظة الجدول (10) نجد أن:

قيمة **(ت)** المقابلة لتخصص الهندسة الكهربائية التي تم حسابها (3.738) أكبر من المسجلة على جدول الدلالة الإحصائية لاختبار **(ت)** (2.576) عند مستوى (0.01)، وبالتالي فهي دالة إحصائيا على وجود فروق في الدرجة الكلية للتفكير الابتكاري بين تلاميذ تخصص الهندسة الكهربائية لصالح العينة الأولى ذات المتوسط الحسابي الأكبر (126.82)؛ أي الذين طبقوا مادة التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة.

قيمة (ت) المقابلة لتخصص الهندسة الميكانيكية (3.519) أكبر من المسجلة على جدول الدلالة الإحصائية لاختبار (ت) (2.576) عند مستوى (0.01)، وبالتالي فهي دالة إحصائيا على وجود فروق في الدرجة الكلية للتفكير الابتكاري بين تلاميذ السنة الثانية تخصص الهندسة الكهربائية لصالح العينة الأولى ذات المتوسط الحسابي الأكبر (133.50)؛ أي الذين طبقوا مادة التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة.

قيمة (ت) المقابلة لتخصص الهندسة المدنية (2.172) أكبر من المسجلة على جدول الدلالة الإحصائية لاختبار (ت) (2.126) عند مستوى (0.05)، وبالتالي فهي دالة إحصائيا على وجود فروق في الدرجة الكلية للتفكير الابتكاري بين تلاميذ السنة الثانية تخصص هندسة مدنية لصالح العينة الأولى ذات المتوسط الحسابي الأكبر (106.30)؛ أي الذين طبقوا مادة التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة.

قيمة (ت) المقابلة لتخصص هندسة الطرائق (5.241) أكبر من المسجلة على جدول الدلالة الإحصائية لاختبار (ت) (2.576) عند مستوى (0.01)، وبالتالي فهي دالة إحصائيا على وجود فروق في الدرجة الكلية للتفكير الابتكاري بين تلاميذ السنة الثانية ثانوي تخصص هندسة الطرائق لصالح العينة الأولى ذات المتوسط الحسابي الأكبر (106.38)؛ أي الذين طبقوا مادة التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة

أما قيمة (ت) الخاصة بإجمالي تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي المحسوبة (6.627) أكبر من المسجلة على جدول الدلالة الإحصائية لاختبار (ت) (2.576) عند مستوى (0.01)، وبالتالي فهي دالة إحصائيا على وجود فروق في الدرجة الكلية للتفكير الابتكاري بين تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي لصالح العينة الأولى ذات المتوسط الحسابي الأكبر (122.31)؛ أي الذين طبقوا مادة التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة، وعليه فالفرضية الثانية محققة:

توجد فروق في الدرجة الكلية للتفكير الابتكاري بين تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي، تعزى للتفاعل بين التخصص وطريقة تطبيق مادة التكنولوجيا.

ومما سبق يمكن إرجاع نتائج الفرضيتين السابقتين إلى وجود قوة تأثير عالية لبرامج المحاكاة في تنمية مهارات التفكير الابتكاري من خلال :

- توفير البرامج لجو من الثقة والحرية أثناء النشاط لتمكين المتعلمين من التفكير في الاحتمالات البديلة, وإمكانية استخدام الإمكانات التي توفرها البرامج (**دراسة الشربيني،** 2002).

- التنويع في أساليب التعليم وبيئة التعلم داخل الصف وخارجه، وهو ما أشارت إليه دراسات: (**حسانين،** 1988)، (**ناهد حطيبة،** 2000)، (**عبير منسي،** 2000), ودراسة (**محفوظ،** 2000) التي هدفت لمعرفة أثر استخدام طريقة المحاكاة باستخدام الحاسوب في تحصيل طلبة المستوى الثاني الجامعي، تخصص فيزياء في تجارب دوائر التيار المستمر، وكان من نتائجها وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التحصيل تعزى لطريقة التدريس باستخدام المحاكاة بالحاسوب، إضافة إلى دراسة (**كريمان بدر،** 2003)، و(**منى عافية،** 2008).

- أنشطة برامج المحاكاة مصممة تصميما يحث خيال التلاميذ, ويعتمد على توظيف حواسهم, وتنوع الخبرات المقدمة لهم.

- قدرة البرمجيات على جذب اهتمام المتعلمين و إثارة تفكيرهم من خلال تخزين الإنتاجات, وعرضها بتسلسل منطقي, وبسرعة مناسبة.

- تقديم المعلومات وتكرارها حسب رغبة المتعلم، وتزويده بتغذية راجعة فورية,كما تعينه على تحديد وضعيته و التوجه به نحو تحقيق هدفه.

- تفاعل المتعلم مع البرامج بأفضل الأساليب والمحافظة على راحته النفسية من خلال ما للبرامج من ميزات متعددة في عرض المادة العلمية، كاستخدام المؤثرات بأشكالها المختلفة: الصوت، الصورة، الحركة، واللون. وكذا مراعاة الفروق الفردية، ودعم المعارف بالرسوم التخطيطية والصور والنصوص والرموز، وهي أشياء ترتبط بمهارات التفكير بصورة عامة، والتفكير الابتكاري بصورة خاصة.

- تركز البرامج على اتجاهات حديثة في التدريس، كتفريد التعليم ومحورته حول المتعلم، من خلال إتاحة الفرصة للمتعلم للبحث عن المعلومات واكتشافها واستقصائها بنفسه، وهو ما يؤكد عليه **"برونر"** في نظريته القائمة على التعلم بالاكتشاف، والذي أعطى للمتعلم دورا نشطا في تطوير المعلومات، وبين بأنه قادر على صياغة مشكلاته، والبحث عن حلول بديلة، بدلا من البحث عن حل واحد.

- في هذه البرمجيات يستطيع المتعلم تقييم نفسه، وبالتالي تعزيز ثقته بنفسه، وهنا يقترح **"روجرز، Rogers"** ضرورة توافر شرطين يساعدان على تنمية المواهب الابتكارية في الفصل: **الاطمئنان النفسي** والراحة[8]، وهو ما توفره برامج المحاكاة من خلال التجريب الآمن دون الخوف من أخطار الأخطاء التي قد يقع فيها المتعلم.

- سهولة تناول المتعلم للمعلومات على شكل أجزاء وفق رغبتهم، ومن خلال التنقل بين الشاشات الفرعية للبرمجيات التعليمية، وفق تنظيم مرن غير ملزم بتتابع استعراضها (البرمجة المتشعبة)، وكل ذلك يتفق مع دراسات: (عبد الكريم، 2001)، (عايد والسيد، 2002)، (حبيب، 2003)، التي أشارت إلى فاعلية البرامج المحوسبة على تنمية مهارات التفكير بمختلف أنواعه.

- أن الكمبيوتر يساعد التلاميذ على الاكتشاف بأنفسهم، والاستمتاع بالتعليم، وعدم السلبية بما يقوم به التلميذ من تفاعل ونشاط ومشاركة، وأنه يساعد في التنسيق بين اليد والعين، ويعمل على التعلم الفردي وفق المعدل، ويشجع على التفكير الابتكاري.[9]

ويؤكد " **بلوك، Block**"[10] تلك النظرة في أن الاتصال الذي يتم بين التلميذ والحاسوب أثناء التعلم يساعد في التغلب على المحددات الرئيسية للأساليب التقليدية التي تخنق تعليم التفكير الابتكاري لدى التلاميذ، وذلك إذا كان الحاسوب برمج بالشكل الملائم، بحيث يتوفر في البرمجيات التي يقدمها جميع العناصر الأساسية التي تشجع على التفكير الابتكاري، وطبعا فإن تفاعل التلميذ مع الحاسوب من خلال تلك البرمجيات يساعد على تحقيق جميع مظاهر التعلم الجيد والفاعل إذا توفرت البرمجيات المعدة بشكل جيد، وهنا تجدر الإشارة إلى أن الحاسوب في الحقيقة لا يمكن أن يستخدم كبديل للمعلم في تنمية التفكير الابتكاري للمتعلمين، وإنما يستخدم كبيئة محفزة لفكر وخيال المتعلمين تحت إشراف المعلم.

النتائج المتعلقة بالفرضية الثالثة:

جدول رقم (07): الفروق بين متوسطات التلاميذ مطبقي التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة في التفكير الابتكاري و مهاراته، وفق متغير التخصص.

المتغير	مصدر التباين	درجة الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	قيمة فا	الدلالة الإحصائية	دلالة الفروق
الطلاقة	بين المجموعات	3	1113.138	371.046	4.167	.007	دالة
	داخل المجموعات	181	16117.726	89.048			
	المجموع	184	17230.865				
المرونة	بين المجموعات	3	367.914	122.638	3.495	.017	دالة
	داخل المجموعات	181	6350.324	35.085			
	المجموع	184	6718.238				
الأصالة	بين المجموعات	3	9771.243	3257.081	4.682	.004	دالة
	داخل	181	125922.995	695.707			

	المجموعات					
	المجموع	184	135694.238			
الدرجة الكلية	بين المجموعات	3	22397.244	7465.748	4.428	.005	دالة
	داخل المجموعات	181	305200.573	1686.191			
	المجموع	184	327597.816	3.495			

من خلال قراءة الجدول (11) نلاحظ أن:

قيمة **(فا)** المقابلة لمهارة الطلاقة (4.167) أكبر من المجدولة (3.78)عند مستوى معنوي (0.01)، ودرجة حرية (3، 181)، وبالتالي فهي دالة، وتؤكد وجود فروق شاسعة بين التلاميذ في مهارة الطلاقة تعزى لمتغير التخصص.

قيمة **(فا)** المقابلة لمهارة المرونة (3.495) أكبر المجدولة (2.60)عند مستوى معنوي (0.05)، ودرجة حرية (3، 181)، وبالتالي فهي دالة، الشيء الذي يؤكد وجود فروق بين التلاميذ في مهارة المرونة تعزى لمتغير التخصص.

قيمة **(فا)** المقابلة لمهارة الأصالة (4.682) أكبر من المجدولة (3.78) عند مستوى معنوي (0.01)، ودرجة حرية (3، 181)، وبالتالي فهي دالة،و يؤكد وجود فروق شاسعة بين التلاميذ في مهارة الطلاقة تعزى لمتغير التخصص.

قيمة **(فا)** المقابلة للدرجة الكلية للتفكير الابتكاري (4.167) أكبر من قيمتها المجدولة (3.78)عند مستوى معنوي (0.01)، ودرجة حرية (3، 181)، وبالتالي فهي دالة، الشيء الذي يؤكد وجود فروق شاسعة بين التلاميذ في الدرجة الكلية للتفكير الابتكاري تعزى لمتغير التخصص.

وإجمالا يمكن القول بأننا الفرضية القائلة **بوجود فروق ذات دلالة إحصائية بين تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي مطبقي التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة في مهارات التفكير الابتكاري تعزى لمتغير التخصص**، قد تحققت، والجداول التالية توضح لصالح أي تخصص كانت هذه الفروق:

جدول (08): دلالة الفروق بين التخصصات في التفكير الابتكاري ومهاراته.

المهارة	التخصص	بقية التخصصات	الفروق في المتوسطات	الدلالة الإحصائية	دلالة الفروق
الطلاقة	هـ كهربائية	هـ ميكانيكية	-6.67949-	.458	غير دالة
		هـ مدنية	20.51282*	.010	دالة
		هـ الطرائق	20.43162	.080	غير دالة
	هـ ميكانيكية	هـ مدنية	27.19231*	.003	دالة
		هـ الطرائق	27.11111*	.032	دالة
	هـ مدنية	هـ الطرائق	-.08120-	.854	غير دالة
المرونة	هـ كهربائية	هـ ميكانيكية	-6.67949-	.038	دالة
		هـ مدنية	20.51282*	.153	غير دالة
		هـ الطرائق	20.43162	.574	غير دالة
	هـ ميكانيكية	هـ مدنية	27.19231*	.002	دالة
		هـ الطرائق	27.11111*	.057	غيردالة
	هـ مدنية	هـ الطرائق	-.08120-	.638	غير دالة
الأصالة	هـ كهربائية	هـ ميكانيكية	-6.67949-	.544	غير دالة
		هـ مدنية	20.51282*	.007	دالة
		هـ الطرائق	20.43162	.029	دالة
	هـ ميكانيكية	هـ مدنية	27.19231*	.003	دالة
		هـ الطرائق	27.11111*	.013	دالة
	هـ مدنية	هـ الطرائق	-.08120-	.872	غير دالة
الدرجة الكلية	هـ كهربائية	هـ ميكانيكية	-6.67949-	.370	غير دالة
		هـ مدنية	20.51282*	.012	دالة
		هـ الطرائق	20.43162	.059	غير دالة
	هـ ميكانيكية	هـ مدنية	27.19231*	.002	دالة
		هـ الطرائق	27.11111*	.017	دالة
	هـ مدنية	هـ الطرائق	-.08120-	.994	غير دالة

يوضح الجدول (08) بأن هناك فروقا في مهارة الطلاقة بين تخصص الهندسة الكهربائية وتخصص الهندسة المدنية لصالح تخصص الهندسة الكهربائية بفارق

(4.84) في المتوسطات الحسابية، وعند مستوى دلالة (0.01)، وبين تخصص الهندسة الميكانيكية وتخصصي الهندسة المدنية لصالح الأولى بفارق (6.11)، وعند مستوى دلالة (0.01) ، وبين الهندسة الميكانيكية وهندسة الطرائق لصالح الهندسة الميكانيكية وذلك بفارق (5.62)، وعند مستوى دلالة (0.05).

أما في مهارة المرونة فإننا نلاحظ من خلال الجدول (08) بأن هناك فروقا بين تخصصي الهندسة الكهربائية والميكانيكية لصالح الأخيرة بفارق في المتوسطات قدره (2.24) وعند مستوى دلالة (0.05)، وبين تخصصي الهندسة الميكانيكية والهندسة المدنية لصالح الأولى وبفارق (3.90) عند مستوى دلالة يقدر بـ (0.01).

وفي مهارة الأصالة فالجدول (08) يبين أن هناك فروقا بين تخصصي الهندسة الكهربائية والهندسة المدنية بفارق (14.00) عند مستوى دلالة (0.01) لصالح الهندسة الكهربائية، وبين تخصصي الهندسة الكهربائية والطرائق بفارق (15.20) عند مستوى (0.05)، كما يوضح أن هناك فروقا بين تخصصي الهندسة الميكانيكية والمدنية بفارق (16.90) عند مستوى (0.01)، وبين الهندسة الميكانيكية والطرائق بفارق (18.11) عند مستوى دلالة (0.05).

ويتضح من خلال الجدول (08) أن هناك فروقا في الدرجة الكلية للتفكير الابتكاري بين تخصصي الهندسة الكهربائية والمدنية بفارق (20.51) لصالح الهندسة الكهربائية عند مستوى دلالة (0.05)، كما أن هناك فروقا بين الهندسة الميكانيكية والهندسة المدنية لصالح الأولى بفارق (27.19) عند مستوى دلالة (0.01)، وبين الهندسة الميكانيكية والطرائق بفارق (27.11) لصالح الهندسة الميكانيكية أيضا عند مستوى (0.05).

وإجمالا يتبين أن الفروق في الغالب كانت لصالح تخصص الهندسة الميكانيكية، ويليه تخصص الهندسة الكهربائية، وهذه الفروق بين التخصصات لا ترجع إلى عوامل الصدفة، وإنما قد يرجع ذلك إلى أن تلاميذ تخصصي الهندسة الميكانيكية، والهندسة الكهربائية لديهم القدرة على ترك الطرق التقليدية في التفكير الابتكاري، والقدرة على إدراك الثغرات في المعلومات، إضافة إلى تهيئة الظروف والعوامل للابتكار، وقد يرجع

ذلك أيضا لطبيعة التخصصين، ولأفضليتهما في الاعتماد على الأشكال والقطع والآلات، وخاصة الهندسة الميكانيكية، هذا، ويمكن رد ذلك أيضا إلى كون أن التلاميذ الموجهين إلى التخصصين سالفي الذكر كان عن رغبة، على عكس تخصصي الهندسة المدنية، وهندسة الطرائق، انطلاقا من نظرة المجتمع لهذه التخصصات، ومنافذها في التعليم العالي، والمهن المنبثقة عنها.

النتائج المتعلقة بالفرضية الرابعة:

جدول رقم (09): الفروق بين متوسطات التلاميذ مطبقي التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة في التفكير الابتكاري و مهاراته، وفق متغير الجنس.

المهارة	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة (ت)	الدلالة الإحصائية	دلالة الفروق
الطلاقة	ذكور	118	28.2119	9.46505	183	.344	.731	غير دالة
	إناث	67	27.7015	10.10403				
	مجموع	185						
المرونة	ذكور	118	19.9237	6.14519	183	.643	.521	غير دالة
	إناث	67	19.3284	5.88369				
	مجموع	185						
الأصالة	ذكور	118	74.7034	26.18550	183	.129	.897	غير دالة
	إناث	67	74.1642	28.98725				
	مجموع	185						
الدرجة الكلية	ذكور	118	122.9407	41.14230	183	.268	.789	غير دالة
	إناث	67	121.2090	44.28302				
	مجموع	185						

يوضح الجدول (09) ما يلي:

قيمة **(ت)** لمهارة الطلاقة (0.344)أقل من المجدولة (2.576) وبالتالي فهي غير دالة عند مستوى (0.05).

قيمة **(ت)** لمهارة المرونة (0.643)أقل من المجدولة (2.576) وبالتالي فهي غير دالة عند مستوى (0.05).

قيمة **(ت)** لمهارة الأصالة (0.129)أقل من المجدولة (2.576) وبالتالي فهي غير دالة عند مستوى (0.05).

قيمة **(ت)** المقابلة للدرجة الكلية (0.268) أقل من المجدولة (2.576) وبالتالي فهي غير دالة عند مستوى (0.05).

وفي هذه الحالة نرفض الفرضية الرابعة التي منطوقها:

توجد فروق بين تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي مطبقي التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة في مهارات التفكير الابتكاري تعزى لمتغير الجنس.

ويرجع ذلك إلى أن التحسن في أداء الذكور نتيجة تطبيق التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة لا يختلف عن التحسن في أداء الإناث نتيجة تطبيقهم أيضا للتكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة كون ذلك لا يتضمن أنشطة، أو مواقف، أو أدوات، أو مثيرات يمكن اعتبارها ذات ارتباط بجنس المتعلمين؛ حيث تتسم برامج المحاكاة بمثيرات مناسبة للجنسين (الصورة، الحركة، اللون، وربما الصوت)، وبالتالي فإنه لا يتوقع أن يؤدي تطبيق مادة التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة إلى تباينات في مهارات التفكير الابتكاري، إضافة إلى أنه تم تقديمها بنفس الكيفية لكل من الجنسين، الشيء الذي يؤدي أيضا إلى عدم وجود اختلافات في الإنجازات بحسب الجنس، وهي النتيجة التي توصلت إليها:

دراسة (**العجلوني و أبو زينة،** 2006): وجود أثر إيجابي لاستخدام الحاسوب في التدريس على تحصيل الطلبة، وخلصت إلى عدم وجود فروق جوهرية تعزى لمتغير الجنس، ودراسة **(غسان سرحان و بشير التلاحمة،** 2008**):** فاعلية استخدام الحاسب الإلكتروني على التحصيل لطلبة الصف العاشر الأساسي بفلسطين وقد هدفت هذه الدراسة إلى تفحص فاعلية استخدام الحاسب الإلكتروني كوسيلة لتعليم الرياضيات، و لم توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند نفس مستوى الدلالة (α = 0.05) بين تحصيل الطلبة الذين تعلموا نفس المواضيع باستخدام الحاسب الإلكتروني تعزى إلى الجنس.

حوصلة النتائج:

بعد تحليل ومناقشة وتفسير فرضيات الدراسة تم التوصل إلى النتائج التالية:

- توجد فروق في التفكير الابتكاري ومهاراته بين تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي، تعزى لطريقة تطبيق مادة التكنولوجيا، فقد بينت النتائج وجود الفروق في المهارات الثلاث (الطلاقة، المرونة، الأصالة) وفي الدرجة الكلية، وبفروق معتبرة في المتوسطات الحسابية لصالح تطبيق مادة التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة.

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تلاميذ السنة الثانية ثانوي تقني رياضي مطبقي التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة في التفكير الابتكاري ومهاراته، تعزى لمتغير التخصص، إذ أوضحت نتائج الدراسة وجود فروق في المهارات الثلاث (الطلاقة، المرونة، الأصالة)، وفي الدرجة الكلية، وكانت لصالح تخصص الهندسة الميكانيكية في المقام الأول، ويليه تخصص الهندسة الكهربائية.

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة تقني رياضي مطبقي التكنولوجيا باستخدام برامج المحاكاة في مهارات التفكير الابتكاري تعزى لمتغير الجنس؛ حيث بينت الدراسة وجود فروق طفيفة جدا لصالح الذكور في (الطلاقة، المرونة، الأصالة)، وفي الدرجة الكلية، إلا أنها لم تكن ذات دلالة إحصائية.

توصيات الدراسة ومقترحاتها:

التوصيات: في ضوء النتائج التي تم التوصل إليه نوصي بما يلي:

- الاهتمام ببرمجيات المحاكاة والعمل على توفير الامكانات اللازمة لتطبيقها، وتوسيعها إلى مختلف التخصصات، ومختلف المستويات، و جعل المناهج إثرائية، لا تحصيلية.

- الحرص على تنظيم دورات تدريبية حول المحاكاة، وإنتاج برامج الكمبيوتر، والاهتمام بمجالات كالواقع الافتراضي، والألعاب ثلاثية الأبعاد، وغيرها من التطبيقات الحديثة.

- توجيه المؤسسات إلى ضرورة استخدام الممارسة العملية، والطرائق القائمة على الاستكشاف والاستقصاء لتنمية التفكير الابتكاري ومهاراته.

- ضرورة إدراج الحاسوب وبرمجياته كمادة دراسية في جميع مراحل التعليم، مع ضمان تكوين الأساتذة والمعلمين في مجال الحاسوب وبرمجياته ضمن مقررات معاهد التكوين المتخصصة، والمدارس العليا.

- العمل على إنتاج برمجيات باللغة العربية من قبل المراكز المتخصصة.

المقترحات: انطلاقا من النتائج التي توصلت إليها الدراسة نقترح ما يلي:

-إجراء دراسات شبيهة بالدراسة الحالية، في مواد أخرى، وفي مختلف المستويات.

- إجراء دراسة من قبيل هذه الدراسة، تتعلق بتخصص واحد من تخصصات شعبة التقني رياضي، مع إضافة متغيرات تابعة غير التفكير الابتكاري، وكذا أساليب تدريس أخرى .

- إجراء دراسات لقياس فاعلية برامج المحاكاة التي تعتمد أسلوب القصة، أو السيناريو، في تنمية مهارات التفكير الابتكاري اللفظي.

- إجراء دراسات تتناول أثر استخدام وتوظيف برامج المحاكاة لبعض الفئات الخاصة كالموهوبين، والمتأخرين دراسيا، وبطيئي التعلم.

- إجراء دراسات تهدف إلى إنتاج مقررات دراسية قائمة على المحاكاة والعوالم الافتراضية.

هوامش الدراسة:

1- مجلس ثانويات الجزائرCLA، و النقابة المستقلة لعمال التربية، والتكوين SATEF: نداء " فلننقذ الثانويات التقنية " الصادر في أول نوفمبر 2006.

2- المفرجي سالم محمد عبد الله: أهم السمات الابتكارية لمعلمي ومعلمات التعليم العام وطبيعة اتجاهاتهم نحو التفكير الابتكاري بمدينة مكة المكرمة، رسالة ماجستير في علم النفس، 1999، ص03.

3- نهلة المتولي إبراهيم سالم: استخدام بعض مداخل التعليم الإلكتروني لتنمية مهارات التفكير الابتكاري لدى طلاب كلية التربية النوعية بجامعة قناة السويس، رسالة دكتوراه، تخصص تكنولوجيا التعليم، 2005، ص115.

4- نهلة المتولي إبراهيم سالم: المرجع السابق، ص116.

5- المنشور رقم 0/262 .0. 05/6، بتاريخ: 2005/12/18، المتضمن إجراءات انتقالية لتوجيه التلاميذ إلى شعب السنة الثانية من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي.

6- زمزمي عبد الرحمن معتوق: تقنين اختبار تورانس للتفكير الابتكاري الشكل (ب) على الطلاب الصم وضعاف السمع في المرحلة المتوسطة بمنطقة مكة المكرمة،

أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، السعودية، 1430/1429هـ، ص125-126.

7- زمزمي عبد الرحمن معتوق: المرجع السابق، ص120.

8- الكناني ممدوح عبد المنعم: الأسس النفسية للابتكار، مكتبة الفلاح، الكويت، 1990، ص24.

9- إبراهيم بن حمد النقيثان: اتجاهات الدارسين نحو استخدام التقنية الحديثة في التدريس الجامعي، ورقة عمل مقدمة لندوة تنمية أعضاء هيئة التدريس في مؤسسات التعليم الجامعي، الرياض، السعودية، 1425هـ.

10- Block K. k: Cognitive Theory, CAI. And Spelling, Improvement, JOURNAL of Computer- Based Instruction.5, p86-95.

قائمة المراجع :

1- مجلس ثانويات الجزائرCLA، و النقابة المستقلة لعمال التربية، والتكوين SATEF: نداء " فلننقذ الثانويات التقنية " الصادر في أول نوفمبر 2006.

2- المفرجي سالم محمد عبد الله: أهم السمات الابتكارية لمعلمي ومعلمات التعليم العام وطبيعة اتجاهاتهم نحو التفكير الابتكاري بمدينة مكة المكرمة، رسالة ماجستير في علم النفس، 1999.

3- نهلة المتولي إبراهيم سالم: استخدام بعض مداخل التعليم الإلكتروني لتنمية مهارات التفكير الابتكاري لدى طلاب كلية التربية النوعية بجامعة قناة السويس، رسالة دكتوراه، تخصص تكنولوجيا التعليم، 2005.

4- المنشور رقم 0/262 .0. 05/6، بتاريخ: 2005/12/18، المتضمن إجراءات انتقالية لتوجيه التلاميذ إلى شعب السنة الثانية من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي.

5-زمزمي عبد الرحمن معتوق: تقنين اختبار تورانس للتفكير الابتكاري الشكل (ب) على الطلاب الصم وضعاف السمع في المرحلة المتوسطة بمنطقة مكة المكرمة، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، السعودية، 1430/1429هـ.

6- الكناني ممدوح عبد المنعم: الأسس النفسية للابتكار، مكتبة الفلاح، الكويت، 1990.

7- إبراهيم بن حمد النقيثان: اتجاهات الدارسين نحو استخدام التقنية الحديثة في التدريس الجامعي، ورقة عمل مقدمة لندوة تنمية أعضاء هيئة التدريس في مؤسسات التعليم الجامعي، الرياض، السعودية، 1425هـ

8- Block K. k: Cognitive Theory, CAI. And Spelling, Improvement, JOURNAL of Computer- Based Instruction.5

سوسيولوجيا الكفاءات: من مفهوم التأهيل إلى مفهوم الكفاءة

نجاة نحلة جامعة الجزائر

ملخص:

برز مفهوم " الكفاءة " في المؤسسة، في بداية التسعينات، حيث اعتبرت الكفاءة من المفاهيم الجديدة في علم الإجتماع أيضا، ولكن لهذا البروز له ممهدات وأسباب ساهمت في ظهوره.

لقد تطور هذا المفهوم ولقي اهتماما لدى مختلف العلوم خاصة في علم الاجتماع، وهذا ما سنحاول تقديمه في هذه الورقة البحثية، التي تهدف إلى القاء الضوء على تطور مصطلح الكفاءة في علم الاجتماع العمل، باعتبار أن الكفاءة هي تطور لمصطلح التأهيل الذي احتل مكانة كبيرة في دراسات ونقاشات في سنوات الخمسينات من طرف أهم المتخصصين في علم الاجتماع التنظيمات.

وسنتعرض في هذا المقال إلى التأهيل في علم الاجتماع العمل، الكفاءة كامتداد لمفهوم التأهيل، تعريف الكفاءات، خصائصها وأهميتها بالنسبة للفرد والمنظمة.

الكلمات المفتاحية: علم الاجتماع العمل - التأهيل – الكفاءة.

Résumé :

Dans cet article, nous souhaiterons nous focaliser sur l'évolution de la compétence dans le champ sociologique. Cette notion qui a apparu au début des années 90, et qui vient de remplacer quelques idées telles que le poste ou la qualification. On va aborder dans cet article le passage du « modèle des qualifications » au « modèle de la compétence » en évoquant la définition de la compétence, ses caractéristiques et ses avantages.

Mots – clés : sociologie du travail – qualification – compétence.

Abstract:

In this article, we would like to focus on the development of competence in the sociological field. This notion appeared in the early 90s, and has replaced some ideas such as the qualification. We will discuss in this article the passage of the "model of qualifications» to the " model of competence " in evoking the definition of competence , its features and benefits.

Keywords: sociology of work – qualification - competence

مقدمة:

أسال موضوع الكفاءات، كثيرا من الحبر في دراسات عدة أواخر سنوات الثمانينات وبداية التسعينات، واهتمت به ميادين عديدة ومن أهمها علم الاجتماع العمل، حيث ظهر هذا المفهوم في ظل ظروف تميزت بالتطور التكنولوجي، كثرة المنافسة بين المؤسسات، العولمة واقتصاد السوق.

إن بقاء ونمو المؤسسات يتوقف بالدرجة الأولى على قدرتها على تحويل مدخلاتها إلى مخرجات، ولن تتمكن المؤسسة من بلوغ هذا الهدف إن لم تتمكن من استقطاب الكفاءات اللازمة لتقوم بهذه المهمة، فاستقطاب المؤسسة لأفضل الكفاءات يعد كرهان تضمن به استمراريتها وتحقق به التنمية المستدامة، ومن هنا ظهرت الكفاءة كمفهوم فرض نفسه بقوة في ممارسات واستراتجيات المؤسسات.

فماهو مفهوم الكفاءات و كيف تطور مفهومها في الحقل السوسيولوجي، وهل مفهوم التأهيل يعتبر المفهوم العصري للكفاءة؟ ماهي خصائها؟ وما أنواعها؟

التأهيل في علم الاجتماع العمل:

شغل مفهوم التأهيل مكانة مركزية في علم الاجتماع العمل منذ أربعين عاما، فتأسس علم الاجتماع العمل في فرنسا في سنوات الخمسينات، كان نتيجة للتحولات التي ظهرت في المجتمع والتطور الحضاري الذين أثروا بدورهم على العمل.

هذه التحولات التي عصفت بالمجتمع، حاول كثير من العلماء إعطاء تفسيرات وتحليلات لها كل حسب اتجاهه والتيار الذي ينتسب إليه، فنجد كل من Georges FRIEDMANN وPierre NAVILLE وAlain TOURAINE اهتموا كثيرا بتأثير هذه التحولات على ميدان العمل، وإن اختلفت اتجاهاتهم في التحليل إلا أنهم يرون أنه كان لها تأثير على المنظمة وعلى العمل الصناعي وعلى علاقة العمال بعملهم. ومن هنا فإن مفهوم التأهيل حتى ولم يستخدم بنفس الطريقة والمعنى من طرف هؤلاء المختصين إلا أنه كشف عن هذه التحولات من خلال إبراز القيمة الاجتماعية للمهمات التي يقوم بها العاملين وعن طرق أدائهم لها، والوقت المخصص لها وأيضا كشف هذا المفهوم عن أهمية التدريب والتكوين.[1]

يشير التتبع التاريخي أن مفهوم التأهيل ظهر بعد سنة 1945، نتيجة لمزيج من العوامل المختلفة: نمو المؤسسات الصناعية الكبيرة، تطور تنظيم العمل نحو التايلورية، تطور العمل النقابي كلها ساهمت في الادراك الجماعي لمفهوم التأهيل.[2]

كان التأهيل في هذه الفترة (القرن التاسع عشر) مرتبط بشكل واسع بمرجعية منصب العمل المبنية على أساس المرافقة والتعلم الذي يسديه الأفراد لنظرائم نظرا لخبرتهم المهنية.

الاعتراف بشبكة التأهيل كان نتيجة لعمل اجتماعي طويل منذ أواخر القرن التاسع عشر، بمبادرة من العمال، وتميزت الظروف التي تطور فيها التأهيل سنة 1950 بنقص اليد العاملة مما دفع سوق العمل يرفع الأجور للحد من التوترات.[3]

إن النظام المبني على أساس التأهيل، كان يسعى إلى تثبيت الأجور، فكانت هذه الأخيرة محددة على أساس معايير تعسفية اعتباطية، بحيث أن مقارنة الوظائف كانت تتم وفق معايير جماعية يتفق عليها الشركاء الاجتماعيين والسلطات العامة، ويقومون بإنشاء شبكة التأهيلات تتضمن الأجر الذي يوافق كل تأهيل.[4]

كما ذكرناه سابقا، فإن التأهيل كان يعد مركزا لاهتمامات العديد من علماء الاجتماع بدء من Frederick TAYLOR، الذي كان يواجه مشكلة تتمثل في وجود عمال غير مؤهلين وهم المهاجرون الذين كانوا يشكلون فئة كبيرة في أمريكا، وبالتالي قفد اقترح تايلور استخدام الطرق العلمية في اختيار العمال وتدريبهم ووضعهم في المكان المناسب حتى يؤدي كل عامل عمله بأعلى قدر ممكن من الكفاءة، أي يكون الإنسان متخصصًا ولديه مهارات محددة في عمل ما لأن التخصص يرفع معدل الإنتاجية.[5]

وعلى الرغم من مساهمات تايلور في إيجاد أفضل الأساليب لإنجاز الأعمال المتعددة للوظائف المختلفة في المؤسسات الصناعية إلا أن نظريته لاقت انتقادات كثيرة، من أهمها أن نظرية الإدارة العلمية لتايلور تحدثت عن عملية الاختيار العلمي للعاملين و وضعت مبادئ لها، لكنها تجاهلت هل سيقوم متبعيها بتطبيق تلك المبادئ في الواقع العلمي، و عدم تحمل الإدارة مسؤولية تأهيل و تدريب العامل على المنهج العلمي التي أمرت بتطبيقه.

مفهوم التأهيل أيضا تناوله FRIEDMANN، حيث أن اهتمامه كان نتيجة التحولات الكبرى التي عرفها المجتمع والناجمة عن استخدام مصادر جديدة للطاقة (البخار، الكهرباء..)، إضافة إلى تطور وسائل الاتصال والنقل، ونقل مناطق النشاط من المناطق الريفية إلى المدينة.

فاهتمامه بالتأهيل المهني وأشكاله الجديدة خاصة مع تقسيم المهام وتجزئة العمل الذي رافق تطور العمل الآلي لوسائل الانتاج بعد الحرب العالمية الثانية.

ونجد أن فريدمان في كتابه الأول « Problèmes humains du machinisme industriel» يتحدث فيه على وجه الحصر عن العامل المؤهل، العامل المهني وخاصة عن المهارات المهنية، حيث أن عبارة تأهيل لم تكن شائعة في كتاباته الأولى إلا أنها كانت تأخذ معنى "المعرفة"، فالمعرفة عنده تدل بشكل واضح على "التأهيل". وتجدر الاشارة أن الظروف التي كان يعيشها المجتمع في تلك المرحلة ما بين الحربين، خاصة البطالة التي كان يعاني منها الأفراد في سنوات الثلاثينات، جعلت اهتمامات فريدمان تنصب أيضا حول مسألة "التكوين والتدريب" واحتلت مكانا حاسما في أعماله، بالأخص عندما تم تعيينه كمفتش عام للتعليم التقني عام 1945، هذا المنصب الذي شغله قاده إلى الاهتمام بالتدريب عن طريق التفكير بتدريب العاملين وتكوينهم بطرق منظمة ومنهجية.

بداية من سنة 1938، سعى فريدمان من خلال تركيبة العمل والوقت وبواسطة ملاحظاته الخاصة الإمبريقية خاصة في ظل الإدارة العلمية لتايلور وما خلفته من أضرار للعاملين، جعلته يهتم بمفهوم التأهيل ما سماه بـ "المهارات المهنية" حيث يظهر هذا جليا في كتابه [6]« Où va le travail humain ».

ويرى فيه فريدمان أن التأهيل يقاس انطلاقا من من محتوى المهام المهنية، ومدة التدريب المهني. وأن تحليله ذو منهج موضوعي، حيث يذهب أنه يمكن تحديد محتوى التأهيل عن طريق استخدام الأجهزة الرسمية، أو عن طريق الملاحظة الدقيقة لنشاط العمل أين يمكن ملاحظة مهارات العامل وتمييز العامل المؤهل.[7]

سنة 1956 تاريخ صدور كتاب " العمل المفتت" لـفريدمان، صدر « L'essai de la qualification » لـ بيار نافيل، وهو زميل فريدمان والمدير المشارك لأول كتاب في علم الاجتماع العمل في فرنسا "رسالة في سوسيولوجيا العمل". بالنسبة لـنافيل فإن التأهيل لا يمكن حصره فقط في محتوى المهام، أي منصب العمل فقط، وبالتالي فإنه من الصعب تحديد آثار الآلية وإعادة تركيب المهام، وذلك بالاهتمام بتقييم العمل إضافة إلى هذا، فإن سيرورة التأهيل تمزج أحكام قيمية التي تؤدى بصورة شاملة.

من هنا يتضح لنا أن مفهوم التأهيل غامض في حد ذاته، كيف يمكن الحكم على العامل أنه مؤهل؟ وكيف يتميز العامل عن غيره من العمال؟[8]

على عكس فريدمان، فإن نافيل يرى بأن التأهيل هو عبارة عن علاقة العاملين بعملهم، ويطلق اسم التأهيل على العملية التي تؤدي إلى تشكيل جماعات من الأفراد عن طريق الوضعيات المهنية، الذين يتم تصنيفهم حسب الأوليات، أي أنه حسب نافيل التأهيل هو عملية تصنيف وترتيب الأحكام الاجتماعية حول العمل المتميز.[9]

فعلى حد قول نافيل في كتابه « Essai sur la qualification du travail » فإن التأهيل هو "القدرة على اتباع منهج معين... و التأهيل هو ببساطة القدرة على ممارسة سيرورة عمل محددة[10]."

من هنا نجد أن مفهوم التأهيل عند فريدمان ونافيل مختلف، ففريدمان يعرفه على أنه مهارات مهنية، بينما نافيل يجده أنه " علاقة اجتماعية معقدة بين العمليات التقنية وبين تقدير قيمتها الاجتماعية."[11]

مفهوم التأهيل نال نصيبه من البحث والدراسة كذلك في أعمال آلان توران، فتناول توران هذا المفهوم في كتابه "سوسيولوجيا الفعل".
يرى توران أن مفهوم التأهيل هو مفهوم سوسيولوجي، ويعتبره ميزة فردية قابلة للقياس عن طريق اختبارات مهنية.[12]
التأهيل عند توران هو "تأهيل اجتماعي"، وهو تعريف قريب جدا للمفهوم الجديد الذي حل محل التأهيل في أواخر سنوات الثمانينات وهو "الكفاءة"، فتوران يعرف التأهيل على أنه القدرة على فهم واتقان العمل، وبالتالي فإن المهارات التسييرية والعلاقات تصبح في هذا الإطار مهمة، فالأمر لم يعد يتعلق بمنصب العمل، وإنما بالمشاركة الفعلية لتحقيق أهداف المؤسسة.[13]
من خلال ما تم عرضه عن تطور مفهوم التأهيل في الحقل السوسيولوجي وما حمله هذا هذا المفهوم من تعريفات مختلفة حسب توجهات وتيارات علماء الاجتماع، باعتباره "مهارات مهنية" أو"علاقات إجتماعية" أو "تأهيل اجتماعي"، إلا أنه مهما اختلفت هذه المنظورات إلا أنها ساهمت بصفة كبيرة في ظهور المفهوم الجديد الذي يعد استمرارية لمفهوم التأهيل، ألا وهي "الكفاءة" الذي ظهر نتيجة للتعيرات التي طرأت على علاقات العمل، حيث أصبح هذا المفهوم العصري ستخدم في مختلف المجالات خاصة التنظيمية.

1. الكفاءة كامتداد لمفهوم التأهيل:

كما تم ذكره في المبحث السابق الخاص بمفهوم التأهيل في علم الاجتماع العمل، فإن مصدر الكفاءة يرجع إلى مفهوم التأهيل الذي شهد تحولات حتى وصل إلى مفهوم الكفاءة الذي نعرفه في عصرنا الحالي.

عرفت الفترة التي ظهر فيه مفهوم التأهيل تغير في علاقات العمل، "ونتيجة المفاوضات الجماعية في فترة ما بعد الحرب، والانتقادات التي طالت شبكات التأهيل والتنديدات التي كان يقوم بها العمال بسبب التمييز الذي طغى على الأجور، إضافة إلى التمييزات الأخرى بين الرجل والمرأة العاملة وما خلقته من إضرابات خاصة في المصانع

الوطنية في فرنسا سنة 1966، حيث كانت تطالب المرأة العاملة بتحديد أجرها حسب مهاراتها ومعرفتها "[14]، كل هذا، أدى هذا إلى ظهور مفهوم الكفاءة.

في أواخر الثمانينات وبداية التسعينات، أصبح مفهوم الكفاءة حاضرا بقوة، وكأنه جاء ليرفع تحدي الديناميكية كمفهوم جديد يحل محل التأهيل.[15]

عوامل عديدة ساهمت في ظهور الكفاءة من بينها: البطالة السائدة التي ميزت فترة السبعينات في فترة نظام التأهيل، لامركزية المفاوضات الجماعية، الحاجة إلى تميز العاملين بالاستقلالية، المعرفة، الخبرة، والمهارات إضافة إلى تغير سياق العمل نحو تطور مناهج التحليل، بطريقة أخرى نحو إدارة الموارد البشرية.[16]

معظم علماء الاجتماع الذين تناولوا الكفاءة يركزون في تحليلاتهم عل التحول العميق الذي مس المجتمع، حيث أن هذه التغييرات لعبت دورا في إدخال هذا المصطلح في ظل المرونة والتطور التكنولوجي السريع.[17]

يعتبر نموذج الكفاءة كنموذج إجتماعي، حيث جاءت الكفاءة في أواخر سنوات الثمانينات تحت اسم "منطق الكفاءات" أو "نموذج الكفاءة"، الذي فرض نفسه بقوة مكان نموذج منصب العمل (التأهيل) الذي انهار تدريجيا، حيث أنه أعقاب الأزمة التايلورية أصبح نموذج التأهيل:[18]

- غير مقبول اجتماعيا، إذ أنه يلغي روح الاستقلالية لدى العامل وأثر هذا على جميع ميادين الحياة الاجتماعية خاصة في سنوات الستينات.
- نظام لا يسعى إلى الانتاجية، جامد في مواجهة الاحتياجات المتزايدة للمرونة والابتكار، خاصة في ظل تنوع المنتجات والخدمات.
- تطور العمل وزيادة تعقيداته ساهمت في انهيار هذا النموذج، حيث أن التغيرات تمت بوتيرة سريعة، إضافة إلى لامركزية القرارات العملية.

بعد هذا، عرفت الكفاءة تطورا مع القطيعة التي تم وضعها مع نظام التسوية السابق، فإعادة تأهيل المؤسسات في منتصف سنوات الثمانينات، ومع ظهور خطاب "المناجمنت الاجتماعي" الذي يطبق تسيير الموارد البشرية، برزت ممارسات جديدة في تسيير المؤسسات وأصبح امتلاك الكفاءات، أساسا تستند عليه المؤسسة في تسيير شؤونها، مع إعادة النظر في الشهادات المهنية وتصور التقييم.

ويتكون نموذج الكفاءات من هذه العناصر التوليفية[19]:

- معايير جديدة في التوظيف تؤكد على مستوى الشهادة.
- تعزيز تنقل العاملين ومتابعة مسارهم مما نتج عنه ممارسات جديدة، كالتقييم، المقابلات السنوية، وتقارير الكفاية.
- معايير جديدة في التقييم تبرز مهارات العاملين، فالتقييم في إطار نموذج الكفاءات لا يتم على أساس مهارات يدوية أو معارف تقنية، وإنما مميزات شخصية وعلى أساس علاقة العامل بمحيطه، درجة استقلاليته، روح المباردرة والمسؤولية لديه والعمل الجماعي.
- الحث على التكوين المستمر الذي يعتبر أساسيا لتعبئة مختلف المعارف والمهارات، ففي كثير من الأحيان تقوم المؤسسة بهذا التكوين ليوافق استراتجياتها.

من خلال ما تم ذكره سابقا، نلاحظ أن وجود تحول في مفهوم التأهيل نحو مفهوم الكفاءة، حيث أن مفهوم التأهيل وجد نفسه في مواجهة التغيرات والتطورات الهائلة التي ظهرت في الثمانينات، تحول تنظيم العمل، تطور قطاع الخامات، فشل النظام التايلوري جعل من علماء الاجتماع يهتمون بدراسة مفهوم الكفاءة الذي برز بدل التاهيل، الذي كان متعلقا بمنصب العمل، بينما الكفاءة ترتكز على المعارف والمهارات والسلوك الذي يتميز به العامل أثناء أدائه لمهامه.

2. تعريف الكفاءة:

تعرف الكفاءات على أنها تحمل مبادرة أو مسؤولية فيما يخص الحالات المهنية، في التوجهات كما في الأداء، الكفاءة مقدرة اجتماعية، التزام يأتي من الفرد، الكفاءة هي معرفة معمقة، معرفة علمية معترف بها والتي تعطي الحق بالحكم في هذا أو ذاك المجال، أي مجال الكفاءات.[20]

وعرفتها حركة المؤسسات الفرنسية MEDEF بأنها "تلك التركيبة التي تجمع بين المعارف والمهارة والسلوكيات التي تمارس في سياق محدد والتي يمكن ملاحظتها أثناء العمل، وتقوم المؤسسة بتحديدها، تقييمها، تثبيتها وتطويرها."[21]

ويعتبرها LE BOTERF أنها القدرة على التحويل، وليس الاقتصار على إنجاز مهمة وحيدة تتكرر بشكل اعتيادي، كما أنها القدرة على تكييف السلوك مع الوضعية، ومجابهة الصعوبات غير المتوقعة.

يمكن القول أن الكفاءة هي القدرة على مواجهة وضعيات محددة، بالتكيف معها عن طريق تعبئة وإدماج جملة من المعارف والمهارات والتصرفات من أجل تحقيق إنجاز محكم وفعال.[22]

فالكفاءة هي الاستعداد أو القابلية للتوفيق بين الموارد لتشغيل نشاط أو عمليات محددة ولا تتوقف عند الموارد القابلة للنقل (معارف وقدرات...) و إنما في كيفية نقل هذه الموارد.[23]

كما يعرفها Jean-Marie PERETTI في قاموس الموارد البشرية «هي مجموعة من ثلاثة معارف: معارف نظرية (المعلومات) ومعارف علمية (الخبرات) ومعارف التحلي (البعد سلوكي)، معبأة أو قابلة للتعبئة، يستخدمها الفرد لانجاز المهام الموكلة إليه بطريقة أحسن."[24]

وتعرف الكفاءة كذلك على أنها القدرة على تنفيذ مهام محددة، وهي قابلة للقياس والملاحظة في النشاط وبشكل أوسع، الكفاءة هي استعداد لتجنيد وتجميع ووضع الموارد في العمل، والكفاءة لا تظهر إلا في العمل.[25]

وتعرف أيضا على أنها قدرات معروفة للقيام بعمل معين في ظل ظروف محددة، سواء كانت مهنية أو بشرية أو اجتماعية.[26]

من جهته يعرفها Philippe ZARIFIAN على أنها أخذ المبادرة والمسؤولية التي يتحملها الفرد في الوضعيات المهنية التي تواجهه.

في هذا التعريف، يسلط ZARIFIAN الضوء على الخصائص الأساسية للعمل التصوري في الفترة ما بعد الفوردية: كروح المبادرة وتحمل المسؤولية، كما ان هذا التعريف يحاول أن يضع الفرد ككيان تفكيري ومستقل في العمل، فهذا التعريف يجعلنا نفهم أنه لا يمكن التحدث عن الكفاءة كوضع مهني باستبعاد الحالات الاخرى للحياة خارج سياق العمل.[27]

من خلال هذه التعاريف نخلص إلى القول أن الكفاءات هي: **تلك التركيبة من المعرفة، المهارات و السلوكات التي يستعملها الفرد من أجل انجاز مهام عمله على أكمل وجه، كما أنها تلك المهارات التي يكتسبها العامل في فترة معينة.**

3. خصائص الكفاءات:

في ظل التحديات الجديدة التي أفرزتها التحولات الراهنة، أصبح اكتساب الكفاءات في المؤسسة أمرا ضروريا لواجهة هذه التحديات، فالخصائص التي تتميز بها الكفاءات جعلتها تحتل حيزا مهما على مستوى المؤسسة.

- **الكفاءات ذات غاية**: حيث أنه يتم تشغيل معارف مختلفة قصد تحقيق هدف محدد أو تنفيذ نشاط معين، فالشخص يكون كفؤا إذا استطاع تأدية هذا النشاط بصفة كاملة.
- **صياغتها تتم بطريقة ديناميكية**: حيث أن كل العناصر المكونة لها تتفاعل في حلقة مفرغة من المعارف والدرايات الفنية.[28]
- **هي مفهوم مجرد**: فالكفاءة غير مرئية، ما يمكن ملاحظته هي الأنشطة الممارسة والوسائل المستعملة و نتائج هذه الأنشطة
- **هي مكتسبة:** فالفرد لا يولد كفؤا لأداء نشاط معين و إنما يكتسب ذلك من خلال تدريب موجه.[29]

كما أن الكفاءات تتميز بكونها قابلة للملاحظة، يمكن قياسها في الوضعيات المهنية[30].

ويرى المختص في علم الاجتماع Zarifian أن أهم ميزة تتسم بها الكفاءة هي وجود مبدأ أخذ المبادرة، فكون العامل كفؤ معناه أخذ المبادرة الجيدة في إطار وضعية عمل معين، فأهم ميزة للكفاءة بالنسبة لـ Zarifian ، هي تمكن العامل من أخذ المبادرة الجيدة اتجاه وضعية مهينة ما، أين يقوم بتحمل مسؤوليتها، فخاصية الكفاءة في هذا السياق هو تميزها بكلمتين مفتاحيتين: أخذ المبادرة وتحمل المسؤولية. العامل عندما يأخذ المبادرة اتجاه مشكلة ما في عمله، فإنه مسؤول عن نتائج آثاره، بمعنى آخر الكفاءة هي تحمل مسؤولية المبادرة المتخذة.[31]

4. أهميـــة الكفـاءات:

تعتبر مسالة الكفاءات اليوم، محركا مهما لنجاح المؤسسة، للك نجد أن المؤسسات تضعها كأولوية اهتماماتها، وتعتبرها القلب النابض في سياسات الموارد البشرية لما تكتسيه من أهمية على المستوى الفردي، والتنظيمي.

فمن المهم أن تعرف المؤسسة مستوى كفاءاتها، خاصة وأن التطور المستمر لمحيط المؤسسة يؤثر فيها مما ينجم عنه صعوبة تحقيق الرضا وإشباع حاجيات الأفراد من جهة، وكذلك عدم استقرار محيط المؤسسة يجعلها مهددة في كل لحظة بمشاكل مختلفة. لذا فعلى المؤسسة أن تمتلك القدرات المناسبة وتستغل كفاءات افرادها لمواجهة هذه المشاكل، لأن حلول المشاكل التي قد تعاني منها المؤسسة تنبثق من الأفراد العاملين فيها و الذين لديهم القدرة والمعارف اللازمة لمواجهة مختلف المشاكل التي تمر بها المؤسسة.

تعد كفاءات المنظمة اليوم، الرهان الرابح الذي تعتمد عليه أي منظمة لتبقى في الريادة ولتحقق الميزة النتافسية، ومن خلال هذا المبحث سنحاول إبراز أهمية الكفاءات في المنظمة على المستوى الفردي، والتنظيمي.

أ. أهمية الكفاءات على المستوى التنظيمي:

أصبح تطور المؤسسات اليوم وتحقيقها التنمية المستدامة مرهونا بمدى قدرتها على التكيف مع المتغيرات التي تحدثها البيئة المحيطة بها، ومدى قدرتها على اشباع حاجيات عملائها من حيث تنوع الخدمات والمنتجات وجودتها، وهذا ما يجعلها أن تكون أكثر حرصا على تطوير ممارساتها التنظيمية وكذا أفرادها.

المؤسسة اليوم تقف أمام تحديات هامة، كعولمة الاقتصاد، زيادة المنافسة، الضغط الشديد من الأسواق، ظهور أسواق جديدة، التطور التكنولوجي السريع وكذا تطور وسائل الاعلام والاتصال، مما جعل المؤسسة تولي اهمي قصوى لكفاءات أفرادها من أجل تحقيق المرونة اللازمة في العمل، فالكفاءات تعتبر القوى المحركة لنجاح أي مؤسسة بمشاركتها في تطوير وتنمية المؤسسة ومواجهة هذه التحديات، وفيما يلي سنقوم بعرض أهمية الكفاءات في المؤسسة، أي الرهانات الاستراتيجية للكفاءات في المنظمة:[32]

- **تساهم الكفاءات في ظهور أشكال تنظيمية جديدة تستجيب لضروريات المرونة والتفاعل:**

التحديات التي قمنا بذكرها سابقا والتي تعتبر سببا مهما في ظهور مفهوم الكفاءات، تفرض المرونة والتفاعل في العمل، فتوقعات العملاء ومتطلبات التكيف مع المحيط لا يمكن أن تكون ذات تأثير إذا لم تكن هناك كفاءات. الوضعيات المعقدة التي تخضع لها المؤسسات باستمرار وبشكل طارئ لا تستدعي مضاعفة الانتاج لضمان الاستمرارية، وإنما المؤسسة اليوم بحاجة اليوم إلى الكفاءات المتميزة القادرة على تسيير وحل المشاكل المعقدة التي تعترضها.

كما أن للكفاءات أدوار أخرى في المنظمة مثل:[33]

- **تحديث ممارسات إدارة الموارد البشرية:**

التسيير الجماعي الموحد المبني على أساس مناصب العمل وليس على أساس كفاءات الأفراد، برهن فعاليته في النظام الاقتصادي السابق الذي تميز بالإنتاج الضخم، إلا أن التطورات الحاصلة على مستوى العالم اليوم، والتي تسعى المؤسسات من خلالها تحقيق ميزة تنافسية وظهور التسيير التنبؤي للمناصب والكفاءات، جعل من الكفاءات مفهوم موحد في سياسات إدارة الموارد البشرية على الرغم من أنه يتميز بخصائص متعددة الأشكال. فعلى مستوى إدارة الموارد البشرية، فإن تسسير الكفاءات يسمح بـ:

- تحسين تقنيات التكوين والتدريب والمناهج المستخدمة في تحليل العمل، وتحديد الكفاءات المطلوبة والمكتسبة مما يساهم في تطوير عملية التقييم، ويؤدي هذا إلى إخضاع العاملين للتدريب والتكوين تبعا لنتائج تقييم كفاءاتهم.
- تسيير العمل بطريقة أحسن عن طريق توقع المناصب وتحركات العاملين مما يفرض تسيير تنبؤي لهذا، إضافة إلى إثراء أساليب التوظيف والتقييم.
- تعزيز التنقلات المهنية الداخلية والخارجية للعاملين عن طريق ظهور الأشكال الجديدة للتنظيم.

- **خلق حوار إجتماعي جديد:**

نلاحظ اليوم، وجود مصالح مشتركة في إدماج مفهوم الكفاءة في المؤسسة بين العاملين وأرباب العمل والشركاء الاجتماعيين. ويعتر هذا فرصة للمؤسسة لتطوير أدائها

وتحسين إدارة مواردها البشرية بتقدير جهود ومساهمات العاملين. كما تسمح الكفاءات بتطوير الاتفاقيات الجماعية بإعادة النظر في سياسات جديد كسياسة الأجور مثلا التي تحدد في هذا الاطار على أساس معايير نتائج الاداء والكفاءات عوضا عن تحديدها على أساس الأقدمية.

ب. أهمية الكفاءات بالنسبة للفرد:

قبل أن تكون للكفاءة أبعاد شخصية وثقافية بالنسبة للفرد،فإننا يمكننا أن نعتبرها كرهان مهني له، فالعمل على بناء وصقل كفاءاته يعد للعامل أمرا مهما من أجل تطوير مساره المهني، فاكتساب كفاءات يفتح للعامل آفاقا جديدة داخل مؤسسته وخارجها، وبالتالي فإن الكفاءة تشكل حافزا قويا، كونها تجعل من العامل:[34]

- **كفاعل لتطوره المهني:**

تتطور الكفاءات بوتيرة سريعة، وليحتفظ العامل مستواه التنظيمي عليه أن يكون مسؤولا عن تطوير كفاءته وتنميتها، حيث أن امتلاك الكفاءة أصبح وسلية للحفاظ على الاستمرارية، كما أن الكفاءة تسمح بتجاوز مسؤولية منصب العمل ويصبح أكثر فعالية في تطوير مساره المهني.

مهما كانت وضعية العامل المهنية، إلا أنه يسعى دائما إلى فهم معنى العمل الذي يقوم به وماذا تنتظر المؤسسة منه، لأن هذا يعتبر فرصة له للكشف عن مهارته وكفاءاته غير المستغلة التي تساعده على اختيار توجهاته المهنية. كما أن امتلاك الكفاءات والمهارات يعزز للعامل تنقله داخل المؤسسة، ويفتح له فرصا أخرى خارجها مما يجعله يحقق طموحاته يحسن مستوى أدائه وتأهيله، وبالتالي يحصل على مكافآت كاعتراف له عن الجهود المبذولة وليس على أساس أقدميته، فمكافأة العامل في هذا السياق لها علاقة بمدى كفاءاته وليس على أساس متطلبات منصبه أو سنوات خدمته بل عن القيمة التي أضافها لمنصبه ومدى مساهمته في تحقيق أهداف المنظمة.

- **كفاعل لتنميته الشخصية والفردية:**

تسيير الكفاءات يساهم في ازدهار العامل على المستوى الشخصي، خاصة في تلك المجتمعات التي تعتبر العمل كقيمة أساسية في تحقيق النجاح على الصعيدين المهني والاجتماعي للعامل.

تطور الكفاءة وتجاوزها لمنطق متطلبات منصب العمل، يفتح للعامل مجالات جديدة ليقوم باكتشاف مهاراته الكامنة، مما يجعله مهيئا لتقبل مسؤوليات أخرى في عمله، ويصبح أكثر استقلالية، فأهمية الكفاءات على المستوى الفردي تساهم في تنمية الفرد مهنيا واجتماعيا.

- **رهان لتحقيق مكانة إجتماعية وعنصر للديناميكية الجماعية:**

لا يمكن للفرد أن يضمن تأهيله المهني بالاعتماد على شهاداته ومعارفه فقط وإنما بالارتكاز أيضا على كفاءاته ومهاراته وخبراته المكتسبة. [35]

في هذا الصدد، يصبح تطوير الكفاءات عنصر هام بالنسبة للفرد حيث أن هذا يعبر عن مكانة العامل في المؤسسة، ويعكس الخبرة المهنية لديه التي تمثل وسيلة ممكنة لتعزيز التقدم المهني وبالتالي الاجتماعي، إذ يعتبر هذا اعتراف اجتماعي لكفاءة العامل بتقديرها، إلا أن هذا التقدير والاعتراف مرتبط بإثبات الكفاءة ومدى فعاليتها.[36]

للكفاءة أهمية أخرى، حيث أنها تعزز مكانة المؤسسة في الاقتصاد العالمي باعتبارها سيرورة التنمية المستدامة، كما أن الكفاءات تفرز في المؤسسة علاقات عمل جديدة، وتتجلى أهميتها أيضا في إشراك العاملين في أهداف المنظمة وفي أعمالهم وزرع روح المبادرة فيهم، الاستقلالية و الابداع على خلاف ما كان يمتاز به العمل في الفترة التايلورية.

بالاضافة إلى هذا، فإن الكفاءات في المؤسسة شكل عاملا للتحولات في العلاقات الاجتماعية بالمؤسسة، كونها ترتكز على الفرد، فنجد أن المؤسسة تقوم بتبني ممارسات وأساليب تسييرية جديدة بتقويتها أو تعديلها لتتماشى مع هذا المفهوم الذي بات وجوده أمرا ملحا في المؤسسة.

إن المصالح المشتركة التي تجمع بين العامل والمؤسسة على حد سواء من خلال إدماج الكفاءات في التسيير، مما ينتج عليه التزام إجتماعي، فالمؤسسة تكافئ العامل على أساس كفاءته، وهذا العامل ملزم اتجاهها بتحقيق الأهداف.[37]

خاتمة:

اتضح لنا أن مفهوم الكفاءة هو استمرارية لمفهوم التأهيل الذي ظهر في دراسات سوسيولوجية عدة من طرف علماء الاجتماع العمل، إلا أن مفهوم التأهيل لم يستطع الصمود أمام المتغيرات والتحولات التي مست المجتمع مع نهاية سنوات الثمانينات، ليفسح المجال بذلك لمفهوم الكفاءة الذي فرض منذ ذلك الحين نفسه في المنظمات وفي أبجديات الكتب الإدارية والسوسيولوجية، والذي كان محصلة لتغيرات المحيط الخارجية التي أثرت على ممارسات المؤسسات وسياساتها، كما أن تبني هذا المصطلح نتج عنه تغييرات في علاقات العمل.

فالكفاءة اليوم، لا تتعلق بمسؤوليات منصب العمل وإنما السلوك الذي ينتهجه العامل في وضعية مهنية ما باستخدام معارفه وخبراته، كما أن أهميتها لا تقتصر فقط على المستوى التنظيمي وإنما أيضا على المستوى الفردي، وتتميز بكونها مجردة، مكتسبة، ذات غاية، ديناميكية وقابلة للقياس.

الهوامش

[1] DUBAR Claude :**« La sociologie du travail face à la qualification et à la compétence ».** Sociologie du travail, vol 38, N° 2, France, Elsevier Masson SAS, 1999, pp180, 181.

[2] STROOBANTS Marcelle : **Sociologie du travail**, Paris, édition Nathan, 2002, p70.

[3] Ibid, p 70.

[4] DEPREZ Anne **: Compétence, et qualification: mise en perspective et positions d'acteurs**, Belgique, Le Ministère de la Région wallonne, 2002, pp 04,05.

[5] CAIRE Guy : **«Lectures du taylorisme : distingue trois dimensions du taylorisme».** Revue de l'Economie Sociale, N°3 et 4, France, Paris, 1985, p 58.

[6] DADOY Mireille : **« La notion de qualification chez Georges Friedmann »**. Sociologie du Travail, Vol 29, No 1, France, Nantes, 2016, pp 17,18.

[7] BUSCATTO Marie : **Introduction : quand la qualification fait débat(s). Formation emploi** : revue française des sciences sociales, N° 96, France, CEREQ, 2006, p 07.

[8] JARDIN Evelyne : **Mutation et organisation du travail**, Paris, éditions Bréal, 2005, p 86.

[9] ALALUF Matéo : **L'analyse du travail et son organisation**. Formation emploi, N°76, France, CEREQ, 2001, pp 101,102.

[10] CATANIA Loïc : **« Qualification » et « compétence » au sein de l'espace social : Quelles évolutions de la professionnalité prescrite ?** Ergologia, N° 10, France, l'université Aix-Marseille, décembre 2013, pp 92, 93.

[11] Claude, DUBAR. Op.cit, p 181.

[12] TOURAINE Alain : **Sociologie de l'action**, Paris, les Éditions du Seuil, 1965, p 302.

[13] DUBAR Claude, Op.cit., p 182.

[14] Anne, DEPREZ. Op.cit., p 07.

[15] OIRY Ewan: **Qualification et compétence : deux sœurs jumelles ?** Revue Française de Gestion, N° 31, France, Lavoisier, 2005, p09.

[16] DEPREZ Anne, Op.cit., p 0.8

[17] BERTAUX Roger : **Qualification et compétences dans le champ social**, les Cahiers de l'Actif, N°338, France, 2004, p19.

[18] ZARIFIAN Philippe : **De la notion qualification à celle de compétence**, Cahier français, N° 333, Paris : la documentation française, 2006, p 08,10.

[19] DUBAR Claud, Op.cit., p 188.

[20] كمال منصوري. سماح صولح: **"تسيير الكفاءات: الاطار المفاهيمي والمجالات الكبرى"**، أبحاث اقتصادية، العدد 07، جامعة بسكرة، الجزائر، ص 50.

[21] http://www.stephanehaefliger.com/campus/biblio/012/lrelc.pdf تمت مراجعة الموقع بتاريخ 2015/10/03 على الساعة 22:00

[22] LE BOTERF Guy : **De la compétence, Essai sur un attracteur étrange**, Paris, les Editions d'organisation, 1994, p 43.

23 زهية موساوي: **"الاستراتيجية وإدارة الموارد البشرية"**، مجلة الباحث، العدد 01، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 2002، ص ص 96،97.

[24] PERETTI Jean-Marie, op.cit., p60.

[25] كمال منصوري ; سماح صولح. مرجع سابق، ص 50.

26 PEMARTIN Daniel : **Gérer par les compétences ou comment réussir autrement**, Paris, édition Management, 1999, p36.

[27] GAYE Abdoulaye : **Approche critique du concept de compétence en formation : cas de l'approche par compétences dans la formation professionnelle initiale au Sénégal**, France, Université de Lille 01, 2013, p30.

[28]زهية موساوي ; خديجة خالدي: **نظرية الموارد و التجديد في التحليل الاستراتيجي للمنظمات : الكفاءات كعامل لتحقيق الأداء المتميز**، مداخلة مقدمة للمؤتمر العلمي الدولي حول الأداء المتميز للمنظمات و الحكومات، جامعة ورقلة، الجزائر، 2005، ص09.

[29] المرجع نفسه، ص09.

[30] RIEU Christine : **Gestion des compétences**, France, Université de Savoie, 2008, p 14.

[31] ZARIFIAN Philipe : **La logique compétence : un enjeu de société**. Débat organisé par le CIBC de Nîmes. http://philippe.zarifian.pagesperso-orange.fr/page14.htm consulté le 21 janvier 2016 à 14h20.

[32] DE WITTE Serge : **La compétence professionnelle : enjeu stratégique**, Paris, Centre National de la Propriété Forestière, Tome 01, 1998, p 07.

33 Ibid, pp 08, 09.

[34] Ibid, pp 13, 14.

[35] Ibid, pp 15, 16.

[36] Ibid, p 16.

[37] Ibid, pp 17, 20.

المراجع:

- **باللغة العربية:**

1. زهية موساوي: "**الاستراتيجية وإدارة الموارد البشرية**". مجلة الباحث، العدد 01، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 2002.
2. زهية موساوي ;خديجة خالدي. **نظرية الموارد و التجديد في التحليل الاستراتيجي للمنظمات : الكفاءات كعامل لتحقيق الأداء المتميز**، مداخلة مقدمة للمؤتمر العلمي الدولي حول الأداء المتميز للمنظمات و الحكومات، جامعة ورقلة، الجزائر، 2005.
3. كمال منصوري ; سماح صولح: "**تسيير الكفاءات: الاطار المفاهيمي والمجالات الكبرى**". أبحاث اقتصادية، جامعة بسكرة، الجزائر، 2013.

- **المراجع باللغة الأجنبية:**

4. ALALUF Matéo : **L'analyse du travail et son organisation**. Formation emploi, N°76, France, CEREQ, .2001
5. BERTAUX Roger : **Qualification et compétences dans le champ social**, Les Cahiers de l'Actif, N°338, France, 2004.
6. BUSCATTO Marie : **Introduction : quand la qualification fait débat(s)**. Formation emploi : revue française des sciences sociales, N° 96, France, CEREQ, 2006.
7. CAIRE Guy : **«Lectures du taylorisme : distingue trois dimensions du taylorisme».** Revue de l'Economie Sociale, N°3 et 4, France, Paris, 1985.

8. CATANIA Loïc : **« Qualification » et « compétence » au sein de l'espace social : Quelles évolutions de la professionnalité prescrite ?** Ergologia, N° 10, France, l'université Aix-Marseille, décembre 2013.
9. DADOY Mireille : **« La notion de qualification chez Georges Friedmann ».** Sociologie du Travail, Vol 29, No 1, France, Nantes, 2016.
10. DE WITTE Serge : **La compétence professionnelle : enjeu stratégique**, Paris, Centre National de la Propriété Forestière, Tome 01, 1998.
11. DEPREZ Anne : **Compétence, et qualification: mise en perspective et positions d'acteurs**, Belgique, le Ministère de la Région wallonne, 2002.
12. DUBAR Claude: **« La sociologie du travail face à la qualification et à la compétence »,** Sociologie du travail, vol 38, N° 2, France, Elsevier Masson SAS, 1999.
13. GAYE Abdoulaye: **Approche critique du concept de compétence en formation : cas de l'approche par compétences dans la formation professionnelle initiale au Sénégal.** France, Université de Lille 01, 2013.
14. JARDIN Evelyne : **Mutation et organisation du travail,** Paris, éditions Bréal, 2005.
15. Le BOTERF Guy : **De la compétence, Essai sur un attracteur étrange**, Paris, les Editions d'Organisation, 1994.
16. OIRY Ewan : **Qualification et compétence : deux sœurs jumelles ?** Revue Française de Gestion, N° 31, France, Lavoisier, 2005.
17. PEMARTIN Daniel : **Gérer par les compétences ou comment réussir autrement**, Paris, édition Management, 1999.

18. RIEU Christine : **Gestion des compétences**, France, Université de Savoie, 2008.
19. STROOBANTS Marcelle : **Sociologie du travail**, Paris, édition Nathan, 2002.
20. TOURAINE Alain : **Sociologie de l'action**, Paris, les Éditions du Seuil, 1965.
21. ZARIFIAN Philipe : **La logique compétence : un enjeu de société**. Débat organisé par le CIBC de Nîmes. http://philippe.zarifian.pagesperso-orange.fr/page14.htm consulté le 21 janvier 2016 à 14h20.
22. ZARIFIAN Philippe : **De la notion qualification à celle de compétence**, Cahier français, N° 333, Paris, la documentation française, 2006.

مراحل ووسائل صنع واتخاذ القرارات في المنظمات الفعالة

د / الأمين بلقاضي، المركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة

ملخص:

إن الطاقة الحقيقية والقدرة التنافسية في عصرنا الحالي لا تكمن في مدى امتلاك المؤسسة للموارد المادية، أو بمعنى آخر مدى اعتماد المؤسسة على الجانب المادي من رؤوس أموال ومعدات، بقدر ما أصبح الفارق والتميز بين المؤسسات الرائدة، يكمن في الاستغلال الأمثل للموارد اللامادية والاستثمار في البشر والإيمان بأن الطاقة البشرية هي الأكثر تحقيقا للثروة والنماء لصالح المؤسسة، لذا نجد التسيير الحديث للمؤسسات يرتكز على تثمين متغيرات لا تأثر في الحلقة الإنتاجية مباشرة لكن لا يتم العمل إلا بتوفرها، ومن بين هذه العوامل النوعية نجد عملية صنع واتخاذ القرارات في المؤسسة.

هذه القرارات التي من شأنها أن تجمع شمل أعضاء التنظيم وتوحد كل جهودهم وطاقاتهم

من اجل التطبيق الجيد والسليم والكفء لما اتخذ من قرارات، كما يمكن أن تخلق هذه القرارات حالة من الاضطراب بين الموظفين وتشتت أفكارهم وجهودهم وتدفعهم للتكتل فرادى وجماعات من اجل تحقيق أهداف شخصية على حساب المصلحة العامة للتنظيم ككل متكامل، الشيء الذي يعد من بوادر ومؤشرات الصراع التنظيمي داخل المؤسسة، الذي يمكن أن يضعف المؤسسة ويقضي عليها فتصبح غير قادرة على المنافسة والبقاء.

Résumé:

L'entreprise est une structure socialement organisée, son fonctionnement ne dépend pas uniquement des moyens matériels, mais aussi des actions managériales, dont le processus de la prise de décision représente un élément essentiel.

Dans le présent article, nous tentons de revenir sur les mécanismes, les étapes, ainsi que les outils qui facilitent la prise de décision dans l'entreprise.

Abstract: The Company is a socially organized structure, its operation depends not only material resources, but also managerial actions, including the process of decision making is essential.

In this article, we attempt to return on mechanisms, the steps and the tools that facilitate decision making in the company

سنتطرق من خلال هذا الفضاء إلى ستة أفكار بالدراسة والتحليل، أولها مراحل عملية اتخاذ القرار، ثم الوسائل المساعدة على اتخاذ القرار، ويليها مستويات اتخاذ القرار، ورابعا أشكال اتخاذ القرار، والفكرة الخامسة نتطرق إلى الأخطاء الشائعة في اتخاذ القرار، وفي الأخير نقدم بعض الإرشادات من اجل صنع قرارات فعالة .

تعرف عملية اتخاذ القرارات بأنها" الاختيار المدرك بين البدائل المتاحة في موقف معين

أو المفاصلة بين الحلول البديلة لمواجهة مشكل معين، واختيار الحل المناسب من بينها"[1].

وتتخذ القرارات مقابل مشكلات ومسائل مطروحة للدراسة أو الحل وفق تحديد واضح للأولويات مع الأخذ بعين الاعتبار العامل الزمني[2].

كما يجب على القيادة أن تبحث عن المشاركة الحقيقية والبناءة لكل متعاونيها، من اجل الوصول الى الاهداف المشتركة المحددة، أكثر مما تبحث عن الطاعة الخالصة والسهلة[3].

وعليه يعبر اتخاذ القرار على سلطة تنظيمية وهرمية، وهو عملية تهدف الى اتخاذ مجموعة من التدابير والإجراءات أو الحلول، وهذا باختيار أفضل الوسائل أو البدائل مقابل مسائل أو مشكلات أو غايات محددة في الوقت المناسب، وبقدر ما تعتمد هذه العملية على مبدأ المشاركة الفعلية من طرف أعضاء التنظيم المعنيين، بقدر ما يكون القرار عقلانيا وناجحا، ما يساعد في تحقيق الأهداف وعليه تتحقق الفعالية التنظيمية داخل المؤسسة .

أولا : مراحل عملية اتخاذ القرار.

تأتي مرحلة اتخاذ القرارات في ختام مراحل تتطلب جهدا يغطي مساحة واسعة من العملية الإدارية، لأنه يترتب على اتخاذ القرارات عمليات تنفيذية قد تصيب وقد تخطئ، ومع أن الإدارة تكون مطالبة أحيانا بالسرعة في اتخاذ القرارات حتى لا تتفاقم المشكلات وتزداد تعقيدا، إلا أن السرعة لا تجدي نفعا إذا كانت على حساب فهم المشكلة وتحديد جوانبها، والتعرف على البدائل ومعالجتها لاختيار البديل المناسب من بين البدائل المتوفرة، على ضوء عملية تقييم للوسائل المتاحة والظروف القائمة و الموارد المادية والبشرية المتوفرة.

وتستخدم هذه العملية الأسلوب المعياري الذي يصف بعض القواعد والإشارات المتعلقة بكيفية اتخاذ القرارات، ويوجد عدد من المراحل المتعاقبة التي يمكن مراعاتها وتقييمها بالتغذية الرجعية عند كل مرحلة بغية التحليل الشامل للمشكلة واتخاذ القرار بالشكل المناسب، ورغم أن هناك اختلاف في تقسيم هذه المراحل إلا أنها تجتمع في الموضوع، والاختلاف يكمن في أن هناك من يعتبر مرحلة معينة على أنها مرحلتين، هذا من أجل محاولة توضيح هذه العملية بالتطرق إلى معظم العمليات التي تتم من أجل اتخاذ القرارات، وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى : تحديد المشكلة وتعيين الانحراف :

تبدأ عملية اتخاذ القرارات بتحديد المشكلة وتعيين الانحراف، الذي يعني وجود تعارض

بين الهدف المنشود والأمور الفعلية، فكلما زاد هذا الانحراف كبرت المشكلة، لهذا من الواجب تحديد هذا الانحراف على الوجه الصحيح، لأن إيجاد حل لمشكلة خاطئة يؤدي إلى عدم فعالية الحل لأنه حل لا يناسب تلك القضية، وبعد تحديد الفارق الموجود بين ما يجب أن يكون وما هو كائن يتم تحديد مدى الخطر الذي ينجم من هذه الوضعية[4] .

ومن أجل التدقيق أكثر في القضية، يعتمد متخذي القرارات إلى تصنيف هذه المشكلات، إن كانت مشكلة عابرة ناتجة عن حدث معين، أو أنها مقدمة لمشكلة تواجه فعلا المنظمة [5].

لهذا من الواجب كتابة بيان عن المشكلة، بوصف طبيعتها قدر الإمكان وأعراضها ومكان ووقت حدوثها وأسباب وقوعها. هذا البيان يساعد الكثير من صانعي القرارات في حل المشكلات المشابهة، فالصيغة المكتوبة لهذا البيان تجعله نموذجا ممتازا للاتصال بكافة الأعضاء المعنيين. وحينما يدرك الانحراف تكمن الخطوة التالية في تقرير مدى أهمية الحل والحاجة الملحة إليه بطرح العديد من الأسئلة المتعلقة بمدى الحاجة إلى حل المشكلة ومدى التكاليف أو الخسائر المحتملة من عدم حلها وعن التكاليف اللازمة لحلها.

المرحلة الثانية : جمع المعلومات ذات الصلة بالمشكلة:

خاصة منها الأسباب المباشرة وغير المباشرة التي أدت إلى تلك الوضعية، مما يتيح استكشاف الفجوة بين النتائج الفعلية والنتائج المرغوبة، ويتم جمع المعلومات من المصادر المسئولة عن ذلك الانحراف الذي قد يكون من مصادر داخلية أو خارجية أو كلاهما.

تجمع هذه المعلومات بعد تصنيفها وتكتب على شكل تقارير توجه لصانعي القرارات

الذين يصنعون قراراتهم على أساسها، ومن المهم أن تكون هذه المعلومات كافية بالقدر الكاف، لأن نقص المعلومات قد يؤدي إلى قرارات غير مثلى في حين تستنفذ المعلومات الزائدة كل من الوقت والمجهود، بغض النظر عن تكاليف جمعها، لهذا من الضروري أن تكون المعلومات التي تصل إلى متخذ القرار كافية لمعالجة المشكلة وحسب.

المرحلة الثالثة : تشخيص المشكلة وتحليلها :

تخضع المعلومات المجموعة بشأن المشكلة إلى دراسة متأنية، فجودة ودقة المعلومات تقرر جودة القرار ذاته، لهذا من الواجب أن تكون المعلومات دقيقة قدر الإمكان، وبناء على نوع المشكلة المطروحة يمكن تصنيف المعلومات إلى أربعة أصناف للتقييم هي:

1- الحقائق.2- الاستدلال.3- التخمين، 4- الافتراضات.

لذا ينبغي على صانعي القرارات فرز هذه المعلومات على أساس هذه الأصناف، وتقل درجة يقين المعلومات كلما انتقلنا من الحقائق إلى الافتراضات، مع أن من الممكن الاستفادة من التخمينات والافتراضات عندما تكون الحقائق باهظة التكاليف. هذه العملية تقودنا إلى مرحلة أخرى هي :

المرحلة الرابعة : تحديد جذور المشكلة .

والمتمثلة في تحديد جذور المشكلة على وجه الدقة وإظهار العناصر الأكثر أهمية لإدراكها، فتحديد السبب الفعلي للمشكلة أمر معقد، فهو جزء لا يتجزأ من عوامل متغيرة ذات علاقات صعبة الإدراك، لهذا لا يجب الخلط بين أسباب المشكلة وبين الأعراض الواضحة، لأن الأعراض ما هي إلا مؤشرات للأسباب الأساسية، وللعلم أن من المهم مقارنة أي مشكلة قد تحدث في المؤسسة مع أخرى يمكن أن تكون قد حدثت في

الماضي، ومن ثم من الأحسن مقارنة هذه المشكلات وملاحظة القرارات المتخذة لحلها، والتي يمكن أن يعاد اتخاذها من جديد خاصة إذا كانت نفسها، وبالتالي يستفيد الطاقم المشرف على إدارة واتخاذ القرارات من الوقت والجهد وتكاليف تلك المشكلة أكثر من المرة الأولى .

المرحلة الخامسة : تحديد المصادر والتقييدات :

تتم هذه العملية قبل بذل المجهودات لحل المشكلة، بالبحث عن المصادر المتوفرة الممكن استخدامها في التوصل إلى الحل وكذلك التقييدات الفنية والمالية التي تتوفر عليها المؤسسة. ونظرا لإمكانية وجود أكثر من مشكلة في آن واحد فإنه يتحتم إعطاء الأولية للمشكلات الأكثر تأثرا وخطورة على المؤسسة، أما المشكلات بدون تقييدات أو مصادر محدودة فتعد أكثر سهولة في التوصل إلى حل لها.

المرحلة السادسة: إنشاء معايير للحلول الناجحة:

توضع المعايير بصفة عامة بغية مقارنة الحلول البديلة لمشكلة ما قيد الدراسة مع مجموعة معايير معينة متفق عليها. وهذا من شأنه التشجيع على الإبداع والخلق في تصميم طرق الحل المختلفة لاختيار الأفضل منها، وينبغي أن تتفق وظيفة المعايير مع وظيفة الأهداف كي يحقق القرار المبنى على وظيفة المعايير الأهداف المنشودة.

ويمكن التمييز بين نوعين من المعايير، هما كل من الواجب، والرغبة ويتحتم الوفاء بشروط معيار الواجب قبل اعتبار أي بديل آخر، وتكييف معيار الرغبة قدر الإمكان ليتوافق
مع معيار الواجب. وقد يحدث أن تستغني المؤسسة عن المعيار الثاني الذي هو الرغبة دون الواجب .

المرحلة السابعة: استنباط وتطوير الحلول البديلة:

يجب اعتبار كافة الحلول المحتملة حالما يتم تحديد المشكلة، لكن ربما لا يعد أكثر الحلول سهولة ووضوحا الحل الأمثل للمشكلة، ومن ثم يتحتم تحليل كافة الحلول وتشجيع أصحاب القرار على الإبداع، لأن هذا التشجيع من الممكن أن يقود إلى الحل الفريد أو الأمثل للمشكلة المطروحة.

وينبغي أن لا تتقيد الإبداعات بقيود القيم الشخصية أو الإدراك الحسي للمشكلة، بل ينبغي أن يتحلى الأعضاء بالموضوعية بعيدا عن العواطف والمؤثرات

الثقافية التي من الممكن أن تؤثر على نتائج القرارات- وهذه مهمة ليست بالسهلة يطالب بها صانعوا القرارات

- لهذا يفضل استخدام لأحد أساليب صنع القرارات الجماعية - لاسيما أسلوب طرح الأفكار المفاجئة- في حالة قيام مجموعة من الأعضاء بصياغة الحلول البديلة.

وتعد الإبداعية في غاية الأهمية حيث أنها تساهم في استنباط مجموعة من بدائل

الحلول، في حين ينجم نقص عنصر الإبداعية تجنب الحل الأمثل في بعض الأحيان، لهذا فهي ضرورة بصفة خاصة بالنسبة للمشكلات الفردية والمشكلات المتكررة والتي لا تجدي معها الحلول المستخدمة.

فالإبداع هو استنباط لحلول وأفكار جديدة أو استخدام الأفكار القديمة بطريقة جديدة، وحتى تكون القرارات ناجحة من الواجب أن تأخذ العوامل والتغيرات التنظيمية بعين الاعتبار، إضافة إلى ضرورة التفكير في أهداف المنظمة المتوسطة والطويلة المدى، ذلك بتكييف الإستراتيجيات المختارة مع تلك التغيرات التنظيمية .

ومن أجل تحقيق ذلك تعتمد المنظمات بالدرجة الأولى على خبرة متخذي القرارات

وعلى خبرة الخبراء سواء داخل المنظمة أو خارجها، وكذا إعطاء الاعتبار للأفراد المتأثرين اللذين يعدون بمثابة قضاة في إمكانية تطبيق أو عدم تطبيق القرار.

المرحلة الثامنة : تقييم البدائل واختيار الحل البديل المناسب :

تعد هذه الخطوة الجزء الأخطر في عملية صنع القرار، لأن الاختيار الخطأ من الممكن أن يبطل تأثيرات كافة الجهود التي بذلت من قبل، ويتطلب اختيار الحل المناسب اعتبار التأثير المحتمل لكافة البدائل لكي يفي البديل الحل الذي سيقع الاختيار عليه بكافة متطلبات الأهداف، ويزيل في نفس الوقت السبب الجذري للمشكلة .

واقترح البروفيسور إبينج (EBBING) ضرورة تقييم البدائل وفقا للمعايير التالية :

_ يجب أن يكون الحل من الجودة بحيث يفي بالأهداف التنظيمية.

_ ينبغي قبول الأفراد- سواء المنفذين أو الذين سيتأثرون بالقرار- له.

_ ينبغي تقييم الحل وفقا للإجابات المتوقعة.

_ ينبغي أن يركز اختيار الحل على البدائل الراهنة التي قد تؤثر على مستقبل الشركة.

_ ينبغي الأخذ بعين الاعتبار عواقب المخاطرة بتنفيذ الحل البديل.

_ يجب ترتيب الحلول المتعددة في التسلسل الصحيح لها، بمعنى أن تساهم نتائج القرار الأول في تقييم القرار الثاني وهكذا [6].

ومن المهم جدا في هذه المرحلة الأخذ بعين الاعتبار مخرجات القرارات المتخذة، فمعرفة نتائج القرار تعد في غاية الأهمية قبل اتخاذه، وهذه النتائج تكون على شكل تصورات واحتمالات للقرار المتخذ، خاصة عندما يكون أمام متخذ القرار عدد من البدائل، إذ أن في غالب الأحيان يتحكم في اختيار بديل من تلك البدائل على النتائج المتوقعة بعد التنفيذ .

المرحلة التاسعة : تنفيذ القرار.

يعني وضع الحل البديل المختار قيد التنفيذ ومواصلته حتى النهاية، وتبدأ العملية بتعيين المسؤوليات للأفراد الذين سيناط إليهم تنفيذ القرار، مع وجوب الأخذ بعين الاعتبار احتمالية حدوث أي مقاومة للتغيير، ولاسيما إذا كانت تتعارض مع قيم الأفراد، أو مع مبادئ الجماعة، وأهدافها. خاصة إذا كان تنفيذ القرار يتم بواسطة جماعة ما، فمن الواجب دراسة كل هذه العناصر خلال المراحل السابقة لعملية التنفيذ، وإلا كانت النتائج عكسية، في حين قد تكون مشاركة الأفراد أحسن وأسهل وتكون أحسن بكثير إذا ما خصصت لهم بعض المكافأة المادية أو المعنوية في حالة نجاح العملية.

ومن المهم إيصال تفاصيل القرار وإجراءات تنفيذه إلى العمال بعناية ووضوح تام، وبطريقة تحثهم على الإخلاص في العمل، الشيء الذي يساعد على تحسين الأداء، ويلزم على أن يتحلى العاملين بالمنظمة بالقدرة على إيجاد الحلول السريعة للمشكلة التي تطرأ أثناء التنفيذ، اعتمادا على خبراتهم السابقة إضافة إلى هذا، من المهم جدا اتخاذ قرارات بشأن أية مشكلة بعد الانتهاء من اجتماع لحل المشكلة، أو حتى عن اتخاذ القرار بطريقة فردية، لأن عدم اتخاذ قرار لمشكلة ما يعد فشلا، ويكون عائقا بالنسبة للمسؤول المباشر وكل العمال في المنظمة، لاسيما من حيث الوقت المستغرق والمدة التي لا يجب أن يتعداه حل المشكلة، هذا رغم أن عدم اتخاذ قرار هو في حد ذاته اتخاذ قرار[7].

المرحلة العاشرة : مراقبة التغذية الرجعية والإشراف عليها .

توفر التغذية الرجعية أو الإسترجاعية، وسائل تقرير فعالية القرار المنفذ، لهذا تعمل المنظمات على إنشاء آلية لهذا النوع من الاتصال في المنظمة، والتي تكون على شكل تقارير دورية عن سير العمل ونجاح التنفيذ أو عدمه، علاوة على ذلك تصبح هذه الآلية كأداة صيانة وقائية بغية منع وقوع المشكلات، أو للتدخل السريع بوضع التعديلات اللازمة في سير العمل ومعالجة المشكلات.

فهذا النوع من الاتصال هو الذي يمكن المقررين من ملاحظة نتائج العمل الذي أنجزوه، وبدون هذه العملية لا تمكن المسيرون ومتخذي القرارات من مراجعة أدائهم، هذه العملية التي يعتبرها بيتر داكر عملية رقابة إشرافية، بحيث تتيح للمدير الحصول
على المعلومات بنفسه أفضل بكثير من العملية التي تعتمد على إمداده بالتقارير المكتوبة أو المصادر من الدرجة الثانية.

ويمكن القول أن من الطبيعي أن يكون هناك تدفقا وانتقالا من مرحلة إلى أخرى ولكن هذا لا يمنع من أحد أن متخذ القرار قد يعود إلى مرحلة سابقة إذا احتاج الأمر ذلك [8].

كما أن للظروف المحيطة بمتخذ القرار دور هام في اتخاذ قرار دون آخر، فهناك من المواقف التي تجعله يتخذ قرارات قد لا تكون مناسبة في المدى المتوسط، ورغم أنه قد يكون على دراية بذلك إلا أنه يمكن أن يجازف بذلك القرار، حتى يتمكن من تفادي مشكلة
أكبر، أو أن قد يكون نقص المختصين في ذلك الموقف سببا في اتخاذ قرار دون آخر قد يكون أنسب للقضية [9] .

تهدف كل هذه المراحل إلى الرفع من فعالية القرارات، خاصة إذا كانت منسجمة ومترابطة بشكل مناسب، وتنتهي بتنفيذ القرار، هذا الأخير يحدد مدى قدرة المسير وكل من شارك في إعدادها بما فيهم المنفذين، في التسيير وقدرتهم على التحكم في زمام الأمور، وتحقيق الأهداف المختلفة للمنظمة من خلال النتائج التي حققتها تلك القرارات في المدى القريب، خاصة لأن نتائج القرار تظهر مباشرة بعد إحالتها للتنفيذ، فإذا قوبلت بالرفض من طرف المنفذين فإن نتائجها تكون ناقصة، أما إذا قوبلت بالترحيب فإن هذا

يرفع من نتائج القرارات، ومن مكانة المسير وكل الطاقم الذي يشرف عليه، مما يجعل من المسير شخصا ناجحا في عمله، لتزداد هذه الصفة كلما حقق المزيد من الأهداف للمنظمة.

ومما سبق يمكن القول أن عملية اتخاذ القرارات تتطلب المرحلية والتدرج في إنجازها

من أجل الوصول إلى قرارات صائبة ناجحة [10] .

ثانيا : الوسائل المساعدة على اتخاذ القرار.

أكدت العديد من النتائج أن هناك فرق كبير بين الجانب النظري في عملية اتخاذ القرارات الذي خص تقنيات التسيير الحديثة والأنظمة الإعلامية، باعتبارها مساعدة على اتخاذ القرارات وجانب تطبيقها في الميدان، رغم وفرة الإنتاج النظري في هذا الميدان من مجلات علمية متخصصة ودوريات وكتب وتنظيم العديد من الملتقيات والمحاضرات خلال العشرية الأخيرة، في ميدان العمليات وعلوم التسيير إلا أن عملية اتخاذ القرارات تبقى بحاجة إلى دراسات أكثر، بفعل ما يفرضه التحول الذي ازداد في وتيرته في هذا العصر.

وأصبح ما يعرف باليقظة الإستراتيجية، ضرورة تلح على أن يكون متخذ القرارات على قدر كاف من المعلومات والتقنيات، حتى يفرض نفسه كشخص وكممثل لمنظمة بالخصوص، فكثيرا ما يتصور بعض المسؤولين، أو العمال أن متخذ القرارات مزود بكل ما يحتاجه بصفة عامة بشأن القرارات التي يلزم باتخاذها، لكن الواقع كثيرا ما يثبت عكس ذلك، وقد يرجع هذا إما إلى التأخر الملحوظ في الجانب الميداني لدي فئة كبيرة من المسيرين، وإما إلى نقص فعالية عملية الاتصال التنظيمي بصفة عامة.

لهذا السبب طبقت العديد من التقنيات الحديثة في الميدان العسكري، والتي انتشرت في المؤسسات الاقتصادية تتمثل في استعمال برامج تسمى بأبحاث العمليات التي يعرفها شيرشمان Churchman وآخرون، أن أبحاث العمليات هي تطبيق طرق، وتقنيات ووسائل علمية في حل مشاكل ناتجة عن تسيير الأنظمة، بحيث تزود مسيريها بأمثل الحلول .

وعرفها الممثل الرسمي لها أن أبحاث العمليات هي: تطبيق العلم الحديث في حل المشاكل المعقدة، التي تعترض إدارة وتسيير الأنظمة الإنسانية الواسعة والآلات والمواد في الميدان الصناعي، وفي الأعمال، سواء كانت عامة أو عسكرية .

ثالثا : مستويات اتخاذ القرار.

يفرق في إطار المنظور التنظيمي بين ثلاثة مستويات تتخذ فيها القرارات:

المستوى الإستراتيجي :

يختص هذا المستوى بتحديد إستراتيجي التنظيمي، لأجل المتوسط والطويل حيث تهتم بالمشاكل التي يتصورها المسئولين أنها تحدث في المستقبل وبالتالي يتم برمجة سياسات تعمل وفقها المنظمة في المستقبل، مع العلم أن المشاكل التي تتعرض هذا المستوى تتصف بالتعقيد والغموض والتجدد، إضافة إلى أنها غير قابلة للبرمجة وبالتالي تقل فائدة الرجوع إلى المعلومات التقليدية، ومن أجل هذا يستغرق المسيرون وقتا كبيرا من عملهم في أنشطة التخطيط والبحث عن المعلومات غير تفضيلية التي تأتي من خارج المؤسسة في غالب الأحيان[11].

المستوى التكتيكي : يتولى العمليات الروتينية، ويتولى تطبيق القرارات المتخذة على المستوى الإستراتيجي، للمستوى الأولى هي مراقبة التسيير.

المستوى العملي في القاعدة : (Niveau Opérationnel) : تتخذ فيه القرارات بدون صعوبة حيث أن الأمور متحكم فيها، باعتبار أن العمليات تتم بطريقة تكرارية مع حدوث مشاكل روتينية معروفة الحلول التي كثيرا ما تكون مبرمجة وأنها قابلة لذلك، ويحتاج المسؤول في هذا المستوى إلى معلومات مفصلة حول العمليات اليومية لتسهيل عملية تشخيص المشكلات، ومن ثم اتخاذ القرارات المناسبة. وتعرف هذه القرارات بالقرارات التشغيلية يتبعها تنفيذ مهام محددة. وتتخذ مثل هذه القرارات لضمان إجراء التنفيذ بكفاءة وفعالية [12].

رابعا : أشكال اتخاذ القرار.

تأخذ القرارات الإدارية بطبيعتها عدة أشكال، ومن ذلك يرى محمد السعيد عبد الفتاح في كتابه المعنون بالإدارة العامة، فيما معناه أن القرارات تأخذ ثلاثة أشكال أساسية، وكل نوع منها مرتبط بالآخر، ذلك أن نوع القرار مرتبط بالمركز الإداري وكذلك بالصلاحيات التي يستعين بها صنعه القرار وهي كالآتي :

1/ القرارات التنظيمية والقرارات الشخصية:

تتميز القرارات التنظيمية بطابعها الرسمي، إذ أن المدير يتخذ هذه القرارات بدوره كموظف رسمي مسؤول عن التنظيم، كما لا يجب أن يوكل أي شخص آخر، أما القرارات الشخصية فهي التي تتعلق به شخصيا والبعيدة عن التنظيم مثلا عندما يقرر المدير قضاء عطلته داخل أو خارج البلد، أو غيرها من القرارات الشخصية وهذه الأخيرة مهم دراستها إذ أنها تؤثر في التنظيم، ففي بعض الأحيان يخصص المدير فترة للراحة يكون خلالها الموظفين في أمس الحاجة إليه، أما من ناحية التنظيم فالقرارات المعترف بها هي التنظيمية بالدرجة الأولى.

2/ القرارات الأساسية والقرارات الروتينية:

للقرارات الأساسية متطلبات عديدة من أهمها الموارد الضخمة المالية والبشرية، كما أن احتمال الخطأ في هذا النوع من القرارات غير مقبول كونه يؤثر في التنظيم تأثيرا بليغا، كما أنها قرارات استمرارية تكون عادة طويلة الأجل، ومن أمثلة ذلك اختيار نوع المنتوج المصنوع أو القدرة الإنتاجية وغيرها، أما القرارات الروتينية التي تتكرر يوميا ولا تحتاج لتخطيط واستشارة في اتخاذها، كما أنها تعتمد على إجراءات ثابتة والأغلبية من القرارات الإدارية يغلب عليها الطابع الروتيني.

3/ جدولة القرارات وعدم جدولتها :

هذا النوع من القرارات مرتبط بالقرارات الأساسية والروتينية حيث تكون القرارات مجدولة حسب ما إذا كانت متكررة، بحيث يصبح من الممكن استخدام إجراءات محددة حيث لا يمكن النظر إلى كل قرار على أنه حالة فريدة عن غيرها كلما ظهرت الحاجة إليها، أما القرارات غير المجدولة فهي قرارات أساسية تتطلب اتخاذ موقف معين بصددها[13].

خامسا : الأخطاء الشائعة في عملية اتخاذ القرار.

نظرا لأن جودة القرار الصحيح يمكن أن تصنع الفرق بين النجاح والفشل، فإنه من المحتم النظر في جميع العوامل التي تؤثر على القرار خاصة المتعلقة بالقيم وسمات الشخصية والتأثيرات النفسية والبيئية المحيطة .

وقد عين بعض الباحثين بعض العناصر التي تحتاج إلى دراسة والتي تؤثر على عملية اتخاذ القرارات وفعالية القرار نفسه، تحدث هذه العناصر على شكل أخطاء ترتكب بطريقة شائعة منها :

_ **التردد**: وهذا راجع إلى كون مسؤولية اتخاذ القرار مسؤولية جسمية، ومن الممكن أن تجعل هذه المسؤولية بعض الأشخاص يحجمون عن اتخاذ القرار خوفا ورهبة من النتائج المترتبة عليه مما قد ينجم عنه استغراق وقت طويل في اتخاذ القرار، لهذا من الواجب أن يتحلى المديرون بالثقة في الذات وسرعة اتخاذ القرارات.

_ **تأجيل اتخاذ القرار إلى اللحظة الأخيرة**: ينتج عن هذا اتخاذ قرار تحت ضغط ضيق الوقت الذي يقلل من احتمالية التحليل الشامل للمشكلة وعدم مقارنة الحلول البديلة بدقة واختيار الأفضل منها، خاصة وأن هناك من المشكلات التي تتطلب وقتا أطول للحل وبالتالي تتطلب المشكلة وقتا أطول لتحليل المشكلة بطريقة موضوعية ومن ثم اتخاذ القرار الصائب وهذا بعد وضع خطة لاتخاذ القرار ومراعاة التقييدات الزمنية في الحصول على المعلومات التي يبنى عليها القرار.

_ **فشل معرفة السبب الرئيسي للمشكلة** : من الممارسات الشائعة معالجة الأعراض دون المشكلات.

_ **الفشل في تقدير مصداقية المصادر المعلوماتية** : يحدث هذا السبب سهولة التصديق بآراء الآخرين دون النظر في دقة المعلومات بأنفسنا، الشيء الذي يقلل من فعالية ونجاعة القرارات المتخذة.

_ **عدم صحة أو دقة لأسلوب المتبع في تحليل المعلومات** : نظرا لحتمية بناء معظم القرارات ولاسيما القرارات غير المبرمجة على كثير من المعلومات، فمن المحتم أن تكون إجراءات تعيين، وفصل واختيار المعلومات المفيدة صحيحة وصائبة ومن الممكن الاعتماد عليها والثقة فيها.

_ **تنفيذ القرار ومتابعة عملية التنفيذ** : اتخاذ القرار ليس نهاية المطاف، بل هو بداية طريق، فتنفيذ القرار والنتائج المترتبة عليه تعد المقياس الحقيقي لجودة القرار ومن ثم ينبغي تعيين الواجبات للأفراد مع تحديد موعد إنهاء عملية التنفيذ، ووضع معيار عملية التقييم، وكذا إعداد خطط الطوارئ، وحث الأفراد على العمل بجد وحماس لتحقيق الأهداف المنشودة .

سادسا: إرشادات لأجل صنع القرارات الفعالة .

لصنع قرار فعال، يجب إتباع الإرشادات التالية :

_ تأكد من تحديد هدف الجماعة وفهم جميع الأعضاء له بوضوح تام.

_ تأكد من اتصال جميع أعضاء الجماعة مع بعضهم البعض بحرية كاملة، ومن فهم كل عضو منهم للدور المنوط به.

_ تأكد من تمثيل الجماعة للأفراد الذين سينفذون القرارات أو سيتأثرون بها.

_ تأكد من توفر جميع مصادر المعلومات اللازمة والعناصر المساندة الأخرى لأعضاء الجماعة بغية الوصول إلى نتائج فعالة وسريعة.

_ تأكد من تناغم وملائمة تكوين الجماعة، لضمان إحراز أعضائها للمهارات والخبرات الضرورية عند مناقشة وتقييم المشكلة موضوع البحث.

_ تأكد من التزام كل عضو بالقرار الذي ثم اتخاذه، بعد اعتبار كافة وجهات النظر المختلفة، حتى وإن كان لبعض الأعضاء وجهات نظر مختلفة قبل بلوغ القرار.

_ تأكد من عدم سيطرة عضو ما على بقية أعضاء الجماعة، وإن كان رئيس الجماعة نفسه، واحرص على جميع الأعضاء على الإدلاء بآرائهم بحرية كاملة.

_ تأكد من كفاية عدد أعضاء الجماعة مع مراعاة أن عدد أعضاء الجماعة الزائد عن الحد قد ينجم عنه ضياع الوقت، وعدد الأعضاء غير الكاف قد ينجم عنه عدم دراسة المشكلة من كافة جوانبها.

من خلال ما تم عرضه، نرجو أن تكون قد تمكنا من تسليط الضوء بغرض لفت انتباه كل من الباحثين والدارسين في مجال التنظيمات، وكذا المسيرين والقائمين على المؤسسات، من اجل الاهتمام أكثر بمتغير صنع واتخاذ القرارات، التي تعد من مؤشرات الفعالية التنظيمية التي بتوفرها تتحقق وتستمر المؤسسة في نجاحاتها، وبالتالي تكون لها القدرة التنافسية وتتمكن من تحقيق الريادة في سوق شديد المنافسة، ولن يتحقق هذا إلا إذا تغيرت النظرة للعامل من الموظف الخادم المأجور إلى المورد الثمين والشريك في تحقيق الأهداف من خلال إشراكه في صنع واتخاذ القرارات التي تخص العمل .

الهوامش

[1] - العديقي حسن ، **معوقات التطور التنظيمي وأثرها على أداء الأجهزة الأمنية** ، اكادمية نايف العربية للعلوم الأمنية الرياض ، 1982 ، ص 146 .

[2] - Guy le portef , **le chima directeutr des emplois et des ressources humaines ,** Un outil de management stratégique , edition d'organisation paris , 1998 . pp 84- 85.

[3] Michel Dguy , **definition de fonctions-evaluationdes emplois** , les editions D'organisation , paris , 1986 , p 81.

[4]-NATHALIE ESNAULT et CHRISTIAN MAIGE ,**Le Manager Equilibriste**, ed, DUNOD, Paris , 2001.

[5]- CHRISTIAN MAIGE**, La prise de dècision** ,TRAD, MANDANE de RAIGNAC-FRAISSE , ed , Organisation , Paris , 2002 , P 03.

[6] - إيهاب صبيح محمد زريق،(إدارة العمليات واتخاذ القرارات السليمة) ،سلسلة الإدارة **في أسبوع**،العدد03،دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، مصر، 2001، ص 89 .

[7] - إيهاب محمد زريق ، **المرجع السابق** ، ص 89 .

8 - إسماعيل السيد،**نظم المعلومات لاتخاذ القرارات**، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، مصر، د ت، ص215.

[9]- JEAN – LOUIS BOURSNI,**La Dècision rationnelle**, ed, èconomica, Paris,1996,P14.

[10]- محمد محمود حافظ، **القرار الاداري**، دار الفكر العربي، مطبعة جامعة القاهرة، مصر 2000، ص 86 .

[11]- سعيد أوكيل وآخرون، **استقلالية المؤسسات العمومية الاقتصادية، تسيير اتخاذ القرارات في إطار المنظور النظامي**، جامعة الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994 ، ص 127.

[12]- جمال الدين لعويسات، **الإدارة و عملية اتخاذ القرار**، دار هومة، الجزائر، 2003، ص 37 .

[13]- محمد سعيد عبد الفتاح، **الإدارة العامة**، المكتب المصري الإسكندرية، مصر، 1992، ص 232.

المراجع :

1) إسماعيل السيد، **نظم المعلومات لاتخاذ القرارات**، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، مصر، د ت.
2) إيهاب صبيح محمد زريق، (إدارة العمليات واتخاذ القرارات السليمة) ،**سلسلة الإدارة في أسبوع**،العدد03،دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، مصر، 2001.
3) جمال الدين لعويسات، **الإدارة و عملية اتخاذ القرار**، دار هومة، الجزائر، 2003.
4) سعيد أوكيل وآخرون، **استقلالية المؤسسات العمومية الاقتصادية، تسيير اتخاذ القرارات في إطار المنظور النظامي**، جامعة الجزائر ، 1994 .
5) محمد سعيد عبد الفتاح، **الإدارة العامة**، المكتب المصري الإسكندرية، مصر، 1992.
6) احمد محمود حافظ، **القرار الاداري**، دار الفكر، 2000.
7) CHRISTIAN MAIGE, **La prise de décision**, trad. MANDANE de RAIGNAC-FRAISSE, éd. Organisation, Paris, 2002.
8) JEAN –LOUIS BOURSNI, **La décision rationnelle**, éd. èconomica, Paris, 1996.
9) NATHALIE ESNAULT et Christian MAIGE, Le **Manager Equilibriste**, éd. DUNOD, Paris, 2001.

تجارب الدولة الجزائرية في ميدان تشغيل الشباب رؤية تقييمية بمنظور سوسيولوجي

د.شويمات كريم، جامعة البليدة-2- **د. حجال سعود**، جامعة تلمسان

الملخص

كثفت الدولة الجزائرية من مجهوداها في ميدان تشغيل الشباب لغرض التقليص من نسبة البطالة فكانت تجربة جهاز الإدماج المهني اختبارا حقيقا في قدرتها على امتصاص طالبي الشغل بغية الوصول إلى احد أهداف التنمية البشرية المتمثل في إمكانية تحقيق مستوى معيشي كريم انطلاقا من الدخل المتأتي من منصب العمل لكن تحليل سوق العمل في بلادنا يكشف عن نقائص التجارب السالفة الذكر مما يدخل المدمجين مهنيا في خانة الإقصاء الاجتماعي وبدرجات مختلفة كمؤشر على فشل هده السياسات .

Résumé :

L' Etat Algérien a fortement intensifié ses expériences dans l'intention surtout à intégrer les jeunes chômeurs , ce qui a permit du point de vue théorique à réaliser un des objectifs du développement humain qui permet d'obtenir les ressources nécessaires pour un niveau de vie décent, néanmoins le but de tout cela reste la capacité du système d'emploi à réaliser la demande essentielle des jeunes chômeurs a intégrer le monde du travail, en face à ce défi du vécu des jeunes intégrés dans le cadre de l'appareil d'intégration professionnel nous remarquant des cas d'exclusion sociale à différents degrés que nous considérons dans son ensemble comme un échec de cette politique.

Abstract:

The Algerian State has greatly intensified its experiments with the intention, in particular, of integrating unemployed young people, which made it possible from a theoretical point of view to achieve one of the objectives of human development which enables the resources needed for a decent standard of living , nevertheless the aim of all this remains the capacity of the system of employment to realize the essential demand of the young unemployed to integrate the world of work, in face of this challenge of the experience of the young people integrated within the framework of the integration device professional witnessing cases of social exclusion to different degrees that we consider as a whole as a failure of this policy.

المقدمة:

تفترض مجابهة ظاهرة البطالة اعتراف المجتمع بأنها حالة لا إرادية في غالب الأحيان، يتعرض لها الأشخاص القادرون على العمل، الباحثون عنه و الراغبين فيه لهذا الغرض تتمثل إجراءات التعويض والتشغيل بمثابة الصيغ البديلة التي بإمكانها امتصاص أكبر قدر ممكن من طالبي الشغل في سوق العمل الرسمي لهذا سوف نقوم بعرض كرونولوجي لأهم تجارب الجزائر في ميدان تشغيل الشباب ، مبرزين بذلك الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي أحاطت بكل تجربة ثم نقدم تقييما لها.

1-مكاتب اليد العاملة:

جاءت السياسة التنموية المطبقة من طرف الدولة الجزائرية منذ الستينيات كي تشبع أهدافا سياسية تتمثل في الإجابة على مختلف الحاجيات الأساسية الخاصة بالسكان (الشغل، التعليم، الصحة، السكن) أي إشباع الطلب الاجتماعي المتعدد لمجتمع خرج متدهورا من حرب تحريرية طويلة الأمد، فبعد تجربة قصيرة في التسيير الذاتي تم بعد ذلك الإعلان عن التوجه الاشتراكي انطلاقا من سنة 1962، صاحبته الاستثمارات الهائلة الموجهة نحو خلق قاعدة صناعية متينة في السبعينيات، انجر عن ذلك هجرة أعداد هائلة من اليد العاملة الفلاحية نحو القطاع الصناعي ففي خلال المرحلة "ما بين 1967 و1978 م سمحت هذه السياسة بخلق ما يقارب 1.100.000 منصب شغل أي بمعدل 100.000 منصب في السنة" [1]،هذا النهج هو نتاج تدخل الدولة من خلال رفع عدد المشاريع لتشمل عدة ميادين كالصناعة، الخدمات، النقل، التجارة ... إلخ،في خضم هذه الظروف ظهرت تجربة في ميدان التشغيل تتمثل في مكاتب اليد العاملة وهي: "جهاز ذو طابع إداري أسس بمقتضى المرسوم رقم (62 - 99) المؤرخ في 29 نوفمبر 1962م، بينما أعيد تنظيم المهام بمقتضى القرار الوزاري المؤرخ في 1975/09/15 م"[2],يقوم هذا الجهاز بإنجاز المهام الآتية:

* تجميع عروض العمل المقدمة من طرف المستخدمين خاصة في القطاع العمومي، هذا الأخير ولمدة طويلة ظل أهم قطاع منتج لمناصب العمل، من خلال هذه العملية يتم التعرف على نوعية المناصب المطلوبة وكذا الشروط الضرورية الواجب توفرها فيمن يشغلها.

* القيام باستقبال وتسجيل طلبات الشغل من طرف الفئات الاجتماعية التي تبحث عن العمل، لقد لوحظ تغيرا في بنية المجتمع النشيط اقتصاديا، لصالح السكان النشيطين من الحضر في مقابل الانخفاض النسبي في عدد السكان الريفيين النشيطين اقتصاديا نتيجة التوجه نحو الميدان الصناعي خاصة في السبعينيات من القرن الماضي.
* محاولة التوفيق بين عرض الشغل وطلبه من أجل بلوغ مرحلة قصوى في التثبيت، هنا نشير إلى الصعوبة التي واجهتها هذه المكاتب في بداية عملها، جراء انخفاض مستوى تأهيل اليد العاملة غداة الاستقلال بسبب نسبة الأمية المرتفعة التي تعد من مخلفات الاستعمار الفرنسي، إلا أن الاستثمارات الهائلة الموجهة نحو خلق قاعدة صناعية متينة في فترة السبعينيات سمحت بامتصاص أعدادا هائلة من اليد العاملة، نظرا للوفرات المالية الآتية من الريع البترولي، لقد كانت أعداد مناصب العمل تلبي إلى حد كبير حجم الطلب عليها.
* القيام بدور إعلامي وتحسيسي لفائدة طالبي الشغل من خلال تنظيم برامج التشغيل النوعية التي تقررها الدولة، الجماعات المحلية، المؤسسات المعنية والترويج لها عبر اللوائح، الإعلانات الخاصة بالتشغيل، باعتبارها المجال الذي يوفر وعاء أكبر من المترشحين لشغل المناصب المطلوبة.
* تعتبر إحدى الطرق الرسمية المعترف بها داخليا وعالميا في مجال التوظيف.
* محاولة خلق التوازن في سوق العمل فيما يخص حراك اليد العاملة فمن خلال هذه التجربة عرفت الجزائر سياسة فعالة إزاء جلب وتصدير اليد العاملة، حيث تم تصدير طاقات بشرية إلى أوربا وبالمقابل جلبت إليها إطارات وتقنيين.

تقييم التجربة:

- حاولت الدولة من خلال هذه التجربة استقطاب أكبر عدد ممكن من طالبي الشغل من أجل حياة أفضل للمواطن الجزائري الذي له الحق الكامل في مطالبة السلطة السياسية تأمين العيش الكريم له ولعائلته من خلال منصب العمل الذي يتيح له نوعا من الاستقرار الاجتماعي، تم هذا من خلال إعطاء الأولوية في التشغيل لليد العاملة الجزائرية عندما بدأ سوق العمل في الجزائر يتجه نحو فكرة الجزأرة

التدريجية، إلا أن المشكل الذي واجه مكاتب اليد العاملة يتمثل في نقص تأهيل طالبي الشغل وتدني المستوى الثقافي حتى يتلاءم مع متطلبات مناصب العمل المعروضة، ضف إلى ذلك مشكل التكيف مع ظروف العمل الجديدة خاصة في المدينة مع التوجه نحو القطاع الصناعي إذا علمنا أن الأصول الجغرافية لقطاع عريض من طالبي الشغل هي ريفية.

- إذا كانت عملية إحداث مناصب العمل تبقى هدفا أساسيا للاختيار الاشتراكي حتى تمكن تشغيل جميع المواطنين القادرين على العمل، إلا أن التشغيل الكامل لجميع الطاقات والقدرات البشرية المحلية لم يبلغ بعد في هذه التجربة نظرا لأن حراك اليد العاملة في سوق العمل يتميز بغلبة العنصر الذكوري بينما كان دخول العنصر النسوي محتشما للغاية، ففي المخيال الاجتماعي لدى أفراد المجتمع الجزائري آنذاك لم يجعل المرأة تصنف اجتماعيا ضمن فئة البطالين، يبقى تواجدها المجالي في العمل المنزلي نظرا لطابع الاحتجاب الدي يتميز به .

من خلال عرض هذه التجربة نستخلص أنها لم تتوجه إلى فئة الشباب لوحدها وإنما توسعت لتشمل الفئة الاجتماعية القادرة على العمل من مختلف الأعمار، ففي هذه الفترة لم تظهر الفئة الشبابية كفاعل اجتماعي محوري في صلب اهتمامات رجال السياسة و صناع القرار.

2-التعاونيات الشبانية::

سار النظام الاشتراكي إلى أواخر الثمانينيات أين عرفت فيه المؤسسات عجزا كبيرا من الناحية المالية، خاصة بعد انهيار سعر برميل النفط ابتداء من سنة 1986م وانخفاض سعة تمويل المؤسسات من طرف خزينة الدولة، فلجأت إلى إعادة الهيكلة لتحسين المردودية الإنتاجية لها كما حظيت البعض من هذه المؤسسات بالاستقلالية – عدم تدخل الدولة النسبي في نظام تسييرها-.

لوحظ في ميدان التشغيل انخفاض في وتيرة خلق مناصب العمل ففي الفترة ما بين "(1985 و 1987م) تم خلق 265.000 منصب عمل أي بنسبة إنجاز تقارب 37% مقارنة بالفترة ما بين (1980 و 1984م) أين نسبة الإنجازات كانت تقارب 61%"[3]. لقد ارتفعت نسبة البطالة من "15% سنة 1984م إلى 26% سنة 1988م حيث نجد أن 75% من البطالين شباب"[4].

إن الآثار الأولى لليبرالية الاقتصاد الوطني المشار إليها أعلاه أدت إلى واقع اجتماعي ترجم بالأحداث الدامية التي عرفها الشارع الجزائري في 05 أكتوبر 1988م، التي أدت إلى وعي أصحاب القرار السياسي النسبي بالمشاكل الاجتماعية التي يتخبط فيها جيل الشباب الذي أحدث القطيعة مع السلطة السياسية آنذاك،في خضم هذه الأحداث وغيرها برزت في ميدان التشغيل تجربة التعاونيات الشبانية على إثر « مصادقة مجلس الوزراء في 1987/12/23م على أول برنامج وطني لتشغيل الشباب والذي تجسد العمل به ابتداءً من سنة 1988م كإجراء استعجالي على المدى القصير »[5]،في البداية استحوذ الجانب الفلاحي على حصة الأسد من هذا البرنامج باعتباره الميدان المقابل لامتصاص أعدادا هائلة من اليد العاملة وهذا بحجة أن نسبة هامة من بلدياتنا ريفية ذات طابع فلاحي ثم تم توسيع هذه التجربة لتشمل ميادين مختلفة كالتجارة، الصناعات التقليدية والأعمال الحرفية ... إلخ، نفهم من خلال هذا الطرح أن أصل الفكرة مستوحاة من التجربة السوفياتية التي اعتمدت الخطة اللينينية من اجل إصلاح وإعادة تهيئة الأرياف آنذاك وسميت بتجربة الكولخوزات، هذه الأخيرة "تنظيم يسمح باجتذاب الفلاحين الكادحين إلى البناء الاشتراكي عن طريق الإدخال التدريجي للأسس الجماعية في الزراعة، وتعتبر الشكل الأمثل الذي يؤدي بالفلاحين إلى الانتقال من المستثمرة الفردية الصغيرة إلى المستثمرة الاجتماعية الجماعية"[6].

تبقى التعاونيات الشبانية الإطار التنظيمي الذي يسمح للشباب من كلا الجنسين والذين لهم ميل وتفاهم للعمل في إطار الجماعة أن ينظموا أنفسهم في تخصصات حرة في عدة ميادين كالتجارة العامة، الكهرباء، الصباغة، الميكانيك والصيانة ...إلخ، وهذا بمساعدة في إطار قانوني تتكفل بها البلدية في شكل محل وسجل تجاريين بالإضافة إلى تسهيل الإجراءات الإدارية لحصول الشباب على القروض البنكية التي تمكنهم من إنجاز المشاريع الضرورية لاقتناء المواد الأولية والوسائل الضرورية لذلك.

لقد ساعدت هذه التعاونيات الشباب المتخرج من مؤسسات التكوين المهني وكذا أصحاب الشهادات كما تم تشجيع تواجد هذه التجربة في الأحياء السكنية المرتفعة البطالة والعديمة النشاطات حيث تصبح بمثابة مراكز لتقديم الخدمات وتلبية الحاجيات المختلفة للسكان، يكون الشباب المستفيد من هذا التنظيم مستعدا لتحمل كامل مسؤولياته التي تتحول من مسؤولية فردية إلى مسؤولية جماعية وتدفعه لتعلم

بعض المبادئ كروح التعاون، الملكية الجماعية لوسائل وتكلفة الإنتاج الشيء الذي يسمح بالاستعانة بالقدرات الشبانية وجلب اكبر عدد ممكن من العاطلين عن العمل كل هذا في إطار القيم والمبادئ الجمعوية، بالمقابل تستفيد التعاونيات الشبانية الجديدة في إطار التشغيل الذاتي من الإعفاء الكلي لمدة 03 سنوات من الضريبة على الأرباح خاصة في الميدانين: التجاري والصناعي.

تقييم التجربة:

- أثبتت التعاونيات الشبانية أنها تجربة رائدة موجهة إلى فئة الشباب هذا الأخير اعتبر كفاعل اجتماعي موجه للتغيرات الاجتماعية، الاقتصادية ،السياسية التي عرفتها البلاد بعد أحداث 05 أكتوبر 1988م ولهذا نلمس أهمية تكريس هذا الجهاز إلى فئة الشباب دون غيرها أي الوعي النسبي بالمشاكل التي بدأت تظهر في الواقع الاجتماعي، تشكل مصدرا مقلقا خاصة للسلطات المحلية، لكن النتائج لم تكن كما كانت متوقعة من قبل فعدم الرضى والاستياء بدأ يظهران في أوساط الشباب أصحاب المشاريع نتيجة للعراقيل الإدارية المتعددة هذا يعني أن هذه التجربة لم تبنى على تشخيص واقعي وموضوعي لوضعية الشباب آنذاك.
- النقص الفادح في وسائل الإنتاج كما هو الشأن بالنسبة للعتاد الفلاحي وأيضا نقص في المواد الأولية خاصة عندما يتعلق الأمر بالصناعات التقليدية وبعض الأعمال الحرفية مما يضطر الشاب المقاول إلى شرائها من السوق الموازية بأسعار مرتفعة نظرا لندرتها ناهيك عن النوعية التي لم تكن في المستوى المطلوب.
- وجود مشاكل مع البنك فيما يخص تقديم القروض عندما يتعلق الأمر بشراء وسائل الإنتاج والمواد الأولية، ضف إلى ذلك التماطل المسجل فيما يخص الرد على بعض المشاريع نظرا للصعوبة التي يلقاها البنك في استعادة القرض الممنوح خاصة إذا فشل الشاب في مشروعه.
- لكي يتحقق المشروع ويتوج بالنجاح لابد من توفير العنصر البشري القادر على تسيير وخدمة الجهاز الاقتصادي بطريقة عقلانية، نسجل في هذا الصدد الصعوبة التي وجدها بعض الشباب، خاصة المقصيين من طرف النظام التعليمي والمتسربين من

المدارس فيما يخص تدني مستوى التكوين، الذي يعتبر حاجزا في مزاولة نشاطات ذات صبغة إنتاجية.

- هذه التجربة وإن خصصت إلى فئة الشباب إلا أنها لم تتوجه بصفة خاصة إلى البطالين بل امتدت في الواقع لتشمل خريجي التكوين، المعاهد، العمال المشتغلين في وظائف مؤقتة وكذا المسرحين والمسجلين لدى اللجان المحلية للإدماج المهني، نلاحظ في نفس الوقت ضعف المشاركة النسوية التي اقتصر عملها في ظل الاقتصاد العائلي المنزلي لمزاولة بعض النشاطات الحرفية.

3-الوكالة الوطنية للتشغيل::

أهم ما يميز بداية التسعينيات هو الانتقال التدريجي إلى اقتصاد السوق بعدما عرف القطاع العمومي نوعا من التدهور بسبب عجزه عن القيام بدوره الإنتاجي، العجز في ميزانية الدولة بسبب انخفاض الإيرادات وانحطاط العملة الوطنية، الصراعات الاجتماعية التي تزايد حجمها بعد 1988م خاصة بعد تشريع حق الإضراب في دستور 1989م، أما في ميدان التشغيل نسجل الانخفاض المحسوس في مستوى خلق مناصب العمل مما أدى إلى انفجار البطالة حيث مست قطاعاً عريضاً من الشباب خاصة حاملي الشهادات الجامعية، لقد بلغت "نسبة خلق النشاط 19.7% لسنة 1990م في سوق العمل الرسمي"[7]، ضف إلى هذا تطور السوق الموازية، ظهور العمل المؤقت بشكل كبير وبروز القطاع الخاص كمنافس للقطاع العمومي وما يتبع ذلك من عمليات في التسريح العمالي أمام هذا الوضع، قامت الدولة الجزائرية بتسطير جهاز مساعد على امتصاص العاطلين عن العمل يتمثل في الوكالة الوطنية للتشغيل خلفا للتسمية القديمة – الوكالة الوطنية لليد العاملة – هي امتداد لتجربة مكاتب اليد العاملة.

لقد تأسست هذه الوكالة بمقتضى « المرسوم التنفيذي رقم (90. 259) المؤرخ في 08 سبتمبر 1990م المعدل والمتمم للأمر رقم (42 - 71) المؤرخ في 17 يونيو 1971م »[8].تسعى الوكالة إلى التطلع على وضعية السوق الوطنية لليد العاملة وتنظمها بحيث تضع نظاما للمعلومات يساعد على تقدير المعطيات الدقيقة بطريقة منظمة وموثوق فيها عن تقلبات سوق العمل، كما تشجع كل من يقوم بدراسات وتحقيقات لها ارتباط وثيق بمهام الوكالة، من جهتها تقوم بجمع وتحليل الخبرات في ميدان التشغيل، تتولى استقبال عروض الشغل من القطاعين العمومي والخاص، في نفس الوقت تقوم

باستقبال طالبي الشغل، إعلامهم ومن ثم توجيههم كما تسهل الحركة الجغرافية والمهنية لطالبي الشغل، بتنظيم المساعدات النوعية الخاصة بتحركات اليد العاملة، تسعى في نفس الوقت إلى تنظيم برامج التشغيل النوعية التي تقررها الدولة والجماعات المحلية، تتفحص طلبات إدخال اليد العاملة الأجنبية ونذكر هنا على وجه الخصوص، أن الوكالة الوطنية للتشغيل تقوم بإلزام الوكالات المحلية للتشغيل الموجودة على مستوى ولايات الوطن بتسجيل طالبي الشغل على مستواها ومن ثم توجيههم وتنصيبهم في إطار عقود العمل مع المؤسسات العمومية والخاصة الموجودة في ناحيتها تجنبا للحراك الجغرافي الذي قد ينجر عنه ضغطا في طلب الشغل في ناحية جغرافية دون غيرها، هذا ما يسهل لها أيضا في تخفيض التكاليف فيما يخص عملية التشغيل.أصبح الجهاز يتعامل مع الفئات الآتية:

- العمال المسرحون من المؤسسات العمومية والخاصة من سن (19 إلى 60 سنة).
- طالبوا الشغل من مختلف الأعمار ومن كلا الجنسين وباختلاف المستوى التعليمي.
- طالبوا الشغل الشباب من خريجي الجامعات والمعاهد العليا من سن (19 إلى 35 سنة) وهذا في إطار عقود ما قبل التشغيل.

تقييم التجربة:

- لقد حاولت الوكالة الوطنية للتشغيل التقليص من نسبة البطالة نظرا لقيامها بدور الوسيط في عملية التوظيف، إلا أن الواقع الاجتماعي يشهد صورة مغايرة للمعطى النظري أمام ثقل عمليات التسريح العمالي والتدفق الهائل لطالبي الشغل خاصة الشباب منهم باختلاف مستويات التأهيل، لم يعد بإمكان هذا الجهاز امتصاص أكبر قدر ممكن من البطالين، خاصة وأن التوظيف في بعض الأحيان يسري بقوة في شبكة العلاقات الشخصية بدون المرور على الوكالة
- يعتبر هذا الجهاز امتدادا لتجربة مكاتب اليد العاملة فهنا نلاحظ أن الذي تغير هو التسمية بينما المهام والأدوار لم تتغير كثيرا فهي إذا عملية تحصيل حاصل لما أنتج من قبل، في بلد لا يتوفر على نظام عقلاني واضح لتسيير البطالة فكان القصد منه

بعث الطموح في نفوس الشباب البطال، و تضخيم أرقام المستفيدين منه في غالب الأحيان,

- نلاحظ في عملية الإدماج المهني بروز العمل المؤقت بدل العمل الدائم هي حتمية فرضتها آليات التحول نحو اقتصاد السوق لكن بالمقابل فإن هذا النوع من أنماط الشغل، يعتبر باعثا على عدم الاستقرار في سوق العمل الرسمي فأصحاب هذه المناصب هم مرشحون للحركة أكثر من غيرهم لأنهم ينظرون إليه كخطوة أولى في الاندماج المهني، هذا الأخير لم يتم بعد فطالب الشغل البطال يندمج مهنيا مؤقتا ليخرج بصفة بطال ذي خبرة مهنية فيما بعد.
- من بين مهام الوكالة تفحص إدخال طلبات اليد العاملة الأجنبية والمفارقة العجيبة تكمن في أنه في الوقت الذي نحاول فيه التقليص من البطالة داخليا نلجأ إلى اليد العاملة الأجنبية باعتبارها الأحسن والأقدر من الناحية الإنتاجية كما هو الشأن بالنسبة لليد العاملة الصينية في بعض القطاعات (البناء، الأشغال العمومية) حيث لازالت نظرة المسؤولين اتجاه المواطن الجزائري بأنه كسول لا يرغب في العمل و هده النظرة لها ما يبررها من الناحية التاريخية.

4-الشبكة الاجتماعية::

بعد توقيف المسار الانتخابي في جانفي 1992م شهدت الجزائر انفلاتا أمنيا متميزا مس النسيج الاجتماعي الذي أصبح مفككا وهو يمر بحالة أنوميا لم يشهد لها المجتمع الجزائري مثيلا من قبل، ضف إلى ذلك زيادة التضخم، الفقر، الانهيار التدريجي للطبقة الوسطى، انحطاط النظام التربوي، الانخفاض في قيمة الدينار والزيادة في الأسعار الجبرية للمواد الغذائية مع التباطؤ المحسوس في سوق العمل من حيث خلق مناصب العمل، إنها مؤشرات عن انحطاط ظروف الحياة الاجتماعية للمواطن الجزائري، أمام هذا الوضع طبقت الدولة الجزائرية نظاما جديدا في سنة 1992م يتمثل في الشبكة الاجتماعية حيث حاولت من خلال هذا الجهاز أن تقدم مساعدات نقدية لفئات اجتماعية محددة كأصحاب الدخل المنخفض، العاجزون عن العمل ومن لا دخل لهم من القادرين على العمل،"منذ سنة 1994م أدخلت تعديلات هامة على هذا الجهاز حيث قامت الحكومة الجزائرية آنذاك بالتعاون مع البنك الدولي من أجل دعم هذه التجربة، بخلق مشروع تعاوني يهدف إلى خلق عدد معتبر من مناصب العمل

المؤقتة وتطوير الهياكل القاعدية العمومية في إطار الاستعمال المكثف لليد العاملة من أجل المنفعة الاجتماعية والاقتصادية"[8].هذا يعني أن الشبكة الاجتماعية أصبحت تتضمن مايلي

* **منحة التضامن الجزافية:**

"تأسست هذه المنحة بمقتضى القرار الوزاري المشترك رقم 53 المؤرخ في 24 سبتمبر 1996م »[9]، وهي تشمل أرباب الأسر الذين ليس لديهم دخل والبالغين من العمر 60 سنة فأكثر، المعوقين جسديا، كذلك ذهنيا والذين يعانون من مرض مزمن، النساء ربات البيوت بدون دخل عندما يبلغن من العمر أكثر من 60 سنة.

* **التعويض عن الأنشطة ذات المنفعة العامة:**

هي منحة تقدم للقادرين على العمل بدون دخل وذلك بتشغيلهم في أنشطة محلية مؤقتة وظرفية لخدمة المجتمع تنظمها الجماعات المحلية، متاحة لعضو واحد من نفس العائلة كالمشاركة في تطهير مجاري المياه والفتحات، تجهيز مساحة الألعاب، غرس مختلف الأشجار، صيانة الأملاك الحضرية كالإنارة العمومية، ملاجئ الحافلات، المخادع الهاتفية، الملصقات وصيانة الأماكن... « يقدر المبلغ الشهري بمقتضى القرار الوزاري رقم 53 والمؤرخ في 24 ديسمبر 1996م بـ 2800 دج »[10]. نشير إلى أنه وراء بلوغ أكثر نجاعة في التكفل بالشبكة الاجتماعية ،تم خلق الصندوق الاجتماعي للتنمية ووكالة التنمية الاجتماعية اللذان يتكفلان بالجانب التسييري لهذا الجهاز.

تقييم التجربة:

- جاء هذا البرنامج من الناحية النظرية كي يقلص من نسبة البطالة والفقر ومكافحة التهميش الاجتماعي لكن الواقع الاجتماعي يشير إلى تناقضات في نظام التسيير من جراء الارتفاع المتزايد في التكاليف والصعوبات المتزايدة في الميزانية الخاصة لكل بلدية ،معنى ذلك أننا لو قارنا بين هذه المنح المدفوعة في الصيغتين المذكورتين سلفا بالارتفاع المذهل في أسعار المواد الاستهلاكية لاستنتجنا بأنها غير كافية أمام غلاء المستوى المعيشي. "فهذه التجربة ضعيفة إذا ما أحصينا المستفيدين منها بالمقارنة مع الازدياد السريع للمحتاجين عبر الزمن"[11].
- نلاحظ التحديد غير الدقيق للمستفيدين من هذه التجربة مما أدى مثلا إلى اعتبار تعويض الفئات الاجتماعية المنعدمة الدخل كتعويض بطالة بينما هناك فرق بين

منعدم الدخل الذي لا يبحث عن الشغل ومنعدم الدخل الذي يبحث عن الشغل - البطال – كما يفترض مفهوم منعدم الدخل غياب أي مورد مالي يمكن أن يتأتى من نشاط مهني أو ملكية عقارية، منحة ما، أو إعانة من الوالدين هذا يعني التحديد غير الدقيق لهذا المفهوم فالنشاط المهني مثلا يمكن مزاولته في سوق العمل غير الرسمي، كما أن الإعانة الوالدية لا تنقص من قيمة البطال الباحث عن الشغل هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هذه المنحة لا تحتوي في تصورها على حوافز للبحث عن الشغل.

- إذا نظرنا إلى طبيعة مناصب العمل – مؤقتة وظرفية – في إطار النشاطات ذات المنفعة العامة نستخلص أن التصدي للبطالة يبقى أمرا نسبيا تتقلص عندما يتم توظيف العاطلين عن العمل في الظروف الملائمة، وتنخفض وتيرة خلق مناصب العمل عكس ذلك فهي تعد حلا مؤقتا فقط.

5-الصندوق الوطني للتامين عن البطالة::

لقد أدت عملية الإصلاحات في المدى القصير (فترة التسعينيات) إلى تكلفة اجتماعية لا يمكن تجاهلها من آثار انكماشية في الاقتصاد الوطني، تدني في معدلات الاستهلاك في مقابل تخفيض الدعم على السلع الاستهلاكية، انخفاض في عملية الإنفاق على الخدمات الاجتماعية كالصحة والتعليم إضافة إلى زيادة قيمة الرسومات الضريبية وارتفاع مستوى الأسعار المحلية مما نتج عنه تدهور المستوى المعيشي للفئات ذات الدخل الضعيف، مما زاد الطين بلة ولأسباب اقتصادية لإعادة الهيكلة تم تسريح عدد معتبر من العاملين، نجم عن هذا ارتفاعا مذهلا في نسبة البطالة، حيث بلغت " لسنة «1994م ما يقارب 24.36% ونسجل بالمقابل وجود 829.000 نشاط مهني في إطار العمل غير الرسمي "[13]، في خضم هذه الظروف تم الإعلان عن ميلاد الصندوق الوطني للتامين عن البطالة بمقتضى "المرسوم التنفيذي رقم 188/94 المؤرخ في 26 محرم 1415 هـ الموافق لـ 06 يوليو 1994م ويوضع تحت وصاية الوزير المكلف بالضمان الاجتماعي"[12].

يهدف هذا الجهاز أساسا إلى حماية العمال من البطالة خاصة أولئك الذين يفقدون مناصب عملهم بصفة لا إرادية لأسباب اقتصادية حيث يقوم صندوق التأمين عن البطالة بدفع تعويض شهري للمستفيدين من نظامه بشروط هي:

* الانخراط في صندوق الضمان الاجتماعي والمقدر بـ 03 سنوات على الأقل.

* أن يكون حائزا على عقد عمل يربطه بالهيئة المستخدمة قبل عملية التسريح.
* أن يظهر اسمه على قائمة الأجراء المعنيين بالتسريح لأسباب اقتصادية.
* أن يكون مسجلا كطالب للشغل لدى المصالح المؤهلة منذ شهرين على الأقل.
* أن لا يكون له مدخول عائد من أي نشاط مهني وغير مستوفٍ لشروط الإحالة على التقاعد القانوني أو المسبق.
* أن يكون منخرطا في اشتراكات نظام التأمين عن البطالة.
* أن يكون قاطنا بالجزائر (غير أجنبي).

تتم عملية التسجيل بالتنسيق مع الوكالة المحلية للتشغيل لقبول المسَرح في التأمين عن البطالة، كما تقدم له شهادة عدم عمل تمكنه من تحصيل التعويض عن البطالة، يقدم الجهاز بالمساعدة على البحث عن الشغل وإعادة الإدماج في الحياة المهنية بتقديم المساعدة على العمل الحر وهي مهمة جديدة أسندت إليه بمقتضى "المرسوم التنفيذي رقم 04 المؤرخ في 03 جانفي 2004م والذي يتمم المرسوم التنفيذي رقم 188-94 المؤرخ في 06 جويلية 1994م والذي يترجم إمكانية المشاركة في تمويل خلق النشاطات السلعية والخدماتية من طرف البطالين أصحاب المشاريع (من 35 سنة إلى 50 سنة) على أن يكونوا مسجلين في وكالة التشغيل لأكثر من 06 أشهر"[13].

يعد هذا الجهاز أحد مصادر الأموال التي تساهم في صندوق ضمان للأخطار الناجمة عن القرض المصغر أي يعتبر بمثابة بنك حقيقي موجه لصالح أصحاب المشاريع، معنى ذلك أن الصندوق الوطني للتأمين عن البطالة أصبح يساعد الباحث عن الشغل في مسعاه لإعادة الإدماج المهني في سوق العمل بصورة مستقلة عبر هياكله وهي طريقة للدعم تسمح بالعودة إلى الشغل مرة ثانية،أما فيما يتعلق بالحماية الاجتماعية التي يوفرها فهي متعددة تشمل « المنح العائلية، تأمين الأمومة، اعتماد مدة التكفل لدى الصندوق في نظام التقاعد، الخدمات الاجتماعية للمؤسسة التي كان يعمل فيها قبل التسريح، رأسمال الوفاة بالنسبة لذوي الحقوق، القبول في نظام التقاعد المسبق، التعويض عن الأجر الوحيد إذا كان الزوج بدون عمل وكان مبلغ التعويض أقل أو يساوي 7.000.00 دج »[14].

يبدو من خلال كل هذا أن هذه التجربة تكيفت نسبيا مع الواقع الاجتماعي والاقتصادي الذي تميز بثقل عمليات التسريح العمالي، بالتالي فهو موجه لفئة الأجراء، الذين فقدوا مناصب عملهم بالدرجة الأولى من أجل الحفاظ على مستوى من العيش الكريم مهما كانت نوعية وطبيعة تعاقدهم أو علاقتهم المهنية قبل فقدان مناصب عملهم ثم انتقلت مهامه إلى مساعدة الفئة (35 – 50 سنة) في إنجاز مشاريع استثمارية ذاتية.

تقييم التجربة:

- يقوم الصندوق الوطني للتأمين عن البطالة بدور مزدوج فهو من جهة يساهم في إعادة الإدماج المهني للعمال المسرحين لأسباب اقتصادية ومن جهة أخرى يساهم في الإدماج المهني للفئة (35–50 سنة) عن طريق المساعدة في خلق مشاريع استثمارية، لكنه لا يتوسع في عملية التغطية الخاصة بالفئة الشبانية لأقل من 35 سنة والذين لم يسبق لهم أن اشتغلوا من قبل أي طالبي الشغل لأول مرة،كأولئك المتخرجين من مراكز التكوين المهني، المعاهد العليا، الجامعات وغيرها من مؤسسات التكوين ، الذين وصلوا إلى السن القانوني للعمل ويبحثون عنه.
- نلمس في الواقع الاجتماعي عدم تحمس الشباب في التقدم إلى مصالح هذا الجهاز للاطلاع على الفرص التي يمنحها للتكفل بالبطالين في تجسيد مشاريع استثمارية رغم الامتيازات التي يقدمها وهذا راجع إلى بعض الشروط البيروقراطية فمن جهة هو يلزم كل شاب بالتسجيل لدى الوكالة الوطنية للتشغيل، بصفة طالب عمل لمدة لا تقل عن 06 أشهر وعدم ممارسة أي نشاط للحساب الخاص منذ سنة على الأقل وهنا تكمن الغرابة بحيث لا يمكن لأي شاب أن ينتظر حتى يبلغ من العمر 35 سنة ليبدأ في البحث عن عمل، وعدم الاستفادة من إجراء تدعيمي آخر وينتظر مرور أكثر من 06 أشهر عن التسجيل حتى يستفيد من مزايا هذا الجهاز.

  نلمس الصعوبة التي يتلقاها الشاب البطال في تمويل مشروعه الاستثماري، في بعض الأحيان نلاحظ ترددا في قبوله رغم توفر الضمانات ومن جهة أخرى يعد شرط المساهمة الشخصية عائقا أساسيا للشاب الذي يعجز عن إثبات قدرته على تمويل مشروعه نظرا لتواجده في حالة بطالة وانعدام أي نشاط مهني بإمكانه أن يكون مصدرا في هذه العملية.

6-تجربة المؤسسات المصغرة::

إن التراجع التدريجي للدولة كمستخدم كبير والإصلاحات الموصى بها لرفع مستوى المنافسة الدولية في إطار الانخراط التدريجي ضمن الاقتصاد العالمي، أدى إلى إدخال أكثر مرونة في قوانين العمل، بنزع طابع الدوام للشغل كظاهرة تكاد تصبح عامة بالإضافة إلى تقليص عرض الشغل نظرا للنمو البطيء للاقتصاد الوطني وتأخر حضور المستثمرين الأجانب إلى الجزائر بفعل تردي الأوضاع الأمنية بالإضافة إلى إحراق العديد من المؤسسات كما انجر عن هذا فقدان القيم الاجتماعية التي كانت تتمثل في المساواة والعدالة لصالح تزايد الفروقات الاجتماعية وتكريس الطبقية لترتفع بذلك نسبة البطالة إلى « 27.98% سنة 1996م»[15]. وهي السنة التي شهدت فيها ميلاد الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب التي انبثقت عنها تجربة المؤسسات المصغرة، يمكن فهم هذه الأخيرة عندما تقارنها بالمؤسسة الكبيرة من حيث: « محدودية الانتشار الجغرافي وضآلة حجم رأس المال الأساسي والمستوى المتواضع من التقنيات والكفاءات البشرية، هيكل تنظيمي بسيط، نظام معلوماتي غير معقد واعتماد الخبرة والتقدير الشخصيين »[16].

نذكر هنا أنه من بين الشروط الواجب اتباعها من أجل خلق المؤسسة المصغرة ما يلي:

- "يمكن أن تنشأ المؤسسة من طرف الشاب بمفرده أو مجموعة من الشباب أصحاب المشاريع على أن لا يكون صاحب المشروع يزاول عملا مأجورا عند تقديم الملف إلى الوكالة الوطنية – المحلية – لدعم تشغيل الشباب.
- يجب أن تنشأ المؤسسة المصغرة على شكل شركة على أن يساهم صاحب المشروع بأموال خاصة في عملية الاستثمار ونسبة أخرى تقدم من طرف البنك كما تهدف الوكالة إلى دعم ومتابعة الشباب أصحاب المشاريع والسهر على التنسيق بين البنك ومختلف المؤسسات المالية من أجل ضمان متابعة الاستثمارات المنجزة من طرف الشباب المتعاونين.

إن أول ما يقوم به الشاب البطال هو إيداع طلب منح الإعانات وتقديم الملف كاملا إلى الوكالة الذي يتكون من شق إداري (الحالة المدنية، التأهيل والإقامة) ومن شق مالي يشمل الفاتورات الشكلية، بعد الموافقة على الملف تسلم لدى المستثمر شهادة التأهيل

التي تسمح له بالتوجه إلى إحدى البنوك الوطنية التي يختارها قصد الحصول على القرض البنكي بعد قيام هذا الأخير بدراسة الملف والمشروع يطلب بعض الضمانات من أهمها: التأمين متعدد الأخطار، الرهن الجاري لبعض المعدات، رهن ملك من أملاك المستثمر، اشتراك المؤسسة في صندوق ضمان القرض وبعد تقديم الموافقة البنكية يتم وضع القانون الأساسي للمؤسسة المصغرة ثم تسجيلها في السجل التجاري لتباشر عملها فيما بعد.

تستفيد المؤسسة المصغرة من بعض الإعانات والتسهيلات الجبائية، تختلف عن مرحلة إنجاز المشروع ومرحلة استغلاله كتخفيض في نسب الفائدة بالنسبة للقرض الممنوح، الإعفاء الكلي من الضريبة على أرباح الشركات في مرحلة تنفيذ المشروع، الإعفاء من الرسم العقاري على البنايات والرسم على النشاط المهني،حاول هذا الجهاز إدماج الشباب البطال في عالم الشغل بتشجيع روح الاستثمار وذلك بالاعتماد على النفس في خلق النشاط بدل الاعتماد على الدولة حيث" تم في سنة 2004م إنشاء 6677 مؤسسة مصغرة وكان ينتظر منها خلق 1898 منصب شغل، أي 36.2% مخصصة للخدمات و21.6% مخصصة للصناعات التقليدية و15.6% للفلاحة "[17].

تقييم التجربة:

تعتبر المؤسسات المصغرة جهازا امتداديا لتجربة التعاونيات الشبانية، عملت على الإدماج المهني للشباب البطال في الحياة الاقتصادية والاجتماعية لكنها لم تخل من بعض العراقيل والنقائص في الواقع الاجتماعي منها:

* غياب الروح المقاولاتية لدى الشباب أصحاب المشاريع نظرا لعدة عوامل سوسيوثقافية تقف وراء دلك بدا بتدخل العائلة في تحديد نوعية النشاط و تسييره , ضعف مستوى الوعي والابداع ,تراجع في فعل المخاطرة التي تتطلبه المشروع , الجري وراء الربح المادي على حساب القيم الاخلاقية , خلق مناصب شغل في الإطار العائلي و العشائري الضيق .
* عراقيل ذات طابع مالي تتمثل في مشاكل الاستفادة من القرض البنكي، مشكلة تسديد الديون خاصة في حالة فشل الشاب في مشروعه الاستثماري وهو ما جعل الوكالة تتوسط لدى البنك من أجل تمديد آجال الدفع بالإضافة إلى الضمان

المادي الذي أصبح يطلبه البنك من أجل تقديم القرض كالرهن على الأملاك الشخصية لصاحب المشروع .

* فتحت هده التجربة أفاقا بارزة لظهور المرأة المقاولة وهي مؤشر على الحداثة من الناحية الشكلية فقط فالاحساس بالدونية وهيمنة الأب , الأخ و حتى الزوج لازالت قوية و إن كانت هي صاحبة القرار فان التساؤل يقودنا للبحث عن أصل القرار و مصدره..

7-عقود ما قبل التشغيل::

أهم ما يميز سنتي 1997م و1998م هو النمو البطيء للاقتصاد الوطني والارتفاع المحسوس في نسبة السكان النشيطين، بالإضافة إلى التدهور الأمني وتنامي ظاهرة الهجرة السرية خارج الوطن بالنسبة لفئة الشباب على وجه الخصوص حاملي الشهادات الجامعية، هذا ما جعل نسبة البطالة ترتفع إلى "26.41% سنة 1997م، زيادة على هذا نسجل توسعا فيما يخص الفضاء غير الرسمي كوسيلة للاحتجاج على الوضع الراهن وجواباً على التهميش الاجتماعي، كما نسجل بروز ظواهر اجتماعية أخرى ملفتة للانتباه كالانتحار، البغاء، العنف، المخدرات، ... إلخ ولغرض امتصاص غليان الفئة الشبانية عمدت الدولة على استحداث تجربة فريدة من نوعها في مجال التشغيل ألا وهي عقود ما قبل التشغيل وهو « جهاز بدأ العمل به منذ 1998م يخص الشباب المتخرج من الجامعات والتقنيين السامين العاطلين عن العمل»[18]، تندرج هذه التجربة ضمن الوكالة الوطنية للتشغيل بالتنسيق مع وكالة التنمية الاجتماعية ومندوبية تشغيل الشباب.فبعد تسليم الشاب البطال ملفه الإداري لدى الوكالة المحلية للتشغيل التابعة لمقر إقامته مرفوقا بالشهادة الواجب توفرها في الملف، يتم بعد ذلك إيداع نسخة منها لدى مندوبية الشباب التي تتكفل باستدعاء المسجلين لديها وفقا للاختصاصات المطلوبة في المؤسسة المشغلة وبعد الموافقة يتم إمضاء محضر التنصيب من اجل تسوية الأمور المالية والإدارية للشباب العاطل عن العمل.

نذكر هنا أنه من بين شروط التسجيل في إطار عقود ما قبل التشغيل نجد:

* أن يكون الشاب من جنسية جزائرية.
* أن تتراوح فترة السن ما بين (19 و35 سنة).

* أن يكون الذكور معفيين من التزامات الخدمة الوطنية.
* أن يكون طالب الشغل لأول مرة مسجل في الوكالة المحلية للتشغيل.

لقد حددت مدة العقد بسنة واحدة ويمكن تمديدها بصفة استثنائية لمدة 06 أشهر مرة واحدة يتم هذا التمديد بطلب من المستخدم الذي بإمكانه تحويل نوعية الشغل من مؤقت إلى دائم حسب الحاجة إليه، في خلال فترة العقد تتكفل الدولة بالرواتب الشهرية.

لقد عرف هذا البرنامج إعادة تثمين الأجور في سنة 2005م حيث انتقلت من "6000 دج إلى 8000 دج بالنسبة للمتخرجين الجامعيين ومن 4500 دج إلى 6000 دج بالنسبة للتقنيين السامين»[19]، بالإضافة إلى حصة إسهام المستخدم للضمان الاجتماعي المترتبة عن العقد وتتم عملية الإدماج المهني لدى الشباب في إطار هذا الجهاز لدى الهيئات المستخدمة العمومية والخاصة بما في ذلك التابعة للمؤسسات والإدارات العمومية كما تتكفل الدولة بالكلفة الأجرية الشهرية للشاب، من جهة أخرى يلزم المستخدم باحترام تخصص الشاب وفقا لما هو منصوص عليه في الشهادة ويتوجب عليه منح منصب يتوافق مع مؤهلات المترشح، يمكن بعد انتهاء فترة العقد القيام بالإدماج الدائم (عقود لفترة غير محددة أو لفترة سنة واحدة) كما يلزم العقد الطرف الثاني (الشاب العاطل) باحترام النظام الداخلي للمؤسسة أو الهيئة المستخدمة، الالتزام بالانضباط والالتحاق بمنصب العمل، كما يتم فسخ العقد بين الطرفين في حال الإخلال به وفقا لما ينص عليه القانون، أما عن تمويل هذا البرنامج فهو مخصص للصندوق الوطني لدعم تشغيل الشباب.

تقييم التجربة:

- حاولت تجربة عقود ما قبل التشغيل المنظوية حاليا تحت وكالة التنمية الاجتماعية امتصاص أكبر عدد ممكن من طالبي الشغل من حملة الشهادات الجامعية وحاملي الشهادات من مختلف مراكز التكوين الأخرى وتعتبر أولى التجارب التي أعطت أهمية نسبية لميدان التكوين لكن نلاحظ في الواقع غياب الحوكمة بين الجامعة والمحيط الاقتصادي وتناقض الخطاب بينهما في المسائل المتعلقة بالكفاءات المتخرجة من حيث قدرتها على الانجاز الفعلي و المساهمة الفعلية في عملية التنمية فتقزم دور

هده التجربة و أصبحت محصورة في الحصول على الخبرة المهنية التي أضحت من بين الشروط التي يطلبها عارضوا الشغل من مختلف المؤسسات أثناء التوظيف.

- واجه هذا الجهاز صعوبات في الواقع الاجتماعي، منها مسألة التوفيق بين متطلبات منصب العمل ومؤهلات المترشح لشغل الوظيفة ففي بعض الأحيان تتم عملية التثبيت لحامل الشهادة في منصب عمل لا يتوافق مع نمط تكوينه، مما ينعكس سلبا على الأداء الوظيفي الراجع عن تدني الراتب الشهري الذي يتحصل عليه الشاب بعد توظيفه.
- أثبتت هده التجربة فشل الدولة في بعث سياسة استثمارية ناجحة و بينت نقص الإرادة السياسية في التكفل بانشغالات الفئة الشبابية فلا يمكن ان نواجه البطالة بحلول اجتماعية فقط.

8-القرض المصغر::

أهم ما يميز سنة 1999م هو أن السلطة السياسية في الجزائر اقتنعت بضرورة إيجاد حلول بديلة للوضع الأمني للمتدهور بعدما فشلت سياسة الكل أمني السابقة كأولى الأولويات قصد الانطلاقة الفعلية في التنمية الاقتصادية بجلب المستثمرين الأجانب وخلق مناصب شغل تساهم في التقليص من نسبة البطالة التي تعد أحد مصادر التوتر، العنف والسلوكات الانحرافية كما نسجل أيضا فقدان بعض القيم الاجتماعية للأسرة الجزائرية منها: قيم التضامن بالإضافة إلى الدخول القوي للنساء في سوق العمل، تشغيل الأطفال القصر، تنامي ظاهرة التسول والفقر ... إلخ في ظل هذه الظروف وغيرها وإضافة إلى برامج التشغيل نسجل ميلاد تجربة القرض المصغر كتشجيع على استحداث الشغل الذاتي والابتعاد التدريجي عن مساهمة الدولة في خلق مناصب العمل لوحدها لهذا فإن "الوكالة الوطنية لتسيير القرض المصغر جهاز جديد يسمح بمتابعة هذه التجربة التي تشمل كل الأشخاص ذوي سن 18 سنة فما فوق بدون دخل أولهم مدخول غير مستقر وغير منتظم وهو يخص أيضا النساء في المنزل، الحرفيين، المؤمنين لدى الشبكة الاجتماعية والشباب بدون عمل (البطالين)"[20].

انطلق هذا البرنامج في شهر جويلية 1999م، موجه إلى الفئات السالفة الذكر على هذا الأساس فإنه يشمل كل الراغبين في خلق مناصب عمل ذاتية بأنفسهم او في العمل بالبيت أو في بعث وتطوير نشاط منتج لسلع أو خدمات فإن: "القرض المصغر

يسمح بالحصول على سلفة بنكية صغيرة تتراوح ما بين 50.000 دج إلى 350.000 دج يتم تسديدها على مدى 12 شهرا إلى 60 شهرا ،من سنة إلى 05 سنوات،اقتناء عتاد صغير أو مواد أولية لممارسة نشاط أو حرفة محدودة"[21].

يبقى الهدف من وراء هذا الجهاز تسهيل تطوير الحرف الصغيرة ، محو الفقر والظروف الهشة المتعلقة بالمستوى المعيشي للمواطن بصفة عامة والشاب بصفة خاصة. لغرض الحصول على الاستفادة من القرض المصغر يجب أن تتوفر في المعني بالأمر الشروط القانونية الآتية:

- بلوغ سن 18 سنة فما فوق كحد أدنى للعمل.
- التمتع بكفاءات تتوافق مع طبيعة المشروع المراد إنجازه.
- إثبات مقر الإقامة – التوفر على مكان سكني خاص.
- القدرة على دفع مساهمة شخصية تقدر بـ 10% من مبلغ كلفة المشروع كجزء من عملية التمويل الذاتي.
- عدم الجمع بين الاستفادة من هذا الجهاز والاستفادة من أجهزة أخرى.
- تقديم طلب قرض للحصول على عتاد جديد مدعم بملف.
- الالتزام بسديد مبلغ السلفة والفوائد للبنك مع أن هذه الأخيرة (نسبة الفوائد) تكون منخفضة ومضمونة من طرف الدولة.

أما عن تسيير هذا الجهاز فهو يستدعي مشاركة كل من المقترض وهو الشخص الذي يستوفي شروط الاستفادة السابقة، زيادة على المساهمة في تكاليف تسيير الملف من طرف وكالة التنمية الاجتماعية ومندوب تشغيل الشباب الذي يتكفل باستقبال الشباب الراغب في الاستفادة وذلك لغرض مساعدتهم، توجيههم وإعطائهم النصائح الضرورية، إضافة إلى البنك الذي يقوم بدوره بتسليم القرض للشباب المستفيد، توجيه الجداول المتعلقة بالاقتطاعات وكذا التسديدات الخاصة بالقرض إلى مندوب تشغيل الشباب ووكالة التنمية الاجتماعية وصندوق الضمان الاجتماعي، هذا بالإضافة إلى صندوق الضمان للأخطار الناجمة عن عدم تسديد القرض المصغر الممول من طرف الخزينة العمومية

تقييم التجربة:

بالرغم من العناية الرسمية التي أولتها وزارة التشغيل والتضامن الوطني للقرض المصغر والدعم الذي يحضى به في توجه الدولة الجزائرية إلى تشجيع المبادرات الشخصية الرامية إلى تعزيز الشغل الذاتي إلا أن هذه التجربة الفتية واجهتها عدة صعوبات تقف عائقا في تطورها، منها:

- يتضح من خلال الشروط القانونية السالفة الذكر صعوبة إيجاد المكان المناسب والملائم للقيام بالنشاط الاستثماري إما بسبب ارتفاع أسعار الأراضي الخاصة بالسكن أو عدم ملاءمتها أو غلاء الكراء في بعض المناطق، مما يساهم في عرقلة النشاط المهني خاصة بالنسبة للشباب البطال الذي يبحث عن الاستقلالية في أخذ المبادرة إلا أن عددا معتبرا منهم لازال يسكن مع الوالدين في ظروف صعبة للغاية.
- ضعف دراسات السوق أو غيابها في بعض الأحيان عن نوع النشاط المهني المناسب المطلوب في منطقة سكنية معينة، يترك صاحب المشروع يبادر شخصيا مما ينعكس سلبا على تجسيد فرص الاستثمار خاصة في ظل المنافسة.
- يوجد عدد معتبر من النشاطات ذات الطابع الحرفي أو التي تتعلق بالصناعات التقليدية متمركزة في البيوت في إطار الاقتصاد المنزلي وهي لم تخرج بعد من هذا الفضاء لتتحول إلى مشاريع استثمارية في إطار القرض المصغر نظرا لوجود بعض العادات والتقاليد التي لا تسمح للعنصر النسوي بالحراك خارج المنزل في بعض المناطق خاصة النائية منها.
- نسجل في هذه التجربة مشكل القدرة على دفع المساهمة الشخصية في المشروع بالنسبة للشباب البطال وكأن هذا الجهاز موجه إلى أصحاب رؤوس الأموال، ناهيك عن تماطل البنك في تسديد القرض وتخوفه من عدم الالتزام برد السلفة المالية من طرف صاحب المشروع.

9-جهاز المساعدة على الإدماج المهني:

أهم ما يميز الألفية الثالثة هو التحسن النسبي في الوضع الأمني، عودة الاستثمارات الأجنبية بالرغم من العراقيل البيروقراطية التي لازالت تواجهها، ضف إلى هذا تكثيف المجهودات حول المسائل المتعلقة بالتشغيل، الأجور، الخدمات العامة، السكن وهي انشغالات أساسية في مواجهة توتر العديد من الفئات الاجتماعية .

إن الحرمان الذي يعاني منه الشباب يبقى جد مقلق ومشحون بالعديد من الاحتجاجات عبر مناطق مختلفة من الوطن، بالرغم من محاولات السلطات العمومية استدراك التأخر المسجل في العديد من القطاعات ناهيك عن تنامي ظاهرة الهجرة نحو الخارج بشكل ملفت للانتباه، وبالمقابل تعلن الدوائر الرسمية أن « نسبة البطالة تراجعت في سنة 2008 م إلى 11.3% إلا أنها تمس فئة الشباب ونجد تقريبا 4/3 من البطالين هم أقل من 30 سنة ونجد أن 87.8% لا تتجاوز أعمارهم 35سنة»[22].

أمام هذا الوضع المتردي كثفت الدولة الجزائرية مجهوداتها في ميدان التشغيل بخلق جهاز المساعدة على الإدماج المهني وهي تجربة حديثة أعلن عن ولادتها "المرسوم التنفيذي رقم 08 – 127 المؤرخ في 24 ربيع الثاني عام 1429 هـ والموافق لـ 30 أفريل 2008 م "[23]، وهو موجه بالدرجة الأولى للشباب حاملي الشهادات من خريجي الجامعات ومؤسسات التكوين العمومية أو الخاصة المعتمدة.،كما يهدف هذا الجهاز إلى الإدماج الاجتماعي للشباب حاملي الشهادات وتشجيع كافة أشكال النشاط ذات المصلحة المحلية ، محاربة الفقر ، الإقصاء والتهميش الاجتماعي ومن بين شروط التأهيل قصد الاستفادة من هذا الجهاز هو أن يكون طالب الشغل المبتدئ من جنسية جزائرية ، يتراوح سنه ما بين (18 إلى 35 سنة) ، مثبت لوضعيته إزاء الخدمة الوطنية (الذكور)، مع تقدير شهادة تثبت المستوى التعليمي والتأهيلي ومسجل لدى الوكالة المحلية للتشغيل، أما عن أشكال عقود الإدماج فهي كما يلي:

- الفئة الأولى: تخص حاملي الشهادات الخاصة بالتعليم العالي والتقنيين السامين هؤلاء ينصبون في المؤسسات العمومية والخاصة والإدارات العمومية.
- الفئة الثانية: تتمثل في عقد إدماج مهني خاص بالشباب خريجي التعليم الثانوي ومراكز التكوين المهني أو الذين تابعوا تربصا مهنيا، هؤلاء ينصبون في المؤسسات العمومية والخاصة والإدارات العمومية.
- الفئة الثالثة: تشمل عقد تكوين إدماج خاص بالشباب بدون تأهيل، وهؤلاء ينصبون في ورشات الأشغال المختلفة التي تبادر بها الجماعات المحلية والحرفيون.

أما عن مدة عقد الإدماج فهي محدد بسنة واحدة غير قابلة للتجديد في القطاع الاقتصادي وسنة واحدة قابلة للتجديد مرة واحدة بناء على طلب المستخدم في قطاع المؤسسات والإدارات العمومية وسنة واحدة غير قابلة للتجديد بالنسبة للتكوين

لدى الحرفيين "يتقاضى الشاب البطال الحامل لشهادة التعليم العالي أثناء عقد الإدماج مبلغ 12325.50 دج أما بالنسبة للتقنيين السامين فهي تقدر بـ 10129.50 دج وبالنسبة لخريجي التعليم الثانوي فهي تتراوح ما بين: 6139.80 دج أو 8015.85 دج وهي نفس الأجرة التي يتلقاها الشباب خريجي مراكز التكوين أو الذين تابعوا تربصا مهنيا أما الشباب بدون تكوين ولا تأهيل فهم يتقاضون 4000 دج عندما يتابعون تربصا تكوينيا وهذه المبالغ النقدية تدفع شهريا »[24].

تقييم التجربة:

يعتبر هذا الجهاز حديثا نسبيا تابع من الناحية التسييرية للوكالة الوطنية للتشغيل, واجهت هده التجربة بعض العراقيل نذكر منها:

- إذا قمنا بمقارنة هذا الجهاز مع الأجهزة السالفة الذكر لوجدنا انه شبيه بتجربة عقود ما قبل التشغيل مع بعض التعديلات التنظيمية، أي هو عملية تحصيل حاصل لما أنتج من قبل فنحن هنا أمام حلول ترقيعية من اجل ربح الوقت تخميدا للحركات الاحتجاجية التي اتخذت طابع العنف والمواجهات الدموية التي شهدتها العديد من مناطق الوطن ضد الحقرة، اللامبالاة والتميز.
- إذا حللنا مدة عقد الإدماج في الغالب تكون بسنة واحدة غير قابلة للتجديد فالهدف إذا من هذا الجهاز هو الإدماج المهني المؤقت للشباب البطال، ، لهذا نلمس تخوفا وأمال محدودة في انتهاء آجال العقد لأن التوظيف فيما بعد تتدخل فيه متغيرات تمييزية كالمحسوبية ، الجهوية والرشوة في بعض الأحيان، مما يبطل فعالية هذا الجهاز وغيره من الأجهزة التي أعدت لمواجهة ظاهرة البطالة لأنها لم تشرك الشاب كفاعل اجتماعي محوري في العملية التسييرية.

الخاتمة:

تعتبر هذه المساهمة العلمية التي خصصناها للتطرق إلى تجارب الدولة الجزائرية في ميدان التشغيل قصد امتصاص أكبر عدد ممكن من طالبي الشغل ما هي إلا محاولة منا لفحص سياسة التشغيل المبنية على التسيير الاجتماعي للبطالة بعيدا عن متطلبات العقلنة السوسيو اقتصادية ، لأن البطالة لازالت مرتفعة حسب الإحصائيات الأخيرة مما يجعلنا نطرح عدة تساؤلات حول فعالية هذه الأجهزة وقدرتها على تسيير مخاطر البطالة إذا علمنا أن شريحة هامة من الشباب المتعطل لازال يعيش التهميش والإقصاء بسبب غياب إنعاش الشغل وضعف نظام التعويضات وهو ما ينذر بحراك اجتماعي قادم .

الهوامش:

1- Saoudi (A); Djekboub (S) et al: **étude sur l'emploi féminin en Algérie**, institut national du travail, Algérie 2005, P 12.

2- Office national de la main-d'œuvre: Note synthétique de l'O.N.A.M.O, Sd , P 01.

[3]- Saoudi (A) , Djekboub (S) et al: op.cit; P 13.

4- مركز الإعلام والتوثيق الخاص بالمتخبين المحليين: **الإمكانيات البلدية في توفير مناصب الشغل والتكفل بالشباب**، المدية،الجزائر ، د.تا، ص 08.

5- المرجع نفسه، ص 08.

6- سرفي ترايزنيكوف: **اللينينية والمسألة الزراعية الفلاحية**، ت (سليم حداد)، دار التقدم، الاتحاد السوفياتي، 1978، ص 615.

7- O.N.S: **Rétrospective statistique** (1970 - 2002); Alger, 2005. P 58.

8- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية: الجريدة الرسمية، عدد 39، 1990، ص 1224.

9- Ministère du travail de la protection sociale et de la formation professionnelle : recueil de textes d'application du dispositif d'appui au filet social, ENAG; Algérie. 1997. P 43.

10- وزارة العمل والحماية الاجتماعية: وكالة التنمية الاجتماعية – دليل الإجراءات، الجزائر، 1997، ص 17.

11- Musette Saïb (M): « La situation sociale en Algérie » in revue **Monde Arabe (Maghreb – Machreck)**, N°167, France, 2000, P 100.

12- O.N.S: **Rétrospective statistique** (1970 - 2002); op cit. P 53.

13- الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية: مرسوم تنفيذي رقم 188/94 المؤرخ في 26 محرم 1415 هـ الموافق لـ 06 يوليو 1994م، السنة 31، عدد 44، 1994، ص 06.

14- C.N.E.S: **Rapport sur la conjoncture économique et sociale du premier semestre,** Alger, 2004, P 148.

15- الصندوق الوطني للتامين عن البطالة: **نصوص خاصة (الحماية الاجتماعية)**، ماي 1998، الجزائر، ص 05.

16- O.N.S: **Rétrospective statistique** (1970 – 2002): op.cit. P 53.

17- حسين رحيم: " Management des savoirs et stratégies d'innovation dans les PME Algériennes "، مجلة **الاقتصاد والمناجمنت**، عدد 03، جامعة تلمسان، 2004، ص 235.

[1]- المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي: **مشروع تقرير حول الظرف الاقتصادي والاجتماعي للسداسي الثاني من سنة 2004م**، الجزائر، جويلية 2005م، ص 112.

[18]- C.N.E.S: **Rapport national sur le développement humain**, Alger 2006. P 68.

19- المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي: مرجع سابق، ص 112.

[20]- C.N.E.S: **Rapport sur la conjoncture économique et sociale**, op.cit. P 148.

[21]- Ministère du travail de la protection sociale et de la formation professionnelle: Agence de développement sociale, (le micro-credit) 1999, P 1.

[22]-O.N.S: Données statistiques (activité, emploi et chômage), N° 514, 4eme trimestre 2008. P 01.

23- الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية: مرسوم تنفيذي رقم 08.127 المؤرخ في 24 ربيع الثاني عام 1429 م الموافق لـ 30 أفريل 2008 يتعلق بجهاز الإدماج الاجتماعي لشباب حاملي الشهادات، عدد 23، 2008، ص 3.

24- الوكالة وبرامج التشغيل (جهاز المساعدة على الإدماج المهني)، نصوص خاصة، الجزائر، 2008، ص 04.

دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تنظيم وتوحيد جهود الحركة الإصلاحية
تحليل مضمون لعينة من صحيفة البصائر 1935 -1936.

مريم لعماري

الملخص:

إن البحث في الحركة الإصلاحية في الجزائر وخاصة لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يعرف اهتماما كبيرا وواسعا لما شغله من حيّز في مختلف المجالات الفكرية والدينية والتنظيمية، كونها مثّلت فاعلا أساسيا في المجتمع الجزائري، ما أوقفنا على الاهتمام بأسباب ودواعي ظهورها بالوقوف على الظروف التي تشكلت فيها وأسباب ودوافع تبلورها وبروز دورها كعناصر للتغيير الاجتماعي داخل المجتمع، والوقوف على الخلفيات الفكرية والإيديولوجية التي استمدت منها الحركة سياقات ومبررات وجودها وبنائها وتركيبتها واستمرار نشاطها وانتشارها كرد فعل على واقع سياسي واجتماعي وثقافي للمجتمع الجزائري خلال الاستعمار الفرنسي يتيح لنا فهم العديد من الممارسات وتوجهاتها الراهنة. وعلى هذا الأساس فإن قراءة الظروف التاريخية التي تشكلت فيها الحركة الإصلاحية الجزائرية والأسس الفكرية التي انطلقت منها كفيلة بإعطاء فهم واستيعاب لهذه الظاهرة خلال مرحلة تاريخية هامة من تاريخ الحركة الإصلاحية الجزائرية بقيادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

RESUME :

Rôle de l'association des Oulémas Musulmans Algériens dans l'organisation et l'unification des efforts du mouvement réformiste algériens.

La recherche sur le mouvement réformiste en Algérie, notamment l'Association des Oulémas Musulmans Algériens, connaît un grand et large intérêt pour le champ qu'il occupe dans divers domaines, intellectuel, religieux et d'organisation, étant un acteur clé dans la société algérienne, ce qui nous interpelle à prêter attention aux causes et raisons de son apparition.

Se pencher aux circonstances qui ont motivé sa création, et l'émergence de son rôle en tant qu'élément du changement social au sein de la société, outre les motivations intellectuelles et idéologiques qui ont motivé les contextes et raisons d'être, ainsi que son développement, la continuité de son activité et sa propagation comme réaction à un vécu politique, social et culturel de la société algérienne durant le colonialisme français, nous permet de comprendre un grand nombre de pratiques

Abstract:

The role of the Algerian Islamic scientists for enhancing and organizing the Islamic reform movement efforts in Algeria

The Islamic reformer movement in Algeria has a big interest now days because of its remarquable effect that time, on all the intellectual, religious, and regulatory fields. It was one of the most effective representatives or actors in Algeria society during the French colonial time. This later, leads us to try to figure out the reasons behind its appearance and why did it become one of the most important figures for the social changes in Algeria .Besides that, we are obliged to explain the intellectual and ideological back grounds that allow the Algerian Islamic scientists association to exist. We need to say that this was as a reaction to the political, social and cultural facts of the Algerian society during the French colonial years. Undoubtedly, this will help to understand the association's acts and purposes for the present. On the basis above, we can say that the analysis of these historical and intellectual facts, which cause the association's appearance, is quietly enough to understand and get a clear image about this phenomena, especially, during a sensitive historical period of the movement's history under the Algerian Islamic scientists leadership.

et leurs orientations actuelles, et sur cette base, la lecture des circonstances historiques ayant engendré le mouvement de la réforme algérienne et les bases intellectuelles qui l'ont motivé, nous permet de donner une explication et comprendre ce fait au cours d'une période historique algérienne importante de l'histoire du mouvement de la réforme algérienne dirigée par Association des Oulémas Musulmans Algériens.

تمهيد:

لقد عرف المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات الإسلامية حضور فعّال لظاهرة الحركة الإصلاحية وتغلغلها بين مختلف شرائح و عناصر وفئات المجتمع، فبرز تأثيرها واضحا في العديد من جوانبه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية حيث ارتبطت الحركات الإصلاحية الدينية منذ ظهورها بالأزمات والهزات الاجتماعية التي عمدت لتغيير المبادئ والقيم الاجتماعية الأصلية؛ لعب الدّين دورا هاما وأساسيا في المحافظة على نسق النظام الاجتماعي العام، كونه منهج حياة لابد منه في حياة كل فرد وجماعة لما له من علاقات تفاعلية متبادلة بعناصر النظم الاجتماعية الأخرى وارتباطاتها المكوّنة لبنى المجتمع من خلال وظيفته التغييرية باعتباره نسق من الأفكار والاعتقادات التي تؤثر على سلوكيات الأفراد وبين دوره كنظام اجتماعي ليظهر في هيئة جماعية وحركة دينية تسعى للتغيير، برزت هذه الأخيرة كظاهرة اجتماعية وحركة ثقافية تربوية وسياسية، تجسدت مظاهرها في صور عديدة بممارسات فردية واسعة أو جماعية للشعائر الدينية وعودة مكثفة لفئات عريضة من الناس إلى الدّين؛ عرفت الحركة الإصلاحية الإسلامية أول وجود منظم لها في الجزائر متمثل في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي جاءت كرد فعل لتلك المرحلة التاريخية من عمر المجتمع الجزائري الذي كان يتخبط من سيطرة العدوان الاستعماري الفرنسي والذي وصل لمرحلة متقدمة من محاولة بتر الكيان الجزائري عن إطاره الثقافي والحضاري العربي الإسلامي لإلحاقه بالكيان الثقافي الحضاري الفرنسي الغربي بعد ما تمت له عملية إحكام القبضة الإمبريالية السياسية الاقتصادية والإدارية عبر فلسفة استعمارية مارستها سياسة استيطانية مقننة ممنهجة بإستراتيجية تسعى للاحتفاظ بالجزائر كمستوطنة دائمة خلف البحر، ومركزة بأساليب مختلفة ومتنوعة لتفتيت وتفكيك البنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية منذ 1830م، ليمتد التوغل للعبث والمساس بثوابت الأمة الجزائرية وهويتها من لغة ودين وثقافة بالتسلط على مقومات شخصية الشعب الجزائري وفصله عن انتمائه الحضاري وسلخه عن موروثه الثقافي بمختلف الآليات والوسائل والطرق بدءا بسياسة التقتيل الجماعي(الإبادة)، التفقير والتجهيل(التجويع بالمجاعة)والتنصير والفرنسة ثم التجنيس للإدماج فيما بعد؛ إن ظاهرة الإصلاح الديني اتخذت بُعدا كونيا وشملت المجتمعات كلها(كالنصرانية واليهودية)حيث عرفتها كل

الحضارات بمختلف أصولها الثقافية وجذورها التاريخية كما تباينت في مستوى انتشارها ونموّها حتى في المجتمع الواحد كونها تدعوا للعودة لحضيرة الدّين الصحيح بعد تنقيته مما أضيف إليه أو حرّف منه عبر إرجاعه لأصله الأول؛ تمثلت جهود الحركة الإصلاحية الإسلامية عامة وجهود جمعية العلماء المسلمين خاصة بمقاومة ثقافية ورد فعل حضاري وثقافي منظم ومدروس اتجاه المشروع الاستعماري الاستيطاني حاولت من خلاله استيعاب الواقع بكل أزماته وآلامه ومكوناته التي طالها التحطيم في أغلب بناها الأساسية، ما خلّف توترا عاما وعدم توازن في مؤسساتها الحيوية لأداء أدوارها و وظائفها حتى تحقق أهدافها بالسير قدما في ركب الأمم، فاستطاعت الجمعية استيعاب أغلب جوانب الضرر والإصابة وإدراك الخلل في المجتمع الواقع تحت ليل الاستعمار، بحثت في جذور الأزمة والأسباب العميقة التي تكمن وراء هذا الخلل التي لا ينفع معها معالجة الآثار الناجمة عن الآلة الإستدمارية رغم أهميتها، بل يكمن العمل الأهم بإصلاح هذه الأمة بما صلح به أولها، فحققت بذلك نقلة ثقافية نوعية فتحت الآفاق لانطلاق دعاة الإصلاح من داخل المجتمع للتأكيد على الهوية الجزائرية في شعارها" **الإسلام ديني والعربية لغتي والجزائر وطني**"بقيادة نخبة من العلماء على رأسهم **الشيخ عبد الحميد بن باديس**، فتنظمت وتوحّدت جهود الفاعلين في الساحة الجزائرية لمسيرة النضال المشترك بمختلف تيارات الحركة الوطنية الموروثة عن المقاومة الثقافية والسياسية التي تجسدت عام1954م في جبهة التحرير الوطني تحت لواء تحرير الجزائر.

تحتل مرحلة الإصلاح الديني والتربوي الثقافي والاجتماعي في تاريخ الجزائر أهمية كبرى وهو من بين المواضيع الهامة ، وإن كانت الأدبيات والدراسات التاريخية تناولت بعض جوانبها وخاصة تلك التي اهتمت بأعلامها إلا أن الدراسات السسيولوجية تبقى في هذه الفترة معتمة وقليلة وغير كافية أمام الأهمية التي مثلتها داخل المجتمع الجزائري باعتبارها(الحركة الإصلاحية وبالأخص **جمعية العلماء المسلمين)**كإنتاج إيديولوجي فكري ديني سياسي ثقافي واجتماعي جسد محتوى الفكر الإيديولوجي للحركة، وانبثاقها بشكلها الجماعي المنظم بكل خصوصياتها وشخصيتها التي ميّزتها عن غيرها من الحركات الإصلاحية الإسلامية الأخرى في العالم، وتمّ عبرها الانتقال بالمجتمع الجزائري من حالة الوهن والضعف الشديد في كل مجالاته الاجتماعية إلى مركز الفعل والقوة بعد اليقظة الفكرية والوعي الديني والثقافي والسياسي لإنقاذه من سيطرت الجهل وظلم واستبداد

الاستعمار، باعتنائها بتنمية وتربية الجانب الديني والعقدي والتربوي والفكري والثقافي الصحيح للأفراد وتأسيس النسق الفكري والثقافي للأمة الجزائرية وأدركت بذلك إصلاح عدة مستويات ومجالات اجتماعية هامة وحيوية.

1- الاستعمار الفرنسي في الجزائر(المرتكزات و الأهداف):

يعد القرن 19م من أخطر القرون وأغربها مقارنة بما سبقه، لكونه القرن الذي أرست فيه قواعد ودعائم الإمبراطوريات الاستعمارية الكبرى(البريطانية والفرنسية)التي لم يسبق لها مثيل، اعتبرت الجزائر الهاجس الذي أقض مضاجع ملوك وساسة أوروبا لفترات طويلة؛ ومع بداية غزو الجزائر عام 1830م بدعوى نشر الحضارة، فحرص الاستعمار الفرنسي على مخططات واستراتيجيات استعمارية توسعية استيطانية مرتبطة بالثورة الصناعية والرأسمال الصناعي عبر استخدام القوة العسكرية للاحتلال و فرض السيطرة المباشرة لأراضي افريقيا وآسيا وتحويلها لأقاليم خاضعة وتابعة لدولة مركزية واستغلالها كمصدر للمواد الخام ثم كأسواق لمنتجاتها الصناعية وقواعد عسكرية تحمي مصالحها هناك، وعليه فإننا نريد أن نعطي قراءة مفادها أن الاستعمار كنمط وظاهرة ليست مرتبطة بفترة زمنية معينة فحسب بل الاستعمار حركة تكتسي لكل عصر لباسا وتتسمى بعدة تسميات تتكيّف في كل مرة مع مختلف التقلبات و الظروف والمعطيات، لذا لابد من معاودة التحليل والفهم سواء لظاهرة الاستعمار في ظل ظروف العولمة الجديدة والنظام العالمي الجديد وتتبع بقاء عقيدة الهيمنة والتوسع والتحكّم واستمرارها بأشكال مستترة متجددة بأشكال من التفوّق العلمي والتكنولوجي والإعلامي في ظل اختلال التوازن العالمي لتبحث عن قوة جديدة ترى نفسها فيها منتصرة للخير والحرية والعدالة والمساواة وعن عدوّ جديد.

كما يمكننا رصد بعض المرتكزات الاستعمارية الأساسية التي قامت عليها المدنية الأوروبية المتمثلة في:مرتكز علمي، شعاره السيطرة على الطبيعة والاهتمام بالعلوم المادية، مرتكز اقتصادي التدبير الجيد لعوامل الموارد الطبيعية المستجلبة من المستعمرات واليد العاملة الرخيصة...، مرتكز تنظيمي في المجال الاجتماعي والتدبير السياسي، المرتكز العسكري امتلاك القوة وفرض السيطرة، المرتكز الإعلامي، ومن هنا يظهر لنا مدى التكامل والتعاون في سياسة الدول الأوروبية وخاصة بين عاملين أساسيين هما: الديني والسياسي وهذا ما تثبته العديد من الأحداث عبر مختلف مناطق

العالم الإسلامي، فيثبت لنا أنّ التنصير والاستعمار ورجال الدين والسياسيين وجهان لعملة واحدة. أمّا عن دعائم الاستعمار الذي استغل الثقافة والمعرفة لأغراضه التوسعية والتي كان لها دورا هاما في توجيه الإمبراطوريات الاستعمارية وتبرير أعمال الاستعمار عبر:الاحتقار والازدراء وإظهار دونية الآخر ثقافيا وعلميا والتفوّق على الغير، واضطلع به رجال الثقافة والمعرفة بتوجهاتهم الفكرية والسياسية وإيديولوجية وبروز أدوارهم في وضع أسس المدارس الاستعمارية الأنتربولوجية أمثال:**آرثر غوبينو** و**جورج فاشي دو لابوج**... والمدارس التاريخية ك**ألكسي دو توكفيل**، والعديد من الرحالة الفرنسيون ورجال الدين بمدارسها الإستشراقية والتنصيرية.

هدفت ظاهرة الاستعمار الفرنسي في الجزائر إلى استيطان الأراضي بالقوة العسكرية والتوسع واستيطان الفكر والثقافة عبر محو مقومات ومرتكزات الهوية والشخصية الوطنية والحضارية للشعب الجزائري وإبدالها بشخصية تابعة خاضعة هجينة وعميلة، منتهجة في ذلك سياسة تمهد لتذويبها ثم لإدماجها نهائيا في الكيان الفرنسي، سعت في الخمسين سنة الأولى من الاحتلال إلى تحطيم الوضع السياسي والبناء الاجتماعي والثقافي القائم بتدمير النظام الاجتماعي العام وتفكيك تكوينه القبلي آنذاك، وإحداث كوارث ديموغرافية تمت تصفيتها بالقتل في الحروب والمعارك والإبادات الجماعية والتهجير والطرد والنفيّ، وسياسة الأرض المحروقة بحرق المحاصيل وإفراغ المطامير وتدمير الزراعة والرعي فاختل النظام القبلي والتركيب السكاني للبلاد وتدهورت معه الحالة الاجتماعية والاقتصادية بسلب ومصادرة الأملاك والأراضي الزراعية من أصحابها وتمليكها للمستوطنين الأوروبيين الوافدين، لتتدهور بذلك الحياة الفكرية والدينية والثقافية للمجتمع الجزائري بسبب تدهور الوضع الاقتصادي كنتيجة مباشرة لتدمير مؤسسة الأوقاف الإسلامية الخيرية والقضاء الإسلامي التي كانت تغذي الحياة العامة آنذاك و القضاء على المدارس والمعاهد بصفة خاصة والتي كانت تغذيها الأوقاف الخيرية ما أفرز تدهورا في منظومة التكافل الاجتماعي التي كانت أساس الحياة الفكرية والدينية والثقافية للمجتمع وتعمل على تخريج العلماء والقضاة والمعلمين والأئمة والإداريين...وبالتالي القضاء على المرجعية الدينية في البلاد ومحاربة اللغة العربية بإضعافها والتدخل التعسفي في الحياة الدينية للمسلمين الجزائريين فتدمّر معه النظام التعليمي التقليدي وموارده المادية والمالية، وحلّت اللغة الفرنسية محل اللغة العربية

وتم تجهيل الجزائريين بها، وما بقي من الدّين عبث به أصحاب الطرق الصوفية المنحرفة وخدّروا به الشعب بنشر البدع والخرافات والضلالات الذي أدى بدوره لتخلّف عام وتوقف نظام التعليم بسبب استخدام السلطات الاستعمارية للسلك الديني لخدمة أغراضها السياسية بإيقاف وظيفة الزوايا الايجابية ومطاردة واضطهاد علمائها وطلبتها ومدرسيها، فبسطت الدولة الاستعمارية نفوذها وبدأت بإعادة هيكلة وبناء مؤسساتها لنسق استعماري مسيطِر جاء كتتمة طبيعية لمرتكزات السياسة الاستيطانية القائمة على إحداث الفراغ على آثار وأنقاض مؤسسات المجتمع الجزائري التقليدية الذي ستملؤه بشتات المستوطنين وشذّاذ الآفاق، فالهدف هو إيجاد الاستقرار في المستعمَرة(الجزائر) قصد التوسّع بعد ذلك نحو تونس والمغرب ثم افريقيا السوداء لتتناسب ومستوى الأفكار والرؤى والتصوّرات الاستعمارية في تجسيد مشروع:"**الممتلكات الفرنسية في شمال إفريقيا**"وفق الأمر الملكي الفرنسي الصادر في 22جويلية 1834م[1] الذي أساسه سياسة الغزو والسلب والنهب والتخريب ثم إيجاد أسس مستعمرة دائمة في الجزائر حسب العديد من المسئولين والمثقفين الفرنسيين، وممن عبّر عن ذلك **سيسموندي** قائلا:"لا نكتفي بغزو المملكة الجزائرية بل نجعلها مستعمرة وقطرا جديدا يسمح لنا بنقل الفائض من سكان فرنسا ونشاطها إليه"[2]عبر الطرد العنيف والمتواصل للأهالي والاحتلال الواضح للأقاليم والنقل والاستبدال الفوري للسكان.

2. الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي للجزائر خلال الاحتلال الفرنسي:

إن الدارس والباحث لا يستطيع أن يقف على جانب ايجابي من حقيقة الاستعمار الفرنسي وسياسته ومخططاته للجزائر إذ يعتبر كارثة ألمت بالأمة الجزائرية خاصة والعربية الإسلامية عامة، كونه(المجتمع)ظل يعاني ويقاسي من الأزمات طيلة مدة الاستعمار فكانت الإبادة المادية والمعنوية للشخصية والهوية العربية الإسلامية الجزائرية ممنهجة صاغتها عدة قوانين ومراسيم وبنود لتحقيق الغايات المتمثلة في إخضاع الجزائريين وأراضيهم وإلحاقها بفرنسا ثم تنصيرهم، مستندة في ذلك للعديد من رجال الدين والعلماء والسياسيين والإداريين والمستشرقين من بينهم:**دوتوكفيل، سيسموندي،**وللسياسيين:**فيزو، بولينياك**، ومن قبلهم الملوك: **شارل العاشر** و **لويس فليب والإمبراطور نابليون الثالث**، ومن الجنرالات والضباط العسكريون:**دوبورمون،**

كلوزبل، بيجو، دوروفيغو،...و كثير منهم آمن بفكرة **الجزائر فرنسية** واتخاذها مستعمرة دائمة، إلا أن أكبر عائق ستواجهه فرنسا بعد احتلال الجزائر وقوف الجزائريين لها بالمرصاد ورد الفعل العنيف والصريح الذي لعبته فترة المقاومة الشعبية المسلحة بتضييق الخناق عليها وحصرها في مدينة الجزائر فقط، بداية من مقاومة **بن زعموم** و**الحاج السعدي** و**بن مبارك القليعي** إلى **الأمير عبد القادر** و**أحمد باي**، مرورا بالعديد من الزعامات المحلية:**لالة فاطمة نسومر** و**الشيخ بوبغلة** و**بوزيان القلعي** و**الشيخ بوعمامة** و**المقراني** و**الشيخ حداد** وولداه **عزيز** و**محمد**... فتجلت المقاومة وأثبتت أنها لن ترضى سوى بخروج الاستعمار، معتمدة على عدة وسائل للمقاومة طيلة فترة الاحتلال فرفض(نفسيا)الشعب الجزائري الخضوع لسلطة الاستعمار(الكافر)،كون عقيدة التوحيد والاعتصام بالدين الإسلامي أولى الخيوط التي التف حولها للمقاومة ، واحتمل في سبيل هذه الغاية خلال الفترة1830-1871م ثمنا باهظا من أبنائه في المعارك و الإبادات العشوائية والتأديبية للقبائل المشاركة في المعارك والقتل بسبب أو بدونه، تميزت المقاومة الشعبية المسلحة بالطابع الجهادي وعرفت استمرارية وتداخلا زمنيا بينها عبر مختلف مناطق الوطن واتساع نطاقها كما تنظمت تحت قيادات جماعية(دينية وأخرى عسكرية)، وساهمت في بث ونشر الوعي والحفاظ على الروح الثورية لترسيخ فكرة الجهاد ورفض الاستعمار بكل أشكاله ، وهنا تظهر أمامنا جدلية هامة مفادها:

- **إرادة القوة العسكرية الاستعمارية في الاحتفاظ بالجزائر كمستعمرة دائمة وإلزامية إخضاعها بالقوة.**
- **إرادة الشعب الجزائري لإنهاء حالة الاحتلال وطرد الفرنسيين من الجزائر.**

وبصدد متابعة هذه الجدلية فإن حالة الاستعمار الفرنسي للجزائر ستقسم لفترتين هامتين في ميدان مجابهة الاستعمار العسكرية بين طرفين متناقضين وإرادتين متشاكستين متنازعتين:

- الفترة مابين1830-1880، وهي فترة كانت حاسمة في الصراع بين القوة الفرنسية والمقاومة الجزائرية.
- الفترة 1880م وما بعدها.

وظفت فرنسا أقصى ما يمكنها من إمكانيات وموارد وطاقات لتحقيق غايتها في الاحتلال والتوسع مهما كان الثمن لبناء المستعمرة الدائمة بانتهاج أسلوب عسكري لم يشهده

ويألفه الجزائريون، بدءا بإنهاء الحكم العثماني للجزائر والقضاء على المؤسسات السياسية الرسمية التي كانت موجودة بداية بمؤسسات الحكم المركزي والدواوين وطرد الأتراك والكراغلة الذين كانوا يمثلون السند السياسي والإداري للدولة الجزائرية لعد قرون وتدمير النخب السياسية الأساسية المؤطرة للمجتمع والدولة والإطاحة بالزعامات التقليدية القائمة وشيوخ القبائل، وبهذا البتر قطع الاستعمار الفرنسي أواصر الانتماء الروحي والسياسي للجزائر مع دولة الخلافة الإسلامية التي نظمت المجتمع الجزائري لعدة قرون، وأحلت مكانها مؤسساتها الاستعمارية العسكرية وتشريعاتها واضعة بذلك نظمها الإدارية الغربية الغريبة عن المجتمع القبلي الجزائري بهدف جرّه بالقوة للتحديث، وإفراغ ثرواته المعدنية والحيوانية والزراعية ونقلها لتدفع بها الحركة الاقتصادية والنهضة الصناعية والتكنولوجية في فرنسا، ولن يتأتى لها ذلك إلا من خلال مراحل هامة بدأتها بإنهاك المجتمع بالحروب والثورات التي لم تهدأ ثم العمل على خلق واقع طائفي متصارع مزوّر ومضاد يعمل من خلال توظيفه للتأثير وإشاعة حالة اللاستقرار وعدم التعايش وإثارة النعرات والخلافات بين فرق الطرق الصوفية من جهة وخلق الجهوية من جهة أخرى ليسهل تفكيكه؛ وأنتجت سياسة التسلّط الاستعماري بعد حروب عديدة الانهزام والرضوخ والتبعية التعسفية والوقوع في الدونية صورتها الطرق الصوفية المنحرفة كقدر محتوم ومفروض لابد من القبول به كأمر واقع، ما أدى بالمجتمع لدخوله في حالة من التخلّف بسبب التسلط الذي اختل معه توازن القوى ووصل الإنسان المستعمَر فقد فيه إنسانيته واللامساواة وصار لا حياة له ولاحق فضربت شخصية الفرد الجزائري المسلم وتكالبت عليه مؤسسات التنصير لإضعاف ارتباطه الوثيق بالعقيدة الإسلامية وتحقير ثقافته ثم العمل على تفكيك هويته عبر إحداث شرخ في انتمائه وعمقه الحضاري العربي الإسلامي وجذوره التاريخية وزرع الفتن والتمايز العرقي وتغذية روح الكراهية والفرقة والحقد بين الجزائريين.

وعليه فإن فترة1830-1871هي مصيرية للجزائر أرسيت فيها دعائم الاستعمار بكل مرتكزاته بعناية تامة أما البناء الذي تمّ بعد ذلك فما هو إلا صورة لتلك الدعائم والمرتكزات، وهذه الفترة 1830م-1871 التي يسميها **شارل روبير آجيرون بجزائر العسكريين**[3]تناولناها بهدف تتبع أهم الخطوات العسكرية التي سارت عليها فرنسا لتطويع الجزائر وإخضاعها إخضاعا كاملا لها، مستخدمة عدة وسائل للسيطرة تمثلت

حسبه في"**أجهزة الإدارة- العدالة- الشرطة، الضرائب**"[4]ليستتب لها الأمر تمهيدا لاستيطان الكولون، عبر سياسة الأرض المحروقة والتقتيل الجماعي وشن عمليات الرزايا لتجويع من بقي منهم وترحيلهم ليحل محلهم فائض السكان الفرنسي، عبر التحكم في القضاء وفرض الضرائب ...وحسب **أليكسي دوتوكفيل** فينبغي أن ينشئ مجالا حيويا وراء البحر وأعتبر أن الجزائر هي الحل لآفة الفقر...كما دافع الشاعر **لامارتين** في الجمعية الوطنية الفرنسية عن شرعية كل الوسائل التي تمكّن الاحتلال والاستيطان وتحقيق عظمة فرنسا الإمبراطورية، إذ يقول:"الاحتلال هو وسيلتنا لخلق الثروة والمحافظة على بنائها السياسي، أيها السادة مهما كانت الوسائل فإن الاستيلاء على مقاطعات وراء البحر في الإمارة العثمانية وإفريقيا ضرورة لفرنسا ولعدد سكانها المتزايد"[5]، وتزامن مع تلك الأحداث التاريخية التقتيل الانتقامي تحت اسم التهدئة، بعد كل انتفاضات عارمة ومقاومات شعبية متفرقة للأشخاص والجماعات جاءت كنتيجة للظلم والقهر والإذلال، ثم التقتيل الوقائي الذي يأتي كخطوة مستبقة لمنع أي انتفاضات تهدف للردع والإرهاب ومحاصرة السكان في محتشدات ولإزاحة أي عائق ممكن أن يقف في طريق الاستيطان ومحاصرة المؤطرين والمنظمين للنخب والزعامات التقليدية المثقفة وطبقاته البرجوازية والسياسية في المجتمع الجزائري الذي تعرض لضربات وهزات عنيفة سارت وفق عمليات التفكيك والتي أصبح من المستحيل إبطالها ،وأتت عليه مصادرة أراضيه مما شوّه تركيبته السكانية(الحضر والبدو)لدرجة لا يمكن إصلاحها بتفتيت الملكية الجماعية بقانون تقسيم أراضي الأعراش Sénatus Consulte، فتضعضع معها نظام الاقتصاد ومعه التجارة الداخلية والخارجية الإسلامية، وانتهى الدور السياسي للمدينة في الحضر والقبيلة في البدو ،فبعد تفتيت الملكية القبلية للأراضي وانتزاعها من أصحابها لتوزيعها على المعمرين وبروز الملكية الفردية لم يعد للفرد نشاطه المادي المتمثل في الزراعة والرعي من وجود، فيما كانت تمثل الأراضي القاعدة المادية للنشاط الاقتصادي في الريف ما أدى لظهور احتياطي ضخم من اليد العاملة البطالة بقي في حالة ضياع وتشريد ومعاناة وسبب نزوحا وهجرة متعددة الاتجاهات"داخلية وخارجية" تدفقت من الريف نحو المدينة طلبا للعمل فتكدست الأحياء والمدن الهامشية التي لم يعرفها المجتمع الجزائري من قبل هربا من الوضع المزري لوضع أكثر إنسانية، بلغ تدهور وانهيار المجتمع الجزائري التقليدي أكثر مراحله تقدّما في عناصره وبناه الاجتماعية الأساسية

باستخدام سياسة"فرّق تسد"فاخضع مختلف الزعماء التقليديين للجزائر لمكاتب شؤون الأهالي والمكاتب العربية وبه تمّ فصل الشعب بشكل غير مسبوق عن قياداتهم و تم التحكم في مصير محيطهم الطبيعي(الأرض والقبيلة)؛ وهذا التحويل الذي سعت فرنسا لإحداثه على الجزائر والجزائريين في أقل من قرن استدعى إصرارا من الحكومة الفرنسية ومن المستوطنين مواظبة وحماسا، فجاءت الأهداف الرئيسية للحكم الاستعماري لإنشاء مجتمع عصري في مستعمرة حديثة، أمام ضرب القواعد الأساسية لهذا المجتمع في حكومته التقليدية وملكياته لأراضيه ومؤسساته الأساسية ومدارسه ومعاهده الثقافية والعلمية والدينية، وصار الأمر حدثا وأمرا واقعا لأول مرة في المغرب العربي وبالتالي كان الاستعمار أفضع تخريب أصاب التاريخ والمجتمع بمختلف أبنيته ومكوّناته وعناصره ما أثّر سلبا على توازن المجتمع في قوانينه التي كانت تنظمه وتحكمه قبل الاحتلال، وفُرِضت عليه البنى الاجتماعية والاقتصادية الغربية الدخيلة الغريبة عن مؤسساته وبناه الأصلية التي كانت قائمة ومحاولة محو كيان مجتمع كامل واستبداله بمجتمع آخر ليتحول إلى منجم للمواد الأولية الخام المادية والمعدنية والبشرية لتحرّك به عجلة اقتصاد الإنتاج الرأسمالي في فرنسا.

أمعن الاستعمار في الإخلال بمعادلة الحق والواجب في حق الجزائريين من خلال القوانين الاستثنائية(قانون الجنسية 1865، قانون كريميو 1870)- فالعديد من ممارساته كانت تهدف للتحقير العرقي- والإجحاف في فرض الضرائب والغرامات الباهظة جعلت منهم بموجب قوانين الأهاليIndigène**1881**في رتبة بشرية منحطة، وفي المقابل مطالبون بالتجنيد الإجباري منذ 1912، فأخذ الاستعمار بذلك وجهة أخلاقية معكوسة للمهمة الحضارية التي أشاعها عبر القهر والتسلط على الشعب الجزائري بممارساته الاستبدادية؛ وراحت مرتكزات الاستعمار تتغلغل وتحكم السيطرة على المجتمع الجزائر أرضا وشعبا "بإمداد المستعمرين بدراسات حول الخصائص السلالية و ظروف سكان الشمال الإفريقي وحياتهم وعاداتهم وتقاليدهم وعقائدهم الدينية وخصائصهم الحربية والعسكرية للتعامل بفعالية مع واقع

هذه المجتمعات"[6]للانقضاض على ثقافتهم فالسنوات الأولى للاحتلال الفرنسي لم تخلو من ممارسات تكتسي طابع الحرب الثقافية لكن بعدما وصل المساس بالهياكل الاقتصادية والاجتماعية لدرجة كبيرة من التدمير والتفكيك والتحطيم على المستوى العميق ضعفت بذلك القدرة على المقاومة، و"...بدأ التدخل الأجنبي يتغلغل في المجال الثقافي لتكتمل أبعاد السيطرة"[7].

ومن هنا تبدأ الفترة الممتدة من 1880 وما بعدها بالقضاء على أغلب المقاومات الشعبية والثورات والانتفاضات بعنف شديد وإنهاك المجتمع لجأ الاستعمار لأساليب أكثر فعالية تضمن له ديمومة وسيطرة مستمرة للعمل الممنهج والمقنن والمدروس على الجبهة الثقافية والدينية الداخلية باعتبارها أخطر جبهة لتحسم المعركة الأخيرة بأساليب أكثر فعالية تحدد له بقاءه الدائم عن طريق تغيير الواقع الثقافي للجزائر، وبدأ العمل على هذه الجبهة يتمثل في القضاء على ثقافة المهزومين،- والثقافة التي نقصدها هي المعرفة والمعتقد والأخلاق والدين والقانون...- بيد أننا لابد أن نوضح أن هذه العملية كانت لها مراحل توازت مع المرحلة السابقة1830 -1880م ثم استمرت بخطى ثابتة وبرزت بشكل واضح بعد فشل ثورة **الشيخ المقراني** و**الأخوان الرحمانيين** ونزع السلاح من كل الجزائريين وتسليط الضرائب والغرامات عليهم، حيث عبّر **ألفريد رامبو** الذي كان وزيرا للتعليم عام1897م يقول"كان الغزو الأول قد تمّ بالسلاح وانتهى مع 1871بانتزاع السلاح من بلاد القبائل...ويتمثل الغزو الثاني في حمل الأهالي على أن يقبلوا بإدارتنا وبعدالتنا، وسوف يتحقق الغزو الثالث عن طريق المدرسة، إذ يجب أن نضمن السيطرة للغتنا وأن تدخل في أذهان المسلمين الفكرة التي نحملها عن فرنسا ودورها في العالم، وأن تحل محل الجهل والأفكار المسبقة المنغلقة، المفاهيم المدققة للعلم الأوروبي"[8]ولا يتأتى إلا بتأسيس وتشكيل مجال ثقافي جديد للجيل الجديد وفق رُؤية وتصوّر وإيديولوجية استعمارية تخدم المشروع الاستيطاني الكولونيالي بعد استقرار الجبهة العسكرية؛ بدأ الاستعمار بهذا التأسيس بخطوات مدروسة من كبار المفكرين والمنظرين والفلاسفة باعتبار منطقهم يفرض عليهم"مسبقا وجود شخصية الطرف الآخر، لكي يقضي عليها...يؤكدها تأكيدا سلبيا بإذلالها وإنكارها كقيمة"[9]، ظهرت فيها سياسته بارزة وواضحة المعالم(للتفرقة والتمييز العنصري الديني والعرقي في جانب

الحقوق والواجبات والامتيازات بين السكان الجزائريين المسلمين الذين ذاقوا وبال هذا القانون الاستغلالي(قانون الأهالي)وبين المستوطنين الأوروبيين)، يقول **أليكسي توكفيل** المنادي بحقوق الإنسان في فرنسا ومعجب بالديمقراطية في أمريكا:« إذ ينبغي أن يكون هناك تشريعان مختلفان تماما في افريقيا لأنه يوجد فيهما مجتمعان متمايزان...،لاشيء أبدا يمنع عندما يتعلق الأمر بالأوروبيين بالتعامل معهم...،كأنه لا يوجد غيرهم، إن القوانين التي نعدها لهم لا تنطبق على غيرهم» [10]فأمعنت في سياسة الكيل بمكيالين والتي تمثلت في تحطيم الأسس التي تقوم عليها البنية الثقافية بالاستيلاء وتدمير مؤسسات الأوقاف الخيرية التي كانت تغذي الحياة الثقافية مثل:"أوقاف الحرمين الشريفين، أوقاف سبل الخيرات، أوقاف المساجد والجوامع والقباب والزوايا والجبانات، وأوقاف الأولياء والأشراف وأهل الأندلس، وأوقاف الجند والثكنات والمرافق العامة..."[11]،فهذه العملية للإستلاء على الوقف ضربة قاضية ومخططة وممنهجة للحياة الدينية والثقافية لكونه"...يشكّل مردود الوقف المصدر الأساسي والوحيد لرعاية الخدمات الثقافية والدينية في الحضر والريف...أما الفائض من مردوده ليُستَغل في إنشاء أماكن جديدة للعبادة والتعليم. أما مصاريفه فهي عديدة ومتنوعة حسب الأغراض التي وقفت لأجلها كالنفقة على رجال العلم والمدرسين والطلبة ومساعدة الفقراء والمعوزين ورعاية وصيانة المرافق العامة..."[12]وبذلك كانت وسيلة اقتصادية فعّالة وهامة في دعم كل الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية والجزائرية تضمن التماسك والترابط الاجتماعي والمواساة للفقراء وترسّخ تكافله وتعاضده في الرخاء والشدة إلا أن الاستعمار أصدر أولى قراراته المتعلقة بالأوقاف في8 سبتمبر 1830م ونصت على حق الاستحواذ على أملاك موظفي الإدارة العثمانية وعلى بعض الأوقاف التابعة لمؤسسة أوقاف الحرمين، ثم توالت التشريعات لتسهيل عملية ابتلاع أملاك الأوقاف بطريقة تدريجية؛ فصدر قرار ordonnance في أكتوبر1844م ينص بصريح العبارة لكون الوقف لم يعد يتمتع بصفة المناعة والحصانة الدينية كونه من مقدسات المسلمين، وصار خاضعا لأحكام المعاملات المتعلقة بأملاك العمومية ثم توسعت صلاحياته بمرسوم 1858م الذي أخضع الأوقاف لقوانين الملكية العقارية المطبقة في فرنسا، ثم قرار 1873م الذي استهدف التصفية التامة لأوقاف المؤسسات الدينية لصالح التوسع الاستيطاني.[13]

وهذا يُظهر لنا جانب آخر هام في الاستعمار الفرنسي"الذي لم يكن مجرد إجرام عسكري وإنما كان إرهابا سياسيا، اجتماعيا، ثقافيا وهو يمارس على الجزائريين مختلف القوانين الإدارية التعسفية بتمزيقه للنسيج الاجتماعي ومحاولة إزالة كل مظاهر الثقافة في السلوك والعلاقات...حوّل الاستعمار الفرنسي الجزائر إلى مخبر تجارب لأصحاب الفكر والمنظرين الذين يحسنون الاستفادة من ثروات الشعب الجزائري الثقافية و الاقتصادية و الاجتماعية "[14]، فعُطلّت مختلف النظم الثقافية والتعليمية العربية الإسلامية وحورب اللسان العربي واستبدل باللغة الفرنسية جبرا وقهرا لتحل الثقافة الفرنسية والديانة النصرانية محل الثقافة العربية الإسلامية والديانة الإسلامية وزاحمت الكنائس المساجد والجوامع وعرف العمران الإسلامي تخريبا وتغريبا في محيطه المادي الحضاري وبالتالي جاء دور الحرب الثقافية والدينية، التي سارت منذ البداية موازية لعملية الهدم وإضعاف الكيان الثقافي التقليدي العربي الإسلامي وبعده كعملية مقابلة ومتممة ومكملة هي تأسيس وبناء نسق ثقافي استعماري جديد يسير وفق القيم والمعايير التي يرتضيها مخطط الاستعمار الاستيطاني بل و أكثر من ذلك، لتخدمه وتتبعه دون قيد أو شرط باعتبار حلقاته متواصلة الأهداف والمهام كلما تمت حلقة أفضت إلى الحلقة الأخرى وهكذا، إن استقرار أهداف حلقة التوسع العسكري والاستيطاني التي تفضي لأهداف بسط حلقة الهيمنة السياسية على الدول المنهزمة ثم بسط أهداف الحلقة الاقتصادية لإفراغ البلدان المستعمرة من ثرواتها و خيراتها، وتليها بسط أهداف الحلقة الدينية الصليبية لتنصير هذه المجتمعات، ثم بسط أهداف الحلقة الاجتماعية التي تعمل بدورها على خلق الفوضى وعدم التوازن والاضطراب في المجتمعات المستعمَرة لتجعل منها تابعا مطيعا لها وعاجزا عن التقدّم والرقي مهما حاول بسبب التعطيل الحاصل له في مختلف بناه وأسسه العاجزة عن منع الاضطراب جراء التخلف والتأخر الذي تعرضت له هذه المجتمعات، فهي حتى الآن لم تعد إلى مثل سابق عهدها(أي قبل الاستعمار) بل طالها التشويه والمسخ فلا هي بنى اجتماعية وعناصر كان يعرفها المجتمع قبل الاستعمار ولا هي تشبه بنى وأسس وعناصر المجتمعات المتقدمة الأوروبية، الأمر الذي جعلها عاجزة عن أداء بعض وظائفها المختلفة للسير في ركب عصر التطوّر الذري الذي حرمها منه الاستعمار، ثم تأتي حلقة الهدف الثقافي والفكري باعتبارهما الصورة ما قبل الأخيرة للاستعمار- وهو الاستعمار الذي ما تزال الأمم

والشعوب تعانيه إلى اليوم كون حلقاته لم تنتهي بعد، رغم نيل أغلبها الاستقلال السياسي لأراضيها وسيادتها في حكم أوطانها وحق تقرير مصيرها إلا أنها ما تزال تتخبط في أزمات خانقة تتجاذبها منذ ذلك الاستقلال، لاختيار أنماط حكمها لبلدانها(الاشتراكية والديمقراطية والجمهورية والملكية...)– إن الاستعمار مارس دورا تعطيليا على تطوّر المجتمع الجزائري فلا تستطيع لا العودة من حيث انتهى بها الأمر لدى دخول الاستعمار ولا أن تسير وفق ركب الحداثة والتحديث الأوروبي باعتبارها(الحداثة)أوجدت شرخا في النمو الاقتصادي والصناعي الذي لم يكن نتاجا اجتماعيا في المجتمعات المستعمَرة وإنما سُيِّر نحو التحديث بالقوة لإمداد التقدم الأوروبي بالمواد الخام لأنه لم يكن إنتاجا علميا وثقافيا وفكريا لها، بل صَدّر لها منتجاته وفرض عليها أسواقه، وبالتالي جعلتها تعيش تستورد إنتاج حضارات غيرها و تكدّس منتجاتهم، الذي من شأنه خلق"مشاكل خطيرة فالإنسان يعيش في تبعية حضارية وإمّعة اقتصادية وسياسية لغيره "[15]وهو مظهر من مظاهر التخلّف والتبعية والإمعة والتقليد الأعمى للغرب.

والذي يعطينا الصورة الدرامية التي وصل إليها التعليم في البلاد وعبّر عنه **دي توكفيل** باسم لجنة 1847م قائلا:«لقد وضعنا أيدينا على عائدات المؤسسات الخيرية...تركنا المدارس تتهاوى، وحلقات العلم تتفرّق؛ إن الأضواء انطفأت من حولنا...لقد جعلنا المجتمع الإسلامي أكثر جهلا وأكثر بربرية مما كان عليه من قبل أن يعرفنا...[16]»بسبب هذه الفترة انقرض طلبة العلم والعلماء على حد تعبير **أجيرون**، فمنهم من قتل ومنهم من هاجروا منهم من انزوى في دور العبادة والزوايا، الأمر الذي جعل الأمية ترتفع لمستويات غير مسبوقة بسبب سياسة التجهيل التي استمرت حتى الاستقلال رغم المدارس الفرنسية والتي وجدت أساسا لتعليم أبناء الكولون لا الجزائريين ـ إلا في نطاق ضيّق جدا ـ أما مؤسسة القضاء الإسلامي فقد امتدت إليها الآلة الاستعمارية التدميرية مبكرا بتهميش وظيفتها عبر عدة قرارات ومراسيم، فبدأ التدخل في شؤونها في 1834م عند صدور قرار يعطي الحق للمتقاضين الجزائريين باستئناف الأحكام الصادرة من القضاة المسلمين أمام مجالس الاستئناف الفرنسية، وهذا يعتبر تحدٍ صريح وواضح وخرق لاختصاصات القضاء الإسلامي، ثم توالت القرارات التي أسست لتنظيم القضاء الفرنسي في الجزائر على قاعدة إدماج القضاء الإسلامي في قضاء المتروبول نهائيا[17]، ثم توالت على القضاء الإسلامي القرارات ونزع

الصلاحيات من قضايا العقار والملكيات، إلى قضايا الجنح والجنايات...حتى أصبحت قاصرة في حدود النظر في الميراث والأحوال الشخصية فقط وذلك بصدور المراسيم ملكية(Ordonnances royales)في فبراير 1841 وسبتمبر1842م ومرسوم شهر سبتمبر 1885م.

3. المقاومة الفكرية و الثقافية:

من أبرز ما كان يميز الحياة الدينية في الجزائر خلال العهد العثماني انتشار الطرق الصوفية ومبانيها التي أدت دورا دينيا مهما برز في ترسيخ تعاليم الإسلام وكانت فضاء للتربية والتعليم بل وفي ظروف تاريخية أخرى لعبت أدوارا سياسية وعسكرية، إلا أن كثيرا منها انحرفت عن نهجها السني الصحيح بسبب التخلّف والجمود الذي أصاب الأمة في أواخر العهد العثماني فابتعدت طقوسها عن المنهج الصحيح و أضحت ممارساتها وثنية لا علاقة لها بالإسلام كالمغالاة في شيوخ الطريقة والتجمعات والزردة وأفعال الدروشة والتبرّك بالأولياء والصالحين واتخاذ قبورهم مزارات...وغيرها، إلا أنه كان لها دور هام خلال فترة الاحتلال الفرنسي في حشد المقاومات الشعبية والثورات والانتفاضات فمعظم زعماء المقاومة كانوا شيوخ زوايا أو منتسبي الطريقة، فأدت دورا ثوريا كبيرا لكنها انهزمت واستسلمت، عملت الإدارة الاستعمارية على إيقاف الوظيفة الإيجابية للزوايا بسياسات مختلفة جمعت بين المراقبة والتشدد دون المهاجمة وبين أسلوب الاستمالة والاحتواء جراء عدة مصادمات معها، حيث تحكمت **بالأسلوب الأول** في بعض الطرق بالتحكم في مداخيلها المادية ومنع إعطائها الرخص لجمع أموال الزيارات ومراقبتها عن كثب، أما **الأسلوب الثاني** مارسته مع بعض الطرق ك**الطيبية والتيجانية** وبعض فروع **الرحمانية...**،من خلال رد الاعتبار لشيوخها ودعمها وعرض الوظائف عليهم والسماح لهم بجمع أموال الزيارات ومنحهم إقطاعات، وتزويج بعضهم بالفرنسيات، ومنحهم الأوسمة...وظهرت نتيجة هذه الاستمالة تدفق الدعم عليهم[18] من الإدارة الاستعمارية للتخفيف من حدة التمسّك بتعاليم الدين الصارمة في مهادنة العدو الفرنسي، ما نتج عنها الانتقائية والإيمان بالخرافات والدجل والشعوذة وصارت بالتالي أكثر قابلية لمفاتحات السلطة الاستعمارية، وبهذا أنهت وظيفة الزوايا من الحشد للمقاومة الشعبية والثورات كمؤسسات دينية وثقافية واجتماعية متحررة من الارتباط بالمستعمر وكفضاء للممانعة والمجابهة الثقافية والعسكرية، وصيّرتها لأكبر مبرر له

وللوضع الذي آلت إليه الجزائر بمقولات دينية وخطابات قدرية سلبية أو كما وصفه البعض خطابها« من خطاب مقاوم إلى خطاب مدجن مهادن تكثر فيه المفردات التي تتحدث عن المقدر والمكتوب وأشكال كثيرة من الشعوذة والدجل[19] » وتحوّل التراث الديني للزوايا من فقه الرباط والجهاد إلى التميمة والخرافة والدجل والدروشة والاستسلام، في حين بقيت السلطات الاستعمارية تغذي هذه الأفكار والسلوكيات والميول والاتجاهات المنحرفة وتشملها بالرعاية ممن باعوا ذمتهم للمستعمِر فصارت مخدرة للعقول والمقاومة، وحوصر الدّين الإسلامي وتمّ تجهيل الجزائريين به ليدخل المعطى الديني في هذه المرحلة وبوضوح تام في معادلة الصراع بمنطق سياسة كبت الإسلام ومظاهره حسب **ما يكل ويلس**، فاستخدمها الاستعمار كونها سياسة متممة وطبيعية لعملية الضمّ التي تعرضت لها الجزائر، فترجم ذلك عبر غلق وتهديم المساجد، مصادرة الأموال والأملاك الوقفية والخيرية، تجريف الجبانات وغلق الزوايا، منع ممارسة طقوس الإسلام وتعليمه بغلق مدارس التعليم القرآني وطرد الأئمة والمفتين والمعلمين أو قتلهم، ومراقبة وضبط الاحتفالات الدينية، منع الحج...، لكن اقتنعت الإدارة الفرنسية باستحالة اقتلاع الإسلام من جذوره رغم كل هذه الممارسات فعمدت إلى التحكّم الرسمي في الإسلام وذلك بإضعافه من خلال إيجاد رجال دين مسلمين مدربين في مدارسها، يمكن من خلالهم التحكم بالتعاليم الإسلامية في المساجد ومرتاديها[20]فخلصت لوسيلة نافذة من وسائل إفساد المجتمع وهو التحكم في الدين قصد التجهيل به لإفراغ الفرد المسلم الجزائري من عقيدته ومحتواه الشخصي وهويته بغية استيعابه وتوجيهه ثم إدماجه في منظومة القيم الثقافية المهزومة والتابعة للقيم الدينية الصليبية الفرنسية عبر خطوات ممنهجة، بدأت بالقضاء على المرجعيات الدينية وإلغاء منصب مشيخة الإسلام وإبطاله فلم يعد للجزائريين مرجعيتهم الدينية الإسلامية ـ سواء كانت مجسدة في مفتي الديار الجزائرية وهو شخص عالم أو هيئة علمية دينية عليا ـ وبالتالي تمت تصفية المجال الديني من العلماء وذوي الكفاءة والمسؤولية كالقضاة والمفتين والأئمة، فبدأ تدخلها القسري والتعسفي في الحياة الدينية للجزائريين والتحكم فيها واستبعاد وإضعاف اللغة العربية كونها الوعاء الثقافي الحامل للدين الإسلامي، وباعتبارها في خانة ووضعية المغلوب والمهزوم فإنها تقهقرت وضعفت وبضعفها وبتهميشها شاع التلوّث الأخلاقي في المجتمع العام، وانتشر شرب الخمر في

الطرقات وتعاطي البغاء والاعتداء على حرمة رمضان، وأكل لحم الخنزير ولحوم الحيوانات غير المذبوحة، فلم تعد تثير أي استنكار[21]، كون منظومة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المؤسسات المعنوية الأخلاقية الهامة تعطلت أو ضعفت عن أداء دور الرقابة والضبط داخل المجتمع بسبب غياب المرجعيات الدينية والفكرية والثقافية لأداء وظيفة الأمن الفكري والثقافي للأفراد، وهكذا فإن الاستعمار الفرنسي لم يدع تفصيلا من تفاصيل الحياة الدينية أو الثقافية إلا شمله وشغله بالتغيير، كما سعى أيضا لتغيير الفضاء الهندسي المعماري للمكان بطرق وأساليب عنيفة حتى يستتب له المكان وفق آليات وضرورات الاستعمار فأقدم على تدمير المساجد والزوايا والجوامع والأضرحة والمنازل والقصور ذي الطابع المعماري الفني الإسلامي المغاربي منذ أول يوم للاحتلال واستبدالها ببنايات ذي طابع معماري أوروبي مختلف، فحلّ المسرح والفندق والماخور والمخمرة(والعمارة بالشقق التي لم يعرفها المجتمع الجزائري من قبل)كرموز للثقافة الغالبة محل المسجد والزاوية والدكان والبيت العربي وزاحمت الكنائس المسيحية بصومعتها وأجراسها مآذن ومنارات المساجد والجوامع الإسلامية.

إن تأسيس (إبدال) نسق ثقافي وديني و روحي جديد خادم للاستعمار يتم بتنصير الشعب وفرنسته مستعملة في ذلك سلاح ذو كفاءة عالية وفعالية قصوى وهو سلاح الثقافة والتعليم،[22] لكونه الحل الدائم لبسط النفوذ والسيطرة سعيا لإدماجهم في منظومة الاستعمار الثقافية بأسلوب سلس وسلمي، أما أنجع الوسائل والوسائط المستخدمة لذلك هي الكنيسة والمدرسة كون ديمومة الحضور الاستعماري مرهون بالعمل على احتواء المجتمع الجزائري ثقافيا ودينيا والتواجد في كل مؤسساته جيلا عبر جيل، وعبّر عنه صراحة **ديفوكو**Charles de Foucault(1858-1916)عميد التبشير في الجزائر قائلا:"إن لم يتنصر المسلمون في ممتلكاتنا الاستعمارية بالتدرج والليونة...وإذا لم تصيّر تلك الشعوب فرنسية....فإنها ستخرجنا حتما من بلادها فالوسيلة الوحيدة التي نصيّرهم بها فرنسيين هي أن يصبحوا مسيحيين[23]باعتباره (التنصير) المدخل الفعّال والإستراتيجي لتحقيق النفاذ والتغلغل الاستعماري في البنى الثقافية ثم النسق العام للمجتمع الجزائري لتحويله، فتوالت بذلك عمليات الاستئصال بالتنصير منذ بدأ الغزو ونشرت المسيحية بين الجزائريين منذ **لويس بافيه** إلى **أنطوان دويوش** فالكاردينال **لافيجري**، وأنشأت لذلك عدة مؤسسات تبشيرية كمؤسسة **القديس أوغسطين، مؤسسات جمعية**

الآباء البيض، الأخوات البيض، جمعية الإخوة المسلحين في الصحراء...[24]ضف إلى ذلك فتح مجال للإرساليات التبشيرية وبناء الكنائس وتوجيه جهودها نحو العمل الخيري والخدماتي خاصة منه التعليمي والصحي قصد اجتذاب السكان والنفاذ لقلب الأسرة عن طريق الوصول للمرأة حتى تسهل عملية غرس العقيدة النصرانية ما أدت لإنتاج بعض النخب المثقفة بالثقافة الغربية المتعاطفة مع التوجهات الفرنسية المتأثرة بتكوينها الثقافي و الفكري و اللغوي و برواسب هذا المشروع.

لما كان المستوى الثاني للغزو الاستعماري الأهم سيتحقق عن طريق المدرسة وفق تعبير وزير التعليم **ألفريد رامبو** فإن تصفية الجهاز التعليمي التقليدي الإسلامي كان خطوة متممة ومنهجية مقننة كونه أداة ممانعة ثقافية عصيبة ومنفذ للإعادة تشكيل الهوية الحضارية للأجيال والتي ضرب الاستعمار مدخلاتها وروافدها المادية والمعنوية الأساسية لتبديل النسق التعليمي بالنصراني ثم العلماني الجديد و وضع أسس مجال ثقافي مغاير يتماشى وطموحات السياسة الاستعمارية ومصالحها في البلاد...واستكمال استعمار الفكر والثقافة لإتمام عملية غزو الأدمغة[25]والأرواح والمعتقد، بيد أنّ هذا التعليم الموجه لأبناء الجزائر بقي محدودا كمًا وكيفاً غرضه تكوين متعاملين يلبون احتياجات الإدارة الفرنسية، رغم إصلاحات **جول فيري** سنة 1883م التي أقرّت مبادئ إلزامية ومجانية ولائكيه التعليم فبقي بعيد المنال للأهالي لاعتبارين هامين:

- **الأول:**تمثل في المقاومة الثقافية والمقاطعة والحذر الذي أبداه الشعب تجاه هذا التعليم الفرنسي كون الانخراط في مثل هذا التعليم خلال تلك الفترة كان يعدّ خيانة للمقاومة، لهذا بقيت المدارس الفرنسية تشكو ندرة روادها لتخوّف الجزائريين على أبنائهم من هذا الوسط الجديد وما يزرعه في نفوسهم من قيّم فرنسية وتنصّرهم لتجنّسهم ثم تدمجهم.

- **الثاني:**هو مقاومة الكولون لتعميم تعليم أهالي الجزائريون كون تعليمهم تهديد لمصالح الاستيطان وهذا يعني تنويرهم وتوعيتهم...[26]، فهذا التعليم لم يمس سوى فئات قليلة من أبناء الطبقة البرجوازية التقليدية المتكونة من أبناء القيّاد و الباشغوات وكبار التجّار والموظفين في الإدارة الاستعمارية، الذين تربطهم مع سلطات الاحتلال مطامع ومصالح، في حين كانت هناك فئات آلت للانفصال عن هذا النوع من التعليم وبقيت متمسكة بما تبقى من الأطر التعليمية التقليدية التي نجت من سياسة التدمير.

إن هذا الموقف المزدوج من التعليم الفرنسي أنتج لنا فيما بعد انقساما في مستوى النخبة المتعلمة المثقفة و ثنائية متناقضة بين نخبة متخرجة من المدارس الفرنسية والمتشربة والمنطبعة بالثقافة الغربية واللغة الفرنسية والتي كانت منفصلة معنويا وفكريا عن الطبقات الأخرى داخل المجتمع[27]وفي المقابل النخبة المتخرجة من الزوايا والمدارس والمعاهد التقليدية الإسلامية ومدارس الإصلاح ومراكز التعليم العربية المنتشرة آنذاك مثل(الزيتونة، القرويين، الأزهر...)وهي الأكثر تعبيرا عن مكونات الهوية الوطنية الجزائرية ومعها بدأت تتشكّل بدايات تيارات الحركة الوطنية والإصلاحية الجزائرية.

4. الحركة الإصلاحية الإسلامية الجزائرية:

اتخذ المجتمع الجزائري عدة استراتيجيات للمقاومة والممانعة الثقافية والسياسية والاحتجاج على الهدم الثقافي والفكري الذي

صاحب الغزو العسكري، فبرز عبر الحركة الوطنية والإصلاحية الإسلامية الجزائرية للرد على أخطر مرحلة والتي جاءت كرد فعل للمرة الثانية منذ1880م وما بعدها فاستعباد العقول أخطر من استلاب الأراضي، لذلك بدأ الرد الفعل الطبيعي على المحو والمسخ لشخصية وهوية الفرد الجزائري لمكوناته الأساسية من دين ولغة وثقافة بعدما وُئِدت مختلف مؤسساته وتنظيماته الاجتماعية والسياسية والثقافية التقليدية التي كانت تعبّر عنه و تضمن حمايته ماديا ومعنويا وتحصنّه ذاتيا وشخصيا وتوّفر أمنه فكريا وثقافيا، وبالتالي ستكون هذه الفترة من تاريخ الجزائر بداية لتأسيس الأرضية الصحيحة والسليمة للانطلاق بالنضال المسلح والثورة التحريرية وهي مقاومة من نوع آخر:إنها **المقاومة الثقافية والإصلاحية** التي شملت كافة المجالات وجاءت رداً لسياسات واستراتيجيات الهدم الاستعمارية الفرنسية على الفرد الجزائري، وهي شكل جديد من الممانعة اتخذها المجتمع لإعادة بعث مؤسساته المنهارة ومحاولة فرض وضع اجتماعي سليم يبحث فيه عن توازن أنساقه ويعيد شبكة العلاقات التي تعبّر عن ذاته وهويته الأصيلة قصد إزالة التوتر الحاصل في بناه الأساسية.

ونحن بصدد تتبع الحركة الإصلاحية التي كانت إلى جانب النخبة الحداثية كونها أدت دورا بارزا في ساحة الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية خلال القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين باعتباره تيّارا لم يكن استثناءا بالجزائر بل عمّ كل أنحاء العالم الإسلامي في شكل دعوات وجهود لمصلحين وعلماء عبر أقطار العالم

الإسلامي ك: **محمد بن عبد الوهاب، جمال الدّين الأفغاني، محمد عبده، رشيد رضا**...،ساعين لتجديد الدين الإسلامي والنهضة بالأمة الإسلامية للرجوع بها للمصادر والمنابع الإسلامية الأولى الصحيحة(الكتاب والسنّة)ووجدت هذه الدعوة صداها في الجزائر عبر الصحف المشرقية عامة و التونسية الإصلاحية خاصة التي كانت تصل للجزائر وتطلّع عليها النخبة الإصلاحية الجزائرية، فالحركة الإصلاحية الإسلامية دعوة فكرية عملت على صياغة مشروع فكري إصلاحي يتناول النوازل والرزايا التي ألمّت بمجتمعات العالم الإسلامي على وقع الاستعمار البريطاني والفرنسي بدراسة الأوضاع وتحليل مختلف المشاكل والظواهر المترتبة عنه واقتراح الحلول لتصحيح العطب والخلل والاضطراب الحاصل في الهياكل والبنى الاجتماعية والتمزق الذي عرفه النسيج الاجتماعي العام ليتم إخراجه من هاوية سقوطه الحضاري والعمل على إعادته لخط أحداث التاريخ ودفعه للاجتهاد والتجديد والإبداع عبر تحرير وعيه من الخرافة والدجل والتقليد الأعمى وتكرار الحواشي وتكرار الشروح والمختصرات؛ وهي مرحلة هامة عبّرت عن مدى تقهقر وتراجع المسلمين بسبب" الإرهاب الثقافي(الحاصل جراء) محاربة اللسان العربي ومنع الشعب الجزائري من تعليم اللغة العربية لأبنائه في مختلف المدارس والزوايا المنتشرة"[28]آنذاك، لتتحول المقاومة المسلحة إلى-مقاومة اللغة والقلم - مقاومة ثقافية أطلقتها النخبة كأولى أعمال التنوير الفكري والإصلاح الديني و بادر به مثقفون وعلماء ك: **الشيخ صلاح بن المهنا القلي** و **عبد الحليم بن سماية** و**عبد القادر المجاوي** و**المولود بن الموهوب** و**السعيد بن زكري، الشيخ عبد المجيد بن عبد الله بوجمعة، حمدان الونيسي، ابن العابد ،محمد بن خوجة**..." وغيرهم ومن أمثال الشبان الجزائريين:**محمد بن الرحال، الطيّب مرسلي** و**أحمد بن بريهمات**...وغيرهم، تجلت في أعمال فردية ومحلية ثم تسلحت هذه النخبة المثقفة بوسائل عمل جديدة كونها احتكت خارج البلاد بأفكار وأساليب نضالية متنوعة مستوحاة من الحضارة الغربية فأسس كل واحد منهم الصحافة باللغة العربية أو الفرنسية(حسب تكوينهم)لاستعمالها في تكوين الرأي العام وتوعية وتثقيف الشعب والمطالبة بحقوقهم بكل أنواع وأساليب الممانعة السلبية والإيجابية، التي كانت بداية بالنشاط السياسي للقضاء على الجمود السياسي في أمتهم وكسر الإمتثالية الدينية والتبعية الثقافية السلبية؛ قامت به عدة شخصيات منها من طالب بالمساواة **كالأمير خالد**، ومنهم من طالب بالاندماج مثل: **ابن**

جلول و**فرحات عباس** و من طالب بالاستقلال: **مصالي الحاج** ومن طالب بالإصلاح مثل **الشيخ ابن باديس**، ومنهم من فضّل الهجرة للمشرق العربي وبعضهم انغلق على نفسه ضمن التيّار الصوفي الطرقي الغامض وبعضهم أخذه تيّار الولاء للاستعمار في حين ناضل آخرون لإيصال أصواتهم لسلطة الاستعمار متبعين أساليب متاحة للتعبير والحوار" بمقاومة الحوار في مقابل مقاومة الرفض"[29]عن طريق وسائل وأدوات العمل الاجتماعي كالمظاهرات وتقديم العرائض وإرسال الوفود، المشاركة في الانتخابات، الكتابة وإصدار الصحف أو تقديم الشكاوي والعرائض...قصد رفع المظالم والمطالبة بحقوق أوسع للأهالي، لذلك يمكن النظر للنشاط الحركي الإصلاحي كنتيجة عامة وهامة للارتجاج الاجتماعي العام؛ إنّ هذه النخب الجزائرية المتخرجة من بقايا المؤسسات التعليمية التقليدية التي نجت من عملية الغزو وبعدما استكملت تعليمها في بعض المراكز الثقافية الإسلامية بالزيتونة والأزهر والقرويين ومكة والمدينة المنورة والقدس ودمشق...أو تلك التي أتاح لها وضعها الاجتماعي الالتحاق بالمدارس الفرنكو-إسلامية أو المدارس الفرنسية والتي خدمت في أجهزة إدارة الاستعمار(الإدارة أو الجيش...) تأثرت كلها بالأحداث الدولية الإسلامية والأوروبية آنذاك كأحداث تركيا1908م وتونس(1912-1911) والحرب العالمية الأولى وتجنيد الشباب الجزائري المسلم للخدمة العسكرية الإجبارية وهجرة العديد من الشباب الجزائري خلال هذه الفترة للمشرق أو تونس مؤقتا ثم عودتهم بعد نهاية الحرب العالمية الأولى بذهنية وعقلية حاشدة من المشرق العربي وبأفكار تحريرية وإصلاحية ونهضوية جاءت معها بذرة الحركة الإصلاحية إلى الجزائر[30] فعملت على أن تقود ساحة النضال الديني الإصلاحي لتبعث الوعي بأسئلة الهوية والشخصية الوطنية للنهضة وإشكالية السعي للتقدم عن طريق المطالبة بالحقوق وتحسين أوضاع الجزائريين المسلمين.

إن هذه الساحة التعليمية باختلاف مؤسساتها التقليدية والفرنسية أنتجت لنا أنماطا جديدة من الأفكار والإيديولوجيات ما ترتب عنها نخب مثقفة متباينة الأفكار والرؤى"ظهرت فيها أشكالا جديدة من الصراع والتي ستكون أشكالا للحركة الوطنية"[31]فيما بعد فقهوا واقعهم ونادوا للعمل على محاربة الجهل والأخذ بأسباب العلم والحضارة والرقي واليقظة وتجديد الدين الإسلامي وإعداد وإمداد الأمة بالعلماء والمصلحين والأئمة والمدرسين لإنتاج جيل الإصلاح والنهضة الدينية ،الثقافية

والتعليمية، فكانوا خط الدفاع الخلفي للبنية الثقافية فاتحين بذلك قناة للعبور نحو القرن العشرين والخروج بشخصية وهوية المجتمع الجزائري من الركود والتأخير والانحطاط الحضاري الذي أحدثه وتعمّده الاستعمار الفرنسي وإيقاظه من غفوته للتكيّف مع المعطيات المستجدة في العالم والبحث عن التوازن لاستعادة الاستقرار وإدراك الخلل الحاصل في البنى الاجتماعية بالإصلاح، فبدأ بثّ أفكار الحركة الإصلاحية عبر نشاطاتهم الثقافية والتعليمية والدعوية مع جملة من العلماء والدعاة ومن سار على دربهم ونهجهم، فكان الجهد الإصلاحي الفردي قد تجمّع في فكر رموزه التقليديين وسيتجمع حول رموز جدد من العلماء الشباب الذين سافروا للمشرق وعملوا أو درسوا هناك ثم عادوا للجزائر وقد تأثروا بالأفكار السلفية والنهضوية، إلاّ أن هذه الأعمال الفردية ستنتظم عبر العمل الاجتماعي المنظم تحت شكل جمعوي أو حزبي ومؤسساتي حركي منظم على المستوى الوطني وخاصة بعد صدرو قانون الجمعيات الذي فتح المجال للتعبير للأهالي(قانون 04 فبراير1919)و سعى بعضهم لإنشاء مدارس للتعليم العربي الحر؛ والذي يمكن ملاحظته في هذه الفترة بروز حركة العمل الجمعوي والثقافي بقوة كإلقاء محاضرات والكتابة والتأليف والشعر وإصدار الصحف باللغتين العربية والفرنسية للتعريف بقضاياهم والدفاع عنها مثل:**الأمة الجمهورية الجزائرية، الشهاب، الشعب**...وطبع الأعمال التراثية، فتأسست العديد من النوادي(كنادي ترقي)والمنظمات والجمعيات الثقافية والعلمية والرياضية عبر مختلف مناطق الوطن مثل: الجمعية التوفيقية والراشدية في العاصمة، ونادي صالح باي في قسنطينة ونادي الهلال والتقدم في عنابة ووداية العلوم العصرية في خنشلة...[32]و غيرها، أدت أدوارا تعليمية تربوية تثقيفية والتوعية هامة جدا، غير أن هذه النخب المثقفة باختلافها كانت تعبّر عن الواقع الثقافي لمنظومة تعليم تلك الفترة، وما أنتجته عكس مشهدا انقساميا متباينا من حيث أصولها الاجتماعية ومرجعيتها الفكرية وخلفيتها اللغوية والإيديولوجية وتصوّرها للتغيير والإصلاح الذي ينبغي انتهاجه والدرب التي عليهم سلوكها لتغيير الوضع الاستعماري في البلاد ،كون هذه النخب المثقفة لم يكن لها موقف موحد من القضايا المطروحة في الساحة الجزائرية آنذاك مثل(التجنيد الإجباري، قضية التجنيس والإدماج، وضع اللغة العربية، المرابطية، المشاركة السياسية والأحزاب...)فيمكننا عبره ملاحظة استقطابا واختلافا يصل لحد التناقض ما أدى لتكوّن تياران كبيران، أثّرا فيما بعد على كل الحياة

الثقافية والسياسية الجزائرية خلال كل الفترة الممتدة بين الحربين العالميتين: تيّار من ذوي التكوين الفرنسي مؤيد لفكر لتغريب المجتمع الجزائري عبر الثقافة الفرنسية وما يصطلح عليه مؤرخوا هذه الفترة بكتلة الشبان وجماعة النخبة أو النخبة الحداثية، في مقابل التيار الإصلاحي الذي يناضل من أجل العودة للمنابع الإسلامية وتجديد وبعث اللغة والثقافة العربية في الجزائر[33] وهو ما عرف بكتلة المحافظين أو العلماء أو النخبة التقليدية، فبذلك يكون هذا المشهد الانقسامي داخل النسق الثقافي الجزائري يبرز أمامنا بشكل جليّ وواضح كنتائج أولى وأولية للتعديلات والتغييرات التي أدخلها واستحدثها قسرا الاستعمار الفرنسي للهياكل والمؤسسات والعناصر الاجتماعية والثقافية المختلفة للمجتمع الجزائري والتي ستستمر معه وتساهم في رسم معالم الأحداث والقضايا التاريخية الهامة للأمة، وهذا لكون الأطر المرجعية التقليدية تأثرت بشكل كبير وواضح وراحت تخلي مكانها لقيم ثقافية دخيلة مستمدة من إطار ثقافي غربي فرنسي لدى شريحة واسعة من نخبة تلك الفترة التاريخية وتتوسّع مساحة العزوف والابتعاد عن النسق التقليدي عبر الجيل التالي لمن يمكن تسميتهم بالحداثيين، في المقابل نخبة بقيت وفيّة لموروثها الحضاري والثقافي ومدافعة عنه وهذا ما سيؤثر في كل ذلك على أرضية المطالب التي ناضل ونادى من أجلها كل هؤلاء، فهي مرحلة مخاض هامة تشكلت في ظلها معالم خريطة التصوّرات الفكرية وقاعدة المرجعيات الدينية والذهنية والإيديولوجية والحزبية التي سطّرت معالم كل الحركة الوطنية والإصلاحية حتى يومنا هذا، وفي هذا الصدد يقول **أبو القاسم سعد الله**:"تكاد جميع الاتجاهات السياسية والإيديولوجية الموجودة في الجزائر اليوم تعود إلى العشرينيات من هذا القرن. فقد ظهرت جماعات وأحزاب مختلفة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار كان مقدر لها أن تقود الحركة الوطنية إلى انفصالها النهائي عن فرنسا سنة 1954م حقا أن الزعماء قد ماتوا أو غيّروا من آرائهم ومناوراتهم ولكن الإيديولوجيات الأساسية التي ظهرت قد بقيت تقريبا هي نفسها إلى الوقت الحاضر"[34].فكانت سنوات العشرينات من القرن الماضي الانطلاقة الفعلية والحقيقية للفكرة الإصلاحية في شكلها الفردي بداية ثم تنظمها في شكلها الجماعي والحركي المؤطر وهذا الوعي كان بمثابة صحوة وعلامة على تطوّر حاسم للرأي العام الإسلامي في الجزائر ونقطة انطلاق لمخاض الإيديولوجية التي تميزت بها الحياة الإسلامية في الجزائر خاصة بعد تأسيس **جمعية الإصلاح** في الجنوب

بقيادة **إبراهيم بيوض** و**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** بقيادة **الشيخ عبد الحميد بن باديس** في 1931م ليقتنع العلماء بضرورة توحيد جهود الإصلاح والانتقال من العمل الفردي للعمل الجماعي أكثر فاعلية وتأطير وتنظيم، فكانت الجمعية بذلك التيار التنظيمي والحركي العلمي الديني الذي اجتمعت فيه الجهود الفردية التي لم تنقطع منذ أواخر القرن التاسع عشر مع المقاومات الشعبية الجزائرية المسلحة والتي أسميناها بالمقاومة الثقافية لتكثّف نشاطها على أيدي الذين تربوا و تتلمذوا لدى روّاد العمل الإصلاحي الأوائل ثم تعرف انتظامها وتوحدها، وبذلك تعد فترة ما بين الحربين العالميتين مرحلة تحوّل كبير في تاريخ الحركة الوطنية والإصلاحية تجسّد في الصحافة الجزائرية التي عمدت لتنظيم وعي الجماهير واتسمت بالنضج الفكري للنخبة الجزائرية خاصة الصحافة الناطقة باللغة العربية وكانت السبيل الفعّال والناجع لتأصيل وتثبيت مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية[35]فنشطت جمعية العلماء المسلمين عبر الصحافة لإدراكها أهميتها ودورها في تبليغ وتوجيه الرأي العام لمختلف قضايا الأمة المطروحة آنذاك وترسيخ الوعي لدى الجزائريين بأصالة قيمهم وتقاليدهم ودينهم.

5. **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:**

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم تشأ أن تكون حزبا سياسيا يضاف لقائمة الأحزاب السياسية الموجودة آنذاك على الساحة، كون اختيارها للعمل الثقافي والديني الدعوي هو السبيل الأمثل والأنجع والمدخل الأساسي وركيزة هامة لتعبئة المجتمع الجزائري ضد المشروع الثقافي الفرنسي الاستعماري لفرنسة وإدماج وتنصير الجزائريين، خاصة بعد الاحتفالات المئوية لاحتلال الجزائر الذي أثار حفيظة الجزائريين وخاصة العلماء منهم كونها عبّرت عن تأبّد الاستعمار في أرض الجزائر ولم يكن هناك سبيل أمثل من ردّ للاستعمار الثقافي إلا بالمقاومة الثقافية أولاً وساهم المناخ العام بالنسبة للفرنسيين موسوما بالانفراج اتجاه الأهالي ما ترتب عنه تليين للسياسة الأهلية، وأبدوا مؤسسي الجمعية مهارة بسعيهم لجلب الإدارة لصالحهم قبل التماس الرخص الضرورية وبأنها جمعية دينية صِرفة، لأجل ذلك نصّ ميثاقها التأسيسي "بأن نشاطها إرشادي تهذيبي هدفه محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والجهل وكل ما يحرمه الشرع وينكره العقل أما وسائلها في تحقيق ذلك فهي فتح المراكز والنوادي والمدارس الحرة"[36]. تأسست في الجزائر يوم الثلاثاء 17 ذو الجحة1349 هـ

الموافق لـ 5 ماي 1931م بنادي الترقي من طرف هيئة مشكلة من أشخاص حياديين ينتمون للنادي، أعلنوا أن الجمعية دينية تهذيبية تسعى لخدمة الدين والمجتمع، لا تتدخل في السياسة ولا تشتغل بها، فانتخبوا مجلسا إداريا للجمعية يتكون من ثلاثة عشر عضوا برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي لم يحضر إلاّ في الأخير وباستدعاء وكان انتخابه غيابيا[37]وحتى يسهل الإشراف على متابعة العمل الإصلاحي أول بأول، وتنشيط العمل الدعوي والتربوي الذي يقدّم في المدارس العربية الحرة التي كانت تعرف انتشارها في الوطن، كلّف الإمام عبد الحميد بن باديس باقتراح من الجمعية الشيخ الطيب العقبي بأن يتولى الإشراف على العمل الذي يجري في العاصمة وما جاورها تحت إشرافه المباشر وعبد الحميد بن باديس بقسنطينة وما جاورها في الشرق الجزائري والشيخ البشير الإبراهيمي بمنطقة الغرب الجزائري، وهكذا تقاسم هؤلاء العمل في القطر كله بتنظيم وتنسيق واستمر العمل الإصلاحي والجهد التعليمي عبر مختلف الشُعب المنتشرة في كامل تراب الوطن رغم كل العراقيل والاضطهاد الذي كان العلماء والمعلمون عرضة له؛ تشكّل مجلس الجمعية على النحو التالي:

1-الرئيس: عبد الحميد بن باديس **2-نائب الرئيس: محمد البشير الإبراهيمي**

3-الكاتب العام: محمد الأمين العمودي **4-نائب الكاتب العام: الطيب العقبي**

5-أمين المال: مبارك الميلي **6-نائب أمين المال: إبراهيم بيوض**

<u>الأعضاء المستشارين:</u>

7-المولود الحافظي **8-الطيب المهاجي.**

9-**مولاي بن الشريف.** **10-السعيد اليجري**

11-حسن الطرابلسي **12-عبد القادر القاسمي.**

13-عبد الفضيل اليراتني.

و تمثلت **أهداف جمعية العلماء** باختصار في:

1- إصلاح عقيدة الشعب الجزائري، وتنقيتها من الخرافات والبدع وتطهيرها من مظاهر التخاذل والتواكل التي كانت تغذيها مختلف الطرق الصوفية المنحرفة.

2- محاربة الجهل بتثقيف العقول، والرجوع بها للقرآن والسنة الصحيحة عبر وسائل العملية التعليمية التربوية.

3- الدفاع والمحافظة على الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، بمقاومة سياسة التنصير والفرنسة التي اتخذتها سياسة الاستعمار.

4- العمل على ترقية اللغة العربية التي حاربها الاستعمار الفرنسي وتبليغ رسالة الإسلام بمفهومه الصحيح ومنهجه القويم للنهوض.

6. **جمعية العلماء ووسائل واستراتيجيات الإصلاح:**

اعتمدت جمعية العلماء على عدة وسائل وأدوات لأداء دورها في تفعيل جهود الإصلاح و إيصال رسالتها للمجتمع بكل ما كان ممكنا ومتاحا من وسائط الدعاية والتوجيه لكسر الجمود الفكري والثقافي الذي خيّم على الجماهير لعدة عقود، فشكّل هدفها الإستراتيجي تصفية الفضاء الثقافي والعقدي من القيم الشركية و البدعية السلبية المدمرة لعقيدة المجتمع وإحلال محلها العقيدة والمذهب الإسلامي الصحيح الإصلاحي الذي يساهم في تقدّم الأمة الجزائرية بداية بتأسيس فضاء ثقافي جديد يعيد للفرد عقيدته الصحيحة وفق منهج الكتاب والسنة النبوية ويُوجه المجتمع لمقتضيات العصر والسير لمستقبل متقدم مزدهر عبر تحرير تعليم اللغة العربية وإعطائها مكانتها بتأسيس المدارس العربية الحرة لتعليمها والنوادي والصحافة العربية وإعادة بعث الوقف الإسلامي الخيري الذي كان يغذي الحياة الثقافية الإسلامية، وإقامة الندوات والملتقيات وإلقاء المحاضرات وتكثيف الدروس....فتح النوادي الثقافية، العلمية والرياضية.

7. **صحافة جمعية العلماء (جريدة البصائر) نموذجا:**

ابتداء من سنة1925م عرف التيار الإصلاحي عدة جرائد ومجلات نشط فيها الفكر الإصلاحي للجماهير بداية مع **جريدة المنتقد** و **الشهاب** لـ **عبد الحميد بن باديس،** ثم تأسست صحافة جمعية العلماء المسلمين بإصدار قرار لها سنة1933م، وأصدرت مجموعة من الصحف ك**الشريعة المحمدية** و **السنة النبوية** و**الصراط السوي، السنة النبوية** و **الجحيم، الشريعة، الصراط السوي** التي اهتمت بشؤون الأمة الجزائرية والعربية عامة وبشمال إفريقيا بصفة خاصة، وكانت تسعى لإحياء اللغة العربية وحاربت عن طريقها صحافة الطرق الصوفية المنحرفة والمهاجمة لمنهجها، إلاّ أن الإدارة الاستعمارية كانت توقف كل جريدة تشكّ في لهجتها أو اتجاهها إلى أن ظهرت **البصائر** على مرتين: السلسلة الأولى صدرت ما بين(1935م-1939م) أما السلسلة الثانية فقد

ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية ما بين(1947م-1956)حيث اغتنمت جمعية علماء المسلمين "فرصة رحيل **جان ميرانت** عن الولاية العامة المعروف بنزعته المعادية للإصلاح، ليتصلوا بالمدير الجديد **ميو miot** وعبّروا عن أهداف جمعيتهم وهو العمل على تعليم الشعب لغته ودينه، وابتعادهم كليا عن السياسة"[38]و طلع عددها الأول في 27 ديسمبر 1935م حيث أوكلت جمعية العلماء المسلمين إدارتها ورئاسة تحريرها في البداية للشيخ **الطيب العقبي**، وصاحب الامتياز **محمد خير الدين**،كان شعارها الآية القرآنية:« **قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعلها وما أنا عليكم بحفيظ**[39]» كانت تطبع في أول أمرها بالعاصمة بالمطبعة العربية التي يملكها«أبو اليقظان أحد أعضاء إدارة جمعية العلماء المسلمين في ذلك الوقت، ذات حجم متوسط (28×40سم) من ثماني صفحات، تحمل عدة مواضيع مختلفة، أدبية، دينية، اجتماعية، سياسية...[40]» . فشهدت فترة ما بين الحربين العالميتين بروز نشاط الحركة الإصلاحية وتصدّرتها جمعية العلماء خاصة عبر صحيفتها **البصائر** فتكثّف الإنتاج الفكري والأدبي لدى أعلام جمعية العلماء وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس وجريدته الشهاب كما كان له حضور قوّي وبارز في جريدة البصائر عبّر فيها عن فلسفته ورؤاه الفكرية والدينية والإيديولوجية ومنهجه في الإصلاح و فتاويه في قضايا هامة للأمة الجزائرية بخصوص التجنيس والتجنيد الإجباري والزواج بالكتابيات ...،كما نجد مشاركة هامة وفعّالة وبأسلوب لافت لإصلاحيين من دول مختلفة من العالم العربي والإسلامي ما يظهر لنا مدى لحمة العالمين المغاربي والإسلامي في هذه الفترة من التاريخ، فعرفت الساحة الأدبية والصحفية إنتاجا أدبيا واجتماعيا فكريا ثقافيا، وتربويا...من أمثال: **محمد الطاهر بن عاشور** من تونس و **محمد علال الفاسي** من المغرب ومفتي الأزهر من مصر، وسوريا...وغيرهم من البلاد العربية والإسلامية، ما يعطينا صورة بسيطة عن التوجه الإيديولوجي للخطاب الإصلاحي الموجه للأمة الجزائرية والعربية الإسلامية، والجدول التالي سيبين لنا أهم الموضوعات التفصيلية الصادرة التي تناولتها جريدة البصائر بالعناية والطرح والتحليل والتبيان وفق معدل تكرار هذه المقالات لكل فئة من فئات التحليل المختارة في دراسة تحليل محتوى للجريدة في سنتها الأولى فقط عبر 50عدد.

جدول رقم(01) النسب المؤوية لموضوعات أعداد جريدة البصائر لـ 50 عدد خلال السنة الأولى.

المحاور		عدد المقالات			النسبة المئوية
		ت	%		
المسائل الدينية العقدية الإسلامية	المواضيع الوطنية	94	%24.35	131	%33.93
	المواضيع الدولية	24	%06.21		
	الفتاوى	13	%03.36		
المسائل الفكرية والثقافية	المواضيع الوطنية	83	%21.50	118	%30.56
	المواضيع الدولية	35	%09.06		
المسائل السياسية	المواضيع الوطنية	62	%16.06	86	%22.27
	المواضيع الدولية	24	%06.21		
المسائل الاجتماعية والاقتصادية		20			%05.18
المسائل الأخلاقية والتربوية		35			%09.67
المجموع		386			%100

من خلال الجدول يمكننا ملاحظة أهم المواضيع للأعداد الخمسين من جريدة البصائر في السنة الأولى موزعة على أغراض متعددة تتنوع ما بين العقدي الديني والفكري والثقافي والسياسي، الاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي والتربوي ببعديه الوطني والدولي، وللإشارة هي أغراض جاءت في الجريدة أساسا لخدمة أهداف جمعية العلماء المسلمين

بحسب ما صرحت به عن كونها جريدة ثقافية تهذيبية دينية هدفها التعريف بحقيقة الدين الإسلامي ونشر قيمه وتعاليمه السامية وتعليم اللغة العربية.

جاءت عملية توزيع الموضوعات على المحاور المختارة كفئات للتحليل لتكشف عن أكبر نسبة من هذه الموضوعات هي المواضيع التي تعالج المسائل الدينية العقدية الإسلامية ببعديها الوطني والدولي، فقدرت أعلى نسبة لهاب 33.93% ثم انقسمت وتنوعت المسائل الدينية بدورها ما بين وطنية عرفت نسبة 24.35% في المركز الأول تليها المواضيع الدينية العقدية الدولية بـ06.21% ثم الفتاوى بـ03.36%. أما فيما يتعلق بالمسائل الثقافية والفكرية فقدرت نسبتها بـ30.56%والتي انقسمت بدورها لشقين هامين :الوطنية التي تناولتها الجريدة بنسبة21.50% ثم المسائل والمواضيع الفكرية الثقافية الدولية سجلت نسبة09.06%.

كما نجد حضور المسائل السياسية التي شغلت حيّزا نسبته22.27% من جريدة البصائر(في سنتها الأولى) تفاوتت ما بين مسائل وطنية قدّرت بـ 16.06% ومواضيع دولية بنسبة 06.21% من مجموع المقالات.

فيما يتعلق بالمسائل الأخلاقية و التربوية فقد ظهرت بنسبة تقدر بـ09.67%، أما المواضيع والمسائل الاجتماعية والاقتصادية سجلت أدني نسبة بـ 05.18% من المجموع الكلي للمقالات المنشورة للصحيفة.

لقد ألمحت لنا هذه النسب والأرقام تركيز **جريدة البصائر** في سنتها الأولى- وبأعدادها الخمسين- على المسائل والمواضيع **الدينية العقدية الإسلامية** وهذا أمر طبيعي كونها جريدة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ولسان حالها، والتي ذكرت أنها تسعى عبر أهدافها للتثقيف والتربية والتهذيب والتعريف بأصول الدين الإسلامي وخاصة العقيدة الإسلامية الصحيحة، فبرزت البصائر كمنبر هاما لفتاوى مهمة للأمة الجزائرية ومن أكبر وأهم وأكثر الصحف الجزائرية شهرة وانتشارا عملت على تعليم الشعب لغته ودينه في داخل وخارج الوطن، واتجه كتّابها وجهة فكرية تعطي للهمّ الديني العقدي والفكري والثقافي أولوية هامة.

ومن جهة أخرى سجلنا حضور المواضيع **السياسية الدولية والوطنية** في الجريدة على الرغم من الطابع الديني في تعبيرها، حيث تعاملت بأسلوب تكتيكي ماهر، فسارت حسب متطلبات المرحلة بتناولها للمسائل **السياسية الوطنية والدولية** وفق ماتقتضيه

الحاجة والمرحلة والتزامات الجمعية بعدم الخوض في السياسة وهو التزام فرضته الجمعية على نفسها لكنها أُرغمت على دخول هذه المواضيع كونها جاءت كرد فعل لبعض المسائل والأقاويل التي طالتها أو طالت أعضاءها فاحتلت بذلك هذه المسائل المرتبة الثالثة في الجريدة؛ ولعل العامل الرئيسي في ذلك هو توجيه رسالة شديدة للأطراف المعادية لها من جهة على لسان رئيسها أو أحد أعضاء الجمعية، ومن جهة ثانية هو التنديد بالمؤامرات التي حيكت ضدها وما نتج عنها من أحداث هامة (كحادثة اغتيال الشيخ كحول واتهام الشيخ الطيب العقبي باغتياله) وقرارات الإدارة الاستعمارية بإغلاق المساجد الحرّة التابعة للجمعية ومنع التدريس العربي الحر بمدارسها...

إن تطوّر الأحداث التي ميزت الجزائر والحركة الإصلاحية الجزائرية في فترات مبكرة في منتصف الثلاثينات **وبداية تشكل الوعي الإصلاحي والسياسي وتنظيمه وتفعيله وتوحيده لدى الإصلاحيين والنخبة المثقفة السياسية** والعمل على ضرورة التهيئة الجماهيرية والاجتماعية والسياسية جاء لبناء الشخصية الوطنية العربية الإسلامية ثم العمل على بث الوعي السياسي والديني للتخلص من الاستعمار والمطالبة بالاستقلال؛ على الرغم من الأسلوب الهادئ والرصين واللين والمهادن اتجاه الإدارة الاستعمارية في محاولة لتمرير أهدافها الإصلاحية من جهة وأن لا تفتح على نفسها كل الجبهات من جهة أخرى إلا أنها دخلت المجال السياسي من بابه الواسع نظرا لطبيعة المواضيع المطروحة والملحة في الساحة الوطنية، ويظهر هذا التوجّه خاصة لدى دعوتها كل أطراف الحركة الوطنية لعقد المؤتمر الإسلامي 1935م والنتائج التي خرجت بها من المؤتمر وسعيها الحثيث لتحقيق مطالب الجزائريين لتحسين أوضاعهم؛ فاعتمدت المرحلية والتدرج في معالجة المواضيع والمطالبة بالحقوق فهي ترى أنّ تنقية العقيدة للفرد الجزائري المسلم من البدع والضلالات التي نشرتها الطرقية الصوفية المنحرفة قضية مصيرية وجهد هام، لذا كان اهتمامها منصبا على الجبهة الداخلية في التصدي للانحراف والإنزلاقات العقدية الخطيرة وتدهوّر الديانة الإسلامية في الجزائر وغربتها لدى أفراده تصدّر أولوياتها.

ثم إن الموضوعات **والمسائل الفكرية والثقافية** تجلت في مختلف عناوينها وتمحورت للتأكيد أنّ الإسلام دين للحضارة والتقدم والرقي وتتمه لمكارم الأخلاق من خلال إبراز إسهاماتها الحضارية الإسلامية التي قدمتها الأمة الإسلامية طيلة عقود للبشرية جمعاء

في مختلف الميادين والمجالات العلمية والدينية العقدية والفكرية و التنظيرية والأدبية....ثم الإشادة بدور المسلمين كعنصر منتج وفاعل في الحضارة الإسلامية وإبراز أهم التأثيرات الإسلامية على التطور التقني الغربي، وذهبت أكثر الموضوعات في المحور الثقافي لتبيان أعمال ونشاطات الحركة الإصلاحية المختلفة عبر مختلف مناطق الوطن، فأعطت صورة لما كانت تقدمه من حركة فكرية ثقافية أدبية وعلمية تجسدت في تنظيم أمسيات شعرية، احتفالات ومحاضرات دينية تنقل فحواها عبر مقالات صحفية ترسم الفعل الاجتماعي المنظم والبديع لوسائل وأدوات النشاط الإصلاحي بين جموع المواطنين والمدعوين من الحاضرين والمثقفين في احتفالات ومناسبات والأمسيات متنوعة تبعث على وحدة اللحمة الفكرية الثقافية والمنهج الإسلامي الإصلاحي والسعي لتحقيق النهضة، ويبدو لنا ذلك مبررا لطبيعة تلك المرحلة فقد كان الصراع الفكري والثقافي على أشدّه بين النخب المثقفة ثقافة غربية (الحداثيين) وثقافة عربية إسلامية، وثقافة تقليدية(الطرقية والصوفية) فتلك الفترة كانت مفتوحة على عدة مذهبيات وإيديولوجيات على رأسها المذهبية الرأسمالية الليبرالية الماركسية والعلمانية... وسارت هذه النخب باتجاه نقد الدين الإسلامي والحملة عليه، كونها تؤكد على تخلّفه وعدم صلاحيته لإدارة الحياة الحديثة وعائقا أمام عملية التحديث ولابد من إزالته من الحياة الاجتماعية لتطور المجتمع سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، أما الجبهة الثانية وهي الرد على الإسلام التقليدي الطرقي الذي خدّر العقول لعدة عقود وجمّد الفكر في قوالب جاهزة تمثلت في الاستسلام للقدرية والمحتوم والمكتوب والتسليم للوضع الاستعماري للبلاد وتقبّل العيش في كنفه وإثبات تخلّف الإسلام.

وعليه فإن جمعية العلماء المسلمين عبر مواضيعها المختلفة والمتنوعة في جريدتها البصائر وفق السياق العام للمجتمع الجزائري كانت تبحث في أسباب التخلّف والتأخر والتقهقر في العالم الإسلامي بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة فتعطي تشخيصا للأمراض والعلل التي فتكت به وأقعدته عن السير قدما والإنتاج عبر اقتراح السبل والطرق العلمية الميدانية الكفيلة بعودة الإسلام من جديد للريادة والفعل الحضاري الذي نهلت منه كل الحضارات في العالم من قبل، وهو الأمر الذي تولت التركيز عليه في المسائل **الأخلاقية والتربوية** ثم **الاجتماعية والاقتصادية،** فنادت عبر جريدتها جمعية العلماء وحمسّت أثرياء الجزائر لإعادة بعث الوقف الإسلامي الخيري والمساهمة في سنّ

تشييد المدارس العربية الحرة وبناء المساجد الحرة وفتح النوادي والجمعيات وتعميرها وكفالة الطلبة الفقراء لطلب العلم وتمويل التعليم العربي الحر والتي ستكون الوجه المعبّر عنه من خلال نقد أهم الجوانب التي تسببت في الانكسار والضعف لدى الفرد المسلم والأخذ بيده نحو الأخلاق والتربية الصحيحة، والإرشاد والتوجيه المناسب لتربية الأجيال وتنشئتها على التوجه الصحيح لمنهاج الكتاب والسنة بالعودة للأخلاق الحميدة ومكارمها في إطار الثقافة العربية الإسلامية بإصلاح التعليم العربي الإسلامي وإحيائه والاهتمام بالتربية وحثّ الأمة على إرسال أبنائها بغية تعليم وتثقيف أكبر عدد ممكن من أبناء المسلمين (الذكور والإناث) فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته، كما لم تحرم الكبار من بث دروس الوعظ والإرشاد ومحو الأمية بتنظيم المحاضرات والتهذيب في شؤون الحياة العامة عبر نواديها ومساجدها ومدارسها.

لقد وقفت لمواجهة ومجابهة سياسة التجنيس بالمرصاد وأوردت في ذلك الفتاوى والمقالات منها بعنوان:"**المشكل الأعظم الجنس والتجنيس**"[41]وكتب الطيب العقبي افتتاحية بعنوان "**التجنس و المتجنسين**"،[42]أما لجنة الإفتاء لجمعية المسلمين كتبت في صحيفتها فتوى في افتتاحيتها بعنوان "**التجنس كفر وارتداد**"[43]ومقال آخر بعنوان "**فتوى جمعية العلماء المسلمين في التجنس الجزئي والكلي**"[44]إن الذي ظهر لنا من خلال تحليل مقالات جريدة البصائر أن سياسية جمعية العلماء وكتّابها لها مفهوم خاص بهم أخذت به منحى خاص ظهر في مختلف المواضيع التي تناولتها، فنظّرت لها وأسست لها بعمق ومارستها لأبعد الحدود إنّ هذه السياسة هي خدمة الأمة الجزائرية بصدق وإخلاص بتدبير الشؤون الدينية والدنيوية في مختلف المجالات الاجتماعية والمناحي الحياتية الثقافية الفكرية والتربوية، الاقتصادية عبر الأخذ بالأسباب الشرعية للعزة والفخر والانتماء الديني والقومي والتقدم في إطاره، وقد أشار الشيخ عبد الحميد بن باديس لذلك قائلا:" مبدؤنا في الإصلاح السياسي هو المحافظة التامة على جميع مقوماتنا ومميزاتنا كأمة لها مقوماتها ومميزاتها، والمطالبة بجميع حقوقها السياسية، والاجتماعية"، فالعمل السياسي الذي نستنتجه من الفكر السياسي والفلسفة السياسية التي ظهرت عبر جريدة البصائر هو جزء من العمل الإصلاحي العام الذي يدور في فلكه ويتوخى مقاصده ولا يخرج عن دائرته كونه(العمل السياسي)فهو ليس عملا

مستقلا بحد ذاته منفصل عن العمل الإصلاحي الديني بل هو كلٌ متكامل من العمل الديني والتربوي والثقافي والفكري وظهر جليا بارزا في رفض جمعية العلماء المسلمين مساندة فرنسا في الحرب العالمية الثانية وأصدرت فتواها في حق التجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي وعلى إثر ذلك أوقفت جمعية العلماء من تلقاء نفسها جريدة البصائر خلال هذه الفترة حتى لاتتعرض للضغط بسياسة حكيمة ورزينة من علمائها ومصلحيها.

- **المسائل والقضايا الخارجية في جريدة البصائر**: لقد كان توجه جريد البصائر في هذا الجانب عربي إسلامي بحت وهذا ما تجسد خلال مواقفها المختلفة في نقلها للأخبار الدول العربية الإسلامية خاصة بداية ظهور بوادر اليقظة الدينية والفكرية والسياسية والاجتماعية لمختلف الأحداث الداخلية والخارجية في العالم الإسلامي آنذاك، والحق أن الصحافة الإصلاحية كانت أشد اهتماما بأحداث الأمة العربية من خلال مقالاتها مثل القضية الفلسطينية تحت الانتداب البريطاني والقدس الشريف، ثم قضية الاستيطان اليهودي فيما بعد...،والملاحِظ يجد أنّ جريدة البصائر من أكثر الجرائد التي منحت لمواضيع العالم العربي الإسلامي عناية خاصة فنقلت أخباره وتتبعتها، وكان من بين الكتّاب والعلماء الجزائريين الذين رفعوا أقلامهم لمواجهة الخطر اليهودي في فلسطين **محمد الحسيني، الطيب العقبي، ابن باديس، مبارك الميلي، عمر راسم...** وغيرهم في جريدة البصائر، حيث كان لهم دور ريادي وهام وكبير في إيقاظ مشاعر الجزائريين لمساندة القضية الفلسطينية، إذ نجدها نشرت عدة مقالات ولعل منها ما كتبه مفتي فلسطين **محمد الأمين الحسني** في العدد 24 بعنوان **من فلسطين الدامية الشهيدة** قال: "تواجه فلسطين العربية أحداثا خطيرة أخذت تجرّ وراءها نكبات ومآسي...، سقط فيها كثيرون من الشهداء والجرحى... فأصبحت المعونة المادية والمواساة واجب لكل عربي مسلم، الذي لا يكون إلا بالتعاون والتعاضد...لكل العالم الإسلامي لإخراج فلسطين من محنتها"[45]

8-نماذج مختصرة لأهم الموضوعات المطروحة في جريدة البصائر:

حتى لا يستغرقنا الوصف والتصنيف الكمي لموضوعات جريدة البصائر سنحاول عرض بعض القضايا المهمة التي ناقشها كتّاب جريدة البصائر في تلك المرحلة التاريخية ونكوّن نظرة لبعض معالم الخطاب الإصلاحي للحركة.

أ- الجانب العقدي الديني: برز دفاع شديد عن عقيدة الإسلام الصحيحة، فشغل موضوع الدفاع عن الإسلام والشبهات التي ألحقت به والتعريف بعقيدته الصحيحة ومحاربة الشرك ومظاهره حيّزا بارزا وواسعا ، كونها أهم المكونات الأساسية لهوية الفرد الجزائري والمجتمع، وشمله بالعناية والاهتمام كتّاب جمعية العلماء والبصائر عبر مقالات قارّة متعددة فمنها ما اتجه للتعريف بالإسلام كدعوة إنسانية للقيم والأخلاق والمعاملات الفاضلة المنشِئَة للتحضّر، ومنها ما اتجه لشرح مذاهبه بروح منافحة للرد على ما عداه من الإيديولوجيات والمذهبيات وهدم دعاواها حول الدين الإسلامي، فوجهت رسالة واضحة منذ عددها الأول وعلى لسان رئيسها **الشيخ عبد الحميد بن باديس** قائلا: كونوا كما تشاءون أيها السادة - فلكم وأنتم تمثلون ما تمثلون - كل احترامنا وظنوا بما تشاءون، فإنا على بصيرة من أمرنا، ويقين من استقامة خطتنا، ونبل غايتنا، ومهما تبدلت اعتقاداتنا في أناس بتبديل معاملاتهم لنا، فلن تتبدل ثقتنا بفرنسا وقانونها وخطتنا المستقبلية وهي نشر العلم والفضيلة، ومقاومة الجهل والرذيلة"[46].

وجاء مقال لرئيس تحريرها الشيخ الطبيب العقبي تحت عنوان"**جاء الحق وزهق الباطل** " للتنديد بالمؤامرات التي حيكت ضد جمعية العلماء وأنّ العلة الحقيقية تتمثل في فساد عقائد المسلمين التي في صدورهم ولابد من العمل على تقنينها من الشرك والعمل على تصفية الإسلام من البدع والضلالات فتوالت المقالات الدينية في ذلك بعناوين مختلفة ومتنوعة،"**نحن الإصلاحيون و خصماؤنا، الإسلام دين الله الخالد، الشرك ومظاهره، مقال عن الطرقية، التصوف، بعض البدع التي يجب على المسلمين إبطالها، 'عادة ممقوتة بدع في الصلاة العيد، نهضة الإصلاح الديني وأثرها في النفوس الهداية والغواية، الاعتقاد الخالص ، الإصلاح أمس واليوم...**"وغيرها من المقالات التي تحذّر أيضا من خطر التبشير الديني، لذلك اختارت جمعية العلماء عن طريق جريدة البصائر أن يكون أهم عمل لها تقويم الجانب الديني للفرد في خطابها وعملها الإصلاحي واختارت وفقا لذلك خطة دينية سارت عليها على علم وبصيرة أثرت بها أيما تأثير على الجماهير الجزائرية في توجيه الرأي وتوعيته وإيقاظه وبعثه لنهضة الأمة الجزائرية، حيث أن الأهداف التي سطّرتها لمنهجها طبقتها كلّها أو جزء منها تجلت في ميادين مختلفة.

ب- الجانب السياسي: عملت فيه على مواجهة سياسات الاستعمار الفرنسية بخططه واستراتيجياته فتجلت مظاهر العمل السياسي بتنظيمها للمؤتمر الإسلامي سنة1936م

الذي دعت إليه جمعية العلماء عبر جريدة البصائر كل الأطراف الفاعلة في الساحة السياسية آنذاك من أجل التكاتف والتآزر وتوحيد الرؤية والجهود الحركة الوطنية والإصلاحية للمطالبة بتحسين أوضاع الجزائريين المسلمين، والاستقلال عن الكيان الفرنسي بغية إعادة بناء الهياكل والعناصر والبنى الاجتماعية الجزائرية التقليدية الأصيلة التي هدمها الاستعمار الفرنسي، غير أنّ هذه المطالب قوبلت بالرفض بعدما عاد الوفد خاوي الأيدي من فرنسا، فنقلت تفاصيل المؤتمر في الجريدة وجعلت الجزائريين على إطلاع تام لمجريات الأحداث.إن توجه جريدة البصائر فيما يخص المسائل والمواضيع والقضايا الخارجية كان توجها عربيا قوميا إسلاميا محض، يهدف لربط الفرد الجزائري بانتمائه الحضاري والتاريخي والمحافظة على التماسك العربي الإسلامي فعملت على إيصال ما يمكنها إيصاله للقارئ لما يدور في العالم العربي والإسلامي من تطوّرات للأحداث في مختلف الميادين السياسية الفكرية والثقافية و الدينية العقدية والفتاوى وكذا العلمية التربوية، كما نقلت معاناة ومشاكل مختلف الدول العربية الإسلامية، داخلية وخارجية وعلاقتها بالدول المجاورة لها كمشروع المغرب العربي الإسلامي وبذلك أعادت ربط الجزائري بمجالها الحضاري.

ت- الفتاوى في جريدة البصائر: وردت في جريدة البصائر في سنتها الأولى خلال 50 عدد حوالي 13 فتوى على شكل مقال صحفي والذي سجلنا نسبته 03.36% من مجموع المقالات المنشورة فيها قيد الدراسة نظرا لأهميتها، أخذت جمعية العلماء العهد على أن لا تنشر الفتاوى في جريدتها (البصائر) إلا ما صدر من لجنة الفتوى وما أقرّته هذه اللجنة، لأن الفتوى ليس من شأنها أن تذاع في الصحف السيّارة وذلك تعظيما لشأنها، فلم يصدر من الفتوى إلا ما لا يجوز تأخير البيان فيه عن وقت الحاجة، كالتحذير من المكائد الاستعمارية في إمامة من ولّتهم السلطات الاستعمارية ومسألة إعلان رؤية هلال رمضان وهلال عيد الفطر لتلاعب الاستعمار بها. لكننا وبعد التدبّر في الكثير من مقالات أعلام جمعية العلماء للمسائل والمواضيع الدينية العقدية المتنوعة في العبادات والمعاملات لا يمكن إلا اعتبارها فتاوى إلا أنها في شكل مقال أدبي بأسلوب تهذيبي وفق منهج علمي بحت بتأصيل للمسائل والتدليل عبر استعراض معانيها اللغوية والشرعية وتقاسيمها وأنواعها وأحكام العلماء فيها مثل سلسلة: **الشرك ومظاهره للشيخ مبارك الميلي، والإسلام دين الله الخالد للشيخ الطيب العقبي**...وغيرها كثير.

- جريدة البصائر خصصت **للجانب التربوي الدعوي** فيها نصيبا وافرا ومهما، كانت تبرز فيه الجوانب والمجالات العقدية، السياسية، الاجتماعية الثقافية والفكرية التي يجب أن يتربى عليها النشء حتى تشمل أكبر عدد ممكن من أبناء الشعب الجزائري بالعناية والتربية والتوجيه، ومن بين المسائل الأخلاقية والتربوية التي عالجتها جريدة البصائر عملت ساهرة على غرس بذور التربية السليمة في نفوس الناشئة بأخلاق القرآن الكريم والإتحاد والقوة، برز مقال بعنوان"**نحن قوم لا نعتني بتربية أبنائنا**[47]"**للطاهر الزواغي** الذي يظهر فيه الضياع الذي وصلت له أخلاق المسلمين ويرد الأسباب لعدم عناية المسلمين بتهذيب أبنائهم وفق التربية الإسلامية الصحيحة، وحرصا على تأطير الشباب الفعال في مسيرة الأمة، صوّر الواقع المزري في ظل الاحتلال ليكون الشباب الجزائري على استعداد ودراية ووعي لما يحيط به من أهوال الاستعمار وما انجر عن سياساته التي ضربت الشخصية الوطنية والهوية وتحضيره لما هو أعظم عبر المواجهة والمجابهة، فنادت البصائر جيل الشباب للإقبال على ثلاثة أمور هي الخلاصة في بناء جيل صالح يقود الأمة لبر الأمان وهي: **الأخلاق والعلم، والوطنية،** فالأخلاق الفاضلة المستمدة من التعاليم الإسلامية التي تحيي النفوس وتوقظ العقول والضمائر من الجمود المفروض لعدة عقود، ترفع وتجنب الشباب المسلم من الانحلال والتميّع الخلقي وتبعث على الابتعاد عن الرذائل وسفاسف الأمور ليسموا (الشباب) بتفكيرهم والتطلع لحياة شريفة وكريمة ومشروعة في خدمة الوطن والمجتمع والأمة الإسلامية بتقديم المصلحة العامة على المصالح الذاتية الشخصية الأنانية ولا يكون ذلك إلا عند الأخذ بزمام التعليم والعلم والمعرفة فهي معادلة تجعل من الأول يستلزم ويكمّل الثاني، أما الوطنية فهي تربط الشباب الجزائري بالوطن والعمل على المحافظة عليه وتخليصه من أيدي مغتصبيه، فالشباب ركيزة المجتمع[48]، ورأسماله لابد من تنقية عقيدته وحمايته من رواسب التيّارات الفكرية الغربية الملحدة الهدامة التي تلهيه عن دينه وعقيدته والنجاة به من الانحلال الخلقي والإباحية، عبر تكوينه على أسس دينه القويم قائدا لأمته نحو المستقبل يخلصها من دنس الاحتلال؛ فقامت جريدة البصائر بنشر العديد من المقالات تدعوا فيها الشباب المسلم للإقلاع عن الآفات الاجتماعية المحرمة وغير المرغوب فيها، وعرّفته وأجابته بمقال"**لمن أعيش؟**"عن هويته؛ ومما اهتمت بمحاربته ظاهرة **شرب الخمور**[49]وأصدرت في ذلك العديد من الفتاوى، وكذا **آفة انتشار**

الأغاني الماجنة خاصة تلك التي كانت تذاع على الراديو[50]وهي آفة تهدد الشعوب بالتدهور الأخلاقي، كما اهتمت بمحاربة **آفة الزنا والبغاء** وأبرزت مفاسده وأضراره على فئة الشباب الذي ضُيّعت طاقاته واعتبرت الآفة"باب يُدخل الشباب إلى جميع الرذائل ففيها يتلقى دروس الخمر والمخدرات والفحشاء والكذب وسوء الأخلاق وهكذا يتصل بسلسلة من المفاسد لا حصر لها ولا منتهى...[51]؛كما اهتمت بنشر فضائل الأخلاق والتحذير من الآفات النفسية **كالحسد والكذب** واهتمت بربط الجزائريين عبر نشر مقالات تدعوا **للأخوة الجزائرية برباط الفتح** للكاتب **أبو العباس أحمد بن الهاشمي**[52]تدعوا فيها للتكاتف والاتحاد والتضامن والتكافل ضد العدو الواحد، وبذلك تكون قد تصدت عبر إستراتيجية وخطة منهجية محكمة لسياسات التفرقة بين الجزائريين التي بثتها فرنسا لمحاولة فصل منطقة القبائل وحذرت من مغبة السقوط في مثل هذه الهاوية. وعليه فإن البعد الاجتماعي من منظوره الإسلامي كان حاضرا من خلال مواضيع اجتماعية مختلفة تهتم وتبحث في مختلف قضايا الفرد المسلم في حياته اليومية وعلاقاته الاجتماعية، كما أبرزت دور الحضارة الإسلامية في بعث نهضة أوروبا وأزاحت اللبس والغموض والتغييب عن كثير من القضايا الإسلامية وأزالت الشبهات والافتراءات التي ألصقت بالدين والحضارة الإسلامية في تأخر المسلمين.

ومما سبق يمكننا استخلاص جملة من **النتائج المختصرة** في النقاط التالية:

- تميزت المقالات المدروسة بأسلوب أكاديمي حملت لغة ثرية ونمط تحليل يستند للحجج والبراهين وفكرا راقيا موجّه للنخبة المثقفة باللغة العربية وكل من يقرأ ويكتب، ما جعلها تعرف مقرؤية واسعة بين مختلف شرائح وفئات المجتمع داخل وخارج الوطن.

- تصدر جريدة البصائر مباشرة عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأقلام أعضائها فدافعت عن قيم ومبادئ الجمعية المستمدة تواجهها من لب العقيدة الصحيحة وهدي السلف الصالح، فبيّنت فلسفة أفكارها بإيجاد توازن ثقافي أدى للتوازن السياسي، حيث سعت لتوعية الفرد الجزائري برصيده الثقافي والحضاري وقيمه ومبادئه وتاريخه المختلف عن ثقافة وقيم ومبادئ وتاريخ المجتمع الفرنسي الاستعماري؛ ما أعاد لدور التربية الإسلامية ومبادئها فعالية العمل الإصلاحي الصحيح المنوط بها في حفظ وتربية النشء والأجيال المسلمة، وحرّكت الإحساس بالتاريخ الإسلامي المشترك والانتماء العربي الإسلامي في نفوس المثقفين وكيفية الاستفادة منه.

- برزت جريدة البصائر كجريدة أسبوعية ذات اتجاه عربي إسلامي حملت على عاتقها مهمة التعريف بحقيقة الإسلام وعقيدته باعتباره دين الوحدة والعدالة والحرية والكرامة الإنسانية، فعملت على تكوين جيل آمن بدينه وعقيدته فأبرزت مكوناته الشخصية ودعائم هويته الحضارية، واتجهت لتصفية الفضاء الثقافي والديني من القيم الثقافية السلبية والدخيلة ورواسبها التي بثتها الطرقية المنحرفة، بخطابات إيديولوجية وإستراتيجية تسعى للمطالبة بتحرير التعليم العربي الحرّ وتعليم الدين الإسلامي واللغة العربية بأسلوب علمي بليغ و راقي أحيت أسسه المجيدة، كما أعادت بعث بيان اللغة العربية من موروثنا الثقافي(القرآن والسنة) في الأقلام والألسنة، وفضلها في ذلك لا يمكن نكرانه.

- بنت أسس وقواعد النهضة العلمية والفكرية للحضارة الجديدة المعاصرة وغرست نواتها في الأمة بحماية الأجيال فكريا وتأمين تعبئة الشعب للأخذ بأسباب التغيير والنهضة، فخدمت القرآن والسنة النبوية بالدعوة إليهما وتفهيمها والعمل والتحاكم بهما وإليهما، وأقضّت صروح الجهل وهدمت السجون التي ضُربت على العقول والتي كرستها ثقافة الهزيمة، وبنت حاضرة العلم على نطاق واسع في مختلف الفئات وطبقات المجتمع، ما أدى لانتعاش الحياة الفكرية والثقافية تمهيدا للانعتاق وبناء الاستقلال العلمي والنفسي والفكري الذي تبنى عليه أسس الاستقلال الفكري والثقافي ثم أسس استقلال الوطن كمحصلة للعمل الإصلاحي واسترجاع بناء مقومات الشخصية الجزائرية من عروبة وفكر إسلامي وتراث حضاري زاخر، فأحدثت نهضة فكرية ثقافية علمية تعليمية دينية في النوادي والتنظيمات(كالتنظيمات الطلابية)لايعرف لها مثيل في التاريخ المعاصر كبناء المدارس العربية الحرّة والمساجد والنوادي والجمعيات... وتمويل التعليم وبعث العديد من الأوقاف لتغذية الحياة الثقافية؛ والذود عن الإسلام وعقيدته، فناضلت من أجل تحقيق معادلة الربط بين الأصالة والمعاصرة والحفاظ على الهوية العربية الإسلامية وكذا الاعتناء بمادة التاريخ العربي الإسلامي والاهتمام بقضايا المرأة وإدماجها في المجتمع من خلال توعيتها وتعليمها حتى تكون عنصرا فاعلا فيه لتوحيد جهود الأمة في خدمة قضاياها المصيرية والجوهرية والتقيّد بخطها الفكري للتغيير والإصلاح ثم الاستقلال.

- ضمّت جريدة البصائر أسماء كتّاب من مختلف مناطق العالم العربي والإسلامي، الأمر الذي يدّل على وجود وحدة قومية في التوجّه والفكر والرأي حول القضايا العامة المطروحة مثل: العقيدة والتصوّف والتشيّع واللغة والتعليم والهوية والثقافة والتربية و الاستشراق والتنصير... و برزت هذه المواضيع كثوابت راسخة في عمق الهوية والضمير الجمعي لا يمكن تفكيكه؛ فأحيت دين الأمة بإعادة صورة وسلطان الدّين الصحيح لنفوس الأفراد، وفتحت لذلك المجال لأقلام الكتّاب من المغرب العربي والعالم الإسلامي.

- برز سجال كبير عبر جريدة البصائر بين التيارين الإصلاحي والتقليدي(الطرقي) خاصة في قضايا العقيدة والبدع والخرافات الدخيلة عليها، فعرفت هذه القضايا حربا إعلامية حادة عبر الصحف ابتداءا من كونها جبهة داخلية لابد من تنقيتها لأنها مدرسة للدروشة والبدع والضلال استخدمه الاستعمار كمذهب طيّع وإيديولوجية موجهة لبث وتثبيت التخلّف والانهزامية.

- جاهدت جمعية العلماء المسلمين عبر جريدة البصائر بالقول ونشاطاتها وميادين إصلاحها بالعمل من خلال فتح باب الاجتهاد في الدّين بضوابطه وشروطه، إيمانا منها أنه ضرورة حتمية لمواكبة تطوّرات العصر، في محاولة لإيجاد حلول للقضايا المستجدة على الساحة الوطنية والدولية ما أدى لتوازن على المستوى الثقافي والحضاري عبر بث الوعي الديني والإيديولوجي ونشر أعمالها ونشاطاتها المتنوعة داخل وخارج القطر.

- غيّرت مجريات الأحداث على الساحة الدينية حيث أصبحت مرجعية القطر الجزائري في الإفتاء وبذلك سدّت فراغا هاما كان أحدثه الاستعمار بإزالة منصب شيخ الإسلام، فوقفت سدا منيعا للإلحاد بمختلف أشكاله وتياراته وأظهرت محاسن الدّين الإسلامي ومقاصد الشريعة الإسلامية السمحة، فكانت أمينة في الحفاظ على دين الأمة من خلال ما أصدرته من فتاوى هامة وزاجرة عن التجنس والإدماج وزواج الكتابيات...،لأنها راعت المصلحة وخشيت من خلالها التمهيد لرِدّة المسلمين وأبنائهم عن دينهم بقوة القوانين الفرنسية الأجنبية، كما حذّرت من خطر التبشير والإستشراق وصدّت عدوانهما على العقيدة الإسلامية والشخصية الجزائرية.

- أكّدت الجريدة أن طلب العلم في المدارس الفرنسية الاستعمارية ليس عملا نبيلا وبريئا، فهو مصحوب بمقارنات خطيرة وهي: الانبهار بعلوم الثقافة المهيمنة والمسيطرة و إزدراء واحتقار الثقافة الخاضعة المنهزمة، ودحضت المزاعم الفرنسية فيما يتعلق بواقع

التعليم في الجزائر وبينت أن الاستعمار الفرنسي هو المتسبب في تأخر التعليم في بلادنا، وأبرزت العمل الجبّار الذي كانت تقوم به مدارس جمعية العلماء من تكوين للمدرسين وتخريج المعلمين للحفاظ على النسق التربوي للمجتمع وإعادة بعثه.

- عارضت جريدة البصائر وبشدة وبقوة وبصفة مطلقة قضية التجنّس والتجنيس الذي استخدمته السياسة الاستعمارية لإفراغ الفرد الجزائري المسلم من دينه ومعتقده وواجباته وحقوقه الإسلامية، فكان من بين أهم وأخطر الأسلحة الإيديولوجية مكرا وفتكا بالمجتمع الجزائري كونها كانت تحارب اللغة العربية ودين الإسلام و الشخصية والهوية الوطنية لتمزيق الانسجام الداخلي في المجتمع الجزائري.

- تبنت جريدة البصائر اتجاها معارضا للتنصير ونددت وحذرت منه مؤكدة أن احتلال فرنسا للجزائر ما كان إلا حربا صليبية على الإسلام في شكل جديد يدّعي نشر التحضّر والحضارة الغربية، وأن التنصير اتخذ لباسا ملائكيا ظاهره التطبيب والتمريض والمواساة والمساعدة والتعليم يخفي تحته دسائس شيطانية تهدف لتجريد المسلمين من مقوماتهم وهويتهم الشخصية والتنكر لأصلهم.

- أزالت شكّ النسب الذي خيّمه الاستعمار على عقول كثير من الناس، فقد أقنعت ضعاف النفوس أن البنية السكانية التي كانت عليها الجزائر تنذر بخطر على من سمتهم بالسكان الأصليين من البربر، حيث عارضت الجريدة بأقلام أعلامها بصفة مطلقة هذا الموضوع الذي استخدمه الاستعمار لنشر الفرقة العرقية والدينية لإحداث فجوة بين البربر والعرب، وهي سياسة خطيرة انتصب لها الشيخان **عبد الحميد بن باديس** و **الإبراهيمي** وفندوا شبه العنصرين المدعومين من الاستعمار وأقاموا على ذلك الحجج من التاريخ واستطاعوا رأب الصدع الحاصل، فجمعوا في جمعية العلماء وجريدة البصائر كل العناصر السكانية الجزائرية من عرب وبربر وعملوا يدا بيد في سبيل تحرير الأمة وانهارت أمامهم كل مزاعم سياسة الظهير البربري وأعادت اللحمة بين تلك العناصر بإخلاص علماء ومصلحي جمعية العلماء ونبل أهدافهم.

- إن ترويج فكرة **الأمة الجزائرية** و**الجنسية القومية** و**الشخصية الجزائرية** و**الكيان الجزائري العربي الإسلامي** عبر صفحات جريدة البصائر بقلم أعلامها ماهي إلا تأكيد واضح وصريح بين فرنسا والجزائر التي لم تندمج ودليل قاطع على وجود شخصية جزائرية مع كل مالها من مقومات ومن زخم ثقافي التي تحيل لمدلولات ذات مغزى

سياسي، فقادت جمعية العلماء نضال ثقافي عبر جبهة حساسة يختلط فيها الثقافي بالسياسي وهي إشكالية الهوية والقومية والشخصية الجزائرية عبر مجال العمل والمناورة والمهادنة في جهد العلماء التربوي والثقافي الذي بدا قريبا جدا من المجال السياسي من خلال التشديد على اللغة العربية والدين الإسلامي وإحيائها في الوسط الجزائري والذي كان ينظر إليه على أنه تعبير عن شعور معادٍ لفرنسا وتحدٍ واضح لسيادتها ويناقضها بقوة ويحاربها في عمق مشروعها الاستعماري في الجزائر.

خاتمة:

إن ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يعد حدثا تاريخيا هاما أقام ركائز ثورة في الأفكار وتغييرا في العقول ويقظة في النفوس وصحوة في الضمائر، لذلك كانت بحق مقاومة فكرية وثورة ثقافية حفظت للأمة الجزائرية أمنها وحياتها الفكرية الثقافية والحضارية وشخصيتها العربية الإسلامية حتى الآن، وذلك بإدراك علمائها أهمية البعد الثقافي والفكري وضرورته لاستنهاض الأمة عبر ينابيع العلم والمعرفة الصحيحة، حيث درّس الأساتذة ووعظ الوعّاظ وعلّم المعلمون، وكتب الكتّاب وانتقد النقاد وأفتى الفقهاء والعلماء...لتأسيس مرجعية إيديولوجية تنتظم وتتوحد فيها الجهود الإصلاحية فعبرت عن نهضة ثقافية عريقة أعادت للجزائر اعتبارها وعرّفت بشخصيتها وهويتها وفق محتواها الديني وإرثها التاريخي ومخزونها الثقافي وتقاليدها الاجتماعية السليمة فتمكنت من تأكيد وظيفة التغيير الاجتماعي التي تحققت بالإصلاح الديني على أسس تعزيز النسق الديني بمنهج التصفية والتربية بتخلية عقيدة الأفراد من الشرك والبدع ثم إحلال العقيدة الدينية الصحيحة بالتربية والتعليم والتكوين على المنهج النبوي الصحيح للأفراد والمجتمع.

تصدّت جمعية العلماء المسلمين بمختلف الوسائل لمشاريع التدمير الاستعمارية فأعطت بذلك الأساس والقاعدة المتينة للنهضة الجزائرية وطاقة للاندفاع نحو الأهداف بعدما تمكنت من تشخيص أزمات المجتمع واضطرابات مكوناته بكل جدية وفق طرق علمية معرفية و التشخيص بموضوعية لرسم خطة دينية تسير وفقها جمعية العلماء لتحقيقالتوازن ورأب الصدع الحاصل ثم السعي لإعداد أرضية الاستقلال في إطار الشخصية والهوية العربية الإسلامية للكيان الجزائري؛ فتمكنت من تحقيق إصلاح اجتماعي في إطار تمسكه بدينه والرجوع إليه، ما بوأها مكانة مميّزة وقاعدة مرجعية أساسية للجزائريين نتيجة لجهودها وأعمالها في تصحيح المعتقد ما دفعها لبعث الدعوة الإسلامية من جديد على أسس بيّنة صحيحة أساسها و جوهرها إصلاح الفرد المسلم.

وخلاصة القول أن حركة الإصلاح الديني في الجزائر رغم مالها من جذور عميقة ضاربة في تاريخ الحركات الإصلاحية الإسلامية في العالم العربي والإسلامي إلا أنها فريدة من نوعها كونها مثلت نسيجا اجتماعيا وحيد في شكله وعناصره وفحواه، ركزت على بناء النخبة التي تمثل عقل الأمة ومرجعيتها وقيادتها، لتبرز أهمية دورها في تنظيم وتفعيل

دور التربية الصحيحة والتأسيس لبناء نسق ثقافي يحقق الإصلاح الشامل لينفذ عبر مختلف الأنساق والبنى الاجتماعية العامة بمنهج حياة يتغلغل لأعماق الحياة اليومية من حركات وسكنات الفرد والمجتمع،فلم تكن حركة دينية لما هو مألوف مثلها في ذلك مثل باقي الحركات الدينية الإصلاحية، لكنها حركة تفرّدت باستقطاب كل المهام الاجتماعية بالعناية وأدركت بالترميم والبناء والإحياء والتأطير والعناية لمنابع الأوقاف التي جففها وأوقفها الاحتلال، فغدت روافد الحياة الثقافية والفكرية ماديا ومعنويا بالعناية والدروس والخطب والمواعظ وأمّنت الأمة الجزائرية فكريا وثقافيا وحضاريا من تهديد الاستعمار والغزو الفكري والثقافي وضعتها بذلك على خط تاريخ الأمم الحضارية حتى تتأهل لتسلق درجات الرقيّ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

الهوامش

[1] Achille Fillias, Histoire de la conquête et de la colonisation de l'Algérie (1830-1860), paris 1860, p157.

[2] Pichon, Alger sous la domination français ,son état présent et son avenir, paris, 1833, p2.

[3] Charles. r. Ageron, histoire contemporaine de l'Algérie, p.u.f.1964.p09.

[4]شارل روبير آجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا،1871-1919، ج1، تر، حاج مسعود، أ، بكلي الجزائر ، دار الرائد للكتاب، 2007، ص243.

[5]محمد العربي ولد خليفة،"من مركب الذنب إلى تبييض الجريمة،" أعمال الملتقى الدولي حول الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي 02-03، جويلية 2006، الجزائر ، منشورات وزارة المجاهدين، 2007، ص156.

[6]محمد أمزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، ط1، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1991، ص ص150،142 بتصرف.

[7] François Burgat, l'islamisme au Maghreb la voix du sud, paris, éd Payot & rivages, 1995, p60.

[8]محمد الميلي، "في ذكرى الاستقلال أولويات الاستعمار في القرن الـ19 "الجزائر ،جريدة الشروق اليومي، 2005/07/05، العدد1425، 2400

[9]هشام جعيط، الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي، المنجي الصيادن، سلسلة السياسة والمجتمع، بيروت، دار الطليعة، ص24.

[10]محمد العربي ولد خليفة،الاحتلال الاستيطاني للجزائر، مقاربة للتاريخ الاجتماعي و الثقافي، ط3، الجزائر، منشورات ثالة،2010،ص44

[11]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1954، ج5، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص193.

[12]ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص ص162 -165 بتصرف.

[13]المرجع السابق، ص163-170 بتصرف.

[14]يقدح الزبير، سياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر وثقافة المقاومة الشعبية، رسالة لنيل دكتوراه دولة في علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر،2006-2007 ، ص03.

[15]بوبكر جيلالي، إستراتيجية البناء الحضاري، عند مالك بن نبي، ط1، الجزائر، دار قرطبة،2011، ص146.

[16] Charles, robert Ageron, les algériens et la France (1871-1919) tom 1, publication de la faculté des lettres et sciences humaines de paris, Sorbonne, série, recharges, tom, 44,1er Ed .paris, p.u.f, 1968, p317.

[17] Ibid., p201.

[18]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830،1500 ، ج4،ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998،ص ص 28،42 في مواضع متفرقة بتصرف.

[19]أحمد حمدي، جذور الخطاب الإيديولوجي الجزائري، إشراف مصطفى ماضي، سلسلة معالم الجزائر، دار القصبة للنشر، 2001، ص72.

[20]مايكل ويليس،التحدي الإسلامي في الجزائر، الجذور التاريخية والسياسية لصعود الحركة الإسلامية، تر: عادل لخير الله، طه، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 1999، ص ص ،22-23.

[21]الطاهر عمري، النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع 1900،1940، رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة الأمير عيد القادر، قسنطينة،2003 -2004 ص: 101

محمد عابد الجابري ، المسألة الثقافية في الوطن العربي، ط2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،1999،ص.[22]190

[23]محمد صالح الهرماسي، مقاربة في إشكالية الهوية، المغرب العربي المعاصر، ط1، دمشق، دار الفكر،2001، ص111.

[24]أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1860-1900، ج1، مرجع سبق ذكره، ص247.

[25]عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث دراسة سسيولوجية، تر: فيصل عباس،مراجعة خليل أحمد خليل، السلسلة التاريخية، ط3،الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،1983،ص77.

[26]عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص110.

[27]Abdallah Laroui, L'histoire du Maghreb, tom11, France, Maspero, 1970, p177.

[28]يقدح الزبير، سياسة الاستعمار الفر الفرنسي في الجزائر وثقافة المقاومة الشعبية،ج1، مرجع سبق ذكره، ص36.

[29]عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث، الدراسة السسيولوجية، مرجع سبق ذكره، ص70

[30]علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، تر: محمد يحياتن، الجزائر، دار الحكمة، 2007، ص20.

[31]عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر، مرجع سبق ذكره،ص70.

[32] Charles-robert Ageron, histoire de l'Algérie, contemporaine de l'insurrection de 1871 au déclenches de la guère délibération 1954, tom11, paris, p.u.f, 1976, pp : 233-234.

[33]علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سبق ذكره، ص ص، 48-51 بتصرف.

[34]أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992،ص295.

[35]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج5، مرجع سبق ذكره، ص250.

[36]محمد خير الدين ، مذكرة الشيخ محمد خير الدين، ج1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دت،ص123.

[37]المرجع السابق، ص81.

[38]محمد بن صالح ناصر، الصحف العربية الجزائرية، 1847-1954، ط2، الجزائر، الصنوبر البحري، 2006، ص212.

[39]القرآن الكريم، سورة الأنعام الآية 104.

[40]جريدة البصائر، الجزائر، العدد الأول، 27 ديسمبر، 1935الموافق ل01 شوال1354هـ، ص1.

[41]جريدة البصائر، الجزائر، العدد22،السنة الأولى، 05 جوان 1936م.

[42]المرجع السابق.

[43]المرجع السابق، العدد 95، السنة الثالثة، 14 جانفي، 1938، ص01.

[44]المرجع السابق.

[45]المرجع السابق، العدد 24، السنة الأولى، جوان1936.

[46]البصائر، الجزائر، العدد01، 1شوال 1354ه الموافق 27 ديسمبر 1935، ص01.

[47]البصائر، الجزائر، العدد13، السنة الأولى، 03 أفريل، 1936، ص07.

[48]عيسى بن محمد الدراجي،"شباب باكورة الحياة"، البصائر، الجزائر، العدد16، السنة الأولى، 24 أفريل1936، ص08.

[49]محمد عبد الهادي التازي، "الخمر وخطره العظيم"، البصائر، الجزائر، العدد31، السنة الأولى،07 أوت 1936، ص08.

[50]الفتى المغربي،" آفة الراديو و خطره على الأخلاق"، البصائر، الجزائر، العدد 6، السنة الأولى، 7 فيفري، 1936، ص08.

[51]عبد الكريم الزهراني،" البغاء ومفاسده"، البصائر، الجزائر، العدد21، السنة الأولى، 29 ماي 1936، ص08.

[52]البصائر، العدد 27، السنة الأولى، 10 جويلية، 1936، ص ص5 ،6.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4،بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992.
3. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1954، ج5، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998.
4. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،1830،1500، ج4،ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998.
5. أحمد حمدي، جذور الخطاب الإيديولوجي الجزائري،إشراف:مصطفى ماضي،سلسلة معالم الجزائر،دار القصبة للنشر2001.
6. بوبكر جيلالي، إستراتيجية البناء الحضاري، عند مالك بن النبي،ط1،الجزائر،دار قرطبة،2011.
7. الزبير يقدح، سياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر وثقافة المقاومة الشعبية، رسالة لنيل دكتوراه دولة في علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر،2006-2007.

8. شارل روبير آجيرون،الجزائريون المسلمون وفرنسا،1871-1919،ج1،تر:حاج مسعود،أ،بكلي،الجزائر،دار الرائد للكتاب، 2007.

9. الطاهر عمري، النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع 1900- 1940، رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عيد القادر، قسنطينة،2003 -2004.

10. عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث دراسة سسولوجية، تر: فيصل عباس،مراجعة خليل أحمد خليل، السلسلة التاريخية، ط3، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،1983.

11. علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من1925إلى 1940، تر: محمد يحياتن، الجزائر، دار الحكمة، 2007.

12. عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.

13. مايكل ويليس، التحدي الإسلامي في الجزائر، الجذور التاريخية والسياسية لصعود الحركة الإسلامية، تر: عادل لخير الله، طه، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 1999.

14. محمد العربي ولد خليفة،"من مركب الذنب إلى تبييض الجريمة"،أعمال الملتقى الدولي حول الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي 02-03،جويلية 2006، الجزائر، منشورات وزارة المجاهدين، 2007.

15. محمد العربي ولد خليفة،الاحتلال الاستيطاني للجزائر،مقاربة للتاريخ الاجتماعي والثقافي،ط3،الجزائر،منشورات ثالة، 2010

16. محمد الميلي،في ذكرى الاستقلال أولويات الاستعمار في القرن الـ19"الجزائر"جريدة الشروق اليومي،2005/07/05،العدد 1425هـ

17. محمد أمزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، ط1، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1991.

18. محمد بن صالح ناصر، الصحف العربية الجزائرية، 1847-1954،ط2، الجزائر، الصنوبر البحري،2006

19. محمد خير الدين ، مذكرة الشيخ محمد خير الدين، ج1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دت.

20. محمد صالح الهرماسي، مقاربة في إشكالية الهوية، المغرب العربي المعاصر، ط1، دمشق، دار الفكر،2001

21. محمد عابد الجابري ، المسألة الثقافية في الوطن العربي، ط2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،1999

22. ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.

23. هشام جعيط، الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي، المنجي الصيادن، سلسلة السياسة والمجتمع، بيروت، دار الطليعة.

24. جريدة البصائر، الجزائر، العدد الأول، 27 ديسمبر، 1935الموافق ل01 شوال1354هـ.

25. جريدة البصائر، الجزائر، العدد22،السنة الأولى، 05 جوان 1936م.

26. جريدة البصائر، الجزائر، العدد01، 1شوال 1354هـ الموافق 27 ديسمبر 1935، ص01.

27. جريدة البصائر، الجزائر، العدد13، السنة الأولى، 03 أفريل، 1936، ص07.

28. عيسى بن محمد الدراجي،"شباب باكورة الحياة"، البصائر، الجزائر، العدد16، السنة الأولى، 24 أفريل1936

29. محمد عبد الهادي التازي، الخمر وخطره العظيم، البصائر، الجزائر، العدد31، السنة الأولى،07 أوت 1936.

30. الفتى المغربي، آفة الراديو و خطره على الأخلاق، البصائر، الجزائر، العدد 6، السنة الأولى، 7 فيفري، 1936.

31. عبد الكريم الزهراني، البغاء ومفاسده، البصائر الجزائر، العدد21، السنة الأولى، 29 ماي 1936.

32. البصائر، العدد 27، السنة الأولى، 10 جويلية، 1936.

33. Achille Fillias, histoire de la conquête et de la colonisation de l'Algérie (1830-1860), paris 1860.

34. Pichon, Alger sous la domination française ,son état présent et son avenir, paris, 1833

35. Ch. r Ageron, histoire contemporaine de l'Algérie, p.u.f.1964.

36. François Burgat, l'islamisme au Maghreb la voix du sud, paris, éd Payot &rivages, 1995.

37. Charles, robert Ageron, les algériens et la France (1871-1919), publication de la faculté des lettres et sciences humaines de paris, Sorbonne, série, recharges, 44,1er Ed .paris, p.u.f, 1968.

38. Abdallah Laroui, L'histoire du Maghreb, tom11, France, Maspero, 1970.

39. Charles-robert Ageron, histoire de l'Algérie, contemporaine de l'insurrection de 1871 au déclenches de la guère de libération 1954, tom11, paris, p.u.f, 1976.

مكتب المغرب العربي بالقاهرة من الائتلاف إلى الاختلاف 1947/1949

د. سعيد جلاوي جامعة البويرة

الملخص:

يعالج البحث مرحلة من مراحل النضال السياسي لبلدان المغرب العربي ضد الاستعمار الفرنسي بعد الحرب العالمية الثانية و ذلك بلجوء قادة الأحزاب الوطنية المغاربية إلى خلق اطر نضال جديدة انطلاقا من المشرق العربي و بالتحديد بالقاهرة مع تأسيس الجامعة العربية، كأول تجربة وحدوية تهدف إلى مغربة الكفاح التحرري بداية من عقد مؤتمر المغرب العربي في فيفري 1947 الذي توج بتأسيس مكتب المغرب العربي الذي ضم العديد من الشخصيات الوطنية و مع التحاق عبد الكريم الخطابي تعزز المكتب بتأسيس لجنة تحرير المغرب العربي في 5جانفي 1948.لكن اقتناع بعض الشخصيات الوطنية بالتوجه القطري ادى الى فشل هذه الاطر في تحقيق اهدافها.

Résumé :

Cet article étudie une importante phase historique de la lute politique des pays magrébins après la Seconde guerre mondiale contre le colonialisme français, durant laquelle les chefs des mouvements nationalistes maghrébins ont crée de nouveaux cadres de lutte à partir de l'Orient arabe, particulièrement du Caire, Comme première expérience unitaire qui tend à « magrébiser » de la lute de libération contre le colonialisme et cela au congréé du Maghreb arabe en février 1947 qui a abouti à la création du bureau du Maghreb arabe, qui comprenait plusieurs personnalités nationalistes. Cela abouti avec l'arrivé de Abdelkrim el khatabi au Caire, à la création du Comité de libération du Maghreb arabe en janvier 1948 . La divergence dans les méthodes de lute entre les nationalistes et Abdelkrim el khatabi a conduit cette tentative unitaire vers l'échec et ils n'ont pu attendre leurs objectifs.

Abstract;

This article studies an important historical phase of the struggle of the northern africain countries against the French colonization after the second world war. The Leaders of the national party have created other types of fight starting from the Arab Orient especially Cairo and the foundation of the Arab council. As a first unitarian experience that aims to unify the Maghreb struggle starting from the convention of february 1947 that lead to the creation of Arab Maghreb office that contains many national personalities. With the arrival of Abdelkrim Alkhetabi to Cairo he created Arab Maghreb liberation comitee in January 1948 .But divergency about the methods of struggle had lead to the failure of these methods of struggle.

مقدمة:

بدأت السلطات الفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية، تحاول الإمساك بزمام الأمور السياسية في نظام الإدارة الاستعمارية، تكريسا لاستمرارية حضورها في منطقة المغرب العربي مما دفع بالقوى الاجتماعية القاعدية في الأحزاب الوطنية القائدة كحزب الحر الدستوري التونسي الجديد وحزب الشعب الجزائري و حزب الاستقلال المغربي الى ضرورة تغيير أسلوب النضال بالاتجاه الذي يدفع بالادارة الفرنسية وسلطاتها الى، إلى الرضوخ للمطالب الوطنية في الحرية والاستقلال. وبدأت مرحلة جديدة في العمل الوطني والمغاربي عموماً وتنظيماته الوطنية والمغاربية ، وأصبحت أكثر تطوراً ونضجاً وفعالية، تجسدت فيها فكرة وحدة المغرب العربي بشكل أكبر على الصعيد العملي خاصة، ومن خلال الاتجاهات الشعبية، السياسية، والاجتماعية.

لذا أصبحت القاهرة مع تأسيس جامعة الدول العربية مقراً لزعماء ومناضلي تلك التنظيمات الوطنية المغاربية شجع هؤلاء القادة على خلق اطر نضال جديدة بصيغة موحدة بداية بعقد أول مؤتمر لهم توج بميلاد مكتب المغرب العربي و عزز بلجنة التحرير مع التحاق عبد الكريم الخطابي في القاهرة. **فهل كان تأسيس هذه الأطر من اجل التجسيد لمشروع نضالي موحد في الأساليب و الأهداف ترتقي من قطرية الكفاح إلى مغربته ومن النظرية إلى الممارسة أم مجرد ائتلاف ظرفي لا يتعد حدود التنسيق و الدعاية لأهداف قطرية؟** هذا ما سنفصل الحديث عنه في ما يلي.

1.مؤتمر المغرب العربي 1947

من اجل ذلك احتضن مكتب الحزب الدستوري التونسي أشغال المؤتمر" [1] التحضير له من 26 جانفي الى 1 فيفري 1947 فالتاريخ الأول هو بداية أول اجتماع رسمي بين زعماء الحركات المغاربية و التاريخ الأخير هو الإعلان عن مؤتمر المغرب العربي وتشكلت لجانه ، و تقرر عقد المؤتمر بتاريخ 15 فيفري و أسندت رئاسة المؤتمر الشرفية للسيد عبد الرحمان عزام الأمين العام للجامعة العربية [2]

و حسب شهادة حسن التريكي أن فكرة عقد المؤتمر في البداية اختمرت في خلد بعض القادة التونسيين في اجتماع ضم : د الحبيب ثامر ، "الطيب سليم ، رشيد

إدريس ، حسين التريكي" سنة 1946 بالأمين العام للجامعة العربية السيد عبد الرحمان عزام بدعوى جلب الدعم للقضية التونسية الذي أقنع القيادات بضرورة مغربة الفكرة لضمان نجاحها فتبلورت رؤية الخروج بفكرة جمع الإخوان ممثلي الجزائر و المغرب بالقاهرة [3]

كما أشار التريكي إلى أن بورقيبة لم يشارك في هذا الاجتماع في نظره أبعد حتى لايحبط المؤتمر لأنه كان رافضا لفكرة مغربة الكفاح المسلح الذي قررناه في سرية تامة استعدادا لخوض الثورة في الأقطار الثلاثة و بدأنا في تهيئة الأنفس لتقبل الفكرة" [4]رغم أن للحزب الدستوري التونسي دور كبير في الإعداد لهذا المؤتمر الذي افتتحت جلساته يوم 15 فيفري 1947 بالمركز العام للشبان المسلمين و حضرته عدد من الشخصيات العربية و الإسلامية [5]الى جانب الوطنيين المشاركين في المؤتمر [6] ،بفضل حضور و مشاركة أعضائه القياديين و الفاعلين على غرار الرشيد إدريس ، يوسف الرويسي ، الحبيب ثامر ، الطيب سليم، و غيرهم [7]

و كان الحبيب بورقيبة – قائد الجهة الخارجية للحزب الدستوري- غائبا عن المؤتمر لأنه " كان حينذاك في جنيف في طريق عودته إلى القاهرة بعد زيارته للولايات المتحدة الأمريكية في مهمة دعائية منذ أواخر 1946.لإنارة الرأي العام عن المغرب العربي و قضاياه و تحريك عزائم الوطنيين في سبيل تحقيق الاتحاد [8]

. و رغم غيابه عن المؤتمر دعمه و اعتبره من الناحية المبدئية مبادرة تاريخية ناضجة من خلال رسالة رد فيها على الحبيب ثامر من جنيف قائلا: "سأعمل معكم على تنفيذ مقررات المؤتمر التي تلخصت فيه أهدافنا و اتضحت لكل مؤازر و مناصر خطتنا الوطنية المستقيمة" [9]

في مواجهة الاستعمار و هو ما ينفي مزاعم حسن التريكي القائلة بوجود بورقيبة في مصر، وكان للمؤتمر الأثر البالغ في الرأي العام حيث نال تأييد الهيئات الإسلامية و العربية في الشرق و ساندته الصحافة و أبرق إليه الزعماء المغاربة بتأييدهم. [10] و على وجه الخصوص أغلب القوى السياسية و الاجتماعية الفاعلة في تونس من أحزاب و اتحادات و نقابات و حركات. [11]

و بعد نهاية مراسم الافتتاح عقد الوطنيون المؤتمرون جلسة خاصة حددوا فيها جدول الأعمال و ألّفوا اللجان الخاصة لدراسة الموضوعات، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى مكتب الحزب الدستوري الحر في شارع ضريح سعد رقم 10 و هو المقر الذي أعد لعقد جلسات المؤتمر أين تكونت اللجان الأربعة بهدف مناقشة النقاط الرئيسية التي اقترحتها لجنة تنظيم المؤتمر [12] الذي حث على ضرورة الاتفاق بين الأحزاب الوطنية إما بإدماجها في حزب واحد أو بتكوين جبهة وطنية تنصهر فيها هذه الأحزاب. و إحكام الروابط بين الحركات الوطنية في الأقطار الثلاث.

و لتوحيد الهدف الذي ظل يجمع حركات التحرير في شمال أفريقيا أوصى المؤتمر لتحقيق ذلك بما يلي:

- الاتفاق على غاية واحدة هي الاستقلال التام و الجلاء للاستعمار.
- تكوين لجنة دائمة من رجال الحركات الوطنية مهمتها توحيد الخطط و تنسيق العمل لكفاح مشترك
- العمل على توحيد المنظمات العمالية و الثقافية و الاقتصادية في الأقطار الثلاثة و توجيهها توجيها قوميا.
- على ضرورة وقوف الأقطار الثلاثة جبهة واحدة عند حدوث الأزمات في أي قطر منها [13]

و بعد ذلك تناول المؤتمر موضوع المغرب العربي و الجامعة العربية و طالب من هذه الأخيرة إعلان بطلان معاهدة الحماية المفروضة على تونس و مراكش و عدم الاعتراف بأي حق لفرنسا في الجزائر ، و رفض الانضمام للاتحاد الفرنسي في أي شكل من أشكاله، و الاتفاق على غاية واحدة هي الاستقلال التام و الجلاء، و عرض القضية المغاربية على المحافل الدولية. [14]

و المتمعن في قراءة مقررات هذا المؤتمر و توصياته يقف عند أربع قضايا شكلت جوهر اهتمام المشاركين و محاور أعمالهم و استراتيجياتهم في حقل التعبئة من أجل التحرر.

لقد عكست مقررات المؤتمر واقع الاستعمار في الأقطار الثلاثة وأدنته و اعتبرته لاغيا بالتشديد على بطلان الحماية ، و عدم الاعتراف بأي حق لفرنسا في الجزائر و المطالبة بالاستقلال و الجلاء.

كانت قرارات المؤتمر تحمل دلالات التوجه القطري للحركات الوطنية المشاركة في المؤتمر و ترجمت حدود التضامن المغاربي الذي كانت تسعى إلى تأمينه و غاب التأكيد على ضرورة توحيد القوى في عمل جبهوي ضد الاستعمار و الاكتفاء بالدعوة إلى إحكام الروابط بين الحركات الثلاثة و تكوين لجنة دائمة لتوحيد الخطط و تنسيق العمل لكفاح مشترك.بينما الحتمية السياسية التي كانت تقتضي أولوية الاتفاق بين الأحزاب الوطنية داخل كل قطر بإدماجها أو بتكوين كتلة وطنية تنصهر فيها و هذا لا يخفي وجود تقاعس في الإرادة السياسية لمغربة الكفاح التحرري من خلال توحيد النشاط الوطني في مواجهة الاستعمار باستثناء تلك الدعوة المحتشمة للمؤتمرين لتوحيد المنظمات المختلفة بين الأقطار الثلاثة و توجيهها توجها قوميا لكن سقف التضامن الذي تطالب به الحركات الوطنية الفاعلة و تسعى إلى ضمانه هو وقوف الأقطار الثلاثة جبهة واحدة وقت وقوع الأزمات في أي قطر منها و هو ما ينسجم مع المنطق القطري الذي يشكل منطلقا في فكر القيادة المغاربية .

لقد أظهر المؤتمر حرص المشاركين على تحقيق مطالبهم القطرية و لم يعبر عن تحقيق الوحدة النضالية بين الحركات المغاربية التي كانت شعار المؤتمر بل كان مبدأ الاستقلال و الدعوة إلى التحرر واسترداد السيادة الوطنية هو البعد المركزي في توجهات مكتب المغرب العربي و ممارسات نخبته القائدة ، و الرغبة في استثمار فكرة المغرب العربي واعتمادها كخلفية للتقريب بين الحركات الوطنية محورا لنشاطاته الدبلوماسية.

لكن لا ننفي وجود رغبة لدى المؤتمرين في محاولة تحقيق الحد الأدنى من التضامن بين الحركات الوطنية المغاربية في مجابهتها المصيرية للاستعمار من خلال الدعوة إلى التنسيق و العمل المشترك بين الحركات الوطنية مقترحا صيغا سياسية و تنظيمية أكثر تدقيقا و تقدما إلا أنه لم يجعلها ضمن إستراتيجية مغربة المواجهة من أجل مغربة الاستقلال و هذا من شأنه أن يضع أرضية قوية للوحدة المغاربية التي كانت

تراود بعض القيادات السياسية من قبل رغم ذلك فان المؤتمر مس الكثير من الجوانب الايجابية من خلال عدم توقفه عند حدود إدانة الاستعمار و الدعوة إلى إلغائه عبر تطوير أسس النضال القطري و أشكاله المشتركة ، بل ربط بين الأهداف و المسؤولية القومية للجامعة العربية حين طالبها ببطلان معاهدة الحماية و عدم شرعية الاحتلال و الدعوة إلى التدويل و تقرير المصير.

2.مكتب المغرب العربي

كثيرة هي الأدبيات التاريخية التي تحدثت عن مكتب المغرب العربي أو أشارت إليه ، و جميعها أرجعت تأسيسه إلى شهر فيفري 1947 .كما أشارت بعض الكتابات إلى أن الجامعة العربية هي التي أنشأت لأحرار المغرب العربي هذا المكتب، بينما البعض الآخر يرى في رابطة الدفاع عن مراكش أن لها دور في نشأة هذا المكتب كون أعضائها هم الذين حضروا خلال سنة 1946 لعقد المؤتمر و وأوعز بورقيبة نشأة المكتب إلى نشاطاته بالمشرق [15]لكن تواصل صدى نجاح المؤتمر لفترة طويلة بعد انعقاده ساهم في تأسيس "مكتب المغرب العربي" [16] في 22 فيفري 1947 [17] ليحقق التعاون بين الأقطار المغاربية في ميدان الدعاية في الخارج ليصبح "بمثابة الفايسبوك" [18] حاليا ، فهو الأداة التي تعرف المغرب العربي بنظيره في المشرق كون أن هناك حواجز كبيرة كانت تحول دون الالتقاء بينهما " [19] فشكل المكتب هيكل للدعاية و التنسيق الفعال بين الحركات الوطنية و تركزت أعماله على الدعاية السياسية المركزة لصالح القضية المغاربية عن طريق توحيد النشرات الإخبارية وتوزيع المنشورات و تنظيم الحافلات و التنقلات الدعائية و إصدار الكتب.و إلقاء المحاضرات و إرسال الوفود إلى مختلف العواصم العربية. [20] و تنسيق العمل بين مختلف الحركات الوطنية المغاربة و خاصة الممثلة في صلب المكتب. [21]

و سرعان ما لاق المكتب رواجا كبيرا على الساحة العربية بعد نجاحه في تحرير المجاهد عبد الكريم الخطابي من الأسر الفرنسي و تنظيم لجوئه إلى مصر في 31 ماي 1947. [22]

فقد حقق بذلك مطلبا عربيا رسميا معلنا اذ كان مجلس جامعة الدول العربية قد قرر أن يبذل ما في وسعه لتحرير عبد الكريم الخطابي. [23] و أصبح المكتب مدعوما

بشخصية كبيرة و تاريخية. [24] لأن وجود هاته الشخصية الكاريزماتية بالقاهرة قد يمنح الحركة الوطنية التحريرية المغاربية قوة دفع عالية ، الأمر الذي جعل كل الوطنيين المغاربيين الشباب يعلقون كبير الأمل على تبني إستراتيجية جديدة تقضي بتفعيل المقاومة بكل أشكالها في الفضاء المغاربي بكامله الأمر الذي جعل اسم مكتب المغرب العربي يرتبط بهذا الرمز العالمي للنضال التحرري ضد الاستعمار و مكنه من تحقيق إحدى أهم غاياته الأساسية و هي الدعاية لقضايا التحرر في المغرب العربي، لكن إلى أي حد يمكن للاحزاب المغاربية الاعتماد على أرضية المؤتمر و مكتبه كمرجعية في منهجية استرجاع الاستقلال ؟

علما أن البعض منها كانت دون شك تؤمن بالحد الأدنى من التضامن المغاربي في مواجهة الاستعمار في المنطقة و خاصة أن المستعمر واحد، و من سوابقه النضالية أن بادرت بعضها لا سيما الحزب الدستوري التونسي بتأسيس مكتب المغرب العربي ببرلين في جويلية 1943 بمساعدة مدير المكتب مفتي فلسطين الأمير الحسيني. [25] ثم مكتب المغرب العربي بدمشق في صيف 1946. .[26]و و التي تكون مشاركته في مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة ضمن مساعيه الحثيثة إلى تحقيق هذا التضامن و عكست قراراته حاجة الحركات الوطنية إلى هذا الاتحاد لمواجهة الاستعمار و قد انخرط بنفس المبدأ في نشاط مكتب المغرب العربي بالقاهرة و أصبح مكتبه مقرا لهذا الأخير و أثبت التونسيون بتضحياتهم و كان يقوم على كاهلهم و حتى أن الأعضاء متطوعين لا يتقاضون رواتب. [27]

و بهذا يكون مكتب المغرب العربي قد حظي بدعم الجهة الداخلية للحزب انظمام الأمير عبد الكريم الخطابي إلى مصر ليتحول إلى منبر قوي للدعاية حول قضايا التحرر في المنطقة، لكن هذا لا يعني انخراط قيادة الحزب في عمل مشترك شامل مع بقية الحركات الوطنية يهدف إلى مغربة المواجهة مع الاستعمار ، هذا الأمر لم يكن مطروحا و هو ما كان يعلم به "بورقيبة و لا يريد أن يصرح به في ذلك الظرف فهو انتهازي". [28]

لم يكن عقد المؤتمر و تأسيس مكتب المغرب العربي يتجاوز " رغبة أبناء المغرب في التعاون على تحرير أوطانهم الثلاثة التي توحد بينها اللغة و الدين و الجنس و التاريخ و الجغرافيا ووحدة المستعمر و الآمال في التحرر منه" [29]

و لا شك أن قيادة الحزب الدستوري الجديد ترى في مكتب المغرب العربي أنه حقق الغاية التي كانت تطمح إليها الحركات الوطنية الثلاثة المتمثلة في التضامن و الدعاية لقضاياها و المطالبة بالاستقلال لكن على حد قول أحد قيادي المكتب الأساسيين الذي يبرز الخلاف بين الخيار المغاربي بمضمونه القومي و الخيار القطري و يقول "أن نزعتين برزت في صلب المكتب : نزعة ترى أن يعمل المكتب على قاعدة الوحدة و لو أدى ذلك إلى التضحية بمصلحة أحد الأقطار الثلاثة، ونزعة ترى أن يكون للمغرب ثلاثة أقسام تتعاون و تتنافس وتتحد كلما أمكنت الوحدة في العمل فلا يضيع حق قطر من الأقطار الثلاثة و تهضم حقوق حركته التحريرية" [30]

و سرعان ما حسم الخلاف لذوي النزعة القطرية فلم يكن يتحمس للخيار المغاربي داخل المكتب سوى : حسين التريكي و الحبيب ثامر و بن عبود و"إبراهيم طوبال" [31] ، بينما بقية أعضاء المكتب تلتقي في وجهات النظر مع قيادة الحزب الدستوري الجديد ، فكان خيار هذا الأخير هو المسيطر على أغلب أنشطة المكتب، بينما المتحمسين للخيار المغاربي في الأقطار الثلاثة لم يتمكنوا من جعل المكتب ضمن هذا السياق. لان هذا التوجه القطري لم يكن سائدا في الحزب الدستوري الجديد فقط ، إنما في الجزائر و المغرب الأقصى أيضا فبينما كان "الشاذلي المكي"[32] في مصر ينادي بضرورة تصفية الاستعمار الفرنسي في الجزائر وكان فرحات عباس ينوه بمشروع الاندماج الفدرالي مع فرنسا، و حزب الاستقلال المغربي يؤكد انه لا بديل عن الاستقلال و حزب الاستقلال و الشورى قد شرع في مفاوضاته مع الإقامة العامة الفرنسية قابلا بشرط التنازل عن مطلب الاستقلال مؤقتا.

كما لا يخفى وجود خلافات بشأن أسلوب العمل المشترك والغاية منه بين أعضاء المكتب أحزابا وأفرادا إلى درجة شل نشاط المكتب، و تطور الأوضاع و بأنساق مختلفة في الأقطار الثلاثة، و بقي الحزب الدستوري الجديد على النهج القطري و بقيت أماله بجهتيه معلقة على التوصل لإيجاد حل تفاوضي ثنائي مع فرنسا.

فعلى مستوى الداخل ظل صالح بن يوسف الأمين العام للحزب يؤكد أن رفض مشروع الوحدة الفرنسية لا يعني إعلان القطيعة مع فرنسا بل كنا نفكر دائما في إقامة علائق بين بلادنا و فرنسا... و إقامة عهد تحالف يضمن للجانبين مصالحهما المتبادلة [33]

بينما في الخارج ظل لحبيب بورقيبة يواصل اتصالاته بالحكومات و الشعوب و يتنقل شرقا و غربا يتكلم باسم الحركة التونسية ضمن الإطار المغاربي غالبا و العربي أحيانا مؤكدا أنه يحبذ الحل التفاوضي الثنائي مع فرنسا لضمان مطلب الاستقلال.

و خلال فترة إقامته بالولايات المتحدة الأمريكية دامت زيارته إلى الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من ثلاثة أشهر حيث سافر في 2 ديسمبر 1946 إلى نيويورك و تمكن من الاتصال بوفود الدول إلى الدورة الثانية للجمعية العامة للأمم المتحدة ثم حل بواشنطن حيث اتصل بعدة شخصيات من بينها رئيس قسم أفريقيا و الشرق الأوسط السيد Lois Henderson و في 15 جانفي 1947 التقى بمساعد كاتب الدولة للشؤون الخارجية Dean Acheson ثم غادر الولايات المتحدة عائدا إلى القاهرة في فاتح فيفري 1947 فمر بجنيف بعد أن أجبرت الطائرة التي أقلّته على النزول بمطار فرنسي قرب الحدود السويسرية حيث كان مهددا بالاعتقال إلا أن الحظ شاء أن ينقل المسافرون سريعا إلى مدينة بال و منها إلى جنيف ليعود إلى القاهرة في 22 مارس 1947.فاستأنف نشاطه بمكتب المغرب العربي [34]

و بالتحديد فترة انعقاد المؤتمر و تشكيل مكتب المغرب العربي حيث كان يتحدث باسم الحركة التونسية و إن كان يربطها أحيانا بمصير المغرب العربي باعتباره الإطار الإقليمي الذي يحتضن القضية التونسية و هذا الربط لم يكن يعبر عن وجود برنامج سياسي مشترك كمرجعية لعمل الحركات الوطنية المغاربية.

بينما كان عمل الأحزاب الوطنية المغاربية المنضوية داخل مكتب المغرب العربي في القاهرة لا يتجاوز حدود التنسيق و الدعاية لقضاياهم و لم يرتق نشاطهم إلى مستوى النقاش السياسي والفكري من شأنه أن يؤسس لمشروع نضالي موحد في الأساليب و الأهداف يرتقي من قطرية الكفاح إلى مغربته ومن النظرية إلى الممارسة .

فكان الحزب الدستوري التونسي الجديد بقيادة لحبيب بورقيبة يرى قضايا المغرب العربي برؤية قطرية مؤيدا استقلال الأقطار المغاربية لكن دون إدراجها ضمن أفقه المغاربي بمضمونه الوحدوي ، و في هذا الإطار وجه بورقيبة رسالة إلى فرحات عباس ينتقد فيها مشروع الوحدة الفرنسية و "يعتبره مناورة و مجرد سراب لا ماء فيه طالبا منه التكتل مع "مصالي الحاج"لأن في ذلك نجاة الشعب الجزائري بأسره بعد تآلف القلوب و إصلاح ذات البين" (35)

و في هذا الإطار أيضا تنزل دعمه لاستقلال البلاد الليبية وانشغاله بتطور الأوضاع بها خلال هذه المرحلة المصيرية.

و كان مؤتمر القاهرة قد ولى اهتمامه لهذه القضية و ابرق في هذا الصدد إلى الأمين العام للجامعة العربية يؤكد فيها تأييده التام" لاستقلال طرابلس و برقة و شكر الجامعة العربية على الجهود القيمة التي يبذلها في سبيلها.كما أولى مكتب المغرب العربي بعد ذلك اهتماما كبيرا لهذه القضية نظرا لانعكاساتها المؤكدة على كامل المنطقة المغاربية ، فساند مبدأ استقلالها ووحدة أراضيها و في هذا الإطار نظم حفل تكريم للوفد الليبي في 22 جوان 1949 إلى الأمم المتحدة ، و انتقد خلاله أمحمد عبود المحاولات الرامية إلى تقسيم ليبيا، كما انتقد لحبيب بورقيبة سياسة فرنسا الهادفة إلى تكريس هذه التجزئة للحيلولة دون توحد ليبيا حتى يتسنى لها تكريس احتلالها للأقطار الثلاثة. (36) و هو ما ثبت أيضا في مواقف معظم قادة الحزب ، كموقف الحبيب ثامر الذي صرّح بأن رجوع ليبيا إلى قبضة الاستعمار من جديد طعنة مسددة إلى صميم الشعب التونسي و أن هذا الشعب يقف إلى جانب الليبيين ضد التسلط الأجنبي وضد كل محاولة ترمي إلى منعهم من حقهم في تقرير مصيرهم "و أرسل لحبيب بورقيبة في هذا الشأن رسالة إلى رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة حذّر فيها الجمعية من الموافقة على اتفاقية " بيفن- سفورزا" لأن إرجاع الاستعمار الايطالي إلى طرابلس من شأنه أن يضاعف الاضطرابات في جميع أقطار شمال أفريقيا المتضامن مع الشعب الليبي الشقيق" (37)

و لاشك أن العامل الجغرافي بما يعنيه ذلك من انعكاسات تطور القضية الليبية على الوضع في تونس قد لعب دورا حاسما في تبلور هذا الموقف الذي بُنِي على

وعي القيادة التونسية بالأهمية الاستراتيجية للمستقبل الليبي على المنطقة المغاربية عامة و تونس خاصة و لا سيما أن انعكاسات القضية الليبية بدت واضحة على الوضع التونسي مع بداية مفاوضات " تعديل الحدود الليبية التونسية في أواسط عام 1948." [38]

و الواضح أن هذه المساعي السياسية سواء تونسية كانت أو مغاربية كانت تندرج ضمن تحيز القيادات الوطنية المغاربية الأولي لقضايا التحرر في المنطقة المغاربية كونه خطوة نحو التحرر الكامل للإقليم، و لم يكن يرتقي إلى استراتيجية مغربة المواجهة مع الاستعمار و هو ما كانت تؤكده مواقف وتصريحات قادة الحزب الدستوري الجديد بغض النظر عن القضية الليبية التي كانوا يرون في تجزئتها تكريسا للاستعمار في كامل المنطقة المغاربية . و هو ما جعل السياسة المغاربية للحزب الدستوري في هذه الفترة لا تتجاوز نطاق التأكيد على حق شعوب المنطقة في تقرير مصيرها مع دعم حركاتها نحو الاستقلال و التحرر ليجعل علاقات الحزب الدستوري بالحركات الوطنية المغاربية قائمة على التأييد المتبادل لكل منها في مواجهة الاستعمار. و هذا يعكس في العموم هشاشة الاطار المرجعي للنضال المشترك التي وضعها مؤتمر القاهرة المتمثل في مكتب المغرب العربي الذي لم يصل أن يكون على الأقل حلفا دفاعيا لمواجهة الاستعمار و أن مسألة التنسيق و العمل المشترك لم تطرح كقضية نظريةو فكرية منفصلة عن النضال القطري و متكاملة معه، بل قدمت كوسيلة و أداة ضمن تكتيك خاص بكل قطر.

3. لجنة تحرير المغرب العربي : الرؤى المتقاطعة

المتمعن في آراء هذه الشخصيات الوطنية السالفة الذكر على مستوى المكتب يشعر بوجود نزعات وخلافات إيديولوجية حادة ومناهج و أساليب متضاربة بين حزبي الدستوري القديم و الجديد مثلا وبين حزب الشعب و الوحدة المغربية و حزب الإصلاح الوطني و حزب الشورى و الاستقلال ثم حزب الاستقلال بشأن ملفات النضال الوطني المغاربي.

لكن بعد تحرير "عبد الكريم الخطابي" [39]و التحاقه بالقاهرة [40]و نجح هذا الأخير في توحيد أهم الأحزاب الفاعلة في المغرب العربي ممثلة في كبار قادتها وأسس لجنة أطلق عليها "بلجنة تحرير المغرب العربي" ولم يكن قيام هذه اللجنة ممكنا بدون

الخطابي إذ كان الشخصية الوحيدة المؤهلة لالتفاف تلك القيادات الوطنية حوله في الأقطار المغاربية الثلاثة بحكم ما كان يتمتع به من سوابق نضالية، خاصة انتفاضته المسلحة في منطقة الريف ضد الاحتلال الاسباني و الفرنسي بين 1919 إلى 1925 التي جعلت منه البطل الأسطوري، بادئ الأمر إلى تذويب هذه الخلافات بين تلك الأحزاب ، محاولة منه لخلق إطار جديد للعمل المشترك من خلال إنشاء هذه اللجنة . ريثما تأتي بفلسفة عمل جديدة تقضي بالموافقة على المبادئ و القناعات الأساسية المشتركة بين الحركات و الأحزاب إلا أن نهايته الفشل فهل مرد ذالك يعود إلى الاختلاف في الرئ و تقاطع في الاستراتيجيات أم يعود الى التباين في المرجعيات؟

كانت طموحات الخطابي تتجلى في تحقيق وحدة النضال المغاربي الذي تساهم فيه سائر و الحركات الوطنية فشرع في اتصالات مكثفة مع عديد القيادات السياسية المغاربية و كان بيته محط كل الوافدين من المغاربة على مصر. [41] و قد خلص بعد تلك المحادثات و اللقاءات و استشراف مواقف و أراء الجميع إلى حتمية تأسيس هيئة تحض بالإجماع على مبادئ و قناعات تضع مصلحة الإقليم المغاربي قبل مصلحة القطر "ففي 9 ديسمبر 1947 تم إقرار القانون الأساسي للجنة و تشكلت تركبتها من: محمد بن عبد الكريم الخطابي رئيسا وشقيقه أمحمد بن عبد الكريم الخطابي نائبا بصفة دائمة و للحبيب بورقيبة أمينا عاما، ومحمد بن عبود أمين الصندوق لمدة ثلاثة أشهر و تم الإعلان رسميا عن ميلاد لجنة تحرير المغرب العربي يوم 5جانفي 1948. بعد مصادقة ممثلي الأحزاب السياسية المغاربية عليها بالقاهرة. .[42]حيث تضمن الميثاق مجموعة من نقاط أساسية: حيث جعل من المغرب العربي جزء لا يتجزأ من بلاد العروبة و تعاونه يكون في ظل الجامعة العربية ، و أن استقلاله المأمول هو الاستقلال التام لكافة أقطاره، و لا مفاوضات مع المستعمر في الجزئيات ضمن النظام الحاضر و تكون إلا بعد الاستقلال، و حصول قطر من الأقطار الثلاثة على الاستقلال التام لا يسقط عن اللجنة واجبها في مواصلة الكفاح لتحرير البقية . و وقعه كل من الحبيب بورقيبة و الحبيب ثامر عن تونس و الشاذلي المكي و السعيدي و الصديق عن الجزائر و علال الفاسي و عبد الخالق الطريس و أمحمد بن عبود عن المغرب الأقصى" [43]

و الواضح أن ما تضمّنه ميثاق اللجنة كان يهدف إلى حد بعيد إلى تكريس القطيعة مع الاستعمار و تبني خيار مغربة المواجهة معهمن خلال التأكيد على ضرورة التحرير الكامل و الشامل للأقطار الثلاثة و رفض أي حل تفاوضي مع المحتل. فالسؤال الذي يفرض نفسه .هل أن الحبيب بورقيبة زعيم الحزب الدستوري الجديد صاحب التوجهات القطرية و الذي تبوأ منصبا حساسا في هذه اللجنة كان مقتنعا و مؤمنا بخيارها أم هو مجرد انخراط للاستفادة من هذا الإطار الجديد للتعريف بالقضية التونسية في الخارج و الحصول على ورقة ضغط جديدة لخدمة قضيته الاستقلالية القطرية ؟

و لا شك أن الحبيب بورقيبة شأنه في ذلك شأن كل القيادات المغاربية الأخرى قد شارك الجميع في إدراك أهمية هذا الحدث السياسي الكبير و المتمثل في وجود الأمير بالقاهرة و في مكتب المغرب العربي بالذات و قد نوّه الجميع بذلك و منحوه بعدا حركيا استثنائيا في تفعيل نشاط مكتب المغرب العربي و لجنته مستقبلا . و لا شك أيضا أن اتصالات و حوارات مكثفة مع الأمير قد تمت بشكل متواصل في الأسابيع الأولى من حلوله بالقاهرة و أن الحبيب بورقيبة يومئذ قد سبر عن قرب خلفية تفكير الأمير عبد الكريم الخطابي بشأن العديد من الملفات السياسية و نوعية الرؤى و الأساليب التي ينبغي تبنيها لمواجهة الاستعمار، حيث أن اللجوء إلى معالجة هذه الملفات سوف تختلف تماما عن معالجتها قبل 25 سنة.

لذا كانت تزكيته للجنة من باب الحرص على الاستفادة منها كإطار جديد يمكنه من التعريف بالقضية التونسية في الخارج تجاوبا مع استراتيجيته التي أقرها بعد الحرب العالمية الثانية المعولة ضرورة تقوية المعركة الدبلوماسية في الخارج و يتبين ذلك من خلال تعريجه على العديد من دول المشرق العربي "وكون بفضل مساعيه واجهة ثانية شرقية عتيدة تأيدها الدول العربية وتعمل بنشاط فياض لتحرير الشمال الإفريقي بأكمله" [44]هذه المشاركة في اللجنة تعكس الإحساس بضرورة تحقيق التضامن بين الدول المغاربية استجابة لمقتضيات الكفاح ضد الاستعمار، و ربما صادف ذلك لدى بعض قياداته على غرار الحبيب ثامر إيمانا جديا بجدوى اللجنة كأداة إدماجيه للنشاط الوطني المغاربي خاصة و أن النزعة القطرية ظلت تتطور بطريقة

متزامنة مع تطور التوجه المغاربي بل العروبي و الإسلامي في صلب الحركات الوطنية المغاربية. (45)

فاللجنة في منظور الحزب الدستوري الجديد ما هي إلا وسيلة من وسائل تدويل القضية التونسية و كسب الدعم الخارجي لها و لم يكن يرى لها و لمؤسسها أكثر من هذا، أي لا يتفق مع الأمير في دعوته إلى الخيار العسكري مع الاستعمار بينما يعتبر ذلك عملا تكميليا للعمل السياسي و مجرد وسيلة لدعم موقفه التفاوضي في المواجهة مع الاستعمار بينما الأمير كان في رأيه أن "يتحدوا كلهم على راية و هي الثورة العامة الشاملة في وقت واحد و كان ذلك أمرا مستحيلا." (46)

بناء على ذلك حرص الحزب الدستوري الجديد في تحركاته على رفض دعوات الأمير الرامية إلى استخدام القوة المسلحة و الدعوة إلى استراتيجية الضغط على المستعمر لإرغامه على القبول بحل تفاوضي " فالتونسيون ما لم يدفع بهم إلى صفوف الأعداء لا يتحملون أبدا مسؤولية القطيعة مع فرنسا" (47)

فيبدو أن رهاناته لإنجاح سياسته التفاوضية مع فرنسا قائمة على الدعم الخارجي خاصة الأمم المتحدة الأمريكية و "الدول المحبة للسلام فلو اعترفت فرنسا لشعوب المغرب بالاستقلال لاستطعنا الوصول إلى حل لقضيتنا مع الفرنسيين أنفسهم" (48

يعتقد الخطابي أن الأطراف الموقعة على ميثاق اللجنة من القادة السياسيين المغاربة سيعملون بكل صدق و تجرد في نشاطهم و تحركاتهم على دفع النضال التحرري المغاربي إلى الأمام لكن يبدو أن اللقاءات الأولى بينه و بين قيادات الأحزاب قامت منذ البداية على استراتيجية نضالية متناقضة حيث أن الوطنيين المغاربة اتضح لديهم أن مشروع الخطابي بني منذ الوهلة الأولى على الصورة المغلوطة التي كان يحملها عن حقيقة التضامن المغاربي و هي الصورة التي رسمها هؤلاء الوطنيين أنفسهم الذين نظموا عملية فراره إلى القاهرة و لم يريدوا الدخول في صراع معه بل يريدون الاستفادة من رصيده الكبير "كونه رمزا نضاليا و شخصية تاريخية أسطورية وجب توظيفها سياسيا و إعلاميا لكن لا سبيل إلى منح هذا الشيخ الهرم أية صلاحية لتسيير العمل السياسي و أن دوره يبقى اسميا براقا لا غير." (49)

و تأكد للحبيب بورقيبة – ذو التكوين السياسي الحقوقي الفرنسي- أن الخطابي يعد قائدا عسكريا و بطل تحرير و رمز مقاومة مشرفة في سجل الكفاح المغاربي في المعارك التي خاضها في حرب الريف " وأنه رجل بسيط و تصريحاته للصحافة و غيرها لم تكن إلا من قبيل الكلام الأجوف" (50)

ففي نظر بورقيبة أن طبيعة المعركة السياسية والفكرية للمغرب العربي اليوم تتطلب أسلوبا مغايرا تماما و تكتيكا و استراتيجية إعلامية عقلانية ذات جدوى و فعالية حاسمة و حتما ليس منطق الشعارات الجوفاء و الخطط البهلوانية الفضفاضة دون الأخذ في الحسبان تأرجح الرأي العام الفرنسي و القوى السياسية الفاعلة فيه دوليا.

و اتضح للعيان مدى عمق الاختلاف في سبل المواجهة، فقد كان الأمر يعود إلى "مجابهة بين عصرين ،فالخطابي في نظر البعض يمثل عصر الحرب و التحرك العسكري المباشر أما البعض الآخر من القياديين الشبان ممن أسسوا أحزابا سياسية مغاربية شرعية دستورية كانوا يرون في الأمير قيمة تاريخية أسطورية ، وجب توظيفها سياسيا و إعلاميا باعتباره رمزا نضاليا و لكن لا سبيل إلى منح هذا الشيخ الهرم ، أية صلاحية لتسيير العمل السياسي و أن دوره يبقى اسميا لا غير (51) علما أن بعض القيادات المغاربية غير مرتاحة لخطته (52) بينما الخطابي يريد الاضطلاع بدور الزعيم القائد، و لم تكن الأحزاب التي جمعها حول شخصه في صلب اللجنة تعترف له بغير دور صوري " دور الشيخ الحكيم الذي يصغون إليه باحترام و إجلال دون أن يكونوا ملزمين تجاهه بأي أمر من جانبه" (53) لأنها لا تريد الصدام معه رغبة في الاستفادة من رصيده المعنوي الكبير الذي كان يتمتع به و قد ظل الوطنيون المغاربة يفتخرون باستمرار بدورهم في تنظيم عملية لجوئه إلى القاهرة و وجوده في أوساطهم لكن كانت لكل منهم تحفظات بشأن أساليب النضال و أهدافه ، و يبقى الاتفاق في وحدة الشعارات والمفارقة في الممارسات التي كانت تعكس ضعف الإرادة السياسية في تجسيم هذه الشعارات الناشدة للوحدة المغاربية التي أصبحت مجرد شعور بالتضامن فرضته الظروف الاستعمارية في تلك الفترة (54)و أصبحت قرارات لجنة تحرير المغرب العربي في نظر قادة الأحزاب السياسية غير إلزامية و ظل كل واحد منهم يرتبط بالأساس بقضيته الخاصة و لم

يتعاونوا في نطاقها كما اتفقوا عليه" بما جعل اللجنة تكتفي بدور الوازع و المنشط في حين كان من المنتظر أن تكون المنظمة محركا و منفذا" [55] و ظل مكتب اللجنة مقرا للقاءات الشكلية بين الحركات الوطنية المغاربية بينما التوجه القطري هو الغالب فحكم على اللجنة بالفشل في تحقيق أهدافها [56] و مصيرها هو مصير مكتب المغرب العربي لتتحول إلى ساحة مواجهة بين الوطنيين المغاربة و منبر التوجهات و الرؤى المتقاطعة خاصة بين الرجلين الأمير الخطابي و لحبيب بورقيبة اللذان يمثلان محور لصراع علني بين الإقليمي والقطري. [57]

انطلاقا من هذه الرؤى المتقاطعة بين الرجلين و من خلال المناقشات التي أجراها الحبيب بورقيبة مع الخطابي تبين لبورقيبة أن هذا الأخير يبدي تفهما و انسجاما مع قيادات الحزب الدستوري القديم الأمر الذي أحدث شرخا فكريا و أيديولوجيا بينهما بشأن قضايا مركزية في الصراع مع المستعمر إذ "يرى بورقيبة أن الأمير اليوم غير الأمير بالأمس و أن المسؤولية التاريخية في قيادات الحركات الوطنية المغاربية تتطلب أسلوبا مغايرا و شخصيات واعدة تتحلى بتبني إستراتيجية جديدة ليس إستراتيجية عسكرية ففي رأيه عفا عنها الزمن" [58]

نفهم مما سبق أن بورقيبة كان حذرا من الخطابي لأن هذا الأخير في رأيه يمثل عهدا ماضيا و استراتيجيته تقضي بالعمل العسكري المباشر ، في حين هو و أنصاره يتبنون إستراتيجية مخالفة تقضي بالعمل الدبلوماسي و لغة الحوار و خذ و طالب.هذا ما يوحي بالتباعد في طبيعة المواجهة المستقبلية مع فرنسا.

هذا التباين بين الرجلين في التعاطي مع هذه القضية المركزية سوف تشكل الهاجس الذي لا يدفع إلى الارتياح في خطة الطرفين الأمر الذي أفرز مرحلة جديدة تؤرخ لبداية القطيعة بينهما.

و خاصة أن الأمير كان يبدي احتقارا عميقا و شكا متزايدا للأحزاب السياسية المغاربية التي استمدت آلياتها من الأحزاب المماثلة الغربية و أن الشعوب التي سوف تحصل على الاستقلال في ظل هذه الأحزاب المتأوربة روحا و أسلوبا و فكرا لا تربح شيء من ذلك. [59]

و يرى أن "برنامج اللجنة لم يكن محرجا لحزب الشعب بل العكس كان للدستور الجديد و الاستقلال ذلك أن يطالبهما بالتخلي عن السير نحو الاستقلال عبر المراحل ، و من جهة باللجوء إلى جميع الوسائل [60]

و ما زاد الخلاف عمقا بين القيادتين التحركات و الاتصالات التي كان يجريها الخطابي بشأن تكوين طلبة ضباط عسكريين اللذين يتولون مهمة إعداد و تحضير الثورة المسلحة المغاربية و ذلك بقبول تسجيلهم في المعاهد العراقية و السورية بفضل جهود يوسف الرويسي مدير مكتب المغرب العربي بدمشق بداية من سبتمبر 1948 [61]

إضافة إلى قيامه بعرض خطته التحريرية على الرأي العام العربي و الإسلامي و الدولي و على البلدان الاستعمارية بوجه خاص. آرائه الفكرية و السياسية حول قضايا التحرر في العالم هذا التحرر الذي لا يمكن في نظره أن يتم إلا باللجوء إلى القوة. [62]

و هو ما أتضح للأمير أن الحبيب بورقيبة شخصية سياسية متذبذبة المواقف ، لا تبعث إلى الارتياح على الإطلاق في تنفيذ أي مشروع مستقبلي بسبب العديد من الشبهات التي تحوم حوله بدءا مما أشيع عليه خلال اتصاله بأعضاء السفارة الفرنسية بالقاهرة و الذي يعد خرقا جوهريا لميثاق لجنة تحرير المغرب العربي و هو يتصدر فيها منصب الأمانة العامة ، فتأكد للأمير أن الأمر يتجاوز حدود التنديد إلى ضرورة الفصل النهائي.

ففي الوقت الذي كان بورقيبة يقوم بجولة دعائية عربية بتكليف من الأمير قرر هذا الأخير في 10 ماي 1948 إجراء تعديلات تضمنت تنحية كل من بورقيبة من أمانة اللجنة و تعويضه بـ علال الفاسي و الحبيب ثامر محل محمد أحمد بن عبود على رأس أمانة الصندوق. [63]

و هو ما ساهم في إحداث شرخ كبير بين الأمير من جهة و القيادات المغاربية من جهة أخرى أدى ذلك إلى تفكك العقد الذي عمل الأمير على جمعه حول شخصه في إطار لجنة تحرير المغرب العربي.

و لقد عكست قيادات اللجنة عمق الخلاف وكشفت عن خلفياته من خلال لجوء الأمير إلى توثيق الصلة بمحمد الأخضر حسين رئيس جبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية و محي الدين لقليبي أمينها العام ليصبح رئيسها الشرقي [64]

و هو ما أدى إلى بداية القطيعة بين الخطابي و القيادات المغاربية و تبقى اللجنة إطار أجوف وأصبحت أهدافها المعلنة غير إلزامية ما جعل معظم الزعماء (القوميون) في المغرب العربي غير جادين وملتزمين التزاماً حقيقياً بها وارتبط كل منهم بحزبه ومعسكره الشخصي [65]

و إن لم تندثر هذه اللجنة كهيكل ، فقد استمر عمل المغاربة داخل الأطر المشتركة كمكتب المغرب العربي بالقاهرة " و مركز الحركة الوطنية في الخارج و قلبها النابض... و لم ينجح الخطابي في مبادرته و يتجاوز حدود الرمز الحي لوحدة المغرب العربي [66]

لتأتي حادثة استشهاد القادة المغاربة الثلاثة "الحبيب ثامر وعلي الحمام وأمحمد أحمد بن عود" [6]

لتعبر عن غياب الإرادة السياسية حول مغربة كفاحهم فقد توقفت الطائرة التي كانت تنقل جثمانهم في مطار تونس دون أن يحضر أعضاء الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد للترحم عليهم و خاصة أنها أودت بحياة أبرز القادة السياسيين في الحزب و هو الحبيب ثامر و تجاهل الصحافة الوطنية عن التعبير عن أهمية الحدث. [68]

و هناك من يقول انه عندما توفي تنفس بورقيبة الصعداء لأنه أسرّ في نفسه أن الجميع وقفوا مع الحبيب ثامر [69]

مع العلم أن الرجل لم يكن نضاله يوما تونسيا بحتا و لكنه مغاربي بكل أبعاده و تداعياته النضالية. [70]

فان دل هذا على شيء انما يدل على عدم وجود أية نية صادقة لدى القادة المغاربة تهدف إلى مغربة الكفاح التحرري بل وجود تلك الأطر لتحقيق مطالب قطرية بالأساس دون وجود أي أفق إقليمي مغاربي .

و مع تطور الأوضاع في المنطقة المغاربية و العربية عموما على أنساق مختلفة دفعت بالحركات الوطنية فيها إلى انتهاج سياسات مختلفة في مواجهة القوة الاستعمارية مما حال دون دفع العمل المشترك نحو أفقه الإقليمي،ضف إلى ذلك فشل هذه الأطر في ضمان الدعم العربي الذي كانت تراهن عليه. مما دفع بالزعماء المغاربة إلى الرجوع إلى أوطانهم في فترة متزامنة بحثا عن حل سلمي لقضاياهم الوطنية مع القوة الاستعمارية في نطاق قطري لتضع حدا لميثاق لجنة تحرير المغرب العربي و إسقاط خيار مغربة الكفاح."فكان بورقيبة أول هؤلاء الذين اخترقوا مبدأ التفاوض و التحرك الجماعي و تقدم إلى المفاوضات مع فرنسا فعزل نفسه واضعف الجانب الجزائري و المغربي و أعطى فرنسا الوقت الكافي لكي نفاوض كل بلد على حدة من منطق قوة" (71)

و في الختام نقول رغم الرغبة التي أبداها الخطابي دون التحفظ في التعاون مع الحركة الوطنية السياسية فان جو الوئام لم يعمر طويلا ليس فقط بسبب الاختلاف في المنهجيات استرجاع الاستقلال بل نجد ان الخطابي لم يكن مطمئنا لمجموعة القادة السياسيين و لم يكن لبعضهم الاحترام كل ذلك حال دون نجاح هذه الأطر في مغربة الكفاح التحرري لتكون بذلك سنة 1947 هي سنة المغرب العربي و سنة 1948 هي سنة الخيبة وبدايات الخلافات بين أعضاء المكتب و سنة 1949 هو العام المكرس لتلك الخلافات.

الهوامش

[1]أنظر:شهادة الرشيد إدريس في المجلة التاريخية المغاربية ن ع/ 118 ن بتاريخ جانفي 2005 ،ص 418.

[2] محمد،(بلقاسم): وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا :الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1954/1910 ، ص 531.

[3] لقاء خاص مع حسن التريكي يوم 30 مارس 2011 في منزله الكائن بالمدين الجديدة تونس العاصمة.

[4]المصدر نفسه.

[5] بشأن هذه الشخصيات العربية و الإسلامية.أنظر: محمد،(بلقاسم): المرجع السابق، في الهامش ،ص 530. ا

[6] هذه الشخصيات أشار اليها الدكتور محمد بلقاسم في الهامش في ص 532 من نفس المرجع.

[7] انظر رسالته الى الرويسي يوسف، المؤيدة للمؤتمر في كتاب، الرويسي يوسف ، نشاط مكتل المغرب العربي بدمشق ص 105.

[8]ادريس،(الرشيد): ذكريات عن مكتب المغرب العربي بالقاهرة ص 17 – 16.

[9] انظر مضمون الرسالة : في إدريس الرشيد في المصدر السابق، ص 17.

[10] ادريس الرشيد في المصدر نفسه ، ص 15.

[11] الرويسي،(يوسف): المصدر السابق، ص 111.

[12] و بشأن هذه اللجان و أعضائها و المواضيع التي عالجتها.أنظر: الدكتور محمد ،(بلقاسم):المرجع السابق من ص536 الى ص541.

[13] أنظر الفاسي علال:المصدر السابق ص 376.

[14] للإطلاع على بقية القرارات أنظر الفاسي،(علال): المصدر نفسه ،ص 377.

[15]محمد، (بالقاسم): وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا :الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1954/1910 ، ص527

[16] ضم المكتب كل من الحبيب ثامر، الرشيد إدريس ، حسن التريكي، الطيب سليم ، الهادي السعيدي من تونس و الشاذلي المكي من الجزائر و احمد المليح و عبد المجيد بن جلول و عبد الكريم غلاب من المغرب الأقصى.

[17] تاريخ نشأة المكتب محل خلاف بالمقارنة مع تاريخ الرشيد ادريس و هو يوم 16 فيفري بينما جريدة الأهرام هو 17 فيفري.

[18] الفيس بوك هو احد أشهر مواقع التواصل الاجتماعي الموجودة على شبكة الانترنيت الذي أطلق في فبراير 2004 .

[19] لقاء خاص مع حسن التريكي في 03/30/ 2011.في منزله الكائن في المدينة الجديدة تونس العاصمة.

[20] عن الانجازات التي حققها المكتب أنظر: تقرير مكتب المغرب العربي خلال ثلاث سنوات. ص 12، الى ص 23 .

[21] عن نشاط المكتب في هذ المجال أنظر: عبيد،(خالد): ، مكتب المغرب العربي بالقاهرة (1947 / 1949) ص

[22] عن تفاصيل لجوء الخطابي الى مصر أنظر : ادريس الرشيد ، ذكرى خلاص الأمير عبد الكريم الخطابي ، الزهرة في 47/6/13

[23] انظر القرار 92 ن الدورة العادية 5 جلسة 4 بتاريخ 23 نوفمبر 1946 في قرارات مجلس الدول العربية ص 124.

[24] لقاء خاص مع حسن التريكي يوم 30 مارس 2011 في منزله الكائن بالمدين الجديدة تونس العاصمة.

[25] الرشيد،(ادريس): كيان المغرب و افاقه ص 23 .

[26]الرويسي،(يوسف): ، المصدر السابق، ص 109.

[27] لقاء خاص مع حسن التريكي يوم 30 مارس 2011 في منزله الكائن بالمدين الجديدة تونس العاصمة.

[28] لقاء خاص مع ابو القاسم كرويوم 29- 12 - 2011 باب سعدون نهج المنستير توس العاصمة.

[29] انظر الفاسي،(علال): المصدر السابق، ص 407.

[30]الرشيد،(إدريس): ذكريات عن مكتب المغرب العربي بالقاهرة ص 18.

[31] إبراهيم طوبال: احد المناضلين القدماء في الحركة الوطنية التونسية و أحد المعارضين الكبار للنظام البورقيبي و ريث التيار اليوسفي عاش لفترة طويلة في الجزائر ثم جنيف منذ ان توفي بومدين او بعد بقليل. وافاه الاجل بمرض عضال سنة 1988 و له عدة مقالات حول الوضع في تونس و تجربة الاشتراكية في عهد بن صالح. و كتاب البديل الثوري في تونس.

[32] الشاذلي المكي سياسي جزائري من مواليد 15 ماي 1913 درس بتونس انتخب رئيسا لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين و عاد إلى الجزائر في 1939 اعتقلته السلطات الفرنسية و أطلق سراحه في 1943 و سافر الى القاهرة و شارك في مكتب المغرب العربي في 1947 .المصدر: وكيبيديا

[33]أنظر الندوة الصحفية لصالح بن يوسف في جريدة الزهرة 7 فيفري 1948

[34] أنظر الحبيب بورقيبة : حياته جهاده ص 94.

[35] الحبيب بورقيبة، "رسالة إلى فرحات عباس "، بين تونس و فرنسا ،ص 243.

[36] عبيد،(خالد): ، المرجع السابق، ص 83 ، 84.

[37] الحرية 19 جوان 1949

[38] الزهرة 30 ماي 1948

(39) عبد الكريم الخطاب: (1882/ 1963): مجاهد مغربي ولدى بقرية اجدير بالمغرب الاقصى، درس بجامع القرويين بفاس و اشتغل في مجال التعليم و الصحافة و القضاء. قاوم الاسبان و أسس جمهورية الريف في 21 سبتمبر 1923 و تمكن في ظرف وجيز من إلحاق الهزيمة بالجيش الاسباني في معركة انوال في 23 جويلية 1923. و بعد محاصرته و انهزامه قام الفرنسيون بنفي الخطابي وعائلته إلى جزيرة لارينيون وبعد أكثر من عشرين عاما في المنفى، قرروا نقله إلى فرنسا، وأثناء مرور الباخره بيورسعيد طلب حق اللجوء السياسي من الملك فاروق، وأستجيب فورا إلى طلبه، ساهم الى جانب إخوانه المغاربة في مكتب و لجنة تحرير المغرب العربي بداية من سنة 1947 وقد ظل مقيما بمصر حتى وفاته في 3 فيفري 1963. المصدر:مندوبية قدماء المقاومين و أعضاء جيش التحرير: المصدر السابق، ص 349.للتوسع اكثر عن شخصية الخطابي.ارجع : الى رشدي ،(الصالح ملحسى):سيرة عبد الكريم الخطابي المطبعة السلفية القاهرة. الفصل الثاني من ص 25 الى ص 34.

(40) : بشان هذه الشخصية المحورية و تفاصيل عملية تحريره في مجلة ملفات من تاريخ المغرب' ع 1 جويلية 1996. ع2 اوت 1996.

(41) زكي،(مبارك): محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي وإشكالية استقلال المغرب،ط1 الرباط، فيديرانت، 2003 ، ص 67.

(42) الفاسي،(علال): المصدر السابق، ص 408.

(43) الفاسي،(علال): المصدر السابق، ص 408.

(44) أنظر ندوة صحفية لصالح بن يوسف في الزهرة 30 مارس 1948.

(45) Brondino (Michel) : Le Grand Maghreb , Mythe et Réalités, Tunis ,Ed ,Alif, 1990

(46)الرشيد،(إدريس): ذكريات ص 19.

(47) الحبيب بورقيبة، "لست عدوا لفرنسا "، بين تونس و فرنسا ، ص 252.

(48) انظر تصريح بورقيبة أثناء زيارته الى لبنان في الزهرة 3أفريل 1948

(49) التميمي،(عبد الجليل): "تقاطع استراتيجي بورقيبة و الخطابي "،المجلة التاريخية المغاربية ،ع /117 زغوان ،جانفي 2004 ،ص 65.

(50) الحبيب بورقيبة ، حياتي ، أرائي، جهادي، ص 61 .

(51) التميمي،(عبد الجليل): تقاطع استراتيجي بورقيبة و الخطابي "، المجلة التاريخية المغاربية ، ع /117 ، ص 65.

(52) بل بعض القيادات المغاربية بالقاهرة لم تكن ترضى بخطة الخطابي ففكرت في محاولة تهريب وجه مشرف للعمل النضالي الوطني و هو المنصف من منفاه في بو(Pau) الى القاهرة و عد ذلك مسعى ذا نفس و رؤية استراتيجية مستقبلية من خلال اجتماع هاتين القيادتين معا، و اللتين تحظيان بمكانة عالية في نظر الجميع

و هو ما يمكن ان يشكل انطلاقة واعدة لتحرير المنطقة برمتها الا ان المنصف باي رفض العرض و باءت الخطة بالفشل.أنظر: شهادة احمد بن صالح السياسية إمضاءات حول نضاله الوطني و الدولي منشورات المؤسسة زغوان مارس 2002 بتاريخ 15 جانفي 2005 ص 176.

(53) زنبير ،(محمد): صفحات من الوطنية المغربية من الثورة الريفية إلى الحركة الوطنية، مطبعة المغربية 1990 ص 28 / 29.

(54)الرشيد إدريس في الطويلي،(أحمد):" قضايا المغرب العرب" ، في شؤون عربية، عدد 30 أوت 1983، ص 99.

(55) الرشيد،(إدريس): كيان المغرب و افاقه، ص 27 – 30.

(56) أنظر حديث الرشيد إدريس في الطويلي،(أحمد):" المرجع السابق، ص 99.

(57) : رسالة عبد المجيد جلون إلى امحمد بن عبود المؤرخة في 21 ماي 1950 التي تصف بعض الاصطدامات بينهم في مكتب المغرب العربي و موقف الخطابي منها في المجلة التاريخية عدد 25 / 26 جوان 1982 ص 128.

(58) التميمي،(عبد الجليل): "تقاطع استراتيجي بورقيبة و الخطابي "، المجلة التاريخية المغاربية ، ع /117 ، ص 66.

(59)عبد الكريم،(الخطابي): الخطابي و حرب الريف ص 416 .

(60)حربي،(محمد):الوطنيون الجزائريون و المغرب العربي1954- 1968 وحدة المغرب العربي، م.د.و.ع ،ط1 بيروت 1987 ص 71.

(61) لطلبة المقبولين في الكلية العسكرية في بغداد هم محمد ابراهيم القاضي من الجزائر يوسف لعبيدي و الهادي عمير من تونس واحمد عبد السلام و عبد الحميد الوجدي و الهاشمي الطود و محمد حمادي العزيز من المغرب.

(62) بخصوص تفاصيل الإعدادللخطة التحريرية و مراحل تنفيذها انظر زكي مبارك المرجع السابق ، ص 71 / 72 / 73 / 74 / 75

(63) الفاسي،(علال): المصدر السابق، ص 412.

(64) عبيد،(خالد): المرجع السابق ص 113.

(65) زنبير،(محمد): المرجع السابق ،ص405.

(66)من مقال الرشيد إدريس في الزهرة 21 افريل 1948

(67)القوا حتفهم في حادث طائرة في 12 ديسمبر 1949 بباكستان أين كانوا يحضرون المؤتمر الاقتصادي الإسلامي باسم مكتب المغرب العربي بالقاهرة و لم يعثروا على جثة الحبيب ثامر و للمزيد من التفاصيل حول نقل الشهيدين الى المغرب العربي.

[68] عبيد،(خالد): المرجع السابق، ص 126.

[69] انظر شهادة الرشيد إدريس: في الزهرة ، ص 19.

[70]تميمي،(عبد الجليل):"القناعات و الثوابت المغاربية في مسيرة المناضل يوسف لبرويسي و دوره في إنشاء مكتب المغرب العربي بالقاهرة" دراسات في منهجية الحكم و السياسة البورقيبية، منشورات التميمي للبحث العلمي زغوان ماي 2004 ص 120.

[71]الصافي،(سعيد): بن بلة يتكلم، المذكرات السياسية و الثقافية للزعيم احمد بن بلة، منشورات عرابية ، ط2 ، تونس ، 2012، ص 105

تطور العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة التحريرية "عام 1956"
قراءة تاريخية وسياسية.

أ.د. عبد الله مقلاتي جامعة المسيلة

الملخص:

في هذا المقال نستعرض علاقة جبهة التحرير الوطني بالنظام البورقيبي التونسي، وذلك في مرحلة حساسة، تميزت بقوة تنظيم جبهة التحرير الوطني ورغبته في اعتماد تونس قاعدة خلفية، وسعي النظام البورقيبي لبناء دولة ناشئة ومستقرة، وفي هذا الإطار تم عقد عدة اتصالات أفضت الى عقد اتفاقية تفاهم سرية، ضمنت علاقات جديدة وتنظيم محكم لتمرير الأسلحة عبر تونس، وهو ما مكن من تحقيق طموحات الطرفين، حيث لبت جبهة التحرير الجزائرية رغبتها في كسب دعم وتعاون تونس، وتمكنت هذه الأخيرة من تحقيق الاستقرار وبناء علاقات منتظمة مع الثورة الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: جبهة التحرير الجزائرية . الثورة الجزائرية . تونس . بورقيبة

Abstract :

In this article we review the relationship of the National Liberation Front with the Tunisian Bourguiba regime at a sensitive stage characterized by the strength of the National Liberation Front and its desire to adopt Tunisia as a background and the Burundian regime's attempt to build an emerging and stable state. This ensured new relations and an orderly organization of arms transfers through Tunisia. This enabled the realization of the aspirations of the two parties. The Algerian Liberation Front (FNL) wished to gain the support and cooperation of Tunisia and was able to achieve stability and build regular relations with the Algerian revolution.

مقدمة :

واجهت تونس صعوبات جمة في إرساء علاقاتها مع جبهة التحرير الوطني، خاصة وأن هذه الأخيرة كانت تعتبر تونس المستقلة حليفا استراتيجيا وقاعدة خلفية مهمة، وأن تونس كانت تشق طريقها لاستكمال مشروع الاستقلال القطري المنقوص، وعليه كان ارتباط تونس بالثورة الجزائرية يفرض حضوره القوي ويخلف تبعات خطيرة على استقرار النظام البورقيبي الناشئ، فكيف تعامل النظام التونسي مع هذه القضية؟، وما هي الدوافع التي اضطرت جبهة التحرير الوطني للتعامل مع هذا النظام وقد كانت تتحالف مع خصومه اليوسفيين؟، وفي هذا المقال نحاول استقراء موضوع تكريس العلاقات بين جبهة التحرير الوطني ونظام بورقيبة، وذلك اعتمادا على وثائق وشهادات جديدة .

أولا . أسباب وظروف تقارب جبهة التحرير الجزائرية مع بورقيبة:

لقد اعتبر بورقيبة أن مفاوضاته التي كللت بالنجاح ولدت اعترافا فرنسيا بالاستقلال التونسي، وأن هده الخطوة ستليها خطوات باتجاه تأكيد الاستقلال التام في تونس، وأثارت سياسته هذه شرخا في البناء المغاربي الذي اعتمد وحدة الكفاح المسلح للوصول إلى الاستقلال التام وتوحيد المغرب العربي، وقد كان على بورقيبة أن يضحي كثيرا وأن يناور ليجد مخرجا لضغوط الإدارة الفرنسية ولضرورات التضامن المغاربي ,ولكن تبريراته السياسة لم تقلل شيئا من حملة التهجم والاتهام بالخيانة، بل إن جبهة التحرير الوطني الحريصة على حل واحد لقضايا الشمال الإفريقي كانت تشن حملة دعاية ضد التوجه البورقيبي([1]), ولم يكن يصدق حينها أن الأوضاع ستنقلب لصالح التحالف مع بورقيبة!.

وقد اتبع نظام بورقيبة سياسة التقرب من مسؤولي الثورة الجزائرية وثنيهم عن التحالف مع خصمه صالح بن يوسف، وراهن على بلورة إطار للتضامن المغاربي يعتمد على تعاون أقطاره وتوحدها ليحتضن أفكار خصومه في ضرورة الاستمرار في المعركة الى جانب الجزائريين، لكن صورة بورقيبة المرتمي في أحضان فرنسا والغرب، وكذا طعنه للقضية الجزائرية، كلها عوامل جعلت مسؤولي جبهة التحرير الوطني يعلنون عداءهم لبورقيبة ويقفون الى جانب صالح بن يوسف المتمسك بمبادئ لجنة تحرير المغرب العربي، وقد ذكر بورقيبة من بعد خمس وعشرين سنة أن الدوافع التي

دعته لتحمل مسؤولية السلطة التونسية اجتمعت في فتنة صالح بن يوسف المتحالف مع المصريين والجزائريين، والذي كان "يلقى التأييد والمناصرة من إذاعة صوت العرب في القاهرة, ومن ناحية أخرى كان ابن بلة يمثل رجع الصدى لتلك الأفكار المناوئة لنا وكان اللاجئون الجزائريون يعلقون صور عبد الناصر وسط خيامهم وما وسعني إزاء الوضع الشائك آنذاك ألا أن قبلت..."([2]), وقد مثل النفوذ القوي لصالح بن يوسف في تونس وتحالفه مع الثورة الجزائرية ومصر تهديدا خطيرا لبورقيبة، دفعه لارتماء بقوة في أحضان فرنسا والقبول بقاعدة التفاوض على استقلال منقوص في اطار الاستقلال الذاتي و سياسة التكافل, وبدأ بدهائه السياسي يقبض على زمام السلطة في تونس ويزيح خصومه([3]), وفي نفس الوقت اجتهد في فك ارتباط الجزائريين الوثيق بصالح بن يوسف وبالقاهرة، ووجد مداخل الى ذلك في تباين وجهات نظر الجزائريين للبورقيبية، ففي مؤتمر الحزب الدستوري الحر بصفاقس في نوفمبر 1955 أكد الحبيب بورقيبة دعمه للقضية الجزائرية([4]) , وردد باستمرار عزمه على تجسيد اتحاد المغرب العربي"...باعتباره الضامن الوحيد لمناعة المنطقة وأمنها وتطورها ،فاستقلال تونس يظل بدون معنى حقيقي حتى لو اكتمل رسميا إذا بقيت شقيقاتها تحت كابوس القهر والذل", وأعرب عن احتضانه ودعمه للقضية الجزائرية المرتبطة بالقضية التونسية وقد تصور أن المشكل الجزائري سهل الحل رغم اختلاف الأوضاع بين القطرين الشقيقين, وذلك لان تجربة تونس مهدت للحل السلمي الناجح ,ولهذا دعا القادة الجزائريين منذ جانفي 1956 إلى إتباع خطى التجربة التونسية، ونبه التونسيين والجزائريين من قاطني الرديف إلى أن " نجاح التجربة في تونس والمغرب ومواصلتها دون فوضى أو انخرام للنظام سيفتح لا محال بعد سنة أو نحوها باب المفاوضات بين فرنسا والجزائر لا على أساس بلوغ الأهداف كلها دفعة واحدة بل تدريجيا حسب ما يقره ويسلم به العقل في الظروف الراهنة "([5]).

وخروجا عن الإجماع قرر بعض مسؤولي جبهة التحرير الوطني جس نبض موقف الحبيب بورقيبة هل هو مع الثورة الجزائرية أم ضدها ؟.ويذكر محمد حربي أنه رافق بولحروف لمقابلة بورقيبة لما أطلق سراحه وجيء به الى باريس للمفاوضة وانه نصحهما أساسا القبول بمبدأ الحكم الذاتي كمرحلة أولى نحو الاستقلال([6]), ووجد ضمن قيادة جبهة التحرير الوطني في الداخل من يؤمن بواقعية الخيار القطري بدل

تكبيل السلط بالتزامات الجبهة الموحدة، وقد شعر البعض أن أي انتصار يحققه طرف معين يمكن أن يفيد به الآخرين، وفق هذه النظرة بدأ محمد لبجاوي يتتبع سياسة بورقيبة، فبادر للاجتماع به في باريس نهاية عام 1955 رفقة احمد طالب الابراهيمي في حين حضر مع بورقيبة الباهي لدغم و منجي سليم ومحمد المصمودي وبشير بن يحمد، وعرض لبجاوي على بورقيبة وجهة نظر جبهة التحرير الوطني من الكفاح المسلح والعلاقات المغاربية، وأكد بورقيبة ان ما يحصل في أحد البلدان الثلاثة سرعان ما يؤثر على البلدين الآخرين وان اتفاق الاستقلال الذاتي ليس خطا بل خطوة مهمة للاستقلال التام، ويبدو أن بورقيبة وجد الى جانبه محاورا متفهما لأفكاره، بلغه صورة أوضح عن جبهة التحرير الوطني وأهدافها الكفاحية وعلاقاتها المغاربية، ومن فرط إعجابه بهذه الرؤية وتأكيدا للمواقف المعروضة عليه التمس بورقيبة من محاوره أن يضمن أقواله في مقابلة صحفية تنشرها جريدة العمل التونسية باسم قيادة جبهة التحرير الوطني، فكان امتحانا عسيرا لقيادة الثورة في الداخل(7) وهي تقدم إجابات دقيقة عن الأسئلة المصاغة بعناية من قبل بورقيبة وبشير بن يحمد ،خاصة ما تعلق منها بأهداف ومواقف جبهة التحرير الوطني وبعلاقاتها المغاربية(8), واستمر النقاش حول هذه المسائل خلال الثلاثي الأول من سنة 1956 و قبل إعلان الاستقلال التونسي(9), وخلص الى موقف يعارض إستراتجية الوفد الخارجي في مغربة الحرب ،عبر عنه في الحوار الصحفي الذي نشرته جريدة العمل التونسية في 16 أفريل 1956, ونقلته عنها جريدة " لوموند" الفرنسية(10)، إذ أجيب عن سؤال هل استقلال تونس والمغرب منفردين يفيد الجزائر بالقول: "إنه وبدون استقلال الجزائر سيظل استقلال المغرب وتونس مجرد خدعة، وأن مستقبل شمال إفريقيا المزدهر يقوم على اتحاد دول المغرب العربي الثلاث(11), أي أن جبهة التحرير الوطني تعترف ضمنيا بالاستقلال القطري وتنشد تضامنها ووحدتها الفيدرالية في إطار الدفاع عن المصالح المشتركة، وهذه النظرة تكرست بعد إعلان الاستقلال التونسي والمغربي واعتمدت رسميا أفكارها في مؤتمر الصومام.

ويمكننا أن نؤكد أن قيادة جبهة التحرير الوطني في الداخل تبنت خيار التوجه القطري في العلاقات المغاربية خلال مرحلة المفاوضات وقبل الإعلان عن الاستقلال التونسي، وأعلنت هذا الخيار وانتهجته عندما أصبح استقلال تونس حقيقة مجسدة،

أما موقف الوفد الخارجي المتحالف مع أنصار صالح بن يوسف فكان ما يزال مترددا في الاعتراف بحقيقة الاستقلال التونسي ويدعو إلى الاستمرار في الكفاح المسلح حتى يتحقق الاستقلال الناجز لجميع دول المغرب العربي، وفضلا عن الخلاف بين الداخل والخارج كانت هناك أسئلة كثيرة ما تزال تطرح حول مدى صدق وإخلاص بورقيبة وحجم تمثيله، وأهمية التحالف مع صالح بن يوسف, فقرر عبان رمضان إرسال مبعوث إلى تونس لاستطلاع الوضع ميدانيا ،واختبار موقف بورقيبة بتقديم مجموعة من الطلبات ويتحدث محمد لبجاوي عن مهمته الناجحة بالقول: "...اتصلت ببورقيبة الذي كان قد شكل الوزارة بعد تعيينه رئيسا للحكومة، فاستقبلني بحرارة ومن أجل الحصول منه على تأييد علني للثورة الجزائرية قدمت له في عشرين نقطة تقريبا عدد من الطلبات الواضحة التي كان يمكن ان يشكل الكثير منها في هذه المرحلة الحاسمة من نشاطه السياسي مشكلات حقيقية ...استجاب الرئيس التونسي لكل مطلب بدون استثناء وبتلقائية و صدق مؤثرين"([12]), وعاد محمد لبجاوي ليعرض نتائج مهمته على قيادة الداخل ،مؤكد لها صدق نوايا بورقيبة وتضامنه الفعلي مع الثورة الجزائرية, وأن مكانته في تونس تتعزز وجماهيره كثر، وخلص الاجتماع إلى تأكيد حقيقة مفادها أنه لا يمكن تعميم المعركة في ظل وجود حكومة وطنية قبلت بالاستقلال، وليس مفيدا الدخول مع الحكومة التونسية في معركة مفتوحة بقدر ما هو مفيد كسب دعمها ومساعدتها لإعزاز الكفاح الجزائري خاصة أمام إعراب مسؤوليها عن تضامنهم وانشغالهم بالقضية الجزائرية([13])، وعندما تم تبليغ هذا الموقف الى الوفد الخارجي كان جواب خيضر ما يزال متحفظا على موضوع فض التحالف مع خصوم بورقيبة وتضمن تأكيدا على العمل مع صالح بن يوسف وكذا مع بورقيبة للاستفادة من دعم الطرفين، وأوضح أن اعتماد ورقة صالح بن يوسف مهمة في مغربة الحرب وفي دفع بورقيبة للتضامن أكثر مع الجزائر, وتساءل مؤكدا سداد موقفه " فأية طريقة أفضل من ان نجعل بورقيبة يمشي ومسلة بن يوسف في خصره نحن ننتظر وجهة نظركم حول هذه المسالة حتى نجعل موقفنا منسجما مع موقفكم..."([14])، والحقيقة أن مسؤولي الوفد الخارجي كانوا يلتمسون المبررات الكافية للحفاظ على التزاماتهم المغاربية وتأكيد توجههم الثوري المزاحم من قبل قادة الداخل خاصة بعد إقرار مؤتمر الصومام سياسة واقعية للعلاقات

المغاربية، وتوجيه أحد مسؤولي الداخل باسم جبهة التحرير الوطني رسالة مفتوحة الى بورقيبة عبر صحيفة الدستور في سبتمبر1956, وكان لانعقاد مؤتمر الصومام دون حضور الأطراف المهمة في العلاقة مع تونس أثره في تكريس سياسة جديدة مع النظام البورقيبي وخلق ازدواجية في التعامل مع التونسيين، وأما رسالة محمد لبجاوي الى بورقيبة فقد أثارت جدلا بين مسؤولي جبهة التحرير الوطني عموما وفي تونس خصوصا, اذ حسنت كثيرا من صورة بورقيبة وحملت إليه تقدير واحترام الجزائريين لشخصه ولنضاله "رغم سوء الفهم العابر", وتضمنت دعوة إلى تأكيد التضامن الأخوي بين الشعبين التونسي والجزائري والمساعدة في بعث الدولة الجزائرية المستقلة وإنشاء اتحاد شمال إفريقيا([15]) , ولاحظ المهتمون بالعلاقات الخارجية التونسية آنذاك أن عهد السياسة المناوئة لبورقيبة قد ولى, وشكك البعض في حقيقة الرسالة التي صبغت على بورقيبة الزعامة بعد أن رمي بالخيانة, واضطر قادة الداخل إلى تأكيد السياسة المنتهجة في مؤتمر الصومام، مؤكدين أن الرسالة تترجم حقيقة مواقف جبهة التحرير الوطني ,ولم يكن اتخاذ القرار والجهر به هو الأهم، فالأهم في نظر بورقيبة هو تجسيده في واقع التعامل الميداني، وبالنظر في الواقع المعاش وظروف الخلاف بين الداخل والخارج نجد أن تجسيد علاقات تعاون حقيقية مع النظام التونسي قد تأخرت إلى ما بعد اختطاف طائرة الزعماء الخمسة, فبحكم تبعية مسؤولية تونس إلى الوفد الخارجي لم تكن مهمة كسب ود وتفهم القادة الجزائريين بالسهلة على بورقيبة رغم ما تحقق له من تفاهم مع قادة الداخل غير المتحكمين في قاعدة تونس, وقد تأثر بورقيبة من كثرة المتحدثين باسم الثورة الجزائرية ومن المشاكل التي كان يتسبب فيها الجزائريون، فكان عليه أن يواجه ويداري, ويرهب ويرغب ليتجاوز خطورة المصاعب.

ومنذ عودته إلى تونس وأثناء مجابهته لحركة صالح بن يوسف وجد بورقيبة نفسه في مواجهة مجموعات من الثوار الجزائريين وتحالف عناصر تونسية وجزائرية تستمد عقيدتها من مشروع الكفاح المغاربي المشترك، وهذا التوجه العسكري والسياسي المضاد للبورقيبية مكن لنفسه في تونس بفضل التنسيق المحكم بين ابن بلة وقادة أوراس النمامشة، وقد ارتبط هذا التنسيق بميلاد الحركة اليوسفية والتحامها بالثورة الجزائرية.

وكانت ظروف خاصة تلك التي نشط فيها ابن بلة وقادة الأوراس, اذ حتمت خلالها المبادئ والارتباطات المغاربية صياغة موقف معاد لبورقيبة الذي خون موقفه, وذهب بعض قادة الثورة للدعوة الى تصفيته لأنه يقف في وجه الثورة المغاربية, ويعترض قوافل أسلحة الجزائريين([16]), ولهذا ظل قادة الوفد الخارجي و قادة الجهات الحدودية ملتزمين بخط التضامن مع اليوسفيين ،وبعضهم لم يستسغ التعامل مع بورقيبة حتى بعد استقلال تونس، وقد اجتهد بورقيبة في كسب الجزائريين لصالحه دون ان يحقق نجاحا كبيرا، وإن كان بعض القادة المحليين لمنطقتي سوق اهراس والنمامشة لم يفرقوا في البحث عن المساعدات بين اليوسفيين والسلطة التونسية، ومد اليهم الحزب وقادة الحرس الوطني يد المساعدة, وكلف بورقيبة محجوب بن علي برعاية شؤون الجزائريين في مناطق الحدود, وطلب من احمد التليلي التفرغ لمسؤولية العلاقة مع الجزائريين

وقد بادر قادة منطقة سوق أهراس وبتوجيه من بوقلاز مبكرا للتنسيق مع أعوان بورقيبة حيث قدم الحزب وأعضاء الحكومة مساعدات ثمينة([17]), وأجرى محمد لصنام المكلف من قبل جبار عمر بالتموين في تونس([18]) اتصالا مباشرا مع بورقيبة بوساطة المحجوب بن علي, ودار الحديث عن تعامل الجزائريين مع الطيب الزلاق الثائر في منطقة الأربعاء, وطلب بورقيبة الكف عن ذلك وتعهد قيادة سوق أهراس بقطع الصلة مع المعارضة اليوسفية, وهذا الأمر أغضب عباس لغرور وعبد الحي كثيرا([19]), ويذكر الوردي قتال أنه تلقى رسالة من بورقيبة يطلب منه عدم مهاجمة الفرنسيين فوق التراب التونسي وانه لم يابه بها لان توجيهات عباس كانت لا تضع لسلطة بورقيبة اعتبارا([20]), وتؤكد رواية عاجل عجول أن بورقيبة أرسل في بداية عام 1956 رسالة يعترف فيها بتمثيل منطقة الاوراس في تونس بواسطة عبد الحي، ويطلب التدخل لدي قيادة سوق أهراس لمنع جنودها من الدخول إلى تونس لأن فرنسا تحتج عليه([21]), وإثرها توجهت بعثة عثماني عبد الوهاب([22]) إلى تونس, واتصل عثماني ومحمد العيفة بمحمد المصمودي والرئيس بورقيبة، ولم يكن عبد الحي وجماعته راضين عن هذه الاتصالات المباشرة، كما نسجل أن ممثل عباس لغرور لم يشاركهما اللقاء([23]), وعموما لم يكن الاضطراب في هذه المرحلة الحساسة مقتصرا على منطقتي سوق أهراس والنمامشة, وقد أدى الى مقتل جبار عمر بل امتد الى تونس, حيث أظهر

عبد الحي عداوة لقادة النمامشة الرافضين لسلطة عباس لغرور، ومثلما رفض استقبال موفدي الداخل (آيت حسن وروابحية) رفض مبادرة الصلح المقدمة من قبل بعثة عثماني([24]), وقد عرف عن شخصية عبد الحي تصلب الموقف وميوله الجهوية وخدمة أوليائه لغرور وابن بلة والوفاء للتحالف مع اليوسفية، وفي ظل الصراع على قاعدة تونس بين الداخل والخارج وبين القيادات الجهوية أصبح موقف جبهة التحرير الوطني محرجا في تونس، وتسببت الاضطرابات في مشاكل عديدة مع نظام بورقيبة وهو يباشر سلطته على تونس([25]), وفي ظل الوضع المضطرب للثورة وتواصل الخلافات المؤثرة على قاعدة تونس كان على بورقيبة أن ينتظر حتى تتوضح أمامه مواقف الثورة، فبعد استقلال تونس وترحيب مسؤوليها بدعم الثورة الجزائرية تواصل تعامل عبد الحي مع أنصار صالح بن يوسف سرا, وكان نفوذه القوي في العاصمة وفي الجنوب يزيد في غروره, كما ان مبادرة قيادة الداخل بإرسال مبعوثين لتمثيل الثورة في تونس زادت في استنفار احمد بن بلة لأنصاره (لغرور، عبد الكريم هالي، عبد الحي) من اجل تأكيد نفوذ الخارج على قاعدة تونس الإستراتيجية, وتفيد بعض الشهادات ان تحولا حصل في موقف عباس لغرور فبدأ يميل الى قبول التعامل مع السلطة والمعارضة في آن واحد, وذلك من أجل خدمة مصلحة الثورة الجزائرية التي تحتاج الى تضافر جهود الطرفين([26]).

وبادرت الحكومة التونسية في إطار مساعيها لفرض النظام للاتصال بقيادة الداخل طالبة إيفاد مسؤول يسوي المشاكل القائمة، فكلف عبان رمضان حامد روابحية بهذه المسؤولية ولما حل بتونس في مارس 1956 ,وعاين الوضعية المضطربة اجتمع بالوزيرين الباهي لدغم والطيب المهيري الذين اشتكيا له من تعامل الجزائريين مع المعارضة طالبين منه التزام الثوار الجزائريين الحياد بخصوص الخلاف بين أنصار بورقيبة وأنصار ابن يوسف، وأن يتخذوا الشريط الحدودي قاعدة خلفية للاستراحة ولا يحولوه إلى ساحة قتال مع الفرنسيين.

ثانيا .لجنة التنسيق والتنفيذ وبناء علاقات جديدة مع تونس:

في ماي 1956 عين عبان روابحية وآيت حسين ممثلين للثورة في تونس، وفي نفس الوقت كلف دباغين برئاسة الوفد الخارجي في القاهرة ، الأمر الذي زاد في حدة الصراع بين الداخل والخارج، وقد رفض عبد الحي وجماعة الاوراس الاعتراف بقرارات الداخل، وأقدم بعدها عبد الحي على اعتقال مبعوثي الداخل وتدخلت السلطات التونسية لاعتقال عبد الحي وجماعته والإفراج عن روابحية وآيت احسن، لكن هذين الأخيرين اعتبرا الأمر تدخلا في الشؤون الجزائرية، وأنه لا يجوز للتونسيين فعل ذلك، وطالبا بإطلاق سراح المعتقلين وتشكيل لجنة لتمثيل الثورة في تونس تضم جميع الأطراف المتخاصمة([27]), وخضعت السلطات التونسية للأمر الواقع لكنها ظلت تشتكي من خروقات الجزائريين وعدم احترامهم للسيادة التونسية، خاصة وأن بورقيبة كان منشغلا بما يثيره الجزائريين من مشاكل داخل تونس تتسبب في تعطيل المفاوضات مع فرنسا[28]()، وتحول دون إنشاء جيش وطني تونسي, وفي ليلة 14 ماي 1956 وقعت مواجهة بين المجموعات الجزائرية المتنازعة في ضواحي تونس العاصمة, وأدى حصارها الى مقتل عنصرين من قوات الحرس الوطني التونسي, ونظرا لحساسية الظرف تاثر بورقيبة وحكومته بهذا الحادث المؤلم والمؤثر على العلاقات مع فرنسا، ودعا بورقيبة الى اجتماع حضره التليلي ولدغم وعبد الله فرحات وعبد الجليل المهيري، وبعد مناقشة الوضع من جوانبه المختلفة تقرر إبلاغ قادة الثورة في الداخل والخارج خصوصا بخطورة الوضع وضرورة وضع حد لانتهاك السيادة التونسية، وكلف بورقيبة عبد الجليل المهيري بمعالجة المسألة مع الوفد الخارجي، ويذكر هذا الأخير في شهادته أنه عقد لقاء رفقة الصادق لمقدم سفير تونس في القاهرة مع ابن بلة وخيضر وبزيد، تدارسوا خلاله المشاكل المطروحة في تونس وسبل تعزيز العلاقة مع السلطات التونسية, واجتهد الطرف التونسي في كسب ود القادة الجزائريين للتعاون مع حكومة بورقيبة وقدم عروضا مغرية من المساعدات لم تكن منغصة بشروط القطيعة مع اليوسفية، وتضبطها شهادة المهيري في النقاط الثلاث الآتية:

. تعيين ممثل للثورة يكون مرجعا للحكومة التونسية في جميع المعاملات.

. تنظيم ندوة مغاربية لمناقشة مسألة دعم الجزائر, وتنسيق المواقف وسبل تصفية الاستعمار.

. تقديم مقترح للسلطات التونسية لاحتضان قيادة الثورة في تونس بما فيها الوفد الخارجي[29].

ويبدو واضحا أن مقترحات بورقيبة كان هدفها كسب رضا قادة الوفد الخارجي, وخاصة ابن بلة الذي أبدى استعدادا لقبول العرض التونسي وأيد فكرة تعيين ايت احسن ممثلا في تونس وطلب تقديم البعثة التونسية في روما تسهيلات للثورة الجزائرية، ويبدو أن مشروع بورقيبة لاحتواء قادة الثورة وإبعادهم عن القاهرة والتخلي عن مشروع الحل الشمولي والقومية العربية لم يحقق النجاح المامول، ولا نجد تفسيرا واضحا لقبول ابن بلة لمساعدات التونسيين والعمل التنسيقي مع سفارة تونس في ايطاليا وإحجام محمد خيضر على تكريس التعامل مع نظام بورقيبة, وتأكيده على أهمية التحالف مع المعارضة اليوسفية([30]), فهل هذا يعد لعب أدوار أشارت اليه رسالة خيضر لعبان رمضان بتاريخ 6 جوان 1956([31])، أم أن حاجة الثورة إلى الدعم المقدم في روما دفع بإبن بلة للتظاهر بقبول العرض التونسي؟. خاصة وأن بعض الشهادات تؤكد أن أحمد ابن بلة كان يرسل في الوقت نفسه التعليمات المناقضة الى عبد الحي تحرضه على مواجهة مبعوثي الداخل والحفاظ على الخط الثوري المنتهج([32])، والمؤكد أن الوضع بتونس لم يتغير, واستمر عبد الحي على موقفه، ولم يستكن بورقيبة وهو يعرف أن الحل بيد الوفد الخارجي فخطط لكسب عناصر أخرى ضمنه, ومنهم أحمد توفيق المدني ومحمد الأمين دباغين، وقد يكون قادة الداخل أوحوا إليه بذلك، ففي القاهرة التقى مبعوثو بورقيبة الصادق المقدم والطيب سليم مع دباغين والمدني واقترحا عليهما مبادرة الحكومة التونسية للإشراف على مهمة تمرير الأسلحة بدل اعتماد أنصار صالح بن يوسف، وفي يوم 19 جوان 1956 التقى الباهي لدغم والرشيد إدريس بأحمد توفيق المدني وتدارسوا العلاقة مع حكومة بورقيبة واتفاق تمرير الأسلحة، وأكد لهما المدني أن موقف الوفد الخارجي يؤكد على مسألة التعاون مع حكومة بورقيبة, وتجسيد اتفاق تمرير الأسلحة بواسطة الحكومة التونسية ضمانا لتسليمها للمجاهدين على الحدود([33]).

وازداد اضطراب الوضع في تونس، وأثر ذلك على مرور الأسلحة، وتفاقمت المشاكل بتصاعد الخلاف بين الداخل والخارج عقب مؤتمر الصومام وتنامي التنافس بين قيادات الأوراس والنمامشة وسوق أهراس و السوافة، وقد نقل هؤلاء خلافاتهم الى

تونس في سبتمبر 1956, إذ دعا عبد الحي ولغرور قادة النمامشة للاجتماع في تونس وفض إحدى مشكلات القيادة المستعصية، وخططا لاغتيال قادة النمامشة المجتمعين، فكان حادثا أليما([34]) سمح للسلطات التونسية بالتدخل وإلقاء القبض من جديد على عبد الحي وجماعته، أما عباس فتسلل الى الحدود, وفي طريقه خاض معركة مع القوات الفرنسية داخل التراب التونسي احتجت عليها السلطات التونسية([35]), وتدخل أحمد ابن بلة ليعين أحمد محساس ممثلا للثورة في تونس([36]), فهل سيتمكن هذا الممثل من إنقاذ الوضع المتدهور وتحسين العلاقات مع تونس أم أنه سيزيد في حدة الصراع على السلطة ؟.

لقد عرف أحمد محساس بموالاته لأحمد ابن بلة عندما كان يشرف على السلاح في ليبيا ونقله الى تونس, وجاء تعيينه في هذا المنصب بهدف تثبيت سلطة الوفد الخارجي على قاعدة تونس الإستراتجية، ولم يكن ينقص محساس الدهاء والحنكة لإرضاء الجميع في تونس جزائريين وتونسيين, فقد أقر بإنشاء القاعدة الشرقية لقادة سوق أهراس ووطد علاقاته مع قادة النمامشة والاوراس والسوافة، وكسب إلى جانبه تعاون المسؤولين التونسيين([37]), وكانت حكومة بورقيبة تقدم له دعمها أملا في قطيعة الجزائريين مع الثوار اليوسفيين واحترامهم للسيادة التونسية، لكن محساس وإن استطاع توحيد كلمة الجزائريين وراءه وأظهر احتكامه لقرارات السلطة التونسية إلا أنه ظل يتعامل مع اليوسفيين، كما أن ارتباط بعض المجموعات الجزائرية بالعناصر اليوسفية في الجنوب كان يثير الشكوك حول حقيقة موقفه من المعارضة التونسية([38]).

واهتم محساس بمسألة التسليح وتقوية قدرات القاعدة الشرقية والاوراس, ولم تكن علاقاته بحكومة بورقيبة واضحة المعالم، خاصة وأن دعمها ظل دائما مشروطا بمدى الخضوع لمطالبها، ولهذا اعتمد على الجزائريين المستقرين في تونس وعناصر القاعدة الشرقية في التموين والتسليح، وفرض صرامته في التعامل مع السلطات التونسية, وأما هذه الأخيرة فلم تطمئن لجانبه, وقد دعتها تجربتها السابقة مع مسؤولي الثورة للحياد وتجنب ما قد يثير حساسية الجزائريين النافذين في تونس([39]), وكان قد أثار معارضة شديدة لمؤتمر الصومام بتوجيه من ابن بلة, وجمع حوله قادة سوق أهراس والاوراس، وكان يعتزم إعلان هذه المعارضة أثناء اجتماع قادة الوفد الخارجي

في مؤتمر تونس في 23 أكتوبر 1956 لكن اختطاف طائرة الزعماء الخمسة حال دون ذلك(40), وفي ديسمبر 1956 اجتمعت قيادات القاعدة الشرقية وأوراس النمامشة مع محساس وأعلنت رفضها لمقررات مؤتمر الصومام ومعارضتها للجنة التنسيق والتنفيذ وتزكيتها لمحساس(41)، وكانت المواجهة عنيفة في تونس بين محساس وأنصاره المتمسكين بالشرعية الثورية ولجنة التنسيق والتنفيذ المصممةعلى تنفيذ مقررات الصومام، وهكذا استمرت المجابهات بتونس, إذ يذكر آيت احسن أن السلطات التونسية أعلنت عن حيادها وفضلت مراقبة الوضع وهي تشتكي باستمرار من مشاكل الجزائريين(42)، وعندما جاء دباغين الى تونس لمحاورة الحكومة التونسية وتفنيد افتراءات محساس في ديسمبر 1956 وجد التونسيين مترددين في اختيار الموقف، ويناورون لكسب الورقة الرابحة(43), وعندما تأكدت السلطات التونسية من نفوذ لجنة التنسيق والتنفيذ القوي رحبت باوعمران محاورا, وسهلت مهمته في تونس، وبالمقابل سمحت لمحساس بالفرار من قبضته ،ووفرت لنفسها سياسة بديلة(44)، ومثلت بداية سنة 1957 انتظاما للعلاقات الجزائرية التونسية وتكريسا لسياسة التعاون, وهكذا أنهيت مرحلة التردد بالاعتراف بسلطة بورقيبة, وفسح المجال لبناء علاقات تعاون وطيدة .

الخاتمة:

ويتبين من خلال تتبعنا لمسيرة العلاقات الجزائرية - التونسية في مرحلة ولادة السلطة التونسية أن الثورة الجزائرية أكدت حضورها القوي في قاعدة تونس الإستراتيجية، وأنها أثارت مصاعب لسلطات كانت تبحث عن الاعتراف بشرعيتها واحترام سيادتها، وقد مر تكريس العلاقة بين الطرفين بمراحل حاسمة وصعوبات جمة، وانتهت بإرساء علاقات منظمة ووثيقة بين لجنة التنسيق والتنفيذ وحكومة بورقيبة، وهو ما سمح بتجاوز المشكلات التي كانت تعيشها الثورة في تونس، وخدمة مصالح وأهداف الطرفين.

الهوامش

[1] L'EBJAOUI Mohammed; **Verité sur le révolution Algerienne** ,ed; Gallimar, Paris, 1970 .p 97

[2] الحيبي بورقيبة: **حياتي، أرائي، جهادي،** منشورات كتابة الدولة للاعلام، تونس، 1978، ص213

[3] انظر محمد الحبيب المولهي : **الوطن والصمود** , ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1991, ص267

[4] انظر , الحزب الحر الدستوري التونسي: **المؤتمر الوطني بصفاقس من 15الى19 نوفمبر 1955** , مطبوعات ش ت ف ر, تونس ,1955 , ص65

[5] انظر خطابه يوم 12 جانفي 1956،الحبيب بورقيبة : **خطب،** ج2، كتابة الدولة للاعلام ، تونس, 1974 ، ص 317

[6] **المصدر نفسه**

[7] Mohammed LBJAOUI **op cit** p.p 96 . 99

[8] انظر هذه الوثيقة الهامة صحيفة العمل التونسية L ACTION .du 16 Avril 1956

[9] نعتمد في تحديد هده الفترة بما دكره لبجاوي من انه عاد الى الجزائر واستشار رفاقه في موضوع الحوار الصحفي نهاية عام 1955 وان سفره الى تونس سنة 1956 تم عشية الاعلان عن استقلالها ,

[10] 1956 Avril17 **LE MONDE** du

[11] **L ACTION** du 16 Avril 1956 .

[12] Mohemmed LBJAOUI .**op cit** P P 105.106

[13] انظر رسالة خيضر الى عبان بتاريخ 6 جوان 1956ردا على رسالة عبان بخصوص موضوع العلاقة مع تونس

BELHOCINE Mabrouke: **Courier –Alger- le Caire 1955-1956 et le congré de la Soumam dans la revolution** , Casbah ,Alger, 2000 . p 180

[14] **IBID**

[15] انظر نص الرسالة كاملا وردود الفعل عليها Mohammed LBJAOUI : **op cit** , p- p107.108

[16] انظر شهادة الوردي قتال , مقابلة مع الباحث، تبسة، 17 جويلية 2005.

[17] انظر حوار مع المجاهد العقيد عمارة بوقلاز, مجلة **أول نوفمبر**، عدد 112. 113، جانفي . فيفري 1990، ص 12 . ويضيف بوقلاز ان بابن بلة اشترط منه مقابل تسليمه السلاح التعاون مع أنصار صالح بن يوسف وتحمل نفقات نقل السلاح والخضوع لسلطته.

[18] تشير تقارير القيادة العسكرية في تونس الى دوره على رأس مجموعة من المجاهدين انظر أرشيف المصلحة التاريخية للجيش البري الفرنسي .

S.H.A.T 2H 310 dos 2 rapport du 20 mai 1956

[19] شهادة الوردي قتال , سبق ذكرها , و شهادة قنز محمود المقدمة لزروال. محمد زروال : زروال محمد: **اللمامشة في الثورة ،** ط1، دار هومة، الجزائر، 2003، ص 267

[20] شهادة الوردي قتال , مقابلة مع الباحث

[21] شهادة عاجل عجول , مجموعة باحثين: **مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية**، منشورات جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس، ط1، دار الهدى، عين مليلة، 1999، ص . ص 415 -416

[22] بعثة شكلها قادة الاوراس لفض الخلاف بين قادة سوق اهراس وقادة النمامشة ضمت ممثل ابن بو العيد محمد العيفة وممثل عجول عثماني وممثل لغرور دونا عمار , وخرجت الى تونس لاستكمال تحقيقها.

[23] انظر شهادة محمد العيفة بن علي: **مصطفى بن بو العيد و الثورة الجزائرية** ,المصدر نفسه ،ص . ص 515.516

[24] انظر شهادة عثماني عبد الوهاب : **المصدر نفسه**, ص, 506

[25] انظر شهادة ابراهيم مزهودي .محمد عباس : **رواد الوطنية** , مطبعة دحلب ، الجزائر، 1992, ص,301

[26] انظر شهادة علي فارس , مقابلة مع الباحث، تبسة، 17 جويلية 2005.

[27] انظر شهادة روابحية ، محمد عباس: **المرجع السابق** ،ص, 246 وما بعدها، وتقرير ابراهيم مزهودي عن مهمته في تونس، محفوظات شخصية. ومحمد زروال **: المرجع السابق** , ص, ص 320 ، 321

[28] في 12 ماي 1956 طالب بورقيبة في المجلس التأسيسي بالتمثيل الخارجي لتونس وبادر بعد شهر الى إنشاء وحدات الجيش الفرنسي, وكانت المرحلة حساسة من طريق فك قيود اتفاقية 20 مارس 1956 التي تضع شؤون الدفاع والخارجية في يد فرنسا.

[29] انظر شهادة عبد الجليل المهيري , محفوظة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، منوبة، تونس.

[30] أثار محمد خيضر جدالا ومعارضة في اجتماع الوفد الخارجي بتاريخ 01 جوان 1956 أثناء مناقشة طلب مبعوثي الداخل الى تونس المتضمن التعامل مع بورقيبة وحكومته بدل العمل مع صالح بن يوسف لأن قضية خاسرة وأنصاره قلة , انظر, احمد توفيق المدني : **حياة كفاح مذكرات**، الجزء الثالث، ط2، م و ك ، الجزائر ، 1988 ، ص . ص 151.152، وقد أعرب خيضر في مؤتمر صحفي بتاريخ 26 جوان 1956 عن الموقف نفسه ,انظر ,**المصدر نفسه**, ص 161

[31] Mabrouk BELHOCINE . **op. cit** p 180

[32] انظر شهادة الوردي قتال سبق ذكرها, ومحمد زروال: **المرجع السابق** ، ص, ص319 .320

[33] انظر احمد توفيق المدني : **المصدر نفسه**، ص . ص، 148 ، 166، 167

[34] قتل فيه الزين عباد وبشير عبدودي وجرح لزهر شريط وساعي فرحي والوردي قتال جروحا بليغة، انظر شهادة الوردي قتال, مقابلة مع الباحث سبق ذكرها, ومحمد زروال : **المرجع السابق**, ص ص, 224-240 .

[35] انظر محمد زروال : **المرجع نفسه** , ص . ص , 340-358

[36] انظر,احمد توفيق المدني : **المصدر نفسه** , ص186

[37] شهادة احمد محساس , مناضل في الحركة الوطنية ومسؤول قاعدة ليبيا , ثم قاعدة تونس، مقابلة مع الباحث ، الجزائر العاصمة , 9 جويلية 2005

[38] انظر, محمد حربي : **جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع**، ترجمة كميل داغر، ط1 مؤسسة الأبحاث العربية - دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983 , ص, 160

[39] شهادة محساس , مقابلة مع الباحث، سبق ذكرها.

[40] شهادة الوردي قتال, مقابلة مع الباحث، وشهادة الطاهر الزبيري المقدمة لزروال ، محمد زروال: **المرجع السابق**، ص 309.

[41] انظر النص الذي أورده الديب، الديب فتحي: **عبد الناصر وثورة الجزائر**، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1984، ص . ص, 673-674

[42] انظر تقرير آيت احسن عن الوضعية في تونس Mabrouk BELHOCINE **op cit** p 214

[43] احمد توفيق المدني : **المصدر السابق** ,ص, 336

[44] حربي محمد : **المرجع السابق** ,ص, 160

مظاهرات ديسمبر 1960م ودور المرأة والطفل فيها من خلال الصحافة الاستعمارية المكتوبة

أ.زيدين قاسيمي جامعة البويرة

الملخص:

يتناول هذا المقال موضوع مظاهرات ديسمبر 1960 م بالجزائر و كيف تناولها الإعلام الفرنسي المكتوب من خلال بعض النماذج من الصحف.ويقف المقال على مكانة و دور الطفل والمرأة في الأحداث حسب ما دونه المراسلون.

وتجدر الاشارة إلى أن المظاهرات المشار إليها حضيت بتغطية واسعة من طرف وسائل الإعلام التي رافقت زيارة ديغول إلى الجزائر من 09 إلى 12 ديسمبر 1960. وقد كان لخطاب ديغول انعكاسات على موقف الأوربيين من رؤيته لمستقبل الجزائر فحاولوا التصدي لذلك،كما كان للجزائريين رأيا آخر تجلى في تلك المظاهرات العارمة التي كانت بمثابة التعبير عن موقفهم و رأيهم حول مستقبلهم .

وقد اعتمد المقال تحليلا ونقدا على ما دونه الفرنسيون حول هذا الموضوع الذي تناول ظروف المظاهرات و سيرها و انعكاساتها .

Résumé :

Les manifestations du 11 Décembre 1960 et le rôle de la femme et de l'enfant vus par la Presse française

Cet article se veut une contribution sur les évènements du 11 Décembre 1960 en Algérie et la place que la femme et l'enfant ont occupé sur la scène nationale durant le déroulement des manifestations qui ont entachées la visite de De Gaulle pour l'Algérie depuis le 09 du même mois.

Venu pour développer son projet de « l'Algérie algérienne » lancé par son discours du 04 Novembre, De Gaulle ne pensait pas à se voir affronter par ses adversaires composés de militaires acolytes de Salan et Jouhaud, et des colons extrémistes, et des jeunes appelés « Les Lagaillardistes, tous versés dans le « Front de l'Algérie Française » . Les partisans de l'Algérie algérienne prônée par le président français soutenus par les sections administratives urbaines,œuvraient pour contrecarrer ce front et essayé d'enrôler dans leur rang le peuple algérienne qui avait su comment déclamer ses manœuvres inappropriées pour son combat et son avenir. Dés lors il choisit une troisième voix ; c'est celle de l'Algérie du FLN. Pour se faire des démonstrations dans les rues ont été

Abstract:

The Algerian war was a great event of the 20 century. It had a deep impact on the society. In order to go straight on freedom of Algeria, among several methods which were employed to rich the goal the manifestation against the French colonialism. The events from 09 to 11 December 1960 are the most treated by the French news papers, because of the visit of the French president to Algeria. This event was evidence that the Algerian people hold the revolution. Man, Women and children participated to this event which happened around Algerian cities. This article presents how French press treated globally the peaceful demonstration and the role played essentially by Childs and woman in December 1960 in Algeria.

improvisées à l'aide des marches grandioses dans plusieurs villes du pays pendant et après la visite de De Gaulle. Des affrontements ont eu lieux entres ces diverses parties, mais des tueries aussi. Les musulmans algériens ont en été des victimes.

L'on relève qu'aucun évènement n'a été aussi couvert par la presse française que ce dernier. Une panoplie de la presse écrite et audio-visuelle était parsemée à travers toutes les villes et zones parcourues par « De Gaulle ».

La presse écrite ne s'est jamais attendu à être témoin de ces évènements qui ont marqué une grande mutation dans l'histoire de la révolution algérienne. Elle nous retrace les faits et les tournures tragiques de toute cette effervescence spontanée. La présence de femmes et des enfants algériens n'est pas passé inaperçue pour la presse, le point est toujours mis par les rapporteurs de presse et leurs présences et leurs rôles sont signalées un peu partout avec une grande attention. Cette article s'étalent autour de ces idées et analysent la revue de presse française des évènements de Décembre 1960.

مقدمة:

تعد مظاهرات 11 ديسمبر 1960 م من أهم المحطات الأساسية للثورة التحريرية الجزائرية بحيث تجاوز صداها حدود الجزائر و بلغ العالم من خلال دور ممثلي جبهة التحرير الوطني في مختلف دول العالم وما دونته الصحف المتباينة منها صحف الاستعمار الفرنسي خصوصا.

نظرا لطبيعة المظاهرات وحجم مشاركة الشعب الجزائري وسرعة الانتشار الواسع لها في مناطق متعددة من جهة، و الظروف التي انتابت هذه المظاهرات وانعكاساتها فقد أولت الجرائد الفرنسية آنذاك اهتماما كبيرا بها، وتناولت جوانبا عديدة وصفا وتحليلا.

ولقد كانت مظاهرات 11 ديسمبر أشد تأثيرا على مسار الثورة التحريرية على المستويين الداخلي والخارجي، بحيث سجل هبة شعبية فريدة من نوعها إبان الثورة التحريرية وتمخض عنها تحولا كبيرا في الرأي العالمي إزاء الثورة التحريرية.

ومن الملاحظات التي طبعت تلك الأحداث في عمومها في جل المناطق هو مشاركة المرأة و الطفل بشكل جلب انتباه الملاحظين والمتتبعين للوقائع لا سيما لدى الصحفيين والمراسلين الذين رصدوا سير المظاهرات.

ويقف هذا المقال على إبراز تفاصيل المظاهرات و دور المرأة و الطفل الجزائري من خلال كتابات الصحافة الاستعمارية آنذاك وماهية الرأي الذي صنعته في أوساط مختلف الشرائح والفئات داخل الجزائر و بفرنسا و على المنابر الدولية الأخرى، علما أن ذلك الدور لم يكن وليد الصدفة و اللحظة ذاتها، بل ساهما في الثورة الجزائرية في كل المجالات بحيث لا يمكن لدارس الثورة التحريرية أن يغفل أسماء النساء اللواتي لعبن دورا هاما في الثورة التحريرية.كما أن للأطفال دورا لا يستهان به في مختلف مراحل الثورة الجزائرية يتطلب إماطة اللثام عنه.

و من أجل تناول هذا الموضوع اعتمدنا على مجموعة من الصحف منها "لو باريزيان ليبيري " Le Parisien Libéré و"ليبيراسيون"Libération، و"لورور"L'aurore، و" فرانس أوبسيرفاتور"France Observateur، و"هيومانيتي"Humanité، و"باري جور" Paris jour و"فرانس سوار"France soir،و" لوموند"Le Monde،و" لوفيقارو"Le Figaro، و"لا بريس"La Presse .

و نظرا لغزارة المادة الاعلامية التي غطت زيارة ديغول إلى الجزائر و تعرضت لتلك المظاهرات،فقد اخترنا أن نقف على ما دون أكثر على مدينتي الجزائر ووهران مع العلم أن المظاهرات مست عددا كبيرا من المدن التي كانت محل مرور الرئيس الفرنسي آنذاك.

1- ظروف ودوافع مظاهرات ديسمبر 1960م :

تعد مظاهرات ديسمبر 1960 استمرارا للصراع القائم بين الجزائر و الاحتلال الفرنسي، وهو استكمال لنضال الشعب الجزائري الذي كان يذود من أجل استقلاله وحريته المغتصبة، فتضاف هذه المظاهرات إلى إضراب الطلبة في 19 ماي 1956م و إضراب 1957، واضراب المساجين و غيرها من المواقف الجماعية التي عبر عنها الشعب الجزائري عن تضامنه و التحامه مع الثورة التحريرية مما يعكس وعيه بقضيته و يبين مدى فعالية نشاط جبهة التحرير الوطني في أوساطه من خلال عمل المحافظين السياسين والنشريات والمطويات والجرائد ناهيك عن اجتماعات التحسيس والتوعية.[1]

لقد أفرز خطاب ديغول الذي ألقاه في 04 نوفمبر م1960، ضجة كبيرة في أوساط الفرنسيين خاصة المستوطنين المتطرفين والعسكريين الذين فهموا أن الجنرال ديغول قام بتحويل "النصر العسكري الفرنسي إلى هزيمة سياسية وذلك بتنازله عن "الجزائر الفرنسية" وتعويضها بـ"الجزائر الجزائرية"؛ ومما جاء في هذا الخطاب " إني قد قررت طريقا جديدا لفرنسا...هذا الطريق يوصل ليس إلى جزائر يحكمها الوطن الأم الفرنسي، ولكن إلى الجزائر الجزائرية.وهذا يعني جزائر حرة، جزائر يقرر سكانها مصيرهم بأنفسهم، هذه الجزائر يمكن بناؤها مع فرنسا أو دونها...إذا كان لا بد من قطيعة عدائية، فإننا لن نلح على البقاء إلى جانب أناس يرفضوننا..." و أردف قائلا:

"إن قادة المتمردين الذين استقروا خارج الجزائر منذ ست سنوات يتحدثون دائما منذ زمن بعيد عن أنهم حكومة الجمهورية الجزائرية التي لا توجد الآن، ولكنها ستنشأ يوما ما"

وكرد فعل لذلك الخطاب اعتبر المستوطنون و العسكريون الفرنسيون أن ديغول يكون قد حسم خياره حول مصير الجزائر،وفضل منح الجزائر إلى جبهة التحرير الوطني. وعلى هذا الأساس بانت مواقف هؤلاء فظهر رد فعل "صالان" بقوله " إذا أراد فرنسيو

الجزائر القتال من أجل الجزائر التي هي مسقط رأسهم،فإنني سأذهب هناك، وأقاتل إلى جانبهم".

و أضاف قائلا: " إن مسار تصفية الجزائر الفرنسية قد بدأ في تنفيذه بشكل جوهري، وقد ضاعف الجنرال ديغول من إيقاعه،فإذا نجح خلال شهر جانفي في انتزاع دعم الشعب بواسطة الاستفتاء فسيتم دون شك فقدان الجولة".

ولقد دعى " صالان" في 07 ديسمبر 1960 إلى تمرد الجيش الفرنسي ضد ديغول في 07 ديسمبر 1960 و العمل على إبطال زيارته للجزائر،و كلف النقيب "بيار سيرجون" بالاتصال بـ"الجنرال جوهود" وبعض ضباط الجيش لتنفيذ التمرد.

كما أن أوربيي الجزائر فقد قاموا بمظاهرات عارمة في 11 نوفمبر 1960م منتهزين مناسبة إحياء هدنة 11 نوفمبر 1918م،فاحتجوا على خطاب ديغول السالف الذكر و هتفوا بـ"الجزائر الفرنسية".

أما جبهة الجزائر الفرنسية فقد أعلنت عن تنفيذ إضراب في كامل مدينة الجزائر وهددوا بالحرق والخراب كل من تسول له نفسه بفتح محله ومخالفة الإعلان الخاص بالإضراب. ومما جاء في الاعلان:

"...يجب أن تتوقف الحياة بمدينة الجزائر .إن حركة السيارات المدنية تعتبر ممنوعة، ويمنع كذلك فتح المحلات التجارية وإلا تعرضت للخراب..."

2- اندلاع المظاهرات و المشادات بين الجزائريين المسلمين و لأوربيين:

منذ صبيحة يوم الجمعة 09 ديسمر 1960 تاريخ بداية زيارة ديغول إلى الجزائر بدأ المتطرفون يتحركون في المدن لا سيما في مدينة الجزائر،فما كاد ديغول أن ينزل من الطائرة معية لويس جوكس وزير الشؤون الجزائرية حتى قامت جبهة الجزائر الفرنسية بتنفيذ وعيدها إذ حولت مدينة الجزائر إلى "مدينة ميتة" ووقع اصطدام بين هؤلاء و بين القوات الفرنسية، و قد زاد محتوى خطب ديغول التي ألقاها في كل المدن التي مر بها من تصلب مواقف المطرفين الذين رأوا فيها تحديا لهم في مواقعهم المكتسبة.

ففي عين تيموشنت صرح قائلا: " بين فرنسا الجديدة و الجزائر الجديدة سيتم ابرام عقد جديد،حقا انكم تنحدرون من أصلين جد مختلفين الواحد عن الآخر، ومع ذلك فأنتم جميعا جزائريون وتحبون جميعا الجزائر،عليكم أن تتعاونوا من أجل بنائها معا هذا واجبكم، وهذه مصلحتكم بكل ما تحمله الكلمة من معنى...عليكم إذن بناء جزائر

الأخوة التي يجب أن تصنع بتعاون كل الطوائف حيث يتمتع الجميع بنفس الحقوق والواجبات مرة واحدة وبصورة نهائية"

على الجزائر أن تتطور وتتقدم، وحتى تتطور في عصرنا الحديث فهي تحتاج إلى مساعدات و دعم ومساندة ومساعدة فرنسا، هذا هو منطق الأشياء، إنها البداهة"و في تلمسان صرح قائلا: " أيها الجزائريون عليكم أن تبنوا معا جزائركم "

و ذكر في خطابه بأورليون فيل (الشلف) :" أن الجيش ليس له سياسة، ولا يحق له ممارسة السياسة،فشرفه أولا، وبالأساس هو الخدمة، لن يكون ذلك فشلا عسكريا لفرنسا ، بدون شك سيكون ذلك نجاحا عسكريا لفرنسا في الجزائر".

أما في تيزي وزو فقد قال ديغول:"إنني مقتنع بأنه سيأتي يوم تتصافح فيه الأيدي، فالجزائر الجديدة هي للجزائريين، لمختلف الجماعات التي تتشكل منها،ومن أجل أن يستتبب الأمن في الجزائر سأبذل كل طاقتي" و نفس الحديث تمسك به في بجاية " إننا نقترب من الهدف – الجزائر الجديدة- حيث أن الصيحات التي تطلقونها"

ومنذ أن نزل ديغول بعين تيموشنت يوم 09 ديسمبر لم تتوقف المشادات بين المسلمين الذين قابلوا ديغول بشعار "الجزائر الجزائرية" مع المتطرفين من المعمرين الذين كانوا يهتفون بـ"الجزائر الفرنسية".

و في اليوم الموالي (السبت 10 ديسمبر 1960م)، احكمت جبهة الجزائر الفرنسية قبضتها على بعض المدن وظهر ذلك بشكل بارز بمدينة الجزائر،بحيث كانت استجاب للإضراب نسبة كبيرة من أوروبي الجزائر.وكان غرضهم هو الوصول إلى إشراك الجيش في حركتهم و الدفع بهم إلى تمرد ضد ديغول و إغراق الشوارع بالمتظاهرين تنديدا بسياسته و محتوى خطابه السالف الذكر.

و بعد أن تسارعت وتيرة الأحداث، هرع "كريبان" القائد العام للقوات الفرنسية بالجزائر إلى مصدر الأحداث بمدينة الجزائر وحاول أن يستدرك الوقائع ،فكان وراء تغيير المسار المحدد لزيارة ديغول في نقطة "أورلين فيل – الشلف- بعدما أخبر ديغول باحتمال تعرضه لمحاولة اغتيال، فبدل ديغول مسار موكبه في النقطة السالفة الذكر.

ويعكس لنا ذلك مدى تشبث أوروبيي الجزائر بـ"الجزائر الفرنسية" واستعدادهم لمقابلة سياسة ديغول ورفض أي تنازل مهما كانت طبيعته أو هدفه.

وكان لخروج الأوربيين في الشوارع و تعنيفهم للجزائريين المسلمين للانضمام إلى الإضراب أثرا في نفوس هؤلاء لا سيما و أنهم لم يقبلوا بتبني مواقفهم، بل كانوا على نقيضه و ملتزمين بتعليمات جبهة التحرير الوطني في غالب الأحيان و هو الحال في تلك الظروف التي شهدت محاولة الفرق الادارية الحضرية استغلال الجزائريين المسلمين منذ صبيحة اليوم الموالي يوم 11 ديسمبر 1960م،بتحريضهم للخروج للشوارع للتنديد بالإضراب السائد و كسر تنظيم جبهة الجزائر الفرنسية والموالين لهم،ولكن جبهة التحرير الوطني المتتبعة بدقة تطورات الأحداث استثمرت في هذه الأحداث و أثرت في سيرها بحيث رفع المتظاهرون الجزائريون شعارات لفائدة الثورة.

فقد جاء في الصحافة الصادرة في اليوم الموالي 12 ديسمبر 1960 أنه منذ الساعة الثامنة صباحا من يوم الأحد عجت ساحة "بلكور" بالمتظاهرين،وأغلبهم مجموعات من الشباب الصغار من 100 إلى 200 يحملون معهم قضبانا حديدية، و يرفعون علم جبهة التحرير الوطني و يصيحون "إلى العمود لآقايارد(الاعدام)"، و"عباس في الحكم"و " مفاوضات ديغول مع عباس"[2]

« ...Les manifestants reprennent à Belcourt. Elle sont le fait de groupes de 100 à 200 très jeunes musulmans...ceux-ci arborent des drapeaux verts du FLN et scandent Lagaillarde au poteau ! Abbas au pouvoir !Rencontre Abbas- De Gaulle »

بينما كتبت صحيفة أخرى أن 10.000 مسلم تكدسوا في الطرقات بالقصبة الصغرى ويصيحون "عباس في الحكم" و "الجزائر مسلمة"،و يرفعون أعلاما تحمل كتابات "يحي فرخاث عباس" و" الجزائر الجزائرية"...و يخرج من أعماق هذه الوفود زغاريد النساء... وكانت المواجهات قوية بينهم وبين القوات الفرنسية المختلفة من وحدات التدخل للشرطة(CRS- 258 -)و المظليين بقيادة الرائد "ماصو"(MASSOT)الذين جاؤوا خصيصا للتدخل ضد المتظاهرين[3].

« 10.000 musulmans sont massés dans les rues de la petite Casbah, hurlant Abbas au pouvoir et Algérie musulmane, ils brandissent des banderoles improvisées qui proclament Vive Ferhat Abbas et Algérie Algérienne...Les You-you stridents percent ce fracas... » .

و يتحدث نفس المصدر عن تجلي صراع بين الشرطة و المظليين .وقد نجم ذلك عن الاختلاف في كيفية احتواء المتظاهرين،ذلك أن خروج حشود الشعب بذلك الحجم أثر على نفسية السلطة الاستعمارية التي طمعت في إيجاد ظرف موائم يسر به الرئيس ديغول.وقد نقلت تفس الجريدة أن العقيد قائد قوات الشرطة تقرب من الرائد قائد المظليين و أبلغه أنه عليه أن يكف من صب الزيت على النار و أن ينصت لتعليماته لكونه هو المسؤول عن الأمن في الموقع ذاته.

«Je suis responsable de la sécurité, Je vous donne l'ordre de vous retirer avec vos paras. La situation est assez tendu comme cela » [4]

ومما سبق يتبين لنا كيف هب الشعب الجزائري ضد المشروعين المعروضين عليه؛ مشروع ديغول الذي حمل في طياته هدافا خطيرا يتمثل في إغراق القضية الجزائرية في ما يشبه مشروع "المائدة المستديرة" .

ومما نقله الصحفي رولان فور Rolland Faure عن التحرك الشعبي الواعي للجزائريين الذي شهده بنفسه في أوساط المتظاهرين ببلكور (بلوزداد) خلال اليوم الثاني من المظاهرات أن هؤلاء كانوا دون سلاح و مصممين على تحقيق أهداف الحركة،و أنه لا شيء يستطيع توقيفهم، ويعكس الشعارات المرفوعة على التحام الشعب بجبهة التحرير الوطني. ومن تلك الشعارات نجد " الجزائر مسلمة"، الجزائر مستقلة كاملة"، و"اطلقوا سراح بن بلة" ، و"الاستفتاء تحت مراقبة الأمم المتحدة"،و"لاقايارد للعمود"،و كانت الجموع الحاشدة كثيرة و متماسكة فيما بينها.[5] وأضاف رولان أنه استمع إلى أحد الشباب يشرح له الأوضاع الاجتماعية التي أحاطت بهذه المظاهرات و موقفهم المعادي من الأقدام السوداء.[6]

أمام تنامي الوعي الثوري لذى الجزائريين و توسع نطاق مظاهراتهم في اليوم الثاني في مختلف أحياء المدن، اجتمع عدد لا يستهان به من شباب الأقدام السوداء والذين كانوا يحملون أوسمة مكتوبة عليها "الأمة الفتاة"" Jeune Nation " وآخرون تسموا بـ"لاقياردیست" أي أتباع الجنرال لاقايارد، و قرروا وضع حد لمظاهرات الجزائريين محتجين على الجيش الفرنسي الذي اتخذ مواقفا متسيبة إزاء المظاهرات- حسب زعمهم -، وأعربوا عن امتعاضهم من جرأة الشباب الجزائري الذين تحدوهم في أحيائهم برفع شعارات مؤيدة لجبهة التحرير الوطني،فبدأت المناوشات بين الطرفين.[7]

"C'est une honte quand on pense qu'ils sont venus hier soir(10.12.60) jusqu'ici avec les drapeaux des fellouses !et l'armée qui n'a rien fait...heuresement qu'il y'a des Français qui ont tiré des fenêtres...Les ratons se sont sauvés comme des lapins .Ils ont eu six morts.. »

وأسفرت المواجهات عن استشهاد عدد من الجزائريين بعضهم قتل بالسلاح الأبيض،والبعض الآخر بالسلاح الناري و من طرف هؤلاء.[8] هذا في ضواحي بلكور، أما بديار السعادة وديار المحصول فقد كانت المواجهات أعنف و لجأ المعمرون في كلو صالامبي (المرادية) إلى تنظيم الدفاع الذاتي،[9] واطلاق الرصاص على الحشود المجتمعة في تلك الأحياء وأمام أعين المضليين الذين لم يحركوا ساكنا لإيقاف الجريمة.[10]

"...Ce sont des Européens qui font usage de leurs armes individuelle, sans que les parachutistes ou les forces de police fassent le moindre geste pour les en empêcher »

و تجدر الإشارة ألى أن ما كان يسمى بالدفاع الذاتي إنما هو تجمع المعمرين بصفة غير قانونية لغرض قتل الجزائريين بكل الوسائل مساندة للمعارضين للرئيس ديغول، وقد بينت ذلك بعض الصحف الفرنسية لتي تحدثت عن إطلاق النار على المتظاهرين من قبل بعض الأوربيين و البعض الآخر يصوب قنابلا يدوية من شرفات المنازل في اتجاه هؤلاء المسلمين الذين لم يحملوا معهم سوى أعلاما دونت عليها شعارات منها " يحي فرحاث عباس"، و "تحي الجزائر" و تحي جبهة التحرير الوطني" وكانت إحدى الشعارات تتضمن عبارات أكثر إثارة " تحي الجزائر المستقلة"، و " يحي جيش التحرير الوطني"[11]و هو الشيء الذي جعل صدور المعمرين تضيق منهم فلم يتوانوا من استهدافهم بالرصاص، كما تدخلت فرقة المظليين وفرق التدخل الخاصة على متن 40 شاحنة عسكرية[12] من أجل إيقاف تدفق المسلمين الذين ما فتئ يزداد عددهم من حي لآخر. [13] ولقد سجلت منطقة باب الوادي أعنف مشاداة بين الجزائريين المسلمين و الأوربيين(الأقدام السوداء)،واعترف المراسل "كلود إيستيي""Claude Estier" بأن الأوربيين قد تجاوزوا كل الحدود و بالغوا في قمع الجزائريين، وقد تعاونت قوات الشرطة والجيش و الأقدام السوداء على قمع الجزائريين المسلمين [14] ،كما عرف حي "رويسو" عملية قتل جماعي وعشوائي سميت بـ"تنظيف الحي" من قبل المظليين الذين استخدموا

الرشاشات الأوتوماتيكية فحصدوا عدد من أرواح الجزائريين في لحظات وجيزة جدا.[15]
وقد سبق للجنرال قومبو « Gombault قائد منطقة شمال الجزائر المكبف بمصلحة حفظ النظام العام أن صرح بأن عناصرا من جبهة التحرير الوطني استغلت المتظاهرين بتعبأتهم قصد خلق جو من الهيجان الشعبي وإثارته ضد سلطة الاحتلال،لذا فإن مصلحة حفظ النظام قد تستدعي لاعطاء أوامر استخدام السلاح.[16]

ويبدو ذلك في شكل عقاب جماعي للمظاهرة، وهي النظرية ذاتها التي ألفت فرنسا المحتلة على تطبيقها في مختلف الفترات الزمنية عموما و في الثامن من ماي 1945م خصوصا.

وفي هذا الصدد أشار مراسل صحفي إلى وجود عدد كبير من الجرحى من الرجال والنساء بمستشفى "مايو" تم نقلهم من مواقع الاشتباك من طرف الجزائريين.[17]كما أورد بعض المراسلين تعرض بعض سيارات الجزائريين للحرق من قبل "شباب الأمة"و "اللاقاياردين"

و يلاحظ من خلال الصحف أن المتظاهرين كانوا يأتون من كل الاتجاهات و يلتقون في عدة نقاط أساسية كالبريد المركزي، وبلكور"بلوزداد" وكلو صالامبي " المرادية"و ديار المحصول،وديار السعادة، والقبة[18]ولي طروا أورلوج "باب الوادي"[19]...

3- مسؤولية المتظاهرين من خلال الصحف:

لقد كانت مناسبة زيارة ديغول للجزائر فرصة مكنت عددا كبيرا من الصحف للحضور قصد تغطية تفاصيل الزيارة، وكتب المراسلون عن تعرض "ممتلكات الأوربيين" من محلات و سيارات إلى التخريب والتكسير و الحرق من قبل جموع المسلمين التي زحفت على أحياء هؤلاء.[20]و من بين ما دونوا نجد:

« La manifestation se déplace vers les hauteurs de Diar El Mahçoul, Les manifestants s'attaquent aux parcs de voitures, brisant certaines d'entre ells, et s'emparant d'autres... »[21]

« Sur la route du ravin de la femme sauvage, un inspecteur de police des renseignements généraux est égorgé.Sa voiture est incendiée »[22]

« Les manifestants renversent les voitures appartenant aux européens ... » [23]

وعليه حملوا الجزائريين مسؤولية ما نجم عن ذلك من ردود فعل الجيش و الأوروبيين بشتى انتماءاتهم. و على هذا الأساس يُفهم الجرائم التي ارتكبوها دفاعا شرعيا عن أنفسهم و ممتلكاتهم.

علاوة على ذلك فقد أشارت عدة صحف بأصابع الاتهام إلى جبهة التحرير الوطني التي استغلت المظاهرات لأغراض سياسية فكان وجودها بارزا من خلال الشعارات المكتوبة و الشعارات المنطوقة والتي كانت تثبت الحس الجماعي بالقضية الجزائرية ودليلا على احتضان الشعب لها، فبرر هؤلاء المراسلون مواقف المجرمين و جعلوا من الضحية مجرما وكذلك حاولوا أن يصنعوا الرأي العام الفرنسي والدولي.

4- تجلي المرأة والطفل في المظاهرات :

لم يكن دور المرأة في الثورة الجزائرية على وجه الخصوص وليد الصدفة، و لم تتأخر هذه الأخيرة في الاستجابة لنداء الثورة منذ اندلاعها،فكان دورها ملفتا للانتباه في الأرياف والمدن، في الوطن و المهجر، فتحدثت الصحف عن جميلة بوحيرد وحسيبة بن بوعلي و مليكة قايد و بوفاريك تومية و أختها لطيفة،وغيرهن كثر. فكانت مظاهرات ديسمبر 1960 موعدا إضافيا بين مكانة المرأة في ساحة النضال السياسي من أجل الاستقلال. وتجدر الإشارة إلى الثورة الجزائرية أولت اهتماما كبيرا للعنصر النسوي[24] و بذلت جهودا جبارة لتكوينها و الزج بها في الثورة إلى جانب الرجل. وإلى جانب المرأة ذكرت المصادر الأرشيفية و الصحفية مشاركة الطفل في الثورة بأدائه لبعض الأدوار.فمنهم من كان في الاستعلامات كعمر ياسيف،ومنهم من كان له دور آخر في التموين والاتصالات وغيرها من المجالات،[25] وغالبا ما كان الطفل في عداد الضحايا من القتلى والجرحى.

أما خلال مظاهرات ديسمبر 1960 فقد برز دور المرأة الجزائرية بشكل غير مسبوق إذ عبرت عن وعيها السياسي وقدرتها في تعبئة الشعب وتنظيمه و المشاركة إلى جانب الرجل في تحدي سلطات الاحتلال. ونعتتها الصحافة الاستعمارية بكونها هي العنصر المؤثر طيلة فترة المظاهرات.[26] ولعل أوضح مثال في هذا الشأن هو زهور ونيسي التي ساهمت في تنظيم المظاهرات في كلو صالومبي (المرادية وديار السعادة)و عراد لطيفة تلميذتها التي لعبت دورا في الاتصال و جلب الأعلام إلى مدرسة معلمتها ونيسي و صديقة قادري التي أرسلتها الثورة لتنظيم المظاهرات في برج بوعريريج ففعلت[27].

وشهدت الصحف الفرنسية برمتها على المشاركة القوية للمرأة في المظاهرات لا سيما في مدينة الجزائر بشكل خاص.و إلى جانبها أشار المراسلون إلى وجود الأطفال الذين تحمسوا لرفع الأعلام أو السير مع المتظاهرين ومنهم من سقط برصاص الغدر.

فالمظاهرات الصاخبة التي اندلعت منذ يوم 10 ديسمبر بنزول آلاف من الشباب المسلم صالامبي غصت بعدد كبير من النساء اللواتي كن يهتفن بشعار "الجزائر الجزائرية" مصحوبة بزغاريد متواصلة.[28]

« Plusieurs milliers de musulmans, Drapeau F.L.N en tête, des femmes poussant des YOU-YOU et criant Algérie Algérienne ... »

وعشية نفس اليوم على الساعة 21سا 30 واصل الشباب الجزائري سيرهم في اتجاه الديار المحصول وكانوا في شكل موجة كبيرة ،و كان وراءهم عدد كبير من النساء[29]

"Derrières les manifestants se trouvent des femmes qui poussent des You-you

وتضيف صحيفة أخرى في نفس السياق لتؤكد حضور العنصر النسوي القوي مشيرة إلى أن حوالي 10.000 شاب مسلم زحفوا من القصبة،وفي أوساطهم تخرج زغاريد النساء التي كانت تعلو فوق الأصوات لتؤكد حضورهن واحتضانهن للحدث،وأن قضية المصير يهم كل شرائح المجتمع.[30]

« 10.000 musulmans sont massés dans les rues de la Petite Casbah les You-you stridents des femmes percent à travers ce fracas... »

وقد صرح بعض المراسلين الصحفيين أن المرأة كانت بمثابة المحرك الأساسي للمظاهرات الشعبية واستماتت أمام سلطات الاحتلال في شوارع المدينة و ضربت بذلك مثالا على الصمود و الشجاعة والوعي ألهب حماس الآلاف من الشباب المسلم.

وليس أدق على ذلك من تعبير المراسلين الرسميين الذين غطوا زيارة ديغول حينما أشاروا إلى أن المرأة أصبحت بمثابة المحرك الشعبي الأساسي للمظاهرات بزغاريدها [31]ورفعها للشعارات بأصوات مرتفعة إلى جانب الرجال وبقناعات لا غبار عليها على غرار صيحاتهن " لا لفرنسا" .[32]

« Les femmes, note le correspondant de l'A.F.P, crient : « you-you » et « jouent un rôle moteur capital».

ومن المفيد أن نشير إلى دور آخر لعبته النساء الجزائريات في لحظات جد حساسة من المظاهرات و يتمثل في تحول عدد منهن إلى ممرضات و مسعفات في ظرف فرض واقعه عليهن.ولم يكن ذلك حكرا على الرجال فقط، بل نشط هذا العنصر بتقديم الإسعافات الأولية لهم، ونقل الجرحى إلى أماكن آمنة و إلى المستشفى.[33]

« ...Des jeunes filles musulmanes improvisées en infirmières »

وقد نشر صحفيون أمريكيون مراسلون عن جمعية المراسلين الأمريكية (Associated Press) أنهم لم يشاهدوا قط تلك الصورة التي رسمتها النساء اللواتي كانوا على شرفات منازل القصبة بلباس أسود يزغردن في اتجاه الشوارع التي اختنقت بالمتظاهرين الذين كانت أصواتهم تدوي جدران الحي و كانت تؤثر نفسيا على الأوربيين و رجال الأمن الذين وقفوا في الحواجز للصد لهذا السيل البشري.[34]

« Nous y avons été témoins d'une effervescence indescriptible, les balcons, les terrasses étaient noirs de femmes qui poussaient leurs traditionnels you-you stridents... »

وقد انفردت إحدى الصحف بالتطرق إلى التصرف الحكيم و المتميز للمرأة الجزائرية بمدينة وهران أثناء مظاهرات يوم 11 ديسمبر حين كانت تنشر روائح العطور المختلفة في مسار المتظاهرين ردا على قيام رجال المطافئ بالتصدي للمتظاهرين بالماء.[35]

« L'agitation croissant appel est fait aux pompiers qui arrosent les musulmans. Les manifestants ripostent en jetant des pierres. Une odeur de parfum lancée par les femmes se répand dans les ruelles ».

« ...Très rapidement, les manifestants musulmans remontèrent vers la Casbah bouclée par le service d'ordre mais à l'intérieur de des centaines de jeunes gens, brandissant toujours des drapeaux F.L.N .continuèrent à parcourir les rues étroites sous les acclamations des femmes musulmanes massées aux fenêtres »

Libération du 12..Op-Cit.

« Les you-you des femmes font un étrange fond sonore... »France-Soir du 13.12.17

وقد ازداد عدد الأطفال الذين خرجوا ليشاركوا في المظاهرات في يوم 11 ديسمبر في كل جهات مدن الجزائر حيث في الجزائر كان حوالي 200 منهم يرفعون شعارات جبهة التحرير الوطني ويطالبون بإعدام لاقايارد، وضرورة تفاوض ديغول مع عباس، و تسليم الحكم لعباس.[36]

وقبل ذلك في وهران شارك الأطفال في المسيرات منذ يوم 10 ديسمبر 1960م بنفس الشعارات (تحي جبهة التحرير الوطني، جبهة التحرير الوطني ستنتصر) فكانت أصواتهم الرقيقة تميز بسهولة من بين أصوات الشباب و الرجال والنساء .[37]

« ...Un instant plus tard un gosse apparait furtivement, reprend cet emblème de fortune et disparaît.. »

"Dimanche matin, les manifestants reprennent à Belcourt.Elle sont le fait de groups de 100 à 200 très jeunes musulmans armés de gourdins et de barres de fer. Ceux-ci arborent des drapeaux verts du F.L.N et scandent « Lagaillarde au poteau ! » « Abbas au pouvoir » « Rencontre Abbas- De Gaulle ».

و بمدينة الجزائر هم الأطفال وشباب قصر بخلق جو من الهلع والقلق في أوساط الأوربيين برشقهم بالأحجار على مستوى شارع "ميشلي" (ديدوش ملراد حاليا) و هو ما يعكس الشعور الجماعي الذي انتاب الجزائريين آنذاك.[38]

" Les petits voyous de la rue Michelet sont venus lancer des pierres aux habitants de cette cite".

ويضيف أحد المراسلين مسترسلا في شهادته على تصرفات هؤلاء الأطفال قئلا أنه كان ضحية رشق بالحجارة من قبل طفل صغير لم يتجاوز سنه 10 سنوات،و لاشك أن الطفل الذي قام بذلك الفعل لم يكن يعلم بأن المعني كان صحفيا بل اجمله في زمرة المعمرين.[39]

«...L'un deux m'aperçoit et me jette une pierre. Il a tout juste une dizaine d'année »

وقد اضطلع الأطفال بالقصبة بمدينة الجزائر بدور آخر حساس يتطلب الشجاعة و السرعة في التنفيذ ، ويتعلق الأمر بمهام ربط اتصال الأوربيين ببعض الأفراد الذين برزوا أثناء المسيرة كمنظمين لها. ومن أجل وصول الصحفيين إليهم لمحاورتهم ،قام بعض الأطفال بقيادة هؤلاء إلى "مقهى زروق" بالقصبة الذي كان بمثابة مركز قيادة للمظاهرات.و يتجلى من ذلك أن المتظاهرين تفاعلوا بكيفية إيجابية مع الصحافة الفرنسية والدولية[40]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن صورة المكانة التي اكتسبها الطفل الجزائري في تلك المظاهرات تعد امتدادا لدوره في الثورة في المدن و الأرياف، وتجعل الطفل الجزائري يختلف عن الطفل كثير من دول العالم.

« ... Les –Yaouleds – conduisent les journalistes au P.C des manifestants, qui se trouvent au café Zerroug, un des principaux cafés maures de la Casbah... »

تلكم بعض النماذج التي تعكس شهادة الصحافة الفرنسية عن كل من المرأة والطفل الجزائري أثناء مظاهرات ديسمبر 1960 على مستوى مدن الجزائر، وقد نالا نصيبهما من ردود الأفعال من قبل سلطة الاحتلال و أعوانها و معمريها رغم سلمية المظاهرات إذ دفعا ثمنا باهظا كتكلفة لتفاعلهما الايجابي مع مستجدات واقع مجتمعها فالبعض لفظ أنفاسه في ميدان المظاهرات، والبعض الآخر جرح ونقل إلى المستشفى من قبل الشعب، وهناك من لم يحظ بذلك بسب الظروف الصعبة التي انتابت الجزائريين ككل،زد على ذلك تعرض عدد من النساء الحاملات لسقوط أجنتها و فقدان بعض الأطفال الصغار دون أن يعلم مصيرهم.

« Soudain alors que la pression se faisait plus forte à la hauteur de la place du gouvernement, des coups de feu éclatèrent. Plusieurs personnes tombèrent à terre. Homme, femmes, enfants se mirent à courir dans tous les sens, tandis qu'en quelques minutes des ambulances arrivaient sur les lieux ...».

و شهادات الصحافة المنتشرة في ميادين المظاهرات تشهد بأن إطلاق الرصاص الحي من قبل المظليين كان بكل مكثف في عدة نقاط من وهران و في الجزائر.[41]

« La masse des manifestants musulmans ne cessent de grossir. On emmène plusieurs jeunes et des femmes blessés... ».

الخاتمة:

مما تقدم من معطيات يظهر لنا أن زيارة ديغول إلى الجزائر كانت مناسبة للصحافة الاستعمارية للحضور إلى الجزائر، فتابعت ما حصل من أحداث في مختلف المدن و المناطق تبعا لخط سير الزيارة و بطريقة دقيقة،فانقسمت الصحافة إلى موضوعية صدحت حقا بما وقع في الميدان، و إلى منحازة ساكتة عن الجرائم محملة للجزائريين و لجبهة التحرير الوطني مسؤولية الأحداث.

ومهما يكن من الأمر، فإن تغطية مظاهرات ديسمبر 1960 كانت تقريبا شاملة، بل تعرض أحيانا بعض المراسلين إلى تفاصيل جد دقيقة و ملاحظات حساسة حول الجرائم المرتكبة من قبل الأوربيين و "قوات الأمن" المختلفة.وبذلك أبرزت الانعكاسات التي أفرزتها المظاهرات و أماطت اللثام عن التجاوزات المرتكبة في حق الجزائريين الذين كان ذنبهم الوحيد هو المطالبة بحقهم المتمثل في "الجزائر الجزائرية" و "الجزائر المسلمة"،ذلك أن الصحف تعرضت إلى الأطراف التي كانت توظف الأسلحة بأنواعها المختلفة، في الوقت الذي كان الطرف الجزائري من دون سلاح.فقد قامت تلك الصحافة بفضح السلطة الاستعمارية إما عن قصد أو عن غير قصد.

إضافة إلى ذلك، فقد تطرقت الصحافة إلى وجود العديد من الأطراف التي وحدت موقفها ضد الجزائريين المسلمين ومنهم سلطة الاحتلال والمعمرين الأوربيين و غيرهم وبينت كيف توحد الشعب الجزائري رجالا ونساء، صغارا و كبارا، و كيف التحم بالثورة و قياداتها من خلال الشعارات المرفوعة و المنطوقة وتطور الحس الجماعي للشعب إزاء الثورة التحريرية.

إن تطرق الصحافة إلى تغلغل عناصر جبهة التحرير الوطني في تسيير و توجيه الأحداث هو في حد ذاته اعتراف باستعادة هذه الأخيرة لتنظيم المدن وفشل مشروع ديغول و مشروع جبهة الجزائر الفرنسية، واستفاضت الصحافة في تفاصيل المظاهرات المليئة بالإحصاءات المتباينة حتى أنه لم يبق أي لبس في القضية.

لقد كشفت الصحافة للعيان الدور الذي انفردت به المرأة الجزائرية في تلك المظاهرات و مكانة الطفل فيها، وهو أمر غير معروف على مستوى الاعلام الفرنسي أو الدولي، فقدمت بذلك نظرة كاملة للرأي العام الفرنسي و الدولي عن كنه حقيقة القضية الجزائرية ومدى علاقتها بالمجتمع.و علقت تلك الصحافة على أن المرأة كانت بمثابة المحرك الأساسي للمظاهرات.

سكتت الصحافة الأوروبية عن موقف ديغول أمام تحدي جبهة الجزائر الفرنسية له، و عن موقفه من الفوري والمباشر من المظاهرات بالجزائر قبل أن يعود إلى فرنسا. ولم تحاول الصحافة الوقوف على تأثير المظاهرات على صيرورة الثورة الجزائرية وتقدمها في المنابر الدولية في نفس الفترة، و كيف وظفتها الحكومة المؤقتة الجزائرية.

البيبليوغرافيا:

ا- المصادر (الصحف الفرنسية) :

- France Observateur du 15 Décembre 1960.
- France-Soir du 12 Décembre 1960.
- France-Soir du 13 Décembre 1960.
- L'Aurore du 12 Décembre 1960.
- L'Express du 15 Décembre 1960.
- L'Humanité du 12 Décembre 1960.
- L'Humanité du 15 Décembre 1960.
- Le Figaro du 12 Décembre 1960.
- Le Monde du 14 Décembre 1960.
- Le Monde du 16 Décembre 1960.
- Le Parisien-libéré du du 12 Décembre 1960.
- Libération du 12 Décembre 1960.
- Paris-Jour du 12 Décembre 1960.

II- المراجع بالعربية:

- **بورغدة رمضان،الثورة الجزائرية والجنرال ديغول،(1962-1958)، سنوات الحسم والخلاص، منشورات بونة للبحوث والدراسات، د.ط،1433هـ/2012م.**

الهوامش

[1]- تناول أرشيف الثورة التحريرية هذا النوع من العمل بتفاصيله في القارير الأدبية التي كانت تقدم كل شهر على مستوى كل منطقة و ناحية و قسم (نموذج الولاية الثالثة التاريخية).

[2] - J.Tilly- J.Paillardin, Une forêt de Drapeaux vert et Blanc, in Le Parisien Libéré du 12 Dévembre 1960.

[3] - Le Figaro, 12 Décembre 1960.

[4] - Ibid.

[5] - L'Aurore du 12.Décembre 1960.

[6] - Ibid.

[7] - France observateur du 15 Décembre 1960.

[8] - France observateur,Op-Cit.

[9] - Le parisien libéré, Op-Cit.

[10] -Libération du 12 Décembre 1960.

[11] - Paris- jour du 12 Décembre 1960.

[12] France Soir du 13 Décembre 1960

[13]- Idem.

[14] - Libération, Op-Cit.

[15] - France observateur, Op-Cit..أنظر أيضا

L'Humanité du 12 Décembre 1960.

[16] - Le Parisien libéré du 12 Décembre 1960.

[17] -Le parisien Op-Cit.

[18] - L'humanité,Op-Cit..

[19] - France soir du 12 Décembre 1960.

[20] - L'Humanité, Op-Cit.

[21] - Libération,Op-Cit.

[22] - L'Aurore , Op-Cit.

[23] - L'Humanité, Op-Cit.

[23]- تركز التقارير الأدبية الشهرية في جميع المستويات (القسم و الناحية و المنطقة) على ضرورة تقديم مدى تطور مكانة المرأة في المجتمع و مدى مشاركتها في الثورة.نماذج في حوزتنا.

[25] - قمنا بتسجيل العديد من الشهادات في هذا الصدد. وأرشيف الثورة ملئ بنماذج متعددة.وثائق في حوزتنا.

[26] - Le Monde du 16 Décembre

[27] - في حوزتنا تسجيلات صوتية حول دور المجاهدتين عراد و قادري في مظاهرات ديسمبر 1960.

[28]- Libération, Op-Cit.

[29] - Ibid.

[30] - Le Figaro, Op-Cit.

[31] -L'Humanité Op-Cit.,

[32] -L'express du 15 Décembre 1960.

[33] - France-Soir du 13Déc.Op-Cit.

[34] - L'Humanité du 15 Décembre 1960.

[35] - Le Monde du 14 Décembre 1960.

[36] - Le Parisien Libéré,Op-Cit.

[37] -Ibid.

[38] - L'Aurore Op-Cit.

[39] -France-Soir du 13.Déc.Op-Cit.

[40]- Ib-Ibid.

[41] - Libération du 12 Op-Cit.

الدولة العربية وتحدي بناء الاستقلال

أ.أحمد غزال جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

الملخص:

لقد نجحت الدولة القطرية العربية في الصمود لمدة طويلة منذ استقلالها، رغم أن كل القراءات كانت تتنبأ بانهيارها بعد ولادتها المشوهة بوقت قليل، لكن الذي حدث هو أنه بعد هذه الولادة القيصرية للدولة القطرية، نجحت في إرساء مؤسساتها، ونجحت بعض الشيء في تقديم بعض الخدمات كالصحة والتعليم والتنمية، وتكريس هويتها الخاصة بها، وإرغام المواطنين للاذعان لها، فأصبحوا يقبلون بها ويتحمسون إليها، ولا يمكن البتة إجحاف ومحو مثل هذه الانجازات أو التقليل من شأنها. لكن الحقيقة التي لا يمكن التغطية عنها أن هذه الدولة القطرية العربية تعيش أزمة، وأصبح واضحا أن الدولة الحديثة التي غرست بناها في معظم الدول العربية أثناء خضوعها للاستعمار الأوروبي ، قد نقلت هذه الأقطار مؤسسات اقتصادية وإدارية وسياسية من جنس تلك التي كانت قائمة في الدول المستعمرة، وورثت أزمات ومشكلات وويلات تحمل بصمات مرحلة الاحتلال الأوروبي، أين غرس المحتل نفسه النواة الأولى لنشأة ما يسمى بالدولة القطرية العربية.

Abstract :

Arab state has managed to hold up for a long time since its independence, although all readings were predicting its collapse shortly after its deformed born, but what happened is that after the country state caesarean section deliverance, it succeeded in establishing its institutions, and somewhat in the providing some services, such as health and education, and development. Furthermore, it has exhibited a great potentiality in dedicating its own identity, and forcing citizens not only to comply with it but to accept it and to become enthusiastic about it. For these reasons, it is not judicious at all to prejudice and erase or underestimated such achievements. But the reality that cannot be covered is that Arab state suffers from a serious crisis. Indeed, it becomes clear that the modern state, which implanted in most Arab countries while undergoing European colonialism, has brought to these countries economic, administrative and political institutions of the kind of those that existed in the colonial countries. Consequently, the modern state has inherited some crises, problems and ravages that hallmark the European occupation phase, where the occupier has auto-planted as the first nucleus for the emergence of the so-called country Arab state..

مقدمة :

كان الاعتقاد السائد لدى العرب حالما ينجحون في انتزاع حقهم في التحرر من النير الاستعماري فإنهم سوف يستعيدون بصورة مباشرة وتلقائية الحريات الأساسية والفكرية التي كانت قد صودرت منهم، وكانوا يعتقدون أيضا أن رحيل جيوش الاحتلال سوف يطلق بصورة عفوية حركة التوحيد القومي، وكانوا يعتقدون كذلك أن بناء الدولة الوطنية سوف يعني بحد ذاته بناء إطار القانون والتضامن والعدالة، ويعيد علاقة الأخوة الضائعة، ويدفع نحو التنمية والتقدم المطلوبين. ولم تحتج الشعوب العربية إلى أكثر من عقدين من الزمن حتى تدرك سذاجة هذا الاعتقاد، وتتأكد بالتجربة أن طريق الإنعتاق السياسي ليس مفتوحا أمامها بعد الاستقلال أكثر مما كان مفتوحا في الحقبة الاستعمارية.

ولعل معركة التحرير التي جرت حسب شروط السيطرة الاستعمارية ، أي في كل قطر على حدا، قد عملت على تعميق العزلة ودعم تقوقع كل كيان سياسي جديد على نفسه، أكثر مما ساهمت في تكوين فضاء الحرية والسيادة المنشودتين. وكانت نتيجتها عودة الدول الجديدة إلى بناء مراتبية اجتماعية ليس لها أية علاقة تذكر بمفاهيم الأخوة والتكافل الاجتماعي والقومي التي كانت تحلم بها الشعوب وتناضل من أجلها.

وهذا ما يفسر أن جل الكتاب العرب يعترفون بوجود استقلال لدولهم، لكن استقلال للدولة عن المجتمع، وليس الحديث عن أزمة الديمقراطية في الوطن العربي إلا تأكيد لنوع من انفصام الصلة بين الجماعة الحاكمة من ناحية، ومطالب وتطلعات المواطنين من ناحية أخرى.

لذلك أصبح السؤال الذي يطرح نفسه هل الاستقلال الذي تتمتع به الدولة في الوطن العربي مفيد وبناء أم انه أصبح واحدا من أسباب أزمتها؟

وفي دراستنا لهذه الإشكالية سوف لن نتوغل في الماضي البعيد، بل ستكون نقطة البدء بالنسبة لنا هي مرحلة اندماج المنطقة العربية في النظام العالمي الذي بدأت أوروبا في صياغته والتحكم فيه بدءا من القرن السادس عشر.

لماذا الدولة؟

على هذا السؤال أجاب المفكرون والفلاسفة والسياسيون دائما بترداد عبارة أرسطو التاريخية: "لأن المجتمعات الإنسانية هي بالضرورة والطبيعة مجتمعات سياسية فهي لا تستطيع أن تعيش دون دولة"(1).

ومع أن معظم أشكال الحكم في عالمنا الحاضر توصف عادة بأنها دول"، فان مفهوم الدولة المألوف لدى علماء السياسة لا يمكن أن يعزل بسهولة عن التطورات القومية والتنظيمية التي حدثت في أوروبا خلال القرن السادس عشر والى القرن العشرين، أو عن أفكار المفكرين الرئيسيين مثل مكيافيلي (Machiavelli)، بودان (Bodin)، هوبز (Hobbes)، وهيغل على وجه الخصوص، هو الأوسع تأثيرا، وبقي المفهوم الهيغلي (نسبة إلى هيقل(Hegel)) للدولة بصفتها تعبيرا معنويا عن انتصار الوحدة على الاختلاف، والعام على الخاص، والمصلحة العامة على الخاصة إلى أن تحداه ماركس (Marx) في عدد من آرائه في القرن التاسع عشر، الذي رأى أن هذا لم يكن سوى مفهوم الدولة عن نفسها. وفي واقع الحال كان جهاز الدولة كيانا مميزا يمكن تمييزه، إنما لم يكن بالإمكان فصله عن المجتمع عامة(2).

تعكس الخلافات الرئيسة في تعريف الدولة الخط الفاصل بين شتى المدارس الفكرية في النظرية السياسية. ومنها مدرستان هما نظرية الحقوق، والثانية نظرية السلطة السياسية. وكمثل على المدرسة الأولى، عرف هيغل الدولة باعتبارها "واقع الفكرة الأخلاقية". وكمثل على المدرسة الثانية عرف فيبر (Weber) الدولة باعتبارها المنظمة التي "تحتكر العنف المشروع في إقليم معين". ومع أن البعد الدولي لم يذكر، فان المقوم المهم في التعريف، هو الحدود الإقليمية، جرى التشديد عليه(3). لذلك، فالدولة تعرف في هذا البحث بأنها مؤسسة لسلطة سياسية منظمة في إقليم معترف به. ولذا فالإقليمية جزء لا يتجزأ من مفهوم الدولة.

و(تشخيص السيطرة القانونية الكلية في مجتمع ما): هو مقوم أساسي آخر في تعريف الدولة القومية الحديثة. وقد ربط جون أوستن – أحد فلاسفة القرن التاسع عشر ومن أساطين مفهوم سيادة الدولة - تعريفه للقانون، ولمفهوم الدولة ضمنا، بمفهوم السيادة. وهو يرى أن القانون الوضعي، الذي تقوم عليه الأنماط الحكومية، لا يمكن أن يوجد إلا مقترنا بمحل مقرر للقوة والسلطة النهائية. هنا، إذاً، ترتبط مفاهيم

"الإقليم" و"السيادة" و"الدولة"، أو الحكومة القانونية المعترف بها كما كان يسميها أوستن. وعند هذا المستوى القانوني في تعريف الدولة، وصلنا إلى صميم استيراد الأفكار الأوروبية من لدن أقطار الهامش الدولي(4).

في وطننا العربي كان مفهوم الدولة عاملاً جديداً على الأدبيات السياسية العربية. فإذا كان الأصل اللغوي العربي يحدد مفهوم الدولة بمعنى الدوران والتغيير والتحوّل من عهدٍ إلى عهد، فإن العباسيين سموا انتصارهم على الأمويين دولة، بمعنى الانقلاب القدري أو الإلهي لمصلحتهم. وبصرف النظر عن المدلول التاريخي والسياسي لنشوء الدول وانهيارها، فإن التحول الأساسي الذي حدث في تاريخ الدولة العربية برز مع تفكك أواصر الخلافة الإسلامية العثمانية العام 1924م ما أدى إلى أن يصبح العرب والمسلمون على أرض بلا دولة، حتى رسمت الحدود ضمن مجال جغرافي يعرف دولا شتى تتجاذبها عنف القبائل والطوائف.

أصل نشأة الدولة العربية:

إن تحليل وجهات النظر الواردة في الدراسات العربية حول نشأة الدولة في الوطن العربي، يوحي بعدم اتفاق الآراء على طبيعة النشأة، وفضلا عن ذلك اتفق الانفصاليون الوحدويون في الوطن العربي على كون الكيانات القائمة هشة اصطناعية لا تمثل الشعوب وتطلعاتها، واعتبرها الانفصاليون ثوبا واسعا أكثر من اللازم ليلبسه المجتمع، بينما اعتبرها الوحدويون ثوبا ضيقا للغاية لكي يحتوي أمة قسمتها إرادة المستعمر الاعتباطية دولا شتى، والانفصاليون عدة فئات وغير متفقين على القاسم المشترك لإعادة رسم الخرائط، هل هو اثني- لغوي، أم ديني- طائفي؟ والوحدويون..(القوميون أو الإسلاميون) يمثلون فئات متباينة في مدركاتها وبرامجها التكتيكية ولكنهم يتفقون إجمالا على أن هناك تجزئة لوحدة قد تمت، وأن المشروع التاريخي يقضي بلم الشتات وإعادة التوحيد(5).

ولا يمكن التوصل إلى أي فهم صحيح لطبيعة الدول العربية وخصائصها دون الإشارة إلى الإرث الاستعماري في المنطقة غير أنه لم يتم تصنيفها(الدول العربية) تصنيفا خالصا على يد الاستعمار الكولونيالي. لأن النوايات أو الأجنحة الثقافية أو الاقتصادية لـ " الدول" كانت قائمة في أجزاء مختلفة من العالم العربي، وخاصة في مصر والمغرب وعمان وكذلك - وإن بدرجة أقل- في أجزاء أخرى من شمال إفريقيا

وجنوب بلاد العرب (اليمن) وربما كذلك في أجزاء من سوريا (خصوصا جبل لبنان).

ومع ذلك كانت الحقبة الاستعمارية أداتية بأقصى درجة في رسم الحدود بشكلها الحالي تقريبا، وفي إعادة توجيه العلاقات الاقتصادية بعيدا عن الشرق الأوسط صوب أوروبا. وكذلك- في الأقل في حالة الإقليم الجغرافي لسوريا والخليج - في تحديد الوحدات التي كانت ستفرز بصفتها دولا متمايزة، وان كان ذلك غالبا بصورة مصطنعة تماما، وبصرف النظر عن هذا وعن الشكل الذي اتخذه الحكم الأوروبي" فإن النتيجة النهائية كانت متشابهة: مأسسة الدولة الإقليمية وتعزيزها على صورة النموذج الأوروبي"(6).

ولتتبع الخطوات الأولى لتبلور لبنات الدولة الحديثة في الوطن العربي، وما تعرضت له نواتها إبان الاستعمار الأوروبي واتجاهات رد الفعل العربي إزاء مخططات الغرب وأهدافه، لا بد من المرور على المحطة الأهم والأبرز التي سبقت نشوء الدولة العربية الحديثة ألا وهي مرحلة الحكم العثماني التي كانت معظم الأقطار العربية خاضعة له في إطار الخلافة الإسلامية، على اعتبار أن العرب كانوا ينتمون إلى دولة واحدة هي دولة الخلافة وهذه الدولة مقسمة إلى ولايات في المشرق وفي المغرب.

فحتى بداية القرن العشرين كان الوطن العربي يخضع لسلطة الدولة العثمانية وعليه فالدولة التي كانت مطالبة بالاحتراز من الخطر الأوروبي المتنامي حول مقر باب الوطن العربي هو الدولة "السلطانية العثمانية" التي كانت تتسم حينذاك بفصم تام بين ولي الأمر من جهة وبين الرعية من جهة أخرى. وان الخطر موجها إلى الاثنين معا، فالدولة الأوروبية المسيحية (التي كانت تشكل هذا الخطر) متعارضة دينيا مع الفئة الغالبة في الوطن العربي، واستغلالية تتوخى امتلاك الأراضي واحتكار التجارة والصناعة، وتوسعية تريد توطيد نفوذها ومصالحها. فعارضت أهدافها مصالح الفقهاء أنصار الشريعة، ومصالح النخبة الحاكمة ومصالح الجماعات الشعبية وذوي المهن من تجار وصناع وملاك عقارين(7).

من هنا أصبح لا مناص للغرب المسيحي من الدخول في مغامرة كبيرة لإشباع أطماعه وإرواء نزواته ولتحقيق أهدافه، في إطار خدعة سموها ظلما وزورا استعماراً إيحاءاً بان العالم المتقدم جاء بالحضارة والرقي للعالم الثالث، ويعتبر الاستعمار امتدادا للسيطرة السياسية و الاقتصادية والعسكرية لدول أوروبا المتقدمة على دول أخرى وما صاحب ذلك طبعا من اقتسام تركة الرجل المريض كما سموه هم أنفسهم (الحكم العثماني).

وكان نتيجة ذلك ميلاد حركة سياسية و عسكرية ظهرت في أوربا في القرن 15 ثم توسعت خلال القرنين 18و19 هي الحركة الاستعمارية. وجاء الاستعمار الأوربي الحديث والذي يتمثل في الاستعمار الفرنسي والبريطاني والايطالي والبرتغالي نتيجة للثورة الصناعية في أواخر القرن 18 واخذ في طريق الزوال بعد الحرب العالمية الثانية.

جاء في كتاب أجنحة المكر الثلاثة الذي يحلل العمليات التي قامت بها القوى الاستعمارية الكبرى في إطار ما يسمى بالحروب الصليبية الحديثة أنه لم يكد النصف الأول من القرن السادس عشر ينقضي حتى كان البرتغاليون قد أحكموا السيطرة على شواطئ شرق أفريقيا وغربها، إضافة إلى شواطئ الخليج وفارس والهند، وشرع البرتغاليون يؤسّسون مستعمرات ومراكز تجارية في أماكن مختلفة من السواحل التي وصلوا إليها. وفي عام 1600م أنشئت بريطانيا أول جهاز استعماري لها تحت مسمى شركة الهند الشرقية البريطانية، ومثله صنعت فرنسا عام 1664م فأنشئت ما أسمته بشركة الهند الشرقية الفرنسية، وبدأ الصراع والتنافس بين الدولتين، وانتهى بانتصار الإنجليز عام 1775م وخروج فرنسا من الهند والصين.

وفي عام 1798م وصل نابليون يقود الحملة الفرنسية على مصر ثم حاول السيطرة على بلاد الشام، فغادر وهو يحمل أدراج الخيبة لكثرة من قتل من جنوده هناك، ثم ما لبث أن عاد إلى فرنسا ولحقته جيوشه عام 1801م. وفي عام 1827م أعلن الملك شارل العاشر اعتزام فرنسا إنشاء مستعمرة ذات شأن في شمال أفريقيا، وزحفت الجيوش الفرنسية لاحتلال الجزائر عام 1830م، واستتب الوضع لها عام 1857م ، وقد ألحقت فرنسا الجزائر بها عام 1881م، وهي نفس السنة التي أعلنت فيها وضعها تونس تحت الحماية الفرنسية بموجب ميثاق باردو.

وفي عام 1887م وقع مؤتمر برلين لاقتسام مواقع النفوذ في الوطن العربي. وتوالى بعد ذلك سقوط البلاد العربية والإسلامية في قبضة الاستعمار، فسيطر الفرنسيون على المغرب سنة 1912م، وعلى سورية سنة 1920م. وأما الإيطاليون فاحتلوا الصومال وإريتريا عام 1887م. وزحفت جيوشهم لاحتلال الساحل الليبي عام 1914م، وأكملت الاحتلال عام 1914م. فيما احتلت انجلترا مصر ووضعتها تحت الحماية عام 1882م. واحتلت كذلك السودان في عام 1898م ، ثم العراق 1919م، ثم الأردن عام 1920م(8).

وفي أثناء مرحلة الاحتلال الأوروبي بدأ التخطيط لدخول الوطن العربي في مرحلة جديدة تتسم باستيعابه في منظومة الدول الأوروبية كبديل لنظام الخلافة الإسلامية العثمانية الكبرى. فحصل التجار الممولون الأجانب مع انتصار القوى الأوروبية على إعفاءات قانونية وضريبية هامة لرعاياها ولزبائنها من غير المسلمين (في الدولة العثمانية) بموجب اتفاقيات التنازلات.. وقد أدت الحاجة المتزايدة أبدا إلى الخبرة الأوروبية. ليس فقط، بل كذلك إلى التجارة والتمويل الأوربيين، إلى نشوء مصاعب مالية واقتصادية خطرة في نهاية الأمر، وكذلك إلى إفلاس الدولتين العثمانية والمصرية، فيما أدت الديون المصرية إلى استقدام الاحتلال البريطاني الفعلي للبلاد(9).

وهكذا ابتدأ تيار التنازلات العثمانية وتكاثر، وكان في الابتداء متحفظا وغير مقصود، ولكنه توسع وأصبح من الأساسيات ومفروضا بشكل متزايد. ومع أن الحكام العثمانيين كانوا يحملون مشاعر إسلامية متعالية على "الكفار" ولكنهم ما فتئوا يندغمون بصورة متزايدة في نظام الدولة الأوروبي، ومن هنا جاء اعترافهم وقبولهم بمبادئ ذلك النظام السائد بين الدول الأوروبية: المساواة في السيادة، المقابلة بالمثل في العلاقات، الأعراف الدبلوماسية الأوروبية، بعض نقاط القانون الدولي الأوروبي، مثل امتداد صلاحية الدولة إلى خارج إقليمها، و"قانون الأمم"، وبذلك تقوضت الحواجز الإيديولوجية الضخمة القائمة أمام اندماجها في نمط المنظومة الأوروبية السائد وأمام ممارسة قواعد اللعبة ذات الأصل الأجنبي. كان لهذه القواعد أن تنقلب ضد بقاء الإمبراطورية ذاتها(10).

وهكذا استقرت الصيغة السياسية للسيطرة الأوروبية على الوطن العربي (تجزئة الوطن الواحد) من خلال الاحتلال والانتداب الاحتلالي ، ونجحت السلطات الاستعمارية في تنفيذ توصية "لجنة كامبل بنومان" غير أن أخطر الوسائل المستخدمة إطلاقا كان زرع الكيان الصهيوني، فقد ترجم تصريح "بلفور" إلى مشروع سياسي، لاسيما بعد استبدال الاتفاق الفرنسي البريطاني الروسي في "سايكس-بيكو" على مبدأ الإدارة الدولية لفلسطين، بوضعها تحت الانتداب البريطاني، ومن ثم إدخال بريطانيا تصريح بلفور في نظام الانتداب على فلسطين، وتسهيل مهمة السيطرة الصهيونية عليها عن طريق توقيت بريطانيا إلغاء انتدابها على فلسطين مع إعلان الصهيونية العالمية تشكيل (الكيان الصهيوني)(11).

والواقع أن الوطن العربي بعد مروره بمرحلة الاحتلال المباشر، وبمحاولة استيعابه في منظومة الدول الأوروبية، قد مهد لمرحلة خطيرة لا تزال آثارها إلى اليوم، ألا وهي دخوله حالة التجزئة الفعلية لأمة كانت تعتقد لقرون أنها أمة واحدة وما يصحب ذلك من شعور قومي بالأخوة والتكافل والتضامن،إضافة إلى ما يجمعها ويوحدها من الدين واللغة والتاريخ والمصير المشترك.

إن المنظومة الأوروبية فيما بين الدول قد انتفعت فعلا أكثر من أي أحد آخر . فمهما كان التأويل المتخذ لنظام الانتداب ، فقد كانت الحصيلة النهائية لا تختلف عن العلاقة الاستعمارية، على الأقل فيما يتعلق بموضوعنا. سواء كنا نتحدث عن مستعمرة كالجزائر أو موريتانيا أو تونس أو عدن أم عن بلد تحت الانتداب كلبنان أو سوريا فالنتيجة هي هي : وضع مؤسسات الدول القطرية وترسيخها على صورة النمط الأوروبي(12).

وهناك من يعتبر أن سياسة التجزئة التي انتهجتها القوى الأوروبية بعد نجاحها في تنفيذ توصيات "لجنة كامبل بنومان" و زرع الكيان الصهيوني من خلال تطبيق وعد "بلفور" ، وتجسيد المشروع السياسي المراد تطبيقه على المنطقة العربية في شكل خارطة جديدة عبر عنها الاتفاق الفرنسي البريطاني الروسي في "سايكس-بيكو" . لا يعني كل هذا أن نظام التجزئة في الوطن العربي هو صناعة استعمارية بحتة، أو أن السلطات الاستعمارية قد أوغلت في تجزئة المجزأ أصلا، من خلال الاستثمار في التقسيمات الطائفية والاثنية واستغلال النعرات المذهبية وما تبعه من عنف الطوائف والقبائل.

فقد اتبع الاستعمار في معظم الحالات (ماعدا الجزائر)، سياسة الحفاظ على الشكل أي الهيكل السياسي والرقعة الجغرافية، فهم قد قبلوا بنظام البلد- الدولة وبهيكل الدولة كما وجدوه، فلم يغيروا النظام الهيكلي مثلا ولم يجمعوا أو يجزئوا البلدان التي خضعت لهم، وكان في هذه النزعة (المحافظة على نظام البلد- الدولة) تقوية لهذا النظام ما ساعد على استمراريته. على الرغم من ذلك فإن من نتائج حكم الاستعمار إضعاف السلالات القائمة التي حافظوا عليها شكليا في عديد من الدول ماعدا ما نسميه اليوم دول الخليج الصغيرة(13).

مقاومة الاحتلال والهيمنة:

إن مظاهر الهيمنة الأجنبية التي حصلت نتيجة الاختراق الأوروبي للوطن العربي لم تكن تمر دون مقاومة ومواجهة. ففي المرحلة الأولى من الاختراق، كانت المقاومة تتم بواسطة السلطات الرسمية المحلية، وأنها كانت في الغالب لم تكن فعالة ولم ترتق إلى مستوى التحدي لذلك كانت الفئات الوطنية التقليدية تبادر لتولي زمام المقاومة المسلحة، مثلما فعل الأمير عبد القادر في الجزائر وعمر المختار في ليبيا وأحمد عرابي وبعض شيوخ الأزهر في مصر، وقادة ثورة العشرين في العراق.

بينما اشتملت المرحلة الثانية من المقاومة باعتماد الوسائل السلمية وكانت تأخذ شكل الإضرابات والتظاهرات والاعتصامات والتظلمات والالتماسات وكان الهدف منها هو الضغط على سلطة الاحتلال للتراجع عن إجراء معين أو للحصول على وعد بالجلاء أو قسط أكبر من الحكم الذاتي لأهالي البلاد...وما إلى ذلك وفي هذه المرحلة من المقاومة تكون القيادة مختلطة أي بأيدي زعامات تقليدية وزعامات حديثة وأحيانا ينظم إليهم بعض عناصر النخبة الحاكمة القديمة الذين أبقتهم السلطة الاستعمارية كرموز بلا سلطة حقيقة.

وقد توجت المرحلة الثالثة من المقاومة بالاستقلال السياسي في معظم الأقطار العربية، في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ويمكن تمييز ثلاث أنماط من المقاومة:

النمط الأول: هو سياسي سلمي بحت، تمثل في التظاهرات والالتماسات والضغوط الشعبية والوطنية على الصعيد الإقليمي في المحافل الدولية، وقد شهدت بعض بلدن الخليج العربي والسودان ولبنان هذا النمط من المقاومة ضد الاستعمار.

النمط الثاني: هو المقاومة المسلحة التي تهدف إلى إجبار سلطة الاحتلال على التفاوض ومنح الاستقلال والجلاء، وكانت الجزائر واليمن الجنوبية، نموذجا هذا لنمط من النضال ضد الاستعمار.

النمط الثالث: هو خليط من المقاومة السياسية والكفاح المسلح، وشهدت معظم الأقطار العربية الأخرى هذا النمط من المقاومة ضد الاستعمار(14).

نشوء الكيانات القطرية في الوطن العربي :

يشكل انبعاث الأمة العربية بعد أكثر من ألف عام من الغياب التاريخي أحد اكبر معالم هذا القرن. ولم يكن هذا الانبعاث سهلا أو بسيطا، فقد كان أقرب إلى البعث من الموت

من أن يكون تجددا أو تجديدا. وكان يقف دونه عدد لا يحصى من العوائق الذاتية والعقبات الخارجية، السياسية والثقافية والنفسية، التي لا يمكن أن يخلو منها شعب بقي لفترة طويلة خارج التاريخ، وكان لابد من وقت طويل كذلك للتغلب على الجهل والحيرة والتردد قبل أن ينشأ حس تاريخي جديد وملكة مقاومة يسمحان بالاحتيال على التاريخ والالتفاف على أشراكه وحواجزه. ويرجع الفضل الأكبر في حصول معجزة البعث التاريخي للأمة العربية إلى التفاعل البطيء والثابت لعاملين أساسيين مكملين واحدهما للآخر، ولو كانوا متناقضين في المظهر: العامل الأول: هو الدين الإسلامي الذي مثل الملجأ الأخير للغة والثقافة العربية وحفظهما من الضياع والنسيان.

أما العامل الثاني: فتجسد في الخميرة العقلانية الحديثة التي هزت الفكر الإسلامي بقوة منذ القرن التاسع عشر(15).

ولكن هذا الانبعاث للأمة العربية جاء بثوب جديد اتسم بتجزئة هذا الوطن الواحد إلى دول وأقطار شتى تعرف إلى الآن بالدول القطرية العربية وهي تشكل اثنان وعشرون دولة.

هكذا لن يتأخر الوقت كثيرا قبل أن تصرف النخبات الحاكمة الجديدة نظرها عن مشروع الوحدة والاتحاد، وقبل أن يظهر انحطاط السلطات الوطنية وتحولها إلى طغم معزولة ، فاسدة ومعادية لشعوبها، وقبل أن يعلن انهيار المعسكر التقدمي بعد وفاة الرئيس عبد الناصر نهاية الآمال الكبيرة التي أطلقتها القومية العربية(16).

صحيح أن عهد الاستعمار بصورته العسكرية قد انقضى في معظم الدول العربية ، إلا أن آثاره لم تزل قائمة بالنسبة إلى كثير من هذه البلاد . فلقد ورثت الأقطار العربية عند استقلالها جهازا إداريا هجينا مخططا يحمل من بصمات المجتمع التقليدي بقدر ما يحمل من بصمات الحقبة الاستعمارية نفسها . وكان هذا الجهاز النواة المؤسسة لعملية بناء الدولة الوطنية في العقود التالية للاستقلال. فجاءت عملية بناء مؤسسات الدولة لتكريس كيانها الحديث وتعزيز بقائها وصمودها داخليا وخارجيا.

أصبح واضحا أن الدولة الحديثة قد غرست بناها في معظم الدول العربية أثناء خضوعها للاستعمار الأوروبي ، ونقلت هذه الأقطار مؤسسات اقتصادية وإدارية وسياسية من جنس تلك التي كانت قائمة في الدول المستعمرة(17) ، وحتى عندما خاض المجتمع نضالا من اجل الاستقلال والتحرر الوطني تم الاحتفاظ بتلك المؤسسات وفي

كثير من الأحيان تم انتقال مؤسسات القهر من العهد الاستعماري إلى عهد الاستقلال تقريبا من دون تغيير يذكر. وبمعنى آخر أن الدولة ومؤسساتها قد فرضت على المجتمع من أعلى بالقوة وهذا ما أدى ببعض الباحثين إلى تسمية هذا النمط من الدولة بالدولة ما بعد الاستعمارية (Post Colonial Stete)(18).

ويبقى من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن ظهور الأنظمة السياسية العربية البديلة لسلطات الانتداب والاحتلال ما هو في الواقع إلا تغييرا قد أنجز نتيجة ضرورات وظروف أملتها مرحلة ما بعد الحرب، وما انطوت عليه من اشتداد المعارضة للاحتلال المباشر والنفقات الباهظة التي تكلفتها عمليات الاحتلال، وتطور إمكانية إدارة المناطق عن طريق متعهدين محليين، وقد مثل ذلك خطوة أولى متقدمة عن طريق مأسسة الدولة القطرية(19).

لذلك يرى حمزة علوي أن الاستعمار لم ينتهي بحصول المجتمعات العربية على استقلالها السياسي، ولكنه يناقش طبيعة الدولة في الفترة التي أعقبت نهاية الاستعمار في صورته العسكرية والسياسية. وهو يرى أن الدولة لم تنشأ في هذه المجتمعات - على عكس الحال في التجربة الغربية- انطلاقا من رغبة قوى داخلية في فرض سيطرتها السياسية على المجتمع، وإنما كانت نشأتها ترجمة لرغبة الدول الاستعمارية في إقامة هياكل تسمح لها بإحكام سيطرتها على الأقاليم التي وقعت في إطار إمبراطوريتها في قارات الجنوب الثلاث. وتميزت نواة هذه الدولة بعد الاستقلال بتضخيم الأجهزة التي تتولى مهام الأمن والدفاع والجباية. أي أجهزة الشرطة والجيش والمالية ربما بما يتجاوز احتياجات الدول النامية، وضمور الأجهزة المسؤولة عن التنمية الاقتصادية وتقديم الخدمات للمواطنين(20).

ماذا بعد الاستقلال؟

إن ما تمر به الدول العربية في العقدين الأخيرين من أزمات خانقة، منها من مهدد بالتفكك والتفتت الداخلي ، والآخر تعرض للاجتياح الداخلي، والبعض مهدد بالإفلاس المالي ، ومنها ما هو مهدد بالتطرف الديني أو التعصب الطائفي، وبعضها إن لم نقل كلها يشكو من فجوة عميقة بين المجتمع والدولة، تكاد تشكل قطيعة بين الشعب والنخب الحاكمة، كما تشكو أغلبها من التبعية لقوى خارجية، ولأن هذه الأغراض متزامنة ومتزايدة وحادة صح أن نقول أن الدولة القطرية في الوطن العربي مأزومة.

هي الحقيقة التي لا يمكن التغطية عنها أن هذه الدولة القطرية تعيش أزمة ، وبالطبع أن مفهوم أزمة هو أكثر تعقيدا وحدة وتفاقما من المشكلة، لأن المشكلة لها حل حين تتوافر عناصر هذا الحل، يكفي وجود قرار أو إرادة لتنفيذ أو تحمل أعباء هذا الحل، أما الأزمة فان الإرادة الجماعية والمخزون المعرفي يعجزان عن إيجاد الحل بالسرعة المطلوبة، وما يتطلبه ذلك من إمكانيات مادية.

ولا يعني ذلك أن الأزمة تبقى بلا مواجهة فعالة، فحالة الأزمة هي لحظة تاريخية يشعر فيها المجتمع أو الدولة بالعجز أو الشلل، ولكن في كثير من الأحيان قد تنبثق بعض قوى المجتمع وخلاياه الحية لتجاوز هذا العجز أو الشلل، وتعبئ قواها لمواجهة جديدة ومبتكرة، فإذا تم ذلك فان الأزمة تتحول إلى مشكلة، أي تصبح قابلة للحل(21).

تساءل الرائد النهضوي العربي فرنسيس المراش في روايته «غابة الحق» 1865م: هل يمكن للعرب الخروج من دولة الخشونة والبربرية إلى دولة التمدن؟ وخلص إلى أنه ربما يتم ذلك ولكن بعد ألف عام، وبقوة المعجزات، لأنهم شعب منقسم على نفسه من كل قبيلة وملّة تحت السماء، وكل حزب منهم يجتهد بخراب الآخر ودثاره. ولو كان عندهم محبة وطنية منزّهة عن التعصب والطائفية لما انحط شأنهم لدى الأمم الأوروبية.

وفي خاتمة القرن العشرين كتب المفكر القومي قسطنطين زريق في آخر مؤلفاته (ما العمل) سنة 1998م : «عليّ شخصياً ان أعترف بأني كنت في الماضي أتكلم وأكتب عن "الأمة العربية" فإذا أنا الآن أتجنّب هذه التسمية لبعدها عن الواقع المعيش... بل إني غدوت أشك في صحة التكلم عن (المجتمعات العربية القطرية) أو عن (المجتمع العربي العام) نظراً إلى قصور أهل كل منها وأهلها جميعاً عن تكوين ما يصحّ أن يدعى "مجتمعاً" أو" شعباً " والى استمرار خضوعهم لنزعات ضيّقة مفرّقة ولمطالب فاسدة مخرّبة، وبالتالي إلى عجزنا جميعاً عن تحقيق التكتل الوطني أو القومي، وهو الشرط الأول من شروط البقاء».

من فرنسيس المرّاش إلى قسطنطين زريق، قرن وثلث قرن من التمزق العربي وعثار الاندماج القومي والوطني وعسر ولادة الدولة الوطنية. فقد بدت الأقطار والمجتمعات العربية، وليس الأمة وحدها، وكأنها عصيّة على التوحد والائتلاف القومي أو الوطني أو المدني، مهدّدة على الدوام بالنزاعات والحروب الأصلية، ملغمة بكل عوامل الانفجار الداخلي والتشرذم القبلي والطائفي والعشائري والمذهبي والإثني، حتى ليمكن

القول إن النزاعات الأهلية مطلع القرن الحادي والعشرين تعيد نزاعات القرن التاسع عشر بأشكال متجددة وأحياناً مشابهة. وما انزلاق الصراع الراهن على الساحة العربية إلى مستويات ما قبل وطنية وما قبل مدنية سوى دلالة على جدية القلق، ليس على وحدة الأمة العربية، بل كذلك على الوحدة الوطنية في كل قطر عربي(22).

الهوامش والمراجع:

(1) برهان غليون، المحنة العربية : الدولة ضد الأمة ، (مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2003) ، ط3، ص 28

(2) نزيه . ن الأيوبي، تضخيم الدولة العربية: السياسة والمجتمع في الشرق الأوسط ،ترجمة : أمجد حسين ، (المنظمة العربية للترجمة ، بيروت،2010) ، ص 38 .

(3) بهجت قرني، وافدة متغربة ولكنها باقية، تناقضات الدولة العربية القطرية، الأمة والدولة والاندماج في الوطن العربي،ج1، (مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1989) ، ط1 ص ص 52 53

(4) بهجت قرني، وافدة متغربة ولكنها باقية ، المرجع السابق ، ص 53

(5) غسان سلامة ، المجتمع والدولة في المشرق العربي ، (مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1987)، ط1 ، ص 28

(6) نزيه . ن ، الأيوبي، تضخيم الدولة العربية، المرجع السابق، ص191 و192

(7) كامل ثامر، التحولات العالمية ومستقبل الدولة في الوطن العربي، (مركز المستقبل للدراسات الإستراتيجية ، عمان ، 2000)، ط1، ص82

(8) أنظر: عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، أجنحَةُ المكر الثلاثةُ وخَوافيها (التبشير، الاستشراق، الاستعمار) ، (دار القلم ، دمشق ،2000) ، ط 8

(9) نزيه. ن الأيوبي ، تضخيم الدولة العربية ، مرجع سابق، ص 192 192

(10) بهجت قرني، وافدة متغربة ولكنها باقية، مرجع سابق ، ص 59

(11) كامل ثامر، التحولات العالمية ومستقبل الدولة في الوطن العربي ، مرجع سابق ، ص89

(12) بهجت قرني، وافدة متغربة ولكنها باقية ، مرجع سابق ، ص 62

(13) إيليا حريق، نشوء نظام الدولة في الوطن العربي، كتاب الأمة والدولة والاندماج في الوطن العربي، ج1 (مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،1989) ، ط1 ، ص46 و47

(14) كامل ثامر، التحولات العالمية ومستقبل الدولة في الوطن العربي ، مرجع سابق، ص91

(15) غليون برهان ، المحنة العربية: الدولة ضد الأمة، ط3،مرجع سابق ، ص44

(16) المرجع نفسه ، ص 182

[17] محمد عابد الجابري ، إشكالية الديمقراطية والمجتمع المدني في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي ، العدد 168، (مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1993)

[18] علي الدين هلال، مفاهيم الديمقراطية في الفكر السياسي الحديث، من كتاب أزمة الديمقراطية في الوطن العربي، (مركز دراسات الوحدة العربية ، 1980)، ص 48

[19] نزار عبد اللطيف الحديثي ، الأمة العربية والتحدي ، (دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1985)، ص105

[20] مصطفى كامل السيد، علاقة الدولة في الوطن العربي بمجتمعها، والاستقلال النسبي للدولة في الوطن العربي، من كتاب أزمة الدولة في الوطن العربي، (مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،2012) ، ص101 و102

[21] محمد جابر الأنصاري، تكوين العرب السياسي ومغزى الدولة القطرية: مدخل إلى إعادة فهم الواقع العربي، (مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1994)، ط1، ص 17 .

[22] كرم الحلو، الدولة الوطنية العاثرة في العالم العربي، جريدة الأخبار اللبنانية، العدد 95، الأحد 3 ديسمبر 2006

أسباب النزول بين التساهل والطعن

د/ الشيخ التجاني أحمدي جامعة نواكشوط موريتانيا

الملخص:

يقوم المقال بتتبع المسار التاريخي لهذا العلم، والوقوف على أصوله ومصادره، وذلك لمعرفة الدافع وراء نقضه والطعن فيه، وقد أكدت الدراسة أن سبب الطعن فيه ناشئ عن تساهل المؤلفين فيه والناقلين له من الصحابة في الرواية، وكذلك عدم ضبط المصطلح ضبطا صارما يمنع دخول غيره فيه، أو خروج ما هو فيه عنه، وقد أدى هذا التساهل إلى عدم وثوق كثير من العلماء فيه، والطعن فيه من قبل الحداثيين العرب الجدد.

Abstract :

The article invites to follow the historical path of this science, and stand on the origins and sources, to find out the motive behind undone and challenged, studies confirmed that the reason for the appeal is due to the indulgence of authors and those who copy the narrating from companions, the lack of tuning term restraint strictly prevents the entry of other, has led to this indulgence not to trust many of the scientists, and challenged by new Arab modernists

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على نبيه الكريم

تمهيد:

يتحدث الحداثيون عن حقيقة أسباب النزول باعتبارها مصطنعة وغير حقيقة، ويطعنون في صدقية الروايات التي رويت في شأنها، فهي –عندهم- إنما وجدت لغايات تسويغية استدعت من أصحابها تلفيقها وإنشائها، ومن ثم تقديمها على أنها أسباب لنزول الآيات، لتسويغ الحكم الذي يميل إليه، كما يتهمون الفقهاء بالوقوف وراء تأليفها وتزويرها بأسانيد وروايات منتقاة حتى يصدقها المتلقي، ويرصدون مظاهر عدة لهذه المزاعم، بعضها يتصل بالثقافة السائدة أيام المؤلفين الأوائل لهذا العلم، إضافة إلى أخرى معرفية وإيديولوجية، وهم في ذلك يتجاهلون المصداقية التي بنى عليها المسلمون علومهم، وشيدوها بالصدق ومحاربة الكذب والتدليس.

على أن أصحاب هذه الدعوى لم يقيموا دليلا واحدا لدعواهم، والحقيقة أن دعواهم آتية من كثرة تساهل العلماء في هذا المجال وعدم ضبطهم لمفهوم هذا العلم، وترك الثغرات مفتوحة استغلت فيما بعد لإلقاء الاتهامات، والغرض هنا من هذا البحث الوقوف على حقيقة أسباب النزول ومفهومها، والحكمة من تدرج التنزيل، وأسباب التساهل ومظاهره، و بواعث الطعن ونتائجه.

أولا: حقيقة أسباب النزول

صحيح أن ثمة أخطاء حصلت في مؤلفات هذا الفن ولكنها غير مقصودة، تنم عن تساهل المؤلفين وخلطهم بين مفهوم واسع ساد عند الصحابة، ومفهوم آخر ارتضاه المؤلفون بعدهم، أضف إلى ذلك شغف بعضهم في جمع كل الروايات التي تعزى لهذا الفن، وإن كانت روايات تفسيرية لبعض الصحابة وبعضها اجتهاد منهم، وما تميزت به هذه الروايات من تناقض وتقابل وتباين في رسم المشهد الواحد، على أنه لم يخل مؤلف في هذا الفن من الإشارة إلى الحذر والتحرز تجاه أسباب النزول، وأن لا تؤخذ على علاتها، بل يجب عرضها على القرآن نفسه، فما وافق القرآن أخذ به، وما عارض القرآن طرح[1].

ولم يقفوا عند هذا الحد وإنما تجاوزوه إلى نقد المرويات وتبيين صحيحها من سقيمها، وتحرير المفهوم من الالتباس، حتى غدا هذا العلم مشيدا على أركان ثابتة وأعمدة راسخة، ولكن من الهام جدا أن نتساءل التساؤلات الآتية:

ما هي المحطات التي قطعها هذا العلم لكي يصبح ناضجا مستقلا؟ وهل التجاوزات المرتكبة في جمعه وتأليفه ترقى إلى حد العمد، ومن ثم يمكن أن تتسلل فكرة الصناعة؟ وهل دعوى الصناعة لها ما يسوغها؟.

1. مسار التأليف في أسباب النزول

يرجع علم أسباب النزول إلى فترة تنزل الوحي على الرسول -صلى الله عليه وسلم- وقد كان محل اهتمام كبير من قبل الصحابة -رضوان الله عليهم- لكونهم الشاهدين على التنزيل، والعارفين بمواقعه وأحوله، ومن ثم بلغتنا روايات تعزز هذا الجانب، كما كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يرشد أحيانا إلى سبب النزول، وبعد انقضاء الوحي بات الصحابة المصدر الوحيد لهذا العلم، وهو ما جعل التابعين وتابعيهم يجدون في طلبه منهم، وحفظه شفاهة حتى جاءت فترة التدوين في القرن الثاني الهجري، فتم تدوينه في معارف مختلفة أبرزها الحديث والتفسير والسير والمغازي، فتوزع عليها، وتعد مدونة الإمام محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ) من أضخم المدونات في التفسير، وأكثرها تناولا وشمولا في مجال الرواية لأسباب النزول[2]، وقد تميز عمله بالرصانة والإتقان، فلم يكن يعرض لكثير من الموضوعات، بل كان ينبه في مواضع كثيرة على وهن الروايات التي تبين ضعفها[3].

أما عن منهجه في تناول أسباب النزول، فهو يوردها غالبا بعبارات مثل: «الآية نزلت في سبب»، «ونزل في سبب» [4]، وبعد هذه المدونة تسللت أخبار النزول إلى كتب التفسير التي بعده، كأحكام القرآن لأبي بكر أحمد بن علي الرازي المعروف بالجصاص (370هـ).

واستمر الأمر إلى القرن الخامس الهجري، حيث عرف منعرجا في مسار تاريخ هذا الفن تمثل في استقلاله، بعد ما كان طيلة الفترة الماضية مندرجا في كتب وعلوم شتى، ويعتبر كتاب (أسباب النزول) للواحدي النيسابوري (ت: 468هـ) أول تأليف كامل أفرد لهذا العلم، وكان دافعه لهذا العمل هو شيوع وذيوع الأخبار الموضوعة المنسوبة لهذا العلم، والرغبة في تنقيته منها، حتى لا تتزعزع ثقة العلماء فيه، لكونه لا غنى لأحد

عنه في فهم آيات الأحكام، وهذا ما أشار إليه بقوله: «وأما اليوم فكل أحد يخترع شيئا ويختلق إفكا وكذبا ملقيا زمامه إلى الجهالة، غير مفكر في الوعيد للجاهل بسبب الآية، وذلك الذي حدا بي إلى إملاء هذا الكتاب الجامع للأسباب؛ لينتهي إليه طالبوا هذا الشأن والمتكلمون في نزول القرآن، فيعرفوا الصدق ويستغنوا عن التمويه والكذب، ويجدوا في تحفظه بعد السماع والطلب»[5].

وما قام به الواحدي[6] من جهد لم يرتق إلى مستوى الهم الذي حمله على عاتقه، وهو تأسيس علم جديد مستقل بذاته، فصنيعه يدل على عدم قدرته على تجاوز ما كتبه السابقون، فلم يستطع إلا أن يتأثر بهم -وخاصة الثعلبي والطبري- وأن يغرف من معينهم، فأغلب الروايات التي ساقها في كتابه هي موجودة في كتب شتى لأئمة التفسير كالسدي والكلبي ومقاتل و الطبري وغيرهم، وأضاف إلى ذلك مصادر أخرى، مثل كتب الحديث والتاريخ والمغازي.

ومصداق ذلك ما ذكره بإسناد عقيل بن محمد الجرجاني، عن المعافى بن زكريا القاضي، عن محمد بن جرير في سبب نزول قوله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[7] قال: ليس الذين يذهبون إليه، إنما هي أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: وكان عكرمة ينادي بهذا في السوق[8].

وكان تركيز الواحدي في أغلب رواياته على ما يرويه عن شيخه الثعلبي، وهذا الأخير معروف بروايته للموضوعات، وهو ما جعل كتاب الواحدي مهلهلا وغير مرضي عند علماء الحديث والرواية، ولذا يقول ابن تيمية[9]: «فقد أجمع أهل العلم بالحديث أن الثعلبي يروي طائفة من الأحاديث الموضوعة، كالحديث الذي يرويه في أول كل سورة عن أبي إمامة في فضل تلك السورة، وكأمثال ذلك، و لهذا يقولون هو كحاطب ليل، وهكذا الواحدي تلميذه»[10].

وما رسمه الواحدي في خطبة كتابه من منهج يتتبع الروايات ويمحصها، لم يكن موفقا في كثير منه على حد قول الحافظ ابن حجر[11]، فقد وقع في أغلاط كثيرة عابها عليه غيره[12]، إضافة لعدم استيعابه لكثير من روايات أسباب النزول[13]، كما يعد مؤلفه متضمنا لجملة من الأغلاط المنهجية.

البعض التمس له العذر، بأنه لم يكن من فرسان هذا الميدان ولا من صبيانه، بل كان لغويا ماهرا، ولم يكن محدثا مؤرخا حازما، واستدلوا على ذلك بأدلة، منها ما ذكره الذهبي عنه أنه كان بارعا في اللغة[14]، ومنها أيضا خلطه في الرواية بين الصحيحة والسقيمة، وسوء فهمه لسبب النزول، والمطلقية التي تحدث بها وهي أن الآيات القرآنية كلها لها أسباب[15]، وهي أدلة فعلا تبعده من الريادة في هذا العلم، إلا أن عمله فتح الباب للآخرين ليساهموا في تقويمه وتصحيحه، فوجود شيء خير من لا شيء، وأرض وطئت خير من أرض لم توطأ، و العلماء البارعون قد يقدمون على هذا النوع من الأعمال فيضمنون كتبهم الكثير من الروايات الصحيحة والسقيمة، ويأتوا بالغث والسمين، وتقديرهم أن عملهم سيقرؤه من يفصل بين هذا وذاك.

وإذا كان الواحدي وكتابه المشتهر قد حصد هذا الكم الهائل من النقد، فإن ابن حجر (ت: 852هـ) قام بعمل تقويمي له، وعمل على فرز الروايات الصحيحة من الروايات الضعيفة، وذلك في كتابه العجاب في بيان الأسباب، وعمله وإن لم يكتمل إلا أنه من أجود ما دون في هذا الفن، وتبعه السيوطي[16] بكتابه "لباب النقول في أسباب النزول"، وبذل جهدا عظيما فيه، ثم تلا ذلك جملة من الأعمال مثل كتاب "الصحيح المسند من أسباب النزول" لمقبل بن هادي الوادعي، إلى غير ذلك، وقد جاء الباحث المحقق لكتاب ابن حجر السابق الذكر بلائحة لأسماء الكتب المؤلفة في هذا الفن بلغت عنده ستا وعشرين كتابا[17].

2. مفهوم سبب النزول

لا بد من تحديد معنى واحد ومفهوم واضح لأسباب النزول، حتى لا تختلط موارد اليقين والإثبات، ولا تتداخل الأدلة والردود، فعلم أسباب النزول دائر على كلمتين رئيسيتين هما السبب والنزول، ولذلك من المفيد التعريج على دلالة كل منهما، ودلالتهما مجتمعتين، والتعويل في تحقيق ذلك سيكون على القرآن الكريم، وأقوال أهل العلم ممن تعرضوا له بالتمحيص والتدقيق.

أ- الدلالة اللغوية:

السبب يطلق في اللغة على كل ما يتوصل به إلى غيره، ومن ذلك إطلاق السبب على الطريق، وإطلاقه على الحبل، وعلى الوسيلة، وعلى المصاهرة، وكذلك كل ما تدرك به الحاجة أو يبلغ به الطلب يسمى سببا، وقد ورد في القرآن الكريم عدة مرات تارة

بصيغة الإفراد، وتارة بصيغة الجمع، قال الفخر الرازي في تفسيره: «أصل السبب في اللغة الحبل، قالوا: ولا يدعى الحبل سببا حتى ينزل ويصعد به، ومنه قوله تعالى: ﴿ **مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاء ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظ** ﴾[18] ثم قيل لكل شيء وصلت به إلى موضع أو حاجة تريدها سبب. يقال: ما بيني وبينك سبب: أي رحم ومودة، وقيل للطريق: سبب؛ لأنك بسلوكه تصل الموضع الذي تريده، قال تعالى: ﴿ **فَأَتْبَعَ سَبَبًا** ﴾[19] أي طريقا، وأسباب السموات: أبوابها؛ لأن الوصول إلى السماء يكون بدخولها، قال تعالى مخبرا عن فرعون: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَاب** ﴾[20] قال زهير:

ومن هاب أسباب المنايا تناله ولو رام أسباب السماء بسلم

والمودة بين القوم تسمى سببا؛ لأنهم بها يتواصلون»[21].

أما النزول فهو الانتقال من أعلى إلى أسفل[22]وقد يراد به الحلول بالمكان[23].

ب- الدلالة الاصطلاحية:

إن الظاهر من كلمة "سبب" هو العلة الموجبة، ولو التزمنا بهذا المعنى فإن ذلك يقتضي حصر موضوع "أسباب النزول" بما كان علة لنزول الآية؛ أي نزلت لأجله، وهذا الظاهر بعيد عن قصد علماء القرآن على الأقل في القرون الأولى؛ لسبب كونه مفهوما منطقيا طارئا بعدهم[24]، وعلى ذلك فلابد من حمل كلمة "سبب" على معناها اللغوي، وهو ما يتوصل به إلى الأمر[25].

وعلى هذا المعنى فسبب النزول هو كل ما يتصل بالآية من القضايا والحوادث والشؤون، سواء كانت علة نزلت الآية من أجلها أم لم يكن كذلك، بل ارتبطت بالنزول ولو بنحو الظرفية المكانية أو الزمانية أو الاقتران أو ما شابه[26].

فهي مناسبات عرضية تجسد الفهم العملي للقرآن، وتنسج شبكة التواصل بين عالم الملكوت وعالم الظواهر، ثم إن أسباب النزول ليست محددات لنزول القرآن، وإنما هي مراجع ونقاط استدلال وفهم وتحايث مع بعض سياقات القرآن فينزل في ثناياها بقصد التفهم[27].

وقد عرف سبب النزول بعدة تعريفات، بعضها قاصر وبعضها شامل، ونختار منها تعريف السيوطي الذي عرفه بأنه: ما نزلت الآية أيام وقوعه، حيث يقول: «والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه، ليخرج ما ذكره الواحدي في تفسيره في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية، كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك، وكذلك ذكره في قوله: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا** ﴾[28] سبب اتخاذه خليلًا، فليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى»[29].

فسبب النزول إذن ما كان الحدث فيه نابعا من البيئة والزمان اللذين وقع فيهما الحدث، وقد يكون سبب النزول سؤالا مذكورا في الآية، ويمكن أن لا يكون، فقد قتل المسلمون بعض المشركين في سرية أول شهر رجب، وهو من الأشهر الحرم، وذلك لعدم علمهم بدخول الشهر، فعاب المشركون ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون**﴾[30]، وسأل بعض الصحابة عن الهلال ما باله يبدو صغيرا ثم يكبر ثم يصغر كما بدأ، فنزل قوله تعالى: **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون**﴾[31]، ومن ذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لم يجامعوها في بيت ولم يؤاكلوها في إناء فأنزل الله قوله: ﴿**فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاء اللّهُ لأعْنَتَكُمْ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيم**﴾[32]، وحرم فرجها و أحل ما سوى ذلك[33].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الشائع في الاستعمال، والدارج في الاصطلاح هو أسباب النزول، مع أن القرآن الكريم لم يقع فيه لفظ النزول، وإنما استعمل لفظ التنزيل، وهناك فرق في المعنى للفظ النزول ولفظ التنزيل المرتبطين بالقرآن الكريم، أما معنى النزول المرتبط بالقرآن فيشير إلى نزوله مفرقا منجما حسب الوقائع، وأما التنزيل

فهو عملية مستمرة يدخل فيها وسائل فهم النصوص وتفسيرها، وإلحاق الوقائع والأحكام بمقتضيات النصوص، يقول الدكتور الحجوي[34]: «إن القرآن نزل نزولاً وتنزيلاً. أما النزول فقد تم بموته. وأما التنزيل على الوقائع واستنباط الأحكام، فلم يزل إلى آخر الدهر، فسورة البقرة وحدها مشتملة على ألف أمر وألف نهي، وألف حكم، وألف خبر، ولعظيم فقهها أقام ابن عمر في تعلمها ثمان سنين. فما من أحد يتدبره إلا ويظن أنه المخاطب به، وعليه تتنزل أحكامه وإشاراته.

فالنزول يؤشر على الصبغة الإلهية التي اكتمل بموجبها النص القرآني في معالم الأزل، أي أن القرآن ينزل من عند الله وبأمر منه، وأما التنزيل فيشير إلى حضور الغيب في حياة الناس بطرائقية (منهجية) يستشرف النص من خلالها المستقبل البشري تحايثاً مع الأفراد المتلقين في مواقعهم ومعايشهم داخل المألوف اليومي»[35].

3. أسرار التنجيم:

لم ينزل القرآن الكريم دفعة واحدة كما كان يحصل مع الكتب السابقة[36]، بل امتد لفترة من الزمن تقارب ربع القرن، بمعنى أن نزوله كان على أنجم وفترات متعددة، والذي استقرئ من الأحاديث الصحيحة أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة، خمس آيات، وعشر آيات، وأكثر وأقل، وقد صح نزول العشر آيات في قصة الإفك جملة، وصح نزول عشر آيات في أول المؤمنين جملة، وصح نزول: **لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ** ﴾[37] وحدها وهي بعض آية [38]، [39].

ولكن سر التنجيم سأل عنه اليهود أو المشركون، وأجابهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً** ﴾[40]، يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل فأجابهم الله بقوله: ﴿ **وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً** ﴾ أي أنزلناه كذلك مفرقا ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً** ﴾[41] وهذا التثبيت فسر بعدة تفسيرات، كلها تراعي حال النبي -صلى الله عليه وسلم- المنزل عليه، أحدها: أن تجدد الوحي في كل حادثة، فيه عناية بقلب المرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه، وتجديد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجانب العزيز، فحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة.

كما كان التفسير الآخر فيه مراعاة لواقع العرب في ذلك الزمان، والنبي –صلى الله عليه وسلم- على الخصوص، فهو كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، ففرق عليه ليسر عليه حفظه بخلاف غيره من الأنبياء، فإنه كان كاتبا قارئا فيمكنه حفظ الجميع إذا نزل جملة.

قال الزركشي فإن قلت: كان في القدرة إذا نزل جملة أن يحفظه النبي -صلى الله عليه وسلم- دفعة قلت: ليس كل ممكن لازم الوقوع، وأيضا في القرآن أجوبة عن أسئلة، فهو سبب من أسباب تفرق النزول؛ ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ، ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقا[42].

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو هل التنجيم جاء مراعاة لواقع وأسباب معينة؟ والجواب أن النص يحكم الواقع وليس العكس، و ليست فترة التنجيم إلا مجرد سياق زمني نزل فيه الوحي قصد الإفهام، وقصد التمكين له، وما ذكره الزركشي[43] من أن ليس كل ممكن لا زم الوقوع، وأن القرآن فيه أجوبة وأسئلة، وأن هذا هو الذي أدى التنجيم، لا يفهم من كلامه -كما فهم نصر حامد أبو زيد- أنه اعتراف جزئي بمراعاة الوحي للواقع ومسايرته لقوانين العالم، وأن فيه مقاربة للإحساس بجدلية العلاقة بين النص والواقع[44]، وهي فكرة بعيدة عن تصور علمائنا الأجلاء؛ لأنها من بنات فكره الغربي المادي.

ولنعود إلى الآية الكريمة، فقد استفيد منها أيضا معرفة الناسخ والمنسوخ[45]، كما استفيد منها الإجابة على المتسائلين، فالنص القرآني فيه بعض الأسئلة والأجوبة، هذا ما استفيد من الآية ومن القرآن، لكن يبقى مجال الاجتهاد مفتوحا أمام المجتهدين ليكتشفوا أسرارا وعللا للتنجيم، وعلى هذا أفاض علينا علماؤنا بجملة من تلك الأسرار، المستفادة من أسرار التنجيم، منها ما ذكره الطاهر بن عاشور، وهو أن في نزول القرآن عند حدوث حوادث دلالة على إعجازه من ناحية الارتجال، وهي إحدى طريقتين لبلغاء العرب في أقوالهم، فنزوله على حوادث يقطع دعوى من ادعوا أنه أساطير الأولين[46].

ومنها ما ذكره الباحث الدكتور صبحي الصالح من تجاوب الوحي مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتجاوبه مع المؤمنين[47]، كما يضيف آخر كتابة التاريخ؛ لأن القرآن كما يبدو من منهجيته الاستقرائية يريد كتابة التأريخ الإنساني، بكل ما في هذا التأريخ من

مفارقات وأحداث ونوازع وتطورات، وهذه الكتابة تأتي وفقا لمنهج القرآن في الإيمان والهداية[48].

وإذا كان النزول المنجم يؤكد مصدرية القرآن، وانتمائه لله عز وجل، فإنه في نفس الوقت يبرز النموذج الأوضح لمنهجية تطبيق النصوص على الواقع، واستشراف المستقبل للمجتمعات البشرية كافة، فالنص القرآني انتقل بهذا المعنى من عالم الغيب إلى عالم الواقع والمشاهدة، وثمة فرق شاسع بين هذين العالمين، فإذا اقتنع الناس بمصدرية النص، ومن ثم تعاملوا معه بذلك المنطق، فإن ثمة حيثيات يجب أن تراعى قبل الخوض في تبعات هذا الإيمان، وهذه الحيثيات هي واقع الناس وجبلتهم التي نضجوا عليها وترعرعوا داخلها، من هنا كان النص حاسما وقاطعا في ترتيب النزول وتنجيمه حتى يضع الحل الناصع والصحيح، وهذا كله يستفاد من كلام عائشة -رضي الله عنها- حين قالت: " إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء "لا تشربوا الخمر" لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل "لاتزنوا" لقالوا لا ندع الزنا أبدا"[49].

وهذا الذي قصدته عائشة -رضي الله عنها- هو ذات المعنى المتحدث عنه، فالشارع تدرج في إنزال آيات الأحكام بحيث مهد لها بآيات العقائد، ثم أتبعها بها، ولكن في الوقت نفسه راعى الوقت المناسب لتطبيق الحكم؛ لأن النص القرآني قطعي، وتطبيقه فوري لا يمكن تأجيله، ومن ثم فإن النزول كان يتأجل لحين اكتمال شروط التنزيل، فهناك تلازم بين النزول والتنزيل، بحيث لا يقع الأول حتى تتهيأ ظروف الثاني وتتأسس، وحينها يأتي النزول ليحسم الأمر.

ومن ذلك ما فعله عمر -رضي الله عنه- عام الرمادة حين أوقف العمل بحد السرقة وأجل قبض الزكاة، وكذلك إلغاؤه لسهم المؤلفة قلوبهم، كل هذه الاجتهادات بنيت على أساس الواقع، وروعيت فيها شروط تطبيق النصوص، وكان له السبق في ملاحظة هذا المعنى رضي الله عنه.

فالقصد من نزول آية أو آيات من الأحكام، هو التطبيق والتنزيل على الواقع المعيش، ومن ثم بعث رسالة إلى المتأولين للنص والمفسرين له أن هذه هي الطريقة في تطبيق الأحكام، وهذه هي المنهجية المؤدية إلى نفاذ النص إلى قلوب المؤمنين، وترسيخ الإيمان به

ثانيا: بواعث الطعن في أسباب النزول

وهي بواعث يعبر عنها في جملة من الانتقادات موجهة لمنهجية التأليف في أسباب النزول، كالتساهل في جمع الروايات، وعدم وضعها على منهاج واضح، ومسلك مستنير، إضافة لعدم ضبط مفهوم سبب النزول، ومعرفة سر التنجيم، وهذه الاتهامات والانتقادات تتركز على اتهامين رئيسيين هما:

1) جمع الروايات دون تمحيص وتدقيق

شحنت كتب أسباب النزول والتفسير، بأخبار ضعيفة ووقائع موضوعة، وقصص واهية، وأقوال سقيمة غير لائقة، ولأجل هذا قال الإمام أحمد بن حنبل: «ثلاث علوم لا إسناد لها، وفي لفظ ليس لها أصل: التفسير، والمغازي، والملاحم»[50].

قال الخطيب البغدادي[51]: «ولا أعلم في التفسير كتابا مصنفا سلم من علة فيه أو عري من مطعن عليه»[52].

وسبب هذا عدم التمحيص للروايات والتدقيق فيها وتمييز الصحيح والسقيم منها، قال ابن خلدون: «وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط، ولاسيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات، إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر، ولا بد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد»[53].

وبرهان هذا ما ورد في كثير من كتب التفسير من روايات في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِين** ﴾ وخلاصتها أن هم يوسف بلغ منه أنه تصرف تصرفا مريبا[54]، وقد أورد بعض المفسرين هذه الروايات وأيدها، وصرف بعض التفسيرات المعارضة لها، ومن ذلك قول البغوي[55]، بعد أن ذكر الروايات التي ذكرنا مضمونها آنفا: «وهذا قول أكثر المتقدمين. . . والقول ما قال متقدموا هذه الأمة، وهم كانوا أعلم بالله من أن يقولوا في الأنبياء من غير علم»[56].

إلا أن الإمام الرازي[57] تنبه لهذه الروايات فردها ونقضها، وذب عن براءة يوسف -عليه السلام- من العمل الباطل والهم المحرم[58].

وأمثال هذه الروايات كثير في كتب التفسير، وأسباب النزول، مثل حديث علي الطويل في تصدقه بخاتمه في الصلاة، فإنه موضوع باتفاق أهل العلم، ومثل ما روي في قوله: ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾[59] أنه علي ﴿**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾[60] أذنك يا علي[61].

ولهذا أكد علماء القرآن على أن علم أسباب النزول لا طريق لمعرفته إلا النقل الصحيح، يقول السيوطي: «قد تقرر في علوم الحديث أن سبب النزول حكمه حكم الحديث المرفوع، لا يقبل منه إلا الصحيح المتصل الإسناد، لا ضعيف ولا مقطوع»[62]، ولا يكتفى بمجرد الرواية والسماع، بل لا بد من اشتراط الصحة؛ ولهذا انتقد ابن حجر[63] على الواحدي قوله: «لا يحل القول في أسباب الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدُّوا في الطلاب»[64]، حيث لم يقيد ذلك بالصحة، وإنما اكتفى بذكر الرواية والسماع، وهذا يعني جمع الروايات دون تمحيص وتدقيق، وهو أمر وقع فيه كثير ممن كتبوا في العلم بمن فيهم الواحدي وابن إسحاق[65]

والواقدي[66] والكلبي، فخلطوا في مروياتهم بين الصحيح والسقيم، بين المتسق مع النص والمتنافر معه، فهناك التناقض الكثير في بعض الروايات، وهناك القصص الخرافي في جانب منه، وهناك الإسرائيليات المطولة التي لا يحتملها النص القرآني.

قال ابن تيمية: «ومعلوم أن في "كتب التفسير" من النقل عن ابن عباس من الكذب شيئا كثيرا من رواية الكلبي عن أبي صالح وغيره، فلا بد من تصحيح النقل لتقوم الحجة فلتراجع "كتب التفسير" التي يحرر فيها النقل، مثل تفسير محمد بن جرير الطبري الذي ينقل فيه كلام السلف بالإسناد، وليعرض عن تفسير مقاتل والكلبي. . . »[67].

كما حذر الدهلوي[68] من إفراطهم في ذكرهم تحت كل آية قصة مع أن الكثير منها غير صحيح عند المحدثين وفي إسناده نظر، ودعا إلى الاختصار على الروايات الصحيحة الواردة في كتاب البخاري والترمذي والحاكم فقط[69].

أما ابن حجر فعمل على تصحيح الروايات بعدما أدرك خلط الأقدمين بين الروايات الصحيحة وغيرها، وآثر أن يسلك طريق التتبع والتوثق من صحتها أو حسنها أو ضعفها، إلا أنه لم يكمل كتابه.

2) عدم تحديد المصطلح تحديدا دقيقا

إن تحديد مصطلح أسباب النزول له إسهام كبير في فهم الموضوع، ولذلك جنح المتأخرون إلى وضع مصطلح حسب فهمهم لهذا العلم دون ملاحظة كل المعاني التي كان يدل عليها عند الصحابة، ولهذا وقع الخلط في بعض المرويات عندهم، نظرا لاختلاف المفهوم، فأصبح ما لا يوحي بالسبب يسمى سببا، وقد يطلق في هذا المضمار السبب على اللازم والمتعلق، وهو غير السبب، وقد يطلق السبب على ما يعتبر من باب الجري وقبيل الانطباق وليسا من الأسباب[70].

وهذا راجع إلى أن الصحابة يفهمون السبب بمعناه اللغوي، وهو ما يتوصل به إلى الشيء، وعلى ذلك فكل لفظ يؤدي إلى معنى في الآية فهو مقصود، سواء كان سبب نزول الآية أو كان تفسيرا للآية، أو كان ذكرا لقصة الآية، أو كان تنزيلا للآية على الواقع، ولكن عندما جاء المتأخرون قالوا: سبب النزول هو «ما نزل قرآن بشأنه أيام وقوعه» [71]، وقعوا في مغالطات كلها ناشئة عن عدم مراعاتهم لشمولية مصطلح الصحابة والتابعين المتسع، فطفقوا يبحثون عن الألفاظ الداخلة في مصطلحهم، فما إن يجدوا قول الصحابي: "حدث كذا فأنزل الله كذا"، أو قوله: "نزلت هذه الآية في فلان أو في فلان"، حتى يقولوا: هذا سبب النزول، ويغضون الطرف عن مفهوم قول الصحابي، وهذا جعل بعض العلماء يشير إلى ذلك ويضع ضابطا لذلك[72].

وهذه النظرة السريعة على مجمل ما وجه من انتقادات تعطينا نتائج، وتقنعنا باقتناعات هامة، أما النتائج فهي:

أولا: أن الأعمال المشيدة في هذا المجال ارتكبت فيها أخطاء رجعت أساسا إلى جملة من الأسباب تركزت على التساهل في نقل الأخبار، وعدم التمييز بين الصحيح منها من السقيم، وعدم وضوح مصطلح أسباب النزول عند المؤلفين، مما جعل كثيرا من المفاهيم تختلط معه.

ثانيا: أن ما قام من جهد تأليفي يرجع للقرون الأولى تعرض للنقد فيما بعد وصحح وقوم، فانتزع الكثير من الروايات الضعيفة من كتب المتأخرين، ونقد الخلط الحاصل في المفهوم، وحدد تحديدا علميا دقيقا.

ثالثا: من خلال القراءة في تراث أسباب النزول لا نلحظ صناعة الأخبار ولا نسج الأكاذيب، ولا مانع من تسرب بعض الأخبار الكاذبة والمختلقة إلى كتب المؤلفين ما دام التساهل طاغيا عليهم، والمفهوم ملتبسا، وهذا ليس من عملهم.

أما الاقتناعات فهي:

الاقتناع الأول: أن تكَوُّن هذا العلم وتشكله كان نتيجة جهد جهيد عمله السابقون في ملاحقة الروايات التي يعتقد أنها تهتم بواقع التنزيل، وترسم حالة الناس في زمنه، وتعطي فكرة عن تنزل بعض الآيات القرآنية التي قد تساعد في فهمها، وهذا الأمر تم وسط ثقافة تعلي من شأن الرواية وتهتم بصحتها ونسبتها، وهذا يدحض ما ذكره الباحث بسام الجمل[73] في كتابه: "أسباب النزول علما من علوم القرآن" من أن تشكل هذا العلم وتكونه كان نتيجة عامل ثقافي حيث يضيف شارحا ذلك، «أما بخصوص العامل الثقافي: فإنه راجع إلى التغير العميق الذي أصاب الوضع الثقافي بعد انقطاع الوحي المحمدي»[74]، وفي نظره أن هذا الانقطاع أدى إلى محاولة العلماء عقد صلة بين آيات المصحف وما شاع من أخبار سيرة الرسول –صلى الله عليه وسلم- ومغازيه انطلاقاً من مجالس القصاص والإخباريين، فأعادوا بناء علاقة الرسول –صلى الله عليه وسلم- بالوحي، خاصة لحظة تقبله التنزيل، وهذه العلاقة لا تعكس الأخبار الصحيحة عن الوحي في زمنه، بقدر ما تعكس تمثلهم الخاص له، «وكان للقصاص دور كبير في نشأة هذا العلم نظرا لمنزلتهم الرفيعة في المجتمع خصوصا عند العامة؛ وعلة ذلك رغبة هؤلاء القصاص والإخباريين في عطف قلوب الجمهور الذي يتوجهون إليه على تميز التجربة النبوية، وبدهي أن ينسجم أسلوب خطابهم مع انتظارات المتقبلين، وهم أساسا العامة»[75].

وفي الإطار نفسه يتساءل الشرفي، هل كان نزول الآية لهذه المناسبات من قبيل القصص التي نسجها المخيال الجمعي في حرصه على ربط الأحكام الفقهية المجردة بأحداث ملموسة وأشخاص تاريخيين، حسب ما كان يفعله القصاص والوعاظ

المدفوعون بوازع تقريب النص المقدس من الأذهان أكثر من احتفائهم بالحقيقة التاريخية كما نفهمها اليوم؟ [76].

حقيقة ما أسماه العامل الثقافي لا يصف ثقافة المسلمين، فالفترة التي تحدث عنها كانت مليئة بالعلماء الثقات، وعلمهم موثق من الصحابة والتابعين، والقصاص لهم إسهام في القصص وليس في نشأة وتكون علم أسباب النزول، فأسباب النزول فيها روايات صحيحة نقلت إلينا من ثقات ودونت فيما بعد في كتب السنن والصحاح، وبعضها الآخر بقي ضمن السير والمغازي فدون معها، وكثير من هذه الأسباب نقل إلينا بواسطة الثقات العدول الضابطين عن الصحابة -رضوان الله عليهم- و أهل السير والمغازي لم يتمثلوا واقع الوحي إلا بما نقلوا عمن شاهدوه، وليس ثمة انقطاع كما يدعي، فكل ادعاءاته تحتاج إلى براهين.

وهو في ادعائه يتصور واقعا غير واقع المسلمين، وبيئة غير بيئتهم، ويمارس في ما يبدو فكرة الإسقاط، فالمسلمون لم يبنوا أيا من علومهم على القصص ونسج الخيال الجمعي، وإنما عرفوا بالرواية والتثبت في النقل.

وما قدمناه من تتبع علماء القرآن للروايات الباطلة، وردهم لها، ودعوتهم لتنقية كتب التفسير منها، لا يدل إلا على حرصهم على الدقة في الرواية والصحة في النقل.

الاقتناع الثاني: أن اهتمام هؤلاء العلماء بهذا الفن كان نتيجة لأهميته البالغة، ودوره الحاسم في تحديد تاريخ النزول، ومن ثم معرفة الناسخ والمنسوخ، ومعرفة المكي والمدني، وحيثيات النزول بأكملها، وهذا الإقناع جعل البحث يتجه إلى أسباب النزول، والعمل على تدوين كل الروايات المنسوبة له، فبقدر معرفة الفقيه لهذه الأسباب بقدر ما تكامل عنده الوعي بالآية، وهذا أمر في غاية الأهمية.

وهذا يبطل صحة ما ادعاه الباحث بسام من أن انتقال الناس من التدين العفوي إلى التدين المعقلن لزم منه الاعتماد على النظر والتفكير، ومن ثم لجأ الفقهاء إلى تسويغ الأحكام وإنشاء التشريعات بما يخدم مصالحهم، وهذا ما سماه العامل الثاني في تكون علم أسباب النزول وهو العامل المعرفي، حيث يقول: «أما العامل المعرفي الذي ساهم في نشأة علم أسباب النزول فيبدو في شكلين هما:

الانتقال من طور التدين العفوي إلى التدين المعقلن، فلازم الثاني النظر، وكان هذا النظر حسب تصوره في شيء اندثر، وهو تاريخ النزول وأسبابه، مما أدى إلى اهتمام العلماء به، والحرص على معرفته.

أما الشكل الثاني: فهو حاجة الفقهاء إلى الترجيح بين الأحكام المتعارضة في النص الديني، فاستندوا من بين ما استندوا عليه النسخ، وهو يحتم معرفة تاريخ النزول وأسبابه»[77].

و في نظره أن هذا العامل أبرز تصدر رجال دين استأثروا بحق معرفة النص الديني وفهم مراد الله منه، وهم لا يعنيهم سوى اعتباراتهم السياسية والاجتماعية؛ لأنها مقدمة على المقتضيات الدينية[78].

يقول مسترسلا في دعواه: «وتبرز الحاجة أكثر إلى معرفة أسباب النزول في آيات الأحكام عبادات ومعاملات، حتى يتكئ عليها الفقهاء على معيار مرجح يبنونه بواسطة منظومتهم الفقهية، ومن ثم يضعون عليها المشروعية الدينية [79].

ولا شك أن أخبار أسباب النزول تشير -من منظور معين- إلى تلك المساءلات والمشاغل والأوضاع التي تراعي أكثر ما تراعي انتماءات المفسرين الفقهية، ويعكس هذا المنظور أفاقهم الذهنية، ولذلك وظف علم أسباب النزول في توجيه معاني القرآن الكريم، قصد تأكيد صحة فهمهم له، فمهما حاول أهل الفقه والشريعة الاحتجاج على فهم لهذا النص الديني الفذ بقرائن مثل أسباب النزول وغيرها، فإنما كانوا يبحثون في الواقع عن سلطة بها يشرعون لفهم ذلك، ولا أدل على ذلك من توظيفهم لأسباب النزول التي قررت لتركب فهما للآيات، والواقع أن أسباب النزول تأطير بعدي للنص القرآني، ولا يخفى ما في هذه البعدية من عمل للذاكرة الجمعية والضمير الإسلامي[80]».

الدافع الحقيقي للعلماء القدامى كما وصفهم هو فهم الآيات التي تحتاج إلى أسباب نزول توضحها، و استخلاص الحكم المراد من النص، فهم عباد الله وهو سيدهم ومعاذ الله أن تكون لهم أغراض كما وصفهم، فهم شارحون وموضحون لا مشرعون متألهون، فتلك صفة المحرفين الضالين، ورجال الدين المرتشين.

فعلماؤنا عرفوا بالصدق والأمانة، وبالابتعاد عن مغريات المادة وطغيانها، فهم ليسوا كرجال القانون كما أحب أن يصفهم، فالشريعة ليست وضعا منهم، ولا خطا

خطوه بأيمانهم، وإنما هي تشريع من الله، وإسهام هؤلاء بما يمتلكون من قدرات الفهم والتدبر أن يمعنوا التفكير ويخرجوا الحكم بتبيان كيفية تنزيله على الواقع.

وكان الأحرى به أن يعطينا حكما واحدا استند فيه فقيه معتبر لسبب يحقق فيه مصلحة له ذاتية أو جماعية ضيقة.

الاقتناع الثالث: أن معرفة أسباب النزول كانت الفيصل في تحصين الفهم للنص القرآني من الغلط والأوهام، والاهتداء إلى التأويل الصحيح، وهذا يقال في التأويل المستند على سبب صحيح رواية ودراية، وإلا فهو كمستنده خاطئ، وليست كما فهم بسام الجمل أن تعدد الإيديولوجيات ساهم في تشكلها، وهو ما يعده العامل الثالث والأخير؛ لأنه تقدم عندنا العامل الثقافي والعامل المعرفي، وأما العامل الإيديولوجي فيتمثل عنده في الصراعات التي وقعت بين المسلمين على السلطة، وافتراقهم إلى فرق متنازعة، «حولت النص الديني إلى وسيلة رد على المخالف، وكان توجيه النص يحتاج إلى مادة من خارجه تسلط عليه بعيدا عن سياقه ومقتضاه ومقصده، فوجد أصحاب الفرق مبتغاهم، فنشأ علم أسباب النزول»[81].

أما الهادي الجطلاوي: «فهو يرى أن أسباب النزول -كما لا يخفى- عنصر من عناصر التفسير لا يستأثر به منهج دون آخر، وهو سلاح في غاية الخطورة، يمكن أن ينفخ بالمعنى في جميع الاتجاهات، فكان من أكبر الذرائع التي توسلت بها الفرق لتوجيه الدلالة في خدمة المذهب دفاعا عن النفس، وطعنا في الغير، ولم يكن ذلك يكلف من العناء سوى تهيئة السند الصحيح الموهم بصحة الخبر»[82].

الإيديولوجيات وظفت أسباب النزول -وإن كان على نطاق ضيق- لكنها لم تساهم في تشكلها، والأسباب التي وظفت في تغليب الحجة أو الرد على الخصم قليلة مشهورة، والعلماء بينوها، ولا أرى مساهمة لها في هذا الباب، إلا إذا قصد التأويل غير البريء الذي يمارسه أصحاب المذاهب المدينة للهوى والشطط للنص القرآني حتى يتماشى مع أطروحاتهم، وأراد من خلال ذلك القصد أن يسقطه على علماء ربانيين غارقين في الإيمان والخضوع، وهنا بالطبع نقول هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟.

الاقتناع الرابع: أن مادة أسباب النزول ليست مصنوعة ولا مبتكرة، وإنما هي روايات تمتد جذورها لعهد النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، و قد جمعت من كتب

الحديث الصحيحة والسير والمغازي وغير ذلك، ولا يعني هذا أن كل هذه المادة صحيحة معتبرة، بل كثير منها بين النقاد فساده لاعتبارات عدة: منها اعتبار الضعف في الرواية، واعتبار تناقضه مع مقاصد الشريعة، واعتبار آخر وهو عدم موافقته للسياق[83]، وهي اعتبارات أسقطت الكثير من الروايات، وأبقت على القليل المقبول رواية ودراية.

ونخلص إلى أن أسباب النزول علم من علوم القرآن الكريم يعتمد فيه على ما صح من الرواية، وهو موجود في كتبه المستقلة وكتب الصحاح والسنن والسير والتفاسير، وينظر في إسقاطه وإبعاده بنظر الصحة في الرواية وموافقة مقصد القرآن، فما كان كذلك اعتبر من علم أسباب النزول وهو موجود، وما كان على خلاف ذلك اعتبر من الباطل والخرافة، وعليه فإن ما ادعاه بسام الجمل من أن أسباب النزول مختلقة مصنوعة لا دليل عليه سوى بعض التشكيكات المنبعثة من هنا وهناك، مع غياب -كما يعترف بذلك هو نفسه- استدلال واضح المعالم والمسالك، وإن كان اعتذر عن ذلك بأن قضايا علم أسباب النزول لم تكن مطلبهم الرئيس فيما ألفوا[84]، وما أقبحه من عذر، كيف لإنسان أن يتكلم في فن وهو غير مهتم به، ولا طالب له؟!.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
2. إتقان البرهان في علوم القرآن د. حسن عباس دار الفرقان ط1 1997م، عمان الأردن.
3. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911ه)، تحقيق: مجمع البحوث، 1333ه/ 2011 م.
4. أسباب النزول علما من علوم القرآن، بسام الجمل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
5. أسباب نزول القرآن الكريم، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت: 468ه)، تحقيق كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 بتاريخ 1411ه-1991م.
6. البرهان في علوم القرآن للزركشي (794ه)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه. ط1، 1376 ه - 1957 م.
7. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي سنة 1987، لبنان بيروت.

تاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى: 2005م.

8. تاريخ القرآن للدكتور محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت لبنان، بدون تاريخ.
9. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي محمد الرازي فخر الدين دار الفكر للطباعة والنشر ط1 بتاريخ 1981.1401م بيروت لبنان.
10. تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار" لمحمد رشيد علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر 1990م.
11. جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري (ت: 310ه)، تحقيق أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة ط1 بتاريخ 1420ه 2000م.

12. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964 م.
13. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع الخطيب البغدادي (ت: 463هـ) تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، بدون تاريخ.
14. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر (852هـ)، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد- الهند، الطبعة الثانية 1392هـ 1972م.
15. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1405هـ-1985م.
16. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين – بيروت ط 4بتاريخ 1407 هـ - 1987م.
17. العجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، السعودية الدمام ط1 بتاريخ 1418هـ، 1997م.
الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد الحجوي، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة 1396هـ
18. الفوز الكبير في أصول التفسير، لأحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي (ت: 1176هـ) عربه سلمان الحسيني الندوي، دار الصحوة القاهرة، الطبعة الثانية 1407هـ -1986م.
19. لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد أبو الحسن المعروف بالخازن (ت: 741هـ)، تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1415هـ
20. لسان العرب لابن منظور دار صادر بيروت ط1.
21. مباحث في علوم القرآن الدكتور صبحي الصالح دار العلم للملايين، بيروت لبنان.
مجلة التسامح العدد الحادي عشر، 1426هـ 2005م، وزارة الأوقاف سلطنة عمان.

22. مجموع الفتاوي، لابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ - 1995م.
23. معالم التنزيل في تفسير القرآن، لمحيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء (البغوي (ت: 510هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى 1420هـ.
مفهوم النص نصر حامد أبو زيد الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1993م.
24. مقدمة أصول التفسير لابن تيمية ط دار القرآن.
25. المقدمة لابن خلدون دار الكتب العلمية بيروت ط1986/1م.
26. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أبو العباس أحمد بن تيمية (ت: 728هـ)، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الأولى 1406هـ - 1986م.
27. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

الهوامش

(1) - تاريخ القرآن لمحمد حسين علي الصغير، ص(53).

(2) - ينظر العجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني (203/1).

(3) - جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (547/6).

(4) - جامع البيان (547/6).

(5) - أسباب النزول للواحدي، ص (11).

(6) - هو علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متوية، أبو الحسن الواحدي: مفسر، عالم بالأدب، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل. له "البسيط" و "الوسيط" و "الوجيز" كلها في التفسير، توفي سنة: ثمان وستين وأربعمائة. طبقات المفسرين، للسيوطي، ص (79-78)، الأعلام: (255/4).

(7) - سورة الأحزاب من الآية (33).

(8) - أسباب النزول للواحدي، ص (356).

(9) - هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. من تصانيفه: "رفع الملام عن الأئمة الأعلام" والفتاوي وغير ذلك. توفي سنة: ثمان وعشرين وسبعمائة. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر (186/1)، الأعلام للزركلي (144/1).

(10) - منهاج السنة، لابن تيمية، ص (12/7).

(11) - هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ. أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها: "فتح الباري على صحيح البخاري" و"الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة" توفي سنة: اثنين وخمسين وثمانمائة. طبقات الحفاظ للسيوطي (254/1-253)، الأعلام: (178/1).

(12) - العجاب في بيان الأسباب (200/1).

(13) - نفسه.

(14) - ذكر ذلك عنه الذهبي حيث وصفه كان من أئمة اللغة العربية تاريخ الإسلام للذهبي (259/31).

(15) - مباحث في علوم القرآن الدكتور صبحي الصالح، ص: (137).

(16) - هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب، من كتبه "الإتقان في علوم القرآن" و "ترجمان القرآن" وغير ذلك. توفي سنة إحدى عشر وتسعمائة. الأعلام: للزركلي(301/3).

(17) - العجاب في بيان الأسباب، (90/1-80).

(18) - سورة الحج من الآية (15).

(19) - سورة الكهف من الآية (85).

(20) - سورة غافر من الآية (36).

(21) - مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (181/4).

(22) - الصحاح للجوهري مادة (نزل).

(23) - القاموس المحيط لليفروزبادي حرف النون والدال، ص (1372).

(24) - تعريف السبب هو: «السبب هو ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم». ينظر أنوار البروق في أنواء الفروق للقرافي (342/4).

(25) - لسان العرب لابن منظور مادة (سبب).

(26) - تاريخ القرآن الكريم لعبد الصبور شاهين، ص (30).

(27) - تحليل النصوص المفهوم والضوابط، لحسين كنوان، مجلة التسامح، ص (109).

(28) - سورة النساء من الآية (125).

(29) - الإتقان: (209/1).

(30) - سورة البقرة من الآية (217).

(31) - سورة البقرة من الآية (189).

(32) - سورة البقرة من الآية (220).

(33) - العجاب (553/1).

(34) - هو محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفلالي: من رجال العلم والحكم، من المالكية السلفية في المغرب. من أهل فاس، له كتب، أجلها "الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي" توفي سنة: ست وسبعين وثلاثمائة. الأعلام للزركلي، (96/6).

(35) - الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد الحجوي (106/1).

(36) - يؤكد هذا قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً** ﴾ (سورة الفرقان: 32)، وعلى الرغم من أن كثيرا من العلماء فهموا منها أن

سائر الكتب السابقة نزلت جملة واحدة، حتى كاد أن يكون إجماعا، فقد أنكر ذلك بعضهم وقال إنه لا دليل عليه بل الصواب أنها نزلت مفرقة كالقرآن، ينظر الإتقان (281/1).

(37) - سورة النساء من الآية (95).

(38) - الإتقان: (226/1). مباحث في علوم القرآن، لصبحي صالح، ص (49).

(39) - ورد نزول بعض الآية في موضعين اثنين: هذا أحدهما والثاني هو قوله تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ** ﴾ (البقرة: 186)حديث البخاري(30) كتاب: الصوم (16) رقم الحديث (1917)، وقد نزلت في حديث البخاري، وأما الموضع الأول فقد نزل في ابن أم مكتوم حديث البخاري (65) كتاب تفسير القرآن (18) باب: ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ﴾ رقم (4592)، وقد أورد صاحب المنار هاتين الروايتين وردهما. يراجع تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد علي رضا (145/2).

(40) - سورة الفرقان من الآية (32).

(41) - سورة الفرقان من الآية (32).

(42) - البرهان في علوم القرآن (231/1).

(43) - هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول تركي الأصل، مصري المولد والوفاة. له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها"البحر المحيط" في أصول الفقه، وغير ذلك. توفي سنة: أربع وتسعين وسبعمائة. الدرر الكامنة، (134/5-133).

(44) - ينظر مفهوم النص، ص (99).

(45) - ادعى الدكتور الجابري أن هذا لا يتماشى مع سياق الآيات المذكورة فهو شرح ما قبل بما بعد! فقضية النسخ لم تطرح في العهد المكي. ينظر مدخل إلى القرآن الكريم للجابري ص (145) وما ذكره عن النسخ لا يضيره.

(46) - التحرير والتنوير (50/1)

(47) - مباحث في علوم القرآن لصبحي صالح ص (52).

(48) - وهو الدكتور الصغير ينظر تاريخ القرآن للصغير، ص (40).

(49) - صحيح البخاري (66) كتاب: فضائل القرآن، (6)باب: تأليف القرآن رقم الحديث (4993).

(50) - منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (35/7).

(51) - هو أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب: أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين. من كتبه: "الكفاية في علم الرواية"و "البخلاء"، توفي سنة: ثلاث وستين وأربعمائة. سير أعلام النبلاء، للذهبي (270/18).

(52) - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (163/2).

(53) - مقدمة ابن خلدون (10).

(54) - ينظر جامع البيان (35/16). لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (274/3).

(55) - الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء، أو ابن الفراء، أبو محمد، ويلقب بمحيي السنة، البغوي فقيه، محدث، مفسر. نسبته إلى (بغا) من قرى خراسان، بين هراة ومرو. له (لباب التأويل في معالم التنزيل) في التفسير، و (مصابيح السنة) و (الجمع بين الصحيحين) وغير ذلك. توفي بمرو الروذ. سنة: عشر وخمسمائة. سير أعلام النبلاء (439/19).

[56] - ينظر معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (448/4)، لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، (274/3).

[57] - هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر، من تصانيفه "مفاتيح الغيب" في تفسير القرآن الكريم، و"معالم أصول الدين". توفي سنة: ست وستمائة. وفيات الأعيان، لابن خلكان (249/4-248).

[58] - ينظر مفتاح الغيب أو التفسير الكبير (82/18). ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (199/9).

[59] - سورة الرعد من الآية (7).

[60] - سورة الحاقة من الآية (11).

[61] - ينظر مقدمة التفسير، لابن تيمية (26/2).

[62] - التحبير في علم التفسير للسيوطي، ص (86).

[63] - العجاب ص (200).

[64] - أسباب النزول للواحدي ص (10).

[65] - محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني: من أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة. له "السيرة النبوية" هذبها ابن هشام. و "كتاب الخلفاء" و "كتاب المبدأ"، توفي سنة: واحد وخمسين ومئة. وفيات الأعيان (276/4).

[66] - هو محمد بن عمر بن واقد السهمي الاسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي: من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث. من كتبه "المغازي النبوية" و"فتح إفريقية" وغير ذلك، توفي سنة: سبع ومائتين. وفيات الأعيان (348/4).

[67] - مجموع الفتاوي، لابن تيمية (389/13).

[68] - هو أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي، أبو عبد العزيز، الملقب شاه ولي الله: فقيه حنفي من المحدثين. من كتبه "الفوز الكبير في أصول التفسير" ألفه بالفارسية، وترجم بعد وفاته إلى العربية والأردية ونشر بهما، "حجة الله البالغة" وغير ذلك. توفي سنة: تسع وسبعين ومئة وألف. الأعلام: للزركلي، (149/1).

[69] - الفوز الكبير في أصول التفسير للدهلوي ص (60).

[70] - ينظر تاريخ القرآن للصغير، ص (53).

[71] - ينظر مقدمة في أصول التفسير، ص (60) والبرهان في علوم القرآن للزركشي (126/1) والإتقان (208/1).

[72] - ينظر مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية ص (60) والإتقان (208/1).

[73] - هو بسام الجمل دكتور باحث تونسي له عدة كتب، منها كتاب: أسباب النزول علما من علوم القرآن، وهو كتاب يتناول فيه أسباب النزول بنقد شديد يصل إلى حد التحامل على هذا العلم، وفي هذا البحث ألخص أهم معالم نظرته لتكون وتشكل هذا العلم، على أن تكون ضمن نقاط الاقتناعات حسب ما يقابل كل شبهة من شبهه.

[74] - أسباب النزول علما من علوم القرآن، بسام الجمل، ص (53).

[75] - نفسه.

[76] - نفسه، ص (33).

[77] - أسباب النزول علما من علوم القرآن، ص (58).

[78] - نفسه.

[79] - نفسه، ص (59).

[80] - نفسه، ص (34).

[81] - أسباب النزول علما من علوم القرآن ص (59).

[82] - نفسه، ص(34).

[83] - ينظر إتقان البرهان في علوم القرآن د. حسن عباس، ص (316).

[84] - أسباب النزول علما من علوم القرآن، ص (34).

السلطة التقديرية للقاضي في مجال الإثبات الجنائي -الإثبات بالقرائن نموذجا- -دراسة فقهية مقارنة

-د/ سمير بشيرباشا كلية العلوم الإسلامية -جامعة الجزائر

الملخص:

يتميز الإثبات الجنائي في الشريعة الإسلامية بحصر طرقه والتشدد في وسائله، ويظهر ذلك بوضوح في عدم اعتماد القضاء على إثبات جرائم الحدود بالقرائن التي تحوم حولها الاحتمالات؛ تطبيقا لمبدأ درء الحدود بالشبهات، ومن أمثلة هذه القرائن: قرينة الحمل من غير زوج والنكول عن اللعان في الزنا، وقرينة رائحة الخمر في الفم والقيء، وقرينة التعريض بالقذف، لكن السلطة التقديرية للقاضي تمكنه من تقدير قوة الشبهة بحسب هذه القرائن، وما يتصل بها من ظروف وملابسات؛ حتى يصل إلى إصدار الحكم المناسب.

الكلمات المفتاحية: السلطة التقديرية القضائية، الإثبات الجنائي، القرائن.

Abstract:

Among the peculiarities of the penal proof in Islamic law to limit and the militancy in the means, it is reflected in the incapacity to adopt the judicial system to prove the crimes to the fixed punishments by the assumptions which is surround possibilities; because of the application of the principle push the fixed punishments.

And the examples of these indications: The assumption of pregnancy without a husband and withdraws from liana and the assumption smell of the wine in the mouth, the vomiting, and the assumption of exhibition defamation.

But the discretionary power of the judge was able of estimating the strength of suspicion, according to the proof, and the conditions and the related circumstances; until he reaches the appropriate punishment.

Key words: The discretionary power of the judge, penal proof, the assumptions.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد، فقد جاء الإسلام ليحفظ المقاصد الضروريّة التي لابدّ منها لقيام مصالح الناس بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، فشرع لها ما يحفظها بأن درأ عنها كلّ ما من شأنه أن يُخلّ بها أو يبطلها، فأوجب عقوبات معيّنة–لها أحكام خاصّة-على الجرائم التي تخلّ بهذه الضروريات، هي أحكام الجنايات المختصة بالحدود، حيث أوجب حدّي الزنا والقذف على من أخلّ بضروريّ النسل، وأوجب حدّ السكر على من أخلّ بضروريّ العقل، وأوجب حدّ السرقة على من أخلّ بضروريّ المال، وأوجب حد الحرابة على من أخل بالأمن، وأحاط هذه العقوبات بأحكام خاصّة تميّزها عن غيرها من الجنايات، كلّ ذلك رفعا للفساد الواقع في العالم وحفظا لهذه الضروريّات من الابتذال.

موضوع البحث

ومن هذه الأحكام ما يتعلق بالإثبات الجنائي القائم على حصر طرقه والتشدد في وسائله؛ إذ إن الفقهاء متفقون على إثبات الجناية بالشهادة والإقرار، لكنهم يختلفون في إثباتها بالقرائن التي في الغالب تحوم حولها الشبهات، وقد تقرر في التشريع الجنائي الإسلامي مبدأ درء الحدود بالشبهات، كما أنه لا يقيم الحدود إلاّ القاضي النائب عن الحاكم في ذلك، ولا يمكن إثبات الجرائم إلاّ في مجلس القضاء، ذلك لأنّ الحدود لها شرائط وأركان لا يدركها العامّة، ولا يمكن أن توكل إليهم، وإلاّ عمّ الخراب والاضطراب والانتقام والإفساد في الأرض، وهو خلاف المقصود من الحدود، ولأنّ في الحدود شبهات وموانع وأحكاما تتعلّق بالإثبات وكيفيته وشروطه وغير ذلك، وهذه أمور تحتاج إلى علم وحكمة وبصيرة، ونظر دقيق وفحص عميق، واجتهاد ممّن هو أهل لذلك، وهو القاضي العالم بأحكام الشريعة الإسلاميّة، الذي ينوب عن الحاكم في هذا الأمر، وعلى هذا كان موضوع البحث بعنوان: **((السلطة التقديرية للقاضي في مجال الإثبات الجنائي-الإثبات بالقرائن نموذجا- دراسة فقهية مقارنة))**.

مجال البحث

مجال البحث وحدوده يتعلق بنوع من أنواع وسائل الإثبات الجنائي، وهو الإثبات بالقرائن، ممثلة في هذه الوسائل: قرينة الحمل من غير زوج ونكول الزوجة عن اللعان في جريمة الزنا، وقرينة رائحة الخمر في الفم والقيء، وقرينة التعريض بالقذف.

أهمية البحث

1-بيان خصائص التدابير العقابية في التشريع الجنائي الإسلامي القائمة على حصر طرق الإثبات، نظرا للعقوبة المقررة عليها.

2-التعرف على مدى اعتماد القاضي على القرائن في الإثبات الجنائي في الشريعة الإسلامية.

3-إبراز العمل بالسلطة التقديرية للقضاء في التشريع الجنائي الإسلامي عموما، وفي الإثبات الجنائي خصوصا.

4-بيان حدود السلطة التقديرية للقاضي في مجال الإثبات الجنائي بالقرائن.

منهجيّة البحث:

اتّبعت الخطوات الآتية في منهجيّة البحث:

1) خصصت المبحث الأول للتعريف بأهم مفردات العنوان، وخصصت بالدراسة مبحثا لكل وسيلة من وسائل الإثبات بالقرائن، وخصصت مطلبا تحت كل مبحث لبيان السلطة التقديرية للقاضي في الإثبات بالقرينة المدروسة.

2) عرض الأقوال الفقهيّة المختلفة لكلّ مذهب من المذاهب، وهذا حسب ورودها في كتب هذه المذاهب مقرونة بالأدلّة المعتبرة عند كلّ فريق، وتوضيح وجه الدلالة منها إن لزم ذلك، مع مناقشة الأدلّة إن أمكن ذلك، ثمّ الترجيح والاختيار مع تعليل ذلك.

3) بيان موضع الآيات القرآنيّة ونسبتها إلى سورها في القرآن الكريم.

4) تخريج الأحاديث النبويّة، فإذا كان الحديث في الصحيحين عزوته إليهما، وإلاّ خرّجته من بعض كتب السنن والأحاديث، وأشير إلى حكم العلماء عليه من حيث الصحّة والضعف.

5) تخريج الآثار.

6) شرح الألفاظ الغريبة الواردة في الأحاديث.

7) اتّبعت المنهج التحليلي المقارن؛ فالمنهج التحليلي: بتحليل النصوص وبيان وجه الاستدلال بها، وبتحليل أقوال الفقهاء أيضا، والمنهج المقارن: بمناقشة الأدلّة وبيان الرأي المختار عن طريق الدراسة المقارنة.

وقد حرصتُ على تنظيم البحث وتقسيمه، حتّى يكون مقبولا بتسلسله، وثيقا بترابطه، ليسهل تناوله والإحاطة به، وهذا ما سيتّضح في خطّة البحث.

خطّة البحث:

قسّمت البحث إلى مقدّمة وأربعة مباحث وخاتمة:

- **مقدّمة.**
- **المبحث الأوّل: التعريف بمصطلحات العنوان**
- **المبحث الثاني: الإثبات بقرينة الحمل من غير زوج في جريمة الزنا**
- **المبحث الثالث: الإثبات بنكول الزوجة عن اللعان في جريمة الزنا**
- **المبحث الرابع: الإثبات بقرينة رائحة الخمر في الفم والقيء**
- **المبحث الخامس: إثبات حدّ القذف بالتعريض**
- **الخاتمة:** وفيها النتائج والتوصيات.

المبحث الأوّل: التعريف بمصطلحات العنوان

سأتناول ضمن هذه المطالب التعريف بالمصطلحات الواردة في العنوان وهي: السلطة التقديرية، والإثبات الجنائي، والقرائن.

المطلب الأول: تعريف السلطة التقديرية

أولا: تعريف السلطة

1- **تعريف السلطة لغة** أصلها من التسلط والسلاطة وهي القهر والحدة، قال تعالى: **((وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ))**[1]، والسلطة: السيطرة والتحكم، ومنه السلطان بمعنى الحجة والبرهان، أو بمعنى صاحب ولاية الحكم، وعليه فإن معناها يرجع إلى السيطرة والتحكم والتمكن والقوة والضبط[2].

2- **تعريف السلطة اصطلاحا** هي الصلاحية التي يمنحها النظام أو القائم عليه لضبط الأمور والحكم فيها على سبيل الإلزام[3]، فهي نوع من الولاية التي يمنحها النظام

أو القائم عليه، وهو هنا نظام الشريعة الإسلامية الذي أسس الأحكام الشرعية المتعلقة بالقضاء، وأعطى للقاضي هذه الصلاحية.

ثانيا: تعريف التقدير

1- **تعريف التقدير لغة** أصل التقدير من القدر والقدرة ومن معانيه القوة ويطلق على القياس والتروي والتفكير في تسوية الأمر وتهيئته وعقد النية على ذلك[4].

2- **تعريف التقدير اصطلاحا** ذكر المناوي أن التقدير من الإنسان على وجهين: أحدهما التفكر في الأمر بحسب نظر العقل وبناء الأمر عليه، وذلك محمود، والثاني أن يكون بحسب التمني والشهوة وذلك مذموم[5].

وعليه فإنه يمكن تعريف السلطة التقديرية للقاضي بأنها: الصلاحية الشرعية التي تمكنه من الإلزام بالأحكام بناء على التفكير والاجتهاد والنظر.

المطلب الثاني: تعريف الإثبات الجنائي

أولا: تعريف الإثبات

1- **تعريف الإثبات لغة** هو إقامة الحجّة وإعطاء الدليل على صحّة أمر ما، يُقال: "أثبتَ حُجَّته" أي: أقامها وأوضحها، و"قول ثابت" أي: صحيح. وهو مأخوذ من قولهم: "ثبت الشيء" إذا دام واستقرّ، يقال: "ثبت فلان على موقفه إذا لم يتراجع عنه"، ويُسمّى الدليل: "ثبتا" لأنّه يؤدّي إلى استقرار الأمر لصاحبه، فيقال: "لا أحكم بكذا إلاّ بثبت"[6].

2- **تعريف الإثبات اصطلاحا:**

هو إقامة الدليل أمام القضاء بالطرق التي حدّدتها الشريعة بأيّ حقّ، أو على واقعة تترتّبُ عليها آثار[7]، وقال الجرجاني: "هو الحكم بثبوت شيء آخر"[8].

فطرق الإثبات هي الأدلّة والحجج التي تدلّ على صحّة واقعة ما في مجلس القضاء.

ثانيا: تعريف الجناية

1- **تعريف الجناية لغة** الجناية: الذنب والجرم وما يفعله الإنسان مما يوجب عليه العقاب أو القصاص في الدنيا والآخرة[9].

2- **تعريف الجناية اصطلاحا:**

الجناية: هو كل فعل محظور يتضمن ضررًا على النفس أو غيرها، وغلبت في ألسنة الفقهاء على الجرح والقطع والقتل[10].

وعليه فإن الإثبات الجنائي هو إقامة الأدلة التي تبين وقوع الفعل المحرم الذي يوجب العقاب في مجلس القضاء وأدلة الإثبات الجنائي متعددة كالشهادة والإقرار، ومنها القرائن.

المطلب الثالث: تعريف القرائن

أولا: تعريف القرينة لغة

القرينة، من قارن الشيء يقارنه مقارنة: اقترن به وصاحبه، وقرينة الكلام ما يصاحبه ويدل على المراد به، والقرين المصاحب[11].

ثانيا: تعريف القرينة اصطلاحا

عرفها الجرجاني بقوله: "القرينة: أمر يشير إلى المطلوب"[12]، وعرفها البركتي بأنها ما يدل على المراد من غير أن يكون صريحا[13].

وعليه يمكن أن يقال إن القرينة هي الأمارة أو العلامة التي تصاحب الحادثة ليستدل بها على الحكم.

ومن جملة القرائن في الإثبات الجنائي: قرينة الحمل من غير زوج، ونكول الزوجة عن اللعان في جريمة الزنا، وقرينة رائحة الخمر في الفم والقيء في جريمة السكر، والتعريض في جريمة القذف.

المبحث الثاني: الإثبات بقرينة الحمل من غير زوج في جريمة الزنا.

إذا ظهر حمل بامرأة من غير زوج، فقد اختلف الفقهاء في إثبات جريمة الزنا بذلك، فذهب الحنفيّة والشافعيّة والمشهور عند الحنابلة والظاهريّة إلى عدم ثبوت الزنا بها[14]، وذهب المالكيّة وهو قول عند الحنابلة إلى ثبوت الزنا بهذه القرينة، وبه جزم ابن تيمية وابن القيّم، ويرى المالكيّة أنّها تُحدّ إذا أتت به كاملاً دون ستّة أشهر من العقد، وألاّ تكون غريبة وألاّ تظهر عليها أمارات الإكراه بأن تأتي مستغيثة أو صارخة أو تُدْمي[15]، وهذه أدلّة كلّ من الفريقين وبيان الاختيار والترجيح مع إبراز السلطة التقديرية للقاضي في هذه القرينة.

المطلب الأوّل: أدلّة القائلين بثبوت الزنا بهذه القرينة[16]ومناقشتها.

استدلّ المالكيّة والحنابلة في قول على مذهبهم بالأثر والمعقول.

فمن الأثر:

1) عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما قال: قال عمر رضي الله عنه: "...إنّ الله بعث محمّدا بالحقّ، وأنزل عليه الكتاب، فكان ممّا أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلّوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حقّ على من زنا إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البيّنة أو كان الحَبَل أو الاعتراف"[17].

2) عن الشعبي قال: "جيء بشُراحة الهمدانية إلى عليّ رضي الله عنه، فقال لها: ويلك! لعلّ رجلا وقع عليك وأنت نائمة، قالت: لا، قال: لعلّه استكرهك؟ قالت: لا، قال: لعلّ زوجك من عدوّنا هذا أتاك فأنت تكرهين أن تدلي عليه؟ يُلقِّنها لعلّها تقول: نعم، فأمر بها فحبست، فلمّا وضعت ما في بطنها أخرجها يوم الخميس، فضربها مائة، وحفر لها يوم الجمعة في الرحبة وأحاط الناس بها، وأخذوا الحجارة، فقال: ليس هكذا الرجم! إذاً يصيب بعضكم بعضا، صفّوا كصفّ الصلاة، صفّا خلف صفّ، ثمّ قال: أيّها الناس، أيّما امرأة جيء بها وبها حبل أو اعترفت فالإمام أوّل من يرجم، ثمّ الناس، وأيّما امرأة جيء بها أو رجل زان فشهد عليه أربعة بالزنا فالشهود أوّل من يرجم، ثمّ الإمام، ثمّ الناس، ثمّ رجمها ثمّ أمرهم فرجم صفّ، ثمّ صفّ، ثمّ قال: افعلوا بها ما تفعلون بموتاكم"[18].

وجه الدلالة منهما: ظاهر في أنّهما قالا ذلك بحضور الصحابة رضي الله عنهم ولم يعارضهما أحد فكان إجماعاً.

وأجيب عنه من وجهين:

الأوّل: أنّه من أقوال الصحابة رضي الله عنهم، وكونهما قالا ذلك في مجمع الصحابة رضي الله عنهم ولم ينكر عليهما لا يلزم منه أن يكون إجماعاً، لأنّ الإنكار في مسائل الاجتهاد غير لازم للمخالف[19].

الثاني: أنّه قد وردت آثار عن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم تدلّ على عدم اعتبار الحمل دليلا على الزنا، وهي أدلّة الفريق الثاني.

ومن المعقول:

استدلّوا بأنّه إذا وجب إقامة الحدّ بشهادة الشهود فكذلك تجب إقامته بالحمل، لأنّ الشهود يشهدون على الظاهر، والظاهر من الحمل أنّه من الزنا.

المطلب الثاني: أدلّة القائلين بعدم ثبوت الزنا بهذه القرينة[20]

استدلّ جمهور الفقهاء على عدم ثبوت الزنا بهذه القرينة بالأثر.

1) بما ورد عن عليّ رضي الله عنه في قصّة شراحة، وفيها أنّه سألها: "لعلّ رجلا وقع عليك وأنت نائمة؟... لعلّه استكرهك..." فلم يحدّها بمجرّد ظهور الحمل.

2) وعن عمر رضي الله عنه أنّه أُتِيَ بامرأة حبلى ومعها قومها، فأثنوا عليها بخير، فقال عمر رضي الله عنه: أخبريني عن أمرك، قالت: يا أمير المؤمنين، كنت امرأة أصيب من هذا الليل، فصلّيت ذات ليلة، ثمّ نمت وقمت ورجل بين رجليّ، فقذف فيّ مثل الشهاب، ثمّ ذهب...فخلىّ سبيلها، وكتب إلى الآفاق ألاّ تقتلوا أحداً إلاّ بإذني"[21] فهذه الآثار تدلّ على أنّ الصحابة رضي الله عنهم لم يعتبروا الحمل لوحده دليلا على الزنا.

المطلب الثالث: الاختيار والترجيح.

من خلال عرض أدلّة الفريقين يظهر أنّ قرينة الحمل لوحدها لا تكفي لإثبات الزنا، بل لا بد من عدم الشبهة القويّة الحاصلة مع هذه القرينة، وبهذا يمكن التقريب بين المذهبين بأن يقال: إنّ قرينة الحمل غير كافية بمفردها، ما لم يدلّ دليل على أنّ الحمل كان برضى المرأة من غير شبهة.

ثمّ إنّ المرأة قد تحمل من غير عملية الاتصال الجنسي، وهذا أمر معروف عند فقهاء الإسلام في الماضي[22].

فبالنظر إلى هذه الاعتبارات واعتبار أنّ الحمل قد يكون من غير رضى المرأة، كأن تكون مكرهة أو نائمة أو مضطرّة أو غيرها من الشبهات التي قد تعترض هذه القرينة فإنّه لا يمكن اعتبار الحمل دليلا قويّا ما لم يكن مصحوبا بشبهة قويّة.

المطلب الرابع: السلطة التقديرية للقضاء في الإثبات بقرينة الحمل

بناء على ما سبق فمن اللازم أن تكون هذه الشبهات التي تحوم حول هذه القرينة قويّة مستندة، وتقدير قوّتها يرجع إلى سلطة القاضي الذي ينظر في الظروف التي حفّت بالحادثة، وما تعلّق بها من ملابسات وما انتابها من أحوال، وقد ظهر العمل بهذا جليا في أقضية الخلفاء الراشدين التي جاء فيها ما يدل على ذلك على النحو الآتي:

- قضاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ إذ لم يقبل قرينة حمل المرأة بمفردها، بل سأل قومها عن حالها وصلاحها، وسمع ادّعاء المرأة بأنها كانت نائمة، ثم إنه رضي الله عنه لم يقم الحدّ عليها بعدما تبيّن له صدقها، وهذا عمل بالسلطة التقديرية في الإثبات الجنائي بهذه القرينة.
- قضاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ حيث إنه كذلك لم يحدها بمجرد قرينة الحمل بمفردها، وأخذ يستفسر من المرأة، وعن ملابسات الحادثة وظروفها، وعن أحوال قد تعرض للمرأة تؤثر على إرادتها وقصدها.

ولا يعني ذلك أنّ كلّ من جاءت بحمل من غير زوج وادّعت شبهة أنّه يقبل قولها، بل ذلك يختلف باختلاف النساء من حيث الصدق والصلاح، ويختلف من حادثة إلى أخرى، وللقاضي حينئذ سلطة تقديريّة واسعة في هذا المجال.

المبحث الثالث: الإثبات بنكول الزوجة عن اللعان في جريمة الزنا.

إذا قذف الزوج زوجته بالزنا ولم يكن له بيّنة، فإنّه يلاعن زوجته بأن يشهد أربع شهادات بالله إنّه من الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، فإذا فعل ذلك، فإنّ الزوجة تُطالب أيضا-بالملاعنة-فإذا رفضت، فهل يُعدّ رفضها ونكولها عن اللعان دليلا على ثبوت الزنا في حقّها؟ اختلف الفقهاء في ذلك على قولين: فذهب المالكيّة والشافعيّة والظاهريّة إلى إقامة الحدّ عليها بنكولها، وانتصر ابن القيّم لهذا الرأي[23].وذهب الحنفيّة والحنابلة إلى عدم إقامة الحدّ، وأنّها تحبس حتّى تُلاعن أو تعترف بالزنا[24].

وسأعرض أدلّة كلّ من الفريقين مع بيان الاختيار والترجيح وإظهار السلطة التقديرية القضائية في هذه القرينة.

المطلب الأوّل: أدلّة المالكيّة والشافعيّة والظاهريّة[25]

استدلّوا على إقامة الحدّ بالنكول عن اللعان بالكتاب والمعقول.

فمن الكتاب:

قوله تعالى:**((وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ))**[26].

وجه الدلالة منها: أنّ العذاب المذكور هنا هو العذاب المذكور في أوّل سورة النور: **((وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ))**[27]، وأضافه في الأوّل، وعرّفه في الثاني، فدلّ على أنّه واحد، فأفاد أنّ نكولها مستوجب للحدّ.

وأجيب عنه: بأنّ المقصود بقوله تعالى: **((وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ))** الحبس، وليس الحدّ، بدليل أنّ الحبس قد يسمّى عذاباً، ولأنّ دفع العذاب يقتضي توجه العذاب لا وجوبه[28].

ومن المعقول:

استدلّوا بأنّ لعان الزوج قام مقام الشهود، فوجب أن يترتّب عليه إقامة الحدّ، كما هو في شهادة الشهود، لاسيما وقد قابله نكولها عن اللعان.

المطلب الثاني: أدلّة الحنفيّة والحنابلة[29]

استدلّوا على عدم إقامة الحدّ بالنكول عن اللعان بالمعقول من ثلاثة وجوه:

الوجه الأوّل: إنّها لو أقرّت بلسانها ثمّ رجعت لم يجب عليها الحدّ، فلئن لا يجب بمجرّد نكولها عن اليمين أولى.

الوجه الثاني: احتمال نكولها قد يكون لفرط حيائها وعجزها عن النطق باللعان في مجمع الناس.

الوجه الثالث: إنّ نكول المرأة عن اللعان إمّا أن يجري مجرى البدل، والحدود لا تقام بالبدل بل بالأصل، وإمّا أن يجري مجرى الإقرار، ونكولها غير صريح لأنّه يشترط في الإقرار التصريح، فيكون في هذا الإقرار شبهة فلا يقام الحدّ.

المطلب الثالث: الاختيار والترجيح.

بعد عرض أدلّة الفريقين فإنّي أختار أنّ نكول الزوجة عن اللعان ليست قرينة قاطعة على ثبوت زناها، وذلك للاعتبارات الآتية:

1) معلوم أنّ الإثبات في الحدود يخضع إلى التشدّد في ذلك من غير شبهة، فكيف يُقضى بالنكول الذي لا يُقضى به في شيء من العقوبات، ويعتبر حجّة في أعظم الأمور وأبعدها ثبوتا وأسرعها سقوطا؟!

2) كثير من الفقهاء لا يوجبون غرم المال بالنكول، فكان بالأولى ألا يجب الحدّ بذلك[30].

3) وأمّا استدلال المجيزين لهذا الطريق فهو قائم على دليلين محتملين، الأوّل منهما: لفظ "العذاب" وهو لفظ: مشترك، وإن كان سياق الآية يفيد الحدّ، لكنّه غير

صريح، والثاني، أنّ إيجاب الحدّ عليها بناءً على مفهوم المخالفة من الآية، ومعلوم أنّ قاعدة الإثبات في الحدود لا تكون إلاّ بالبيّنة العادلة أو الإقرار، وأنّ دلالتهما على الزنا دلالة قطعيّة الثبوت من غير احتمال، فضلا على أنّهما طريقان قويّان للدلالة على الزنا، وهذا كلّه لا يوجد في النكول عن اللعان لأنّه مختلف في حجّيتها في الإثبات، لفقدان شرط التصريح، ووجود الشبهة حولها، ولتطرّق الاحتمال في استدلال المجيزين لها، فكانت على خلاف الأصل السابق في إثبات الجرائم الحدّيّة.

المطلب الرابع: السلطة التقديرية للقضاء في قرينة النكول عن اللعان

بناء على ما سبق فإن سلطة القاضي في تقدير هذه القرينة ترجع إلى الاستفسار ومحاولة التعرف على الأسباب التي دفعت المرأة إلى النكول عن اللعان، لاسيما وأن الأمر يتعلق بإثبات الحد بهذه القرينة التي تحوم حولها شبهات تجعلها لا ترقى إلى درجة وسائل الإثبات المعروفة، كما أن الأمر قد يختلف من واقعة إلى أخرى، وباختلاف الأحوال والظروف الملابسة لهذه القضايا، فتظهر فيها سلطة القاضي في تقدير جدوى الإثبات بهذه الوسيلة.

المبحث الرابع: الإثبات بقرينة رائحة الخمر في الفم والقيء.

اختلف الفقهاء فيمن وُجدت منه رائحة الخمر أو قاءها، فذهب المالكيّة والحنابلة في رواية إلى أنّ حدّ الخمر يثبت بذلك[31].

وذهب الحنفيّة والشافعيّة والحنابلة في الرواية الأخرى إلى أنّه لا يثبت حدّ الخمر على من وُجدت منه رائحة الخمر أو قاءها[32]، وهذه أدلّة كلّ من الفريقين ومناقشتها مع الترجيح والاختيار والسلطة التقديرية للقاضي في هذه القرينة.

- المطلب الأوّل: أدلّة القائلين بإثبات حدّ الخمر بهذه القرينة[33] ومناقشتها.

استدلّ المالكيّة والحنابلة في رواية على مذهبهم بالأثر والمعقول.

فمن الأثر:

1) عن عثمان بن عفّان رضي الله عنه أنّه أُتي برجل قد صلّى الصبح ركعتين: ثمّ قال: "أزيدكم" فشهد عليه رجلان أحدهما: أنّه شرب الخمر وشهد آخر أنّه قاءها، فقال عثمان: ما قاءها حتّى شربها: فقال: يا عليّ قم فاجلده، فقال عليّ: قم يا حسن فاجلده، فقال الحسن: "وَلِّ حارَّها من تولّ قارَّها"[34] (فكأنّه وجد عليه)، فقال: قم يا عبد الله بن جعفر فاجلده، فجلده وعليّ يعدّ فلمّا بلغ أربعين قال: أمسك، ثمّ قال: جلد النبيّ

صلى الله عليه وسلم أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكلّ سنّة، و هذا أحبّ إليّ"[35]. **وجه الدلالة منه:** إنّ هذا كان بمحضر من علماء الصحابة وسادتهم رضي الله عنهم، فدلّ على إثبات حدّ الخمر بقرينة القيء.

وأجيب عنه: بأنّ هذه الرواية ضعيفة[36].**واعترض عليه:** بأنّ هذا الحديث قوّاه البخاري، وإخراج مسلم له دليل على أنّ راويه من المقبولين[37].

2) عن السائب بن يزيد رضي الله عنه: أنّ عمر رضي الله عنه خرج عليهم فقال: "إنّي وجدت من فلان ريح شراب، فزعم أنّه شرب الطلاء[38] وإنّي سائل عمّا شرب فإن كان مسكراً جلدته، فجلده عمر الحدّ تاماً"[39].**وجه الدلالة منه:** أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه حكم بإثبات حدّ الخمر بقرينة الرائحة.

وأجيب عنه: بأنّه لم يحدّه بوجود الرائحة، ولو وجب ذلك لبادر إليه عمر رضي الله عنه، وإنّما سأل حين شمّ الرائحة فاعترف بشربه فحدّه باعترافه[40].

3) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّه قرأ سورة يوسف: فقال رجل: "ما هكذا أنزلت، قال: قرأتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (**أحسنتَ**). ووجد منه ريح الخمر، فقال: أتجمع أن تكذّب بكتاب الله وتشرب الخمر، فضربه الحدّ"[41].

وجه الدلالة منه: أنّ ابن مسعود رضي الله عنه جلد رجلا وجد منه رائحة الخمر.

4) أُتِيَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقدامة بن مظعون قد شرب خمراً، وشهد عليه بعض الشهود أنّه تقيّأها فجلده عمر رضي الله عنه الحدّ[42].**وجه الدلالة منه:** ظاهر في إثبات الحدّ بقرينة القيء.

ومن المعقول:

إنّ الرائحة والقيء معنى يُعلم به صفة ما شرب المكلّف وجنسه، فوجب أن يكون طريقا إلى إثبات الحدّ، وأصل ذلك أنّ وجدان الريح من الشارب أقوى من معرفة نوع المشروب من الرؤية، لأنّ الرؤية لا يُعلم بها الشراب المسكر هو أم لا وإنّما يعلم ذلك برائحته.

- المطلب الثاني: أدلّة القائلين بعدم إثبات حدّ الخمر بقرينة الرائحة والقيء[43]ومناقشتها.

استدلّ الحنفيّة والشافعيّة والحنابلة في الرواية الأخرى على مذهبهم بالسنّة والأثر والمعقول.

فمن السنّة:

1) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "شرب رجل فسكر، فلُقي يميل في الفجّ، فانطُلق به إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فلمّا حاذى بدار العبّاس انفلت فدخل على العبّاس فالتزمه، فذكر ذلك للنبيّ صلى الله عليه وسلم فضحك وقال: **أَفَعَلَهَا**، ولم يأمر فيه بشيء"[44].

وجه الدلالة منه: أنّه لم يكن ثبت عليه الحدّ بإقرار منه أو شهادة عدول وإنّما لُقي في الطريق يميل فظُنّ به السكر، فلم يحدّ بمجرّد ذلك.

وأجيب عنه: بأنّ حديث ابن عبّاس كان قبل أن يشرع الجلد، ثمّ شرع الجلد[45].

واعترض على هذا الجواب: بأنّ دعوى النسخ تحتاج إلى علم بالتاريخ، ولا دليل على ذلك.

2) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه كان إذا وجد من رجل ريح شراب جلده جلدات إن كان ممّن يدمن الشراب، وإن كان غير مدمن تركه[46].

وجه الدلالة منه: يدلّ على أنّه ما كان يجلد من يشمّ منه رائحة الخمر الحدّ الكامل، بل كان يجلده جلدات إذا كان مدمنا، ومن كان غير مدمن تركه.

3) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنّه استشير-وهو أمير الطائف–في الريح أيجلد فيها، فكتب أنّه إذا وجدتها من المدمن وإلّا فلا[47].

4) وعنه رضي الله عنهما: أنّ قاضي الطائف أُتي برجل يوجد منه ريح الخمر فأراد أن يضربه، فقال: " إنّما أكلت فاكهة"، فكتب إلى ابن الزبير رضي الله عنهما، فقال: "إن كان من الفاكهة ما يشبه ريح الخمر فادرأ عنه الحدّ"[48].

وجه الدلالة منهما: واضح في عدم الجلد بمجرّد رائحة الخمر لاحتمال الشبهة.

ومن المعقول:

إنّ وجود رائحة الخمر لا يدلّ على شرب الخمر لجواز أنّه تمضمض بها ولم يشربها، أو شربها عن إكراه، أو مخمصة، وكذلك من تقيّأها، وقد يوجد ريح الخمر من غير الخمر، ومع هذه الاحتمالات لا يثبت الشرب بيقين فينتفي الحدّ، والحدود تدرأ بالشبهات.

- المطلب الثالث: الاختيار والترجيح.

بعد عرض أدلّة كلّ فريق ومناقشتها، فالذي يبدو أنّ القيء ورائحة الخمر قرينتان عمل بهما الصحابة رضي الله عنهم في إثبات هذه الجريمة، ولكن لا يقتصر عليها؛ بل لا بدّ من

معرفة أنّ شرب المسكر لم يكن لشبهة إكراه أو اضطرار أو غلط، وفي هذا جواب على القائلين بالمنع لاحتمال الشبهة.

- المطلب الرابع: السلطة التقديرية للقضاء في الإثبات بقرينة القيء ورائحة الخمر

لا يخفى أنّ في الإثبات بهذه القرينة سلطة تقديرية واسعة للقاضي، وهذا عن طريق الاستفسار عن الملابسات وظروف الجريمة، ويتضح هذا جليا في بعض أقضية الصحابة رضي الله عنهم؛ إذ كان العمل بهذه السلطة في أقضية الخليفة عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم؛ حيث إنهما اعتمدا قرينة الرائحة في حال من عرف بالإدمان على تناول المسكر، ولم يعتبرا مجرد الرائحة المشابهة من غير المدمن، بالإضافة إلى حكم عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما لما قال: "إن كان من الفاكهة ما يشبه ريح الخمر فادرأ عنه الحدّ"، ففي توجيه إلى استعمال سلطة القاضي في تقدير صحة العمل بهذه القرينة.

وفي هذا العصر يمكن للسلطة القضائية الاستعانة بالتقارير الطبية للتحاليل المخبريّة على الريق أو القيء أو الدم أو غيرها ممّا يتوصل به إلى إثبات شرب المسكر، ويبقى النظر بعد ذلك في ملابسات الحادثة والظروف المحيطة بها.

المبحث الخامس: إثبات حدّ القذف بالتعريض[49]

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على مذهبين: ذهب الحنفيّة والشافعيّة والحنابلة في رواية والظاهريّة إلى عدم وجوب الحدّ بالتعريض[50]، وذهب المالكيّة والحنابلة في الرواية الأخرى إلى وجوب الحدّ بالتعريض[51] فسأذكر أدلّة المالكيّة والحنابلة في إحدى الروايتين ومناقشتها، وأورد أدلّة الحنفيّة والشافعيّة والحنابلة في الرواية الأخرى والظاهريّة مع مناقشتها، ثم أذكر الاختيار والترجيح، وأوضح السلطة التقديرية للقاضي في هذه القرينة.

المطلب الأوّل: أدلّة القائلين بوجوب الحدّ بالتعريض[52]ومناقشتها.

استدلّ المالكيّة والحنابلة في الرواية الأولى على مذهبهم بالكتاب والأثر والمعقول:

فمن الكتاب:

قوله تعالى: **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا))**[53].

وجه الدّلالة منه: أنّ الكفّار كانوا يقولون راعنا من الرعونة، وهذا تعريض، فنهى عن التعريض.

وأجيب عنه من وجوه:

- **الأوّل:** هذا الاستدلال في غير محلّه، لأنّه لا خلاف في أنّ التعريض غير جائز وإنّما الخلاف فيما إذا كان فيه الحدّ أو لا.
- **الثاني:** أنّ الله سبحانه وتعالى لم يحدّ الذين عرّضوا بهذا التعريض فكيف يحتجّون بها في إيجاب الحدّ.
- **الثالث:** أنّ الله سبحانه وتعالى إنمّا نهى عن قول راعنا من لا يظنّ به تعريض أصلًا وهم الصحابة رضي الله عنهم، فصحّ يقيناً أنّه لم ينه عن لفظة راعنا من أجل التعريض[54].

ومن الأثر:

1) ما رواه مالك في الموطّأ أنّ رجلين استبّا في زمن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فقال أحدهما للآخر والله ما أبي بزانٍ، ولا أمّي بزانية، فاستشار في ذلك عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فقال قائل: مدح أباه وأمّه وقال آخرون: قد كان لأبيه وأمّه مدح غير هذا، نرى أن تجلده الحدّ، فجلد عمر الحدّ ثمانين[55].

2) وعن عثمان بن عفّان رضي الله عنه أنّه جلد في التّعريض[56].

وجه الدّلالة منهما: أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه جلد من عرّض بحضرة الصحابة، فدلّ على إيجاب الحدّ فيه، وبه قضى عثمان رضي الله عنه.**وأجيب عنه:** بأنّه قد ورد ما يدلّ على أنّ بعض الصحابة رضي الله عنهم لم يعتبر التّعريض قذفاً موجباً للحدّ.

- فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "لا حدّ إلاّ على رجلين: رجل قذف محصنة أو نفى رجلًا من أبيه وإن كانت أمّه أمةً"[57]. فهذا حصر يقتضي إخراج التّعريض من حكم الحدّ.
- وعن معاذ بن جبل، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم قالا جميعًا: "ليس يحدّ إلّا في الكلمة التي لها مصرف وليس لها إلاّ وجهٌ واحدٌ"[58].
- وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "إذا بلغ الحدّ لعلّ وعسى فالحدّ معطّل"[59].وأورد ابن حزم رواية عن عمر رضي الله عنه ليس فيها إلاّ أنّه ضرب الذي عرّض بالقذف، كما أنّه درأ الحدّ عمّن عرّض بالقذف في حادثة أخرى[60].

ومن المعقول من ناحيتين:

الأولى: استدلّوا بأنّ الكناية مع القرينة الصارفة إلى أحد محتملاتها كالصريح الذي لا يحتمل إلاّ ذلك المعنى، ولذلك وقع الطلاق بالكناية.

ويمكن أن يجاب عن هذه الناحية بما سيأتي في أدلّة المخالفين من أنّ هذا يكون في غير الحدود، التي تدرأ بالشبهات، ذلك لأنّ التعريض بالقذف محتمل ولا حدّ مع الاحتمال.

الثانية: احتجّوا بأنّ موضوع الحدّ في القذف إنّما هو لإزالة المعرّة التي أوقعها القاذف بالمقذوف، والمعرّة حاصلة بالتعريض فوجب أن يكون قذفاً.

ويمكن أن يجاب عن ذلك بأنّ المعرّة الحاصلة بالقذف صراحة ليست كالتي تلحق المقذوف تعريضًا فتزول الأولى بالحدّ وتزول الأخرى بالتعزير فافترقا.

المطلب الثاني: أدلّة القائلين بعدم إثبات الحد بالتعريض[61] ومناقشتها

استدلّ الحنفيّة والشافعيّة والحنابلة في الرواية الأخرى والظاهريّة بالكتاب والسنّة والإجماع والمعقول.

فمن الكتاب:

قوله سبحانه وتعالى: **((وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ))** [62].

وجه الدلالة منه: أنّ الله سبحانه وتعالى فرّق بين التصريح والتعريض في خطبة المتوفّى عنها زوجها، فحرّم التصريح وأباح التعريض، فكذلك القذف يختلف فيه حكم التصريح عن حكم التعريض.

وأجيب عنه: بأنّ التعريض بالخطبة جائز لأنّ النكاح لا يكون إلاّ بين اثنين، فإذا صرّح بالخطبة وقع عليه الجواب بالإيجاب أو الوعد فمنع، وإذا عرّض فأفهم أنّ المرأة من حاجته لم يحتج إلى جواب، والتعريض بالقذف يقع من الواحد ولا يفتقر إلى جواب، فهو قاذف من غير أن يخفيه عن أحد فقام مقام التصريح[63].

واعترض على هذا الجواب: بأنّه يعكّر عليه أنّ الحدّ يُدفع بالشبهة، والتعريض يحتمل الأمرين، بل عدم القذف فيه هو الظاهر وإلاّ لما كان تعريضاً، ومن لم يقل بالحدّ في التعريض يقول بالتأديب فيه، لأنّ في التعريض أذى المسلم[64].

ومن السنّة:

1) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه أعرابي فقال: يا رسول الله إنّ امرأتي ولدت غلاماً أسودَ، فقال: **هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ**، قال نعم، قال:

مَا أَلْوَانُهَا، قال: حُمْرٌ قال: **هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ**[65]، قال نعم، قال: **فَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ**، قال: أُراهُ عرق نَزَعَهُ، قال: **فَلَعَلّ ابْنكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ"**[66]. **وجه الدلالة منه:** لم يعتبر هذا قذفاً مع أنّه تعريض بزنا زوجته.**وأجيب عنه**[67]**من وجهين: الأوّل:** هذا الأعرابيّ جاء مستفتيًا ولم يُرِدْ بتعريضه القذف، والتعريض إذا كان على جهة السؤال لا حدّ فيه. **الثاني:** فرق بين الزوج والأجنبي في التعريض، إذ إنّ الأجنبي يقصد الأذيّة المحضة والزوج قد يعذر بالنسبة إلى صيانة النسب.

2) عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما قال: "جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنّ عندي امرأة هي من أحبّ الناس إليّ، وهي لا تمنع يد لامس، فقال: **طَلِّقْهَا**، قال: لا أصبر عليها، قال: **اسْتَمْتِعْ بِهَا** "[68].

وجه الدّلالة منه: أنّه عرّض بقذف زوجته ولم يوجب عليه النبيّ صلى الله عليه وسلم حدًّا ولا لعانًا.**وأجيب عنه من وجوه: الأوّل:** عدم التسليم بصحّته[69]. **الثاني:** على فرض صحّته فلا يمكن حمله على تعريضه بقذف زوجته بالزنا لقوله عزّ وجلّ في نكاح الزانية: **((وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ))**[70]، ولأنّه صلى الله عليه وسلم لا يأمر الرجل أن يكون ديّوثا، فيكون قول الرجل: "لا تمنع يد لامس" كناية على أنّها ليس فيها نفور وحشمة من الأجانب، لا أنّها تأتي الفاحشة[71].

الثالث: أنّ التعريض إنّما كان على جهة السؤال فلا حدّ فيه كما سبق.

3) عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لَوْ كُنْتُ رَاجِمًا أَحَدًا بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ لَرَجَمْتُ فُلاَنَة، فَقَدْ ظَهَرَ مِنْهَا اَلرِّيبَةُ فِي مَنْطِقِهَا وَهَيْئَتِهَا وَمَنْ يَدْخُلُ عَلَيْهَا**» [72].**وجه الدّلالة منه:** قوله صلى الله عليه وسلم: «**لَوْ كُنْتُ رَاجِمًا ...**» تعريض صحيح.

الجواب عنه: يمكن أن يجاب على هذا الاستدلال بأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم صادقٌ فيما أخبر وليس كغيره من الناس، وإنّما أراد تعليم أمّته أنّه يجب التثبّت في نسبة الزِنى بغير بيّنة، وتعريضه بذلك صدق بخلاف تعريض غيره ممّن لا يتبيّنون في قذفهم.

ومن الإجماع:

ما قرّره ابن حزم لمّا قال: "وأمّا طريق الإجماع فإنّ الأمّة كلّها لا تختلف والمالكيّون في جملتهم على أنّ من أظهر السوء من رجل أو امرأة، كانفراد الأجنبيّين، ودخول الرجل

منزل المرأة تستّرًا، فواجب على المسلمين إنكار ذلك، ورفعه إلى الإمام، وهذا بيقين تعريض، وإلا فأيّ شيء ينكرون من ذلك[73].

ومن المعقول:

احتجّوا بأنّ الكناية محتملة، والحدّ لا يجب مع الشبهة فمع الاحتمال أولى.

- المطلب الثالث: الترجيح والاختيار.

بعد عرض أدّلة كلّ فريق ومناقشتها يبدو أنّ سبب الخلاف يرجع إلى مسألة أخرى وهي هل حدّ القذف حقّ للعبد فيراعى فيه حقّ المقذوف فيقال: يجب الحدّ دفعًا للمعرّة عن المقذوف وبهذا قال المالكيّة والحنابلة في إحدى الروايتين، أم أنّه حقّ لله تعالى كسائر الحدود فيدرأ بالشبهة، إذ التعريض فيه احتمال والحدّ لا يقام مع الاحتمال، وبهذا قال جمهور الفقهاء.

لكن المالكيّة يأخذون بمبدأ درء الحدود بالشبهات، ولكنّهم لم يأخذوا به هنا لوجهين:

- **الوجه الأوّل:** أنّ حدّ القذف يغلب فيه حقّ المقذوف على أحد القولين في المذهب، ودرء الحدّ بالشبهة لصالح القاذف، فلم يأخذوا بالشبهة المحتملة في التعريض تغليباً لذلك.
- **الوجه الثاني:** أنّ حدّ القذف إنّما هو لإزالة المعرّة التي تلحق بالمقذوف ولو تعريضًا، ولذلك كان جانب إزالة المعرّة أقوى من جانب درء الحدّ بالشبهة المحتملة.

لكن إزالة المعرّة عن المقذوف تعريضًا تحصل بالزجر بالتأديب تعزيرًا لا بمجرّد حدّ القذف، فيتقوّى بذلك جانب درء الحدّ بالشبهة المحتملة في التعريض.

ثمّ إنّ هذا الوصف وهو إزالة المعرّة لا يكاد يكون منضبطا إذ قد توجد المعرّة ولا يوجد الحدّ، كما لو ثبت الزنا على المقذوف وحُدّ فيه حدّ الزنا، فتلحقه المعرّة بهذا القذف ولا يجب الحدّ على القاذف ويستحقّ التأديب، بل قد تلحق المعرّة بالمقذوف تعريضًا ولا يكون في ذلك حدّ ولا تأديب، بل يكون من قبيل إزالة المنكر كما ذكره ابن حزم في دليل الإجماع، وكذلك لم يجب الحدّ بتعريض الزوج بنفي ولده كما في حديث الأعرابي.

وأقوى ما استدلّ به المثبتون هو فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحضرة الصحابة رضي الله عنهم لكن وقع الاختلاف ابتداءً، وكذلك ورد ما يدلّ على خلاف ما قضى به عمر رضي الله عنه عن الصحابة رضي الله عنهم، ومناقشة ابن حزم لاستدلالهم بالأثر قويّة.

وأقوى دليل استدلّ به الجمهور هو حديث الأعرابي، وأجاب عنه المالكيّة بأنّ هذا الصحابي جاء مستفتيا وأنه يفرق بين الزوج والأجنبي في ذلك.

والذي يبدو أنّ هذا الجواب غير قويّ لأنّ هلال بن أميّة رضي الله عنه جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم مستفتيًا مصرّحًا بقذف زوجته، وقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم: **«البَيِّنَةُ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ»**[74] وهو حدّ القذف، بخلاف حديث الأعرابي الذي عرّض بالقذف، فالأوّل أوجب عليه الحدّ والثاني لم يوجب عليه الحدّ، ولا فرق بينهما إلاّ أنّ الأوّل صَرَّحَ والثاني عرّض.

وعليه فإنّ الأظهر عدم إيجاب الحدّ بالتعريض لكن يشرع فيه التعزير والتأديب.

- المطلب الرابع: السلطة التقديرية للقاضي في إثبات حد القذف بالتعريض

بناء على ما سبق، فإن إثبات حد القذف بقرينة التعريض فيه الاحتمال، والحد لا يقام مع الاحتمال، لكن للقاضي سلطة تقديرية في هذا المجال، تتعلق بالنظر في التعريض من حيث معاني الألفاظ المستعملة التي يرجع فيها إلى أعراف الناس وعاداتهم في المخاطبات؛ إذ مراعاة أعراف المخاطبين في الألفاظ والكنايات معتبر في باب الأحكام القضائية، وللقاضي الاستفسار من الطرفين، والنظر في ظروف وقوع التعريض وملابساته وأسبابه، وما يتعلق بالخصومة والنزاع في هذا المجال؛ ليصل إلى ما يراه مناسبا قضاء.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث مع التوصيات.

أولا: نتائج البحث

1. إثبات الجرائم بالقرائن يعتريه الشبهات والاحتمالات، والحكم على قوة الشبهة أو تأثيرها في الإثبات يرجع إلى السلطة التقديرية للقاضي.
2. تأكيد ضرورة توفر شروط الاجتهاد في القاضي في التشريع الجنائي الإسلامي، خاصة ما تعلق منها بالعلم بمقاصد الشريعة الإسلامية ومرامها وأهدافها.
3. حاجة القاضي إلى هذا النوع من السلطة نظرا للاختلاف في الوقائع والتنوع في الحوادث مع ما يحيط بها من ملابسات وظروف.
4. من الأسس التي تقوم عليها السلطة التقديرية القضائية في الإثبات بالقرائن المحاورة والاستفسار والأسئلة مع أطراف الجناية، وقد ظهر جليا في العمل القضائي في عصر الخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله عنهم.
5. أهمية مراعاة السلطة القضائية للأعراف والعوائد في الاستعمالات اللفظية في جرائم القذف خصوصا، وتقدير ما يتعلق بالقرائن المقالية والحالية في النزاع والخصومة.
6. مع قول جمهور الفقهاء بمبدأ درء الحدود بالشبهات، إلا أنه وجد الاختلاف الفقهي في الإثبات بالقرائن التي فيها الاحتمال لأسباب فقهية أخرى لا تؤثر على هذا المبدأ.

ثانيا: التوصيات

1. ضرورة توجيه الباحثين المتخصصين في التشريع الجنائي الإسلامي إلى الاهتمام بدراسة ما يتعلق بالمنظومة القضائية، من حيث أنواع السلطة القضائية وأسس كل نوع وأحكامها في الشريعة الإسلامية.
2. عقد الندوات العلمية والمؤتمرات الدولية والوطنية المتخصصة لمعالجة هذه المواضيع، ومما يمكن اقتراحه كعناوين لهذه الملتقيات:

- السلطة القضائية في التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقوانين الإقليمية أو الدولية (الخصائص والمميزات)
- الإثبات القضائي (خصائصه، مجالاته، إشكاليات الفهم والتطبيق)

- التخصص القضائي الجنائي وتطويره (قضاء الجرائم المنظمة والعابرة للقارات كالإرهاب وترويج المخدرات واختطاف الأطفال وغيرها، استعمال وسائل الإعلام الجديد وتقنياته في القضاء الجنائي...).
- التدابير العقابية والجزائية لمكافحة الجريمة المنظمة في التشريع الجنائي الإسلامي.

3. إنشاء مراكز بحوث متخصصة في هذا المجال، مع الاهتمام بالدراسات التي تظهر أسبقية التشريع الجنائي الإسلامي لتقرير كثير من أسس القضاء ومبادئه التي توصل إليها القضاء المعاصر.

والحمد لله رب العالمين.

- الهوامش:

(1) سورة النساء: 90.

(2) انظر: لسان العرب لابن منظور (320/7)؛ والقاموس المحيط للفيروز آبادي (ص671).

(3) انظر: السلطة القضائية في الإسلام لشوكت عليان، (ص86).

(4) انظر: لسان العرب لابن منظور (74/5)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي (ص460).

(5) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص106).

(6) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني (ص74)، ولسان العرب لابن منظور (19/2)، والمصباح المنير للفيومي (ص31)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي (ص190).

(7) موسوعة جمال عبد الناصر في الفقه الإسلامي، يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (136/2).

(8) انظر: التعريفات للجرجاني (ص13).

(9) انظر: لسان العرب لابن منظور (154/14).

(10) التعريفات للجرجاني (ص83) التوقيف على مهمات التعاريف (ص131)؛ والتعريفات الفقهية للبركتي (ص72)

(11) انظر: لسان العرب لابن منظور (336/13)؛ والقاموس المحيط للفيروز آبادي (ص1224).

(12) انظر التعريفات للجرجاني (ص175).

(13) انظر: التعريفات الفقهية للبركتي (ص173).

(14) للحنفيّة انظر: حاشية ابن عابدين (142/3)، حيث حصر أدلّة إثبات الزنا في الإقرار والبيّنة؛ وللشافعيّة انظر: مغني المحتاج للشربيني (146/4)؛ وللحنابلة انظر: المغني لموفق الدين ابن قدامة

المقدسي (192/10)، مع الشرح الكبير لشمس الدين ابن قدامة المقدسي (208/10)، والإنصاف للمرداوي (184/10)؛ وللظاهريّة: المحلّى لابن حزم (155/11).

(15) انظر للمالكيّة: الموطّأ للإمام مالك (550)، والمعونة للقاضي عبد الوهاب (319/2)، والقوانين الفقهيّة لابن جزي (279)، وحاشية الدسوقي (311/6)، ورأي ابن تيمية في مجموع الفتاوى (185/28)، ورأي ابن القيّم في الطرق الحكميّة (5)، وإعلام الموقّعين (103/1)، والقول الآخر للحنابلة في: المحرّر لمجد الدين أبي البركات ابن تيمية الجد (156/2).

(16) انظر: المعونة (319/2)، والذخيرة للقرافي (60/12)، والطرق الحكمية (5)، ومسالك الدلالة في شرح الرسالة للغماري (304).

(17) صحيح البخاري: كتاب الحدود، باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت (2504/6-رقم6442)، وصحيح مسلم: كتاب الحدود، باب رجم الثيّب في الزنا (1317/3-رقم1691) بنحوه.

(18) السنن الكبرى للبيهقي: كتاب الحدود، باب من اعتبر حضور الإمام والشهود وبداية الإمام بالرجم (220/8)، ورواه البخاري في صحيحه: كتاب الحدود، باب رجم المحصن(2498/6-رقم6427)، عن عليّ رضي الله عنه -حين رجم المرأة يوم الجمعة-وقال: "قد رجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم"، والحاكم في المستدرك: بلفظ آخر (406/4-رقم8087)، وقال: "هذا إسناد صحيح"، ووافقه الذهبي.

(19) انظر: نيل الأوطار للشوكاني (98/7).

(20) انظر: المغني لابن قدامة (193/10).

(21) سنن البيهقي: كتاب الحدود، باب من زنى بامرأة مستكرهة (236/8)، ومصنّف ابن أبي شيبة: كتاب الحدود، باب درأ الحدود بالشبهات (508/5-رقم28492)، وقال الألباني في إرواء الغليل (31/8): "وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري".

(22) انظر: المغني (193/10)، حيث قال: "وقد قيل إنّ المرأة تحمل من غير وطء بأن يدخل ماء الرجل في فرجها، إمّا بفعلها أو بفعل غيرها، ولهذا تصوّر حمل البكر، فقد وجد ذلك". وانظر: فقه النوازل لبكر أبو زيد (ص254).

(23) انظر للمالكيّة: القوانين الفقهيّة (194)، والشرح الصغير للدردير (229/2)، وحاشية العدوي (144/2)، وللشافعيّة: الأمّ للشافعي (145/5)، والحاوي (74/11)، والمهذّب للشيرازي (163/2)، وفتح العزيز للرافعي (362/9)، وللظاهريّة: المحلّى (145/10)، ولابن القيّم: الطرق الحكميّة (9).

(24) انظر للحنفيّة: بدائع الصنائع للكاساني (29/5)، والاختيار للموصلي (168/3)، وملتقى الأبحر لإبراهيم الحنفي (286/1)، وللحنابلة: المغني (72/9)، والمحرّر لابن تيمية الجدّ (99/2).

(25) انظر أدلّتهم في: أحكام القرآن للشافعي (240/1)، والحاوي (82/11)، والمحلّى (145/10)، والمهذّب (163/2)، والطرق الحكميّة (9).

(26) الآية 8 و9 من سورة النور.

(27) الآية 2 من سورة النور.

(28) انظر: بدائع الصنائع (29/5)، والمغني (73/9).

(29) انظر: المبسوط للسرخسي (105/9)، والمغني (73/10)، ومعين الحكّام لعلاء الدين الطرابلسي الحنفي (67).

(30) انظر: بداية المجتهد لابن رشد (119/2).

(31) للمالكيّة انظر: القوانين الفقهيّة (283)، وتبصرة الحكّام لابن فرحون (86/2)، والشرح الكبير للدردير ومعه حاشية الدسوقي (368/6)، وحاشية العدوي (431/2)، والرواية الأولى للحنابلة: المغني (332/10)، والطرق الحكميّة (6)، والإنصاف (213/10-212).

(32) للحنفيّة انظر: المبسوط (31/24)، وبدائع الصنائع (216/9-215)، وفتح القدير لابن الهمام (294/5)، وللشافعيّة انظر: الوجيز للغزالي (181/2)، وفتح الوهّاب لزكريا الأنصاري (166/2)، والسراج الوهّاج للغمراوي (535)، وللرواية الأخرى عند الحنابلة انظر: المغني (332/10)، والإنصاف (212/10-213).

(33) انظر: المغني (332/10)، والطرق الحكميّة (6)، وتبصرة الحكّام (86/2).

(34) أي ولِيّ الجلد من يلزم الرجل أمره ويعنيه شأنه، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، حرف الحاء، باب الحاء مع الراء، مادّة [حرر] (364/1)، وحرف القاف، باب القاف مع الراء، مادّة [قرر] (38/4).

(35) صحيح مسلم: كتاب الحدود، باب حدّ الخمر (1331/3-رقم1707).

(36) وسبب ضعفها أنّ في إسنادها عبد الله بن فيروز؛ ضعفه الطحاوي، انظر: نيل الأوطار (141/7).

(37) انظر: نيل الأوطار (141/7)، ووثّق عبد الله بن فيروز أبو زرعة والنسائي، وذكره ابن حبّان في الثقات، وقال ابن عبد البرّ: أثبت شيء في هذا الباب، انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (435/4-رقم3625).

(38) الطلاء في الأصل هو القطران الذي تُطلى به الإبل ثمّ سُمِّي به الشراب المطبوخ من عصير العنب، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (137/3).

(39) موطأ مالك: كتاب الأشربة، باب الحدّ في شرب الخمر (562-رقم1587)، وهو في سنن النسائي من طريق مالك، كتاب الأشربة، الأخبار التي اعتلّ بها من أباح شرب المسكر (326/8)، ومصنّف عبد الرزّاق: كتاب الأشربة، باب الريح (228/9-رقم17028-17029)، وهو في صحيح البخاري معلّقا: كتاب الأشربة باب الباذق، ومن نهى عن كلّ مسكر من الأشربة (2125/5)، قبل حديث (رقم5276)، قال ابن حجر: "وصله مالك عن الزهري عن السائب بسند صحيح" انظر: فتح الباري (65/10).

(40) المغني (332/10).

(41) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب القرّاء من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم، (1912/4-رقم4715)، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبّر (551/1-رقم801)، بلفظ نحوه.

(42) مصنّف عبد الرزاق: كتاب الأشربة، باب من حُدّ من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم (240/9-242-رقم17076)، ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى: كتاب الأشربة والحدّ فيها، باب من وجد منه ريح شراب أو لقي سكرانا، (316/8-315) عن معمر عن الزهري قال: أخبرني عبد الله بن عامر بن ربيعة به، وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(43) انظر: المبسوط (31/24)، وبدائع الصنائع (216/9)، والمغني (332/10)، وفتح القدير (294/5)، وفتح الوهّاب (166/2)، ونيل الأوطار (149/7)، وعون المعبود لعظيم آبادي (102/12).

(44) سنن أبي داود: كتاب الحدود، باب الحدّ في الخمر (489-رقم4476)، ومسند الإمام أحمد (322/1)، وقوّى الحافظ ابن حجر إسناده كما في فتح الباري (88/12).

(45) نيل الأوطار (149/7).

(46) مصنّف عبد الرزّاق: كتاب الأشربة، باب الريح (288/9-رقم17031)، عن معمر بن راشد عن إسماعيل ابن أمية، ومعمر بن راشد ثقة ثبت، انظر: تقريب التهذيب لابن حجر (403/3)، وإسماعيل بن أمية ثقة ثبت لم يدرك عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، انظر: ميزان الاعتدال للذهبي (222/1).

(47) مصنّف عبد الرزّاق: كتاب الأشربة، باب الريح (229/9-رقم17032)، عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة، وابن جريج ثقة فقيه ولكنّه مدلّس، وقد عنعن، انظر: تقريب التهذيب (385/2)، وابن أبي مليكة ثقة فقيه، انظر: تقريب التهذيب (236/2).

(48) مصنّف ابن أبي شيبة: كتاب الحدود، ما عليه في رجل يوجد منه ريح الخمر (520/5-رقم28623)، قال حدثنا وكيع عن محمد بن شريك عن ابن أبي مليكة، ووكيع بن الجرّاح ثقة حافظ، انظر: ميزان الاعتدال (335/4-رقم9356)، ومحمّد بن شريك هو أبو عثمان، ثقة، انظر: تقريب التهذيب (256/3)، فرجال إسناده ثقات.

(49) التعريض هو خلاف التصريح لأنّ الرمي بالزنا قد يكون صريحا وقد يكون غير صريح، وما ليس بصريح هو التعريض، ويدخل فيه الكناية، وفرّق بعضهم بين التعريض والكناية فجعل الكناية ما دلّ على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما ومثاله في القذف قوله: ما أنت بحرٍ وأمّا التعريض فهو ما دلّ على المعنى لا من جهة الحقيقة والمجاز بل من جهة التلويح والإشارة مثل قوله: ما أنا بزان، والصحيح أنّ التعريض يشمل الكناية لأنّها رمي من غير تصريح بالقذف، انظر: شرح حدود ابن عرفة (499)، وحاشية العدوي على كفاية الطالب الربّاني (429/2).

(50) انظر مذهب الحنفيّة في: المبسوط (119/9)، وبدائع الصنائع (221/9)، وفتح القدير (304/5)، ومذهب الشافعيّة في: الأحكام السلطانيّة للماوردي (286)، وفتح الوهّاب (98/2)، والسراج الوهّاج (442)، ومذهب الحنابلة في: المغني (213/10)، والإنصاف (196/10)، وللظاهريّة: المحلّى (281/11).

(51) انظر مذهب المالكيّة في: المدوّنة (391/4)، والمعونة (333/2)، والقوانين الفقهيّة (280)، وتبصرة الحكّام (198/2)، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير (324/6)، وللحنابلة في الرواية الأخرى انظر: المغني (213/10)، وإعلام الموقعين (129/3).

(52) انظر هذه الأدلّة في: المنتقى للباجي (150/7)، وأحكام القرآن لابن العربي (32/1)، والمغني (213/10)، والجامع لأحكام القرآن (57/2)، (173/12)، وإعلام الموقعين (129/3).

(53) الآية 104 من سورة البقرة.

(54) انظر: المحلّى (279/11).

(55) موطّأ مالك: كتاب الحدود، باب الحدّ في القذف والنفي والتعريض (552-رقم1569)، وصحّحه الألباني في إرواء الغليل (39/8-رقم2371).

(56) المصنّف لابن أبي شيبة: كتاب الحدود، من كان يرى في التّعريض عقوبة (496/5-رقم28368)، وضعّفه الألباني كما في إرواء الغليل (39/8-رقم2372).

(57) المصنّف لابن أبي شيبة: كتاب الحدود، في الرجل ينفي الرجل من أبيه وأمّه (484/5-رقم28232)، والبيهقي في السنن الكبرى: كتاب الحدود، باب من قال لا حدّ إلاّ في القذف الصريح (252/8)، قال الألباني: "وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه بين القاسم بن عبد الرحمن وجدّه عبد الله بن مسعود، وانظر: إرواء الغليل للألباني (36/8-رقم2369).

(58) مصنّف عبد الرزّاق: باب التعريض (425/7-رقم13726)، عن مكحول به، وهو منقطع لأنّ مكحولا لم يسمع منهما، انظر: سير أعلام النبلاء (156/5-155).

(59) مصنّف عبد الرزّاق: باب التعريض (425/7-رقم13727)، عن إبراهيم بن محمّد عن صاحب له عن الضحّاك بن مزاحم به، قال صالح آل الشيخ: "إسناده ضعيف جدّا"، انظر: التكميل لما فات تخريجه من إرواء الغليل لصالح آل الشيخ (175).

(60) انظر هذه الآثار في: المحلّى (277/11).

(61) انظر: المحلّى (280/11-279)، وبدائع الصنائع (221/9)، والمغني (123/10)، وفتح القدير (304/5).

(62) الآية 235 من سورة البقرة.

(63) فتح الباري (182/12).

(64) المصدر السابق (182/12).

(65) الأورق هو الأسمر، والوُرْقة السمرة يقال، جمل أَوْرَق وناقة ورقاء، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: حرف الواو، باب الواو مع الراء مادّة [ورق] (175/5).

(66) صحيح البخاري: كتاب المحاربين من أهل الكفر والردّة، باب ما جاء في التعريض (2511/6-رقم6455)، وصحيح مسلم: كتاب اللّعان (1137/2-رقم1500) بنحوه.

(67) انظر: إعلام الموقّعين (128/3)، وسبل السلام للصنعاني (1122/3).

(68) سنن النسائي: كتاب النكاح، باب تزويج الزانية (67/6)، وسنن أبي داود: كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء (234-رقم2049)، بنحوه، وقال الألباني: "صحيح الإسناد"، انظر: صحيح سنن النسائي (415/2-رقم3229).

(69) قال الصنعاني: "وأطلق عليه النوويّ الصحّة لكنّه نقل ابن الجوزي عن أحمد أنّه قال: لا يثبت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شيء وليس له أصل، فتمسّك بهذا ابن الجوزي وعدّه في الموضوعات مع أنّه أورده بإسناد صحيح"، وانظر: سبل السلام (1119/3).

(70) الآية 3 من سورة النور.

(71) انظر: سبل السلام (1120/3).

(72) سنن ابن ماجة: كتاب الحدود، باب من أظهر الفاحشة (855/2-رقم2559)، وصحّحه الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجة (323/2-رقم2089).

(73) المحلّى (280/11).

(74) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب: **((وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ))**، (1772/4-رقم4470).

- مراجع البحث:

1) الأحكام السلطانيّة والولايات الدينيّة لأبي الحسن علي بن محمّد الماوردي، المتوفّى سنة 450هـ، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى: 1405هـ-1985م.
2) أحكام القرآن لابن العربي، المتوفّى سنة 543هـ، تحقيق علي محمّد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.
3) أحكام القرآن لمحمّد بن إدريس الشافعي المتوفّى سنة 204هـ، جمعه البيهقي، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1400هـ-1980م.
4) الاختيار لتعليل المختار لعبد الله بن محمود الموصلي الحنفي، المتوفّى سنة 683هـ، تعليق محمود أبو دقيقة، دار الكتب العلميّة، بيروت.
5) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل لمحمّد ناصر الدين الألباني، المتوفّى سنة 1420هـ، بإشراف محمّد زهير شاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1405هـ-1985م.
6) إعلام الموقّعين عن ربّ العالمين لابن قيّم الجوزية، المتوفّى سنة 751هـ، راجعه وقدّم له وعلّق عليه طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت.
7) الأمّ لمحمّد بن إدريس الشافعي، المتوفّى سنة 204هـ، دار الكتب العلميّة، بيروت: 1410هـ-1990م.
8) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لعليّ بن سليمان المرداوي الحنبلي، المتوفّى سنة 885هـ، تحقيق محمّد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى: 1418هـ-1997م.
9) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، المتوفّى سنة 587هـ، تحقيق وتعليق عليّ محمّد معوّض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى: 1418هـ-1997م.
10) بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد القرطبي، المتوفّى سنة 595هـ، صحّحها وقابلها على عدّة نسخ مهمّة نخبة من العلماء، دار أشريفة.
11) تبصرة الحكّام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام لابن فرحون المالكي، المتوفّى سنة 799هـ، خرّج أحاديثه وعلّق عليه وكتب حواشيه جمال مرعشلي، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى: 1416هـ-1995م.
12) تحفة الفقهاء لعلاء الدين السمرقندي، المتوفّى سنة 539هـ، تحقيق د/ محمّد زكي عبد البرّ، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر.
13) التعريفات، لأبي الحسن علي بن محمد الجرجاني، المتوفى سنة 816هـ، وضح حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية: 1424هـ-2002م.
14) التعريفات الفقهية، لمحمد عميم الإحسان البركتي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ-2003م.

15) التكميل لما فات تخريجه من إرواء الغليل، لصالح آل الشيخ، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، 1417هـ-1996م.
16) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني المتوفّى سنة 852هـ، ضبط ومراجعة صدقي جميل العطّار، دار الفكر، الطبعة الأولى:1415هـ-1995م.
17) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي المتوفى سنة 1031هـ، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى: 1410هـ-1990م.
18) الجامع لأحكام القرآن لمحمّد بن أحمد القرطبي، المتوفّى سنة 671هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
19) حاشية ابن عابدين المتوفّى سنة 1252هـ، المعروف بردّ المحتار على الدرّ المختار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية: 1407هـ-1987م.
20) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لابن عرفة الدسوقي المالكي، المتوفّى سنة 1230هـ، خرّج آياته وأحاديثه محمّد عبد الله شاهين، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى: 1417هـ-1996م.
21) حاشية العدوي على كفاية الطالب الربّاني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني، ضبطه وصحّحه وخرّج آياته محمّد عبد الله شاهين، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى: 1417هـ-1997م.
22) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي للماوردي، المتوفّى سنة 450هـ، تحقيق وتعليق عليّ محمّد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميّة، بيروت: 1419هـ-1999م.
23) الذخيرة لأحمد بن إدريس القرافي، المتوفّى سنة 684هـ، تحقيق محمّد بوخبزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1994م.
24) سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلّة الأحكام لمحمّد بن إسماعيل الصنعاني المتوفّى سنة 1182هـ، قدّم له وخرّج أحاديثه محمّد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت.
25) السراج الوهّاج شرح متن المنهاج لمحمّد الزهراوي الغمراوي، دار المعرفة، بيروت.
26) السلطة القضائية في الإسلام، لشوكت عليان، دار الرشيد، الرياض، الطبعة الأولى: 1402هـ-1982م
27) سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمّد بن يزيد القزويني، المتوفّى سنة 275هـ، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
28) سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، المتوفّى سنة 275هـ، بيت الأفكار الدوليّة.
29) السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفّى سنة 458هـ، مجلس دائرة المعارف العثمانيّة، حيدر آباد، الطبعة الأولى: 1354هـ

30) سنن النسائي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، المتوفّى سنة 303هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
31) سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمّد بن أحمد الذهبي، المتوفّى سنة 748هـ، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: 1405هـ-1985م.
32) شرح حدود ابن عرفة لأبي عبد الله محمّد الأنصاري الرصّاع، المتوفّى سنة 894هـ، حقّقه أبو الأجفان والطاهر المعموري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1993م.
33) الشرح الصغير على أقرب المسالك لمذهب مالك لأحمد الدردير، المتوفّى سنة 1201هـ، دار الفكر، بيروت.
34) الشرح الكبير على أقرب المسالك لمذهب مالك للدردير، المتوفّى سنة 1201هـ، مع حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى: 1417هـ-1996م.
35) الشرح الكبير على متن المقنع، لابن قدامة المقدسي، المتوفّى سنة 682هـ، مع المغني، دار الكتاب العربي، بيروت.
36) صحيح البخاري لأبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المتوفّى سنة 256هـ، ضبطه ورقّمه وذكر تكرار مواضعه وشرح ألفاظه وخرّج أحاديثه في صحيح مسلم، ووضع فهارسه د/مصطفى ديب البُغا، موفم للنشر، الجزائر، ودار الهدى، عين مليلة؛ 1992م.
37) صحيح سنن ابن ماجة، لمحمّد ناصر الدين الألباني، المتوفّى سنة 1420هـ، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى: 1417هـ-1997م.
38) صحيح سنن النسائي، لمحمّد ناصر الدين الألباني، المتوفّى سنة 1420هـ، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى: 1419هـ -1998م.
39) صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري، المتوفّى سنة 261هـ، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه، وتصحيحه، وترقيمه، وعدّ كتبه وأبوابه، وأحاديثه، محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
40) الطرق الحكميّة في السياسة الشرعيّة، لابن قيّم الجوزية، المتوفّى سنة 751هـ، خرّج آياته وأحاديثه زكريّا عميرات، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى: 1415هـ-1995م.
41) عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيّب محمّد شمس الحقّ، العظيم آبادي، المتوفّى سنة 1329هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية: 1415هـ-1995م.
42) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، المتوفّى سنة 852هـ، راجعه قصيّ محبّ الدين الخطيب، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الريّان للتراث.

43) فتح العزيز شرح الوجيز (الشرح الكبير) لأبي القاسم عبد الكريم بن محمّد الرافعي القزويني الشافعي، المتوفّى سنة 623هـ، تحقيق وتعليق علي محمّد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى: 1417هـ -1997م.

44) فتح القدير على الهداية شرح بداية المبتدئ لابن الهمام الحنفي، المتوفّى سنة 861هـ، علّق عليه وخرّج آياته وأحاديثه عبد الرزّاق غالب المهدي، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى: 1415هـ-1995م.

45) فتح الوهّاب بشرح منهج الطلاّب لأبي يحي زكريّا الأنصاري، المتوفّى سنة 926هـ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأخيرة: 1367هـ-1948م.

46) فقه النوازل لبكر بن عبد الله أبو زيد، المتوفى سنة 1429هـ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1416 هـ-1996م.

47) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، المتوفى سنة 817هـ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة: 1426هـ-2005م.

48) القوانين الفقهيّة لابن جزيّ، المتوفّى سنة 741هـ، منشورات دار الكتب، الجزائر: 1408هـ-1987م.

49) لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، المتوفى سنة 711هـ، دار صادر، بيروت: 1412هـ-1992م.

50) المبسوط لشمس الدين السرخسي، المتوفّى سنة 483هـ، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى: 1414هـ-1993م.

51) مجموع الفتاوى لتقيّ الدين أحمد بن تيمية الحرّاني، المتوفّى سنة 728هـ، اعتنى بها وخرّج أحاديثها عامر الجزّار وأنور الباز، دار الوفاء، المنصورة، دار ابن حزم، مكتبة العبيكان: الرياض، الطبعة الثانية: 1419هـ-1992م.

52) المحرّر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل لمجد الدين أبي البركات ابن تيمية المتوفّى سنة 652هـ، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية: 1404هـ-1984م.

53) المحلّى لأبي محمّد عليّ بن أحمد بن حزم، المتوفّى سنة 456هـ، دار الفكر، بيروت.

54) المدوّنة الكبرى لمالك بن أنس الأصبحي، المتوفّى سنة 197هـ، رواية سحنون بن سعيد التنّوخي، المتوفّى سنة 240هـ، عن عبد الرحمن بن القاسم، المتوفّى سنة 191هـ، دار الفكر، بيروت: 1406هـ-1986م.

55) مسالك الدلالة في شرح متن الرسالة لأبي الفيض أحمد بن محمّد بن الصدّيق، دار الفكر، بيروت.

56) المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله محمّد بن عبد الله الحاكم النسابوري، المتوفّى سنة 405هـ، مع تضمينات الذهبي في التلخيص، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى: 1411هـ-1990م.

57) المسند لأبي عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل، المتوفّى سنة 241هـ، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة: 1403هـ-1983م.

58) المصنّف لأبي بكر عبد الرزاق بن همّام الصنعاني، المتوفّى سنة 211هـ، حقّق نصوصه وخرّج أحاديثه، وعلّق عليه حبيب الرحمن الأعظمي.

59) المصنّف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة الكوفي العنبسي المتوفّى سنة 235هـ، ضبطه وصححه ورقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمّد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1416هـ-1995م.

60) مُعين الحكّام فيما يتردّد بين الخصمين من الأحكام لعلاء الدين عليّ بن خليل الطرابلسي الحنفي، المتوفّى سنة 844هـ، ويليه لسان الحكّام، دار الفكر، بيروت.

61) المعونة على مذهب عالم المدينة لأبي محمّد عبد الوهّاب عليّ بن نصر المالكي، المتوفّى سنة 422هـ، تحقيق محمّد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى: 1418هـ-1998م.

62) مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، شرح على متن المنهاج للنووي، للخطيب الشربيني القاهري الشافعي، المتوفّى سنة 977هـ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر:1377هـ-1958م.

63) المغني لابن قدامة المقدسي، المتوفّى سنة 620هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

64) ملتقى الأبحر لإبراهيم بن محمّد بن إبراهيم الحنفي، تحقيق ودراسة وهبي سليمان غاوجي الألباني، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: 1409هـ-1989م.

65) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني المتوفى سنة 502هـ، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، بيروت.

66) المنتقى شرح موطّأ الإمام مالك لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، المتوفّى سنة 474هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة 1403هـ-1983م.

67) المهذّب في فقه الإمام الشافعي لأبي إسحاق إبراهيم بن عليّ الفيروز آبادي الشيرازي، المتوفّى سنة 476هـ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثالثة: 1396هـ-1976م.

68) موسوعة جمال عبد الناصر في الفقه الإسلامي، يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 1387هـ.

69) الموطّأ لمالك بن أنس، المتوفّى سنة 179هـ، برواية يحي بن يحي الليثي الأندلسي، علّق عليه سعيد اللحّام، راجعه وأشرف على تصحيحه وإخراجه الفنّي مكتب البحوث والدراسات بدار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى: 1409هـ-1989م.

70) ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، المتوفّى سنة 748هـ، تحقيق عليّ محمّد البجاوي، دار الفكر، بيروت.

71) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري، المتوفّى سنة 606هـ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمّد الطنّاحي، المكتبة العلميّة، بيروت.

72) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيّد الأخيار لمحمّد بن عليّ الشوكاني، المتوفّى سنة 1250هـ، دار الجيل، بيروت.

73) الوجيز في فقه مذهب الإمام الشافعي، لأبي حامد الغزالي، المتوفّى سنة 505هـ، دار المعرفة، بيروت: 1414هـ-1993م.

L'économie des médias en Algérie

(Etude comparative entre deux entreprises médiatiques: El Khabar et Echourouk)

Zahra DJEKRIF Université Costantine3,

Résumé :

Depuis quelques années, les médias en Algérie traversent une crise financière. Dans ce contexte, nous avons observé que des mesures ont été prises par des entreprises pour diminuer leurs coûts de production.

Parallèlement, des entreprises médiatiques investissent de plus en plus dans l'audiovisuel et optent pour le numérique (une stratégie de Diversification).

Le double financement (publicité et lecteurs) est le modèle d'affaires le plus répandu dans le secteur de la presse écrite, même si la ventilation des recettes diffère d'un titre à l'autre.

Les deux journaux (Echourouk El Yaoumi et El Khabar) appartenant au secteur privé, gérés selon la demande du marché, Ils ont baissé leur tirage pour minimiser les invendus.

En ce qui concerne la télévision, un seul modèle d'affaire existe celui de la «télévision commerciale », essentiellement financée par la publicité.

Quant aux deux chaines de télévision (KBC et Echourouk TV), elles comptent cependant sur les programmes de flux.

Mots clés: Entreprise, Médias, Presse écrite, Audiovisuel, Publicité

ملخص:

تواجه وسائل الإعلام الجزائرية خلال السنوات الأخيرة أزمة مالية خانقة. في هذا السياق لاحظنا من خلال دراستنا أن المؤسسات الإعلامية مثل مؤسسة الخبر، ومؤسسة الشروق اتجهت نحو تخفيض نفقاتها وميزانيتها، والاستثمار في مجال السمعي البصري والأنترنت من خلال تبني استراتيجية التنويع.

نموذج التمويل المزدوج أي من خلال الإشهار من جهة والقراء من جهة أخرى هو الذي تعتمد عليه الصحافة المكتوبة في الجزائر وان كانت تختلف بين جريدة "الشروق اليومي" وجريدة " الخبر". كلا الجريدتين من القطاع الخاص، ولهذا فهما تخضعان لمنطق السوق ومنه اتجهتا إلى تخفيض السحب من أجل تقليل المرتجعات.

بالنسبة للقنوات التلفزيونية فإن النموذج الإقتصادي الوحيد المستخدم في المؤسستين الإعلاميتين هو "التلفزيون التجاري" أي الذي يعتمد في تمويله على الإشهار فقط. ولهذا فكلا القناتين (قناة "الشروق تي في" وقناة "كي بي سي") تعتمد بشكل كبير على البرامج ذات التكاليف الانتاجية المنخفضة.

الكلمات المفتاحية: وسائل الإعلام، صحافة مكتوبة، سمعي بصري، إشهار

Introduction :

Plus de deux décennies après l'ouverture de la presse écrite au privé, consacrée par la loi de 1990 relative à l'information, la presse algérienne a atteint un niveau de développement appréciable, plus particulièrement sur le plan quantitatif. Citons pour preuve l'arrivée sur la scène médiatique plus de « 321 titres dont 149 quotidiens, recensés en 2015 » ([1]), selon le dernier cahier de la communication, publié en Mai 2015, sur le site du ministère de la Communication.

La moitié de ces titres déclinent et se sentent menacés de disparition. Sur 149 quotidiens que compte le pays dans les deux langues, seulement 21 journaux ont un tirage égal ou supérieur à 10 000 exemplaires par jour, selon les statistiques arrêtées au premier semestre 2016 ([2]). Ce chiffre émane du ministre de la Communication, Hamid Grine, le 2 août 2016, sur son compte Twitter.

Les raisons de la menace sont liées à la chute des revenus publicitaires, conséquence à la fois de la crise économique et de la forte concurrence des télévisions privées et de l'Internet.

Dans ce climat, des patrons de presse privée algérienne ont exprimé leur crainte quant aux difficultés économiques qui touchent de plus en plus la presse écrite. En 2014, des éditeurs des quotidiens

avaient augmenté le prix de vente du journal de 100%. Le prix est passé de 10 DA à 20 DA.

La crise de la presse écrite a changé de rythme. Les grands quotidiens nationaux proposent maintenant tous une version électronique. Le journal El Khabar vient d'annoncer l'arrêt du téléchargement gratuit de sa copie « PDF », en lançant un site d'information complémentaire du papier et constitue une forme de diversification sur support numérique.

Le quotidien Echourouk engage la transition vers le numérique, le journal a lancé un site web «Echourouk online» et une page active sur Facebook (Plus de 1,5 million de mansion "J'aime"). Facebook, réseau social devenu en quelques années un géant des médias. Facebook s'est en effet opportunément emparé de la rhétorique de l'engagement pour structurer son offre commerciale auprès des annonceurs. « Dans la perspective développée par Facebook, le taux d'engagement vient s'intégrer à la mesure d'exposition traditionnelle, mais certainement pas la remettre en question : un bon taux d'engagement assure une meilleure exposition de la marque auprès des amis des fans ».([3])

Les réseaux sociaux de plus en plus nombreux et le journalisme électronique sont considérés comme un enjeu fondamental. Ils impactent sensiblement le paysage médiatique et réduisent les ventes

des journaux. « Aujourd'hui, les sites d'information algériens revendiquent une audience allant de 20.000 à plus de 250.000 visiteurs uniques par jour. Le plus populaire, Tout sur l'Algérie (TSA), et le pionnier, a été mis en ligne en 2007 et classé premier journal en ligne en Algérie». (4)

Les contraintes économiques – particulièrement après l'ouverture du secteur audiovisuel en 2011 et le lancement de la téléphonie mobile de troisième génération en 2014- conduisent certains titres à raréfier leurs frais, et à mettre en œuvre une stratégie de diversification. C'est le cas du groupe de presse El Khabar qui se positionne aujourd'hui comme l'un des leaders de la presse privée algérienne.

Dans son plan de développement, le groupe a mis en œuvre depuis plusieurs années déjà une stratégie de diversification de ses activités uniquement dans le domaine de la presse. La direction du journal a créé une régie publicitaire, mis en place le site web du journal (elkhabar.com), lancé la version sportive du journal intitulée El Khabar Erriadhi, et enfin lancé une chaine de télévision KBC, Khabar Broadcasting Corporation (El khaber TV).

El Khabar a aussi créé le Centre El Khabar, pour les études internationales. L'un des projets qui tient à cœur aux dirigeants du

groupe est le lancement d'un site d'information «entièrement indépendant du journal».

En dépit de ses dettes, le quotidien Echourouk est devenu aujourd'hui l'un des plus grands groupes de presse en Algérie. En 2014, le chiffre d'affaires a atteint plus de 250 milliards de centimes. Echourouk TV est une chaîne de télévision privée, créée par le quotidien arabophone, Sa première diffusion a été lancée en 2011. Echourouk News est la nouvelle chaine d'information lancée en 2014. Le mois de mars 2015, Echourouk a lancé une chaine de cuisine El Bana TV.

Au moment où les plus grands journaux privés en termes de diffusion adoptent une stratégie de diversification, en investissant dans le secteur audiovisuel, internet et les multimédia, presque aucun titre ne survivrait sans les aides publiques à la presse. En revanche on notera qu'une dizaine chaînes de télévision privées ont été fermées faute d'audience et surtout de financement de l'abonnement satellitaire qui avoisine les 30.000 dollars par mois ([5]).

Dans ce contexte médiatique, et à la faveur de l'expansion de groupe de communication, particulièrement arabophones, la concentration des médias atteint aujourd'hui dans la presse quotidienne et à la télévision des propositions sans précédent. La concentration de propriété renforce en général la vigueur

économique des groupes de communication grâce à leur stratégie de croissance nationale.

Nous tentons de répondre à plusieurs questions au sein de ce travail. L'une de celles-ci concerne le financement de ces deux groupes et leurs stratégies pour constater la place importante qu'occupait la publicité pour ce type de média. Les questions qui découlent de notre problématique sont liées aux caractéristiques économiques des entreprises médiatiques algériennes face aux défis des nouveaux médias en ligne, la stratégie adoptée par ces groupes et comment leurs chaînes de télévisions mettent en place leur programmation.

Pour répondre à notre problématique, nous avons choisi deux entreprises médiatiques (El Khabar et Echourouk). Et cela pour la simple raison que ces entreprises dominent largement le marché des médias en Algérie.

Méthodologie :

Notre recherche vise une meilleure compréhension de la manière dont les entreprises médiatiques misent en ouvre leurs stratégies de diversification en dominant le marché national des médias.

Dans un premier temps, nous définissons ce qui caractérise les produits médiatiques. Dans un deuxième temps, nous nous efforçons

de montrer en quoi les acteurs de l'industrie de la presse écrite en Algérie investissent dans l'audiovisuel et l'industrie de divertissement.

Dans un troisième temps, nous cherchons à analyser la structure des coûts et des financements ainsi que les stratégies des entreprises médiatiques. Il s'agit dans cette partie d'interroger le contenu médiatique des chaines algériennes.

Notre recherche s'appuie sur un travail de terrain. Nous avons utilisé trois outils pour collecter les données. Il s'agit de: l'observation, de l'entretien et de l'analyse du contenu.

Dans notre travail, nous utilisons la méthode descriptive, analytique, statistique et comparative afin de pouvoir analyser les données récoltées. Cette méthode analytique nous permet d'améliorer profondément les données recueillies relatives à notre sujet d'étude, afin de les synthétiser et l'analyser, comme l'évolution des prix de vente, les recettes et les tarifs publicitaires et les coûts de la production médiatique, ainsi que le genre des programmes et des émissions diffusées.

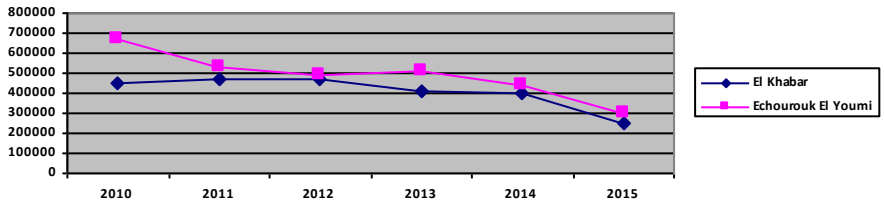
Nous avons deux genres des données à recueillir. Les données primaires sont ceux qui sont recueillies directement sur le terrain, tandis que les données secondaires sont ceux qui sont recueillies dans les résultats des recherches d'autres chercheurs, et des études précédentes.

Analyse et Discussion:

1. La presse écrite algérienne entre crise et mutation:

La presse écrite nationale passe, actuellement, par une crise. La chute des revenus publicitaires fait baisser la vente des quotidiens.

Graphique1 : Le tirage des quotidiens d'information



Source: graphique réalisé par nous (Z. DJEKRIF) sur les données de l'OJD et de la direction commerciale du quotidien El Khabar.

En 2015, le journal El Khabar enregistrait une baisse par rapport à 2014, avec un tirage quotidien de 250 000 exemplaires, dont 200 000 d'exemplaires vendus. En l'occurrence, en 2013 El Khabar tirait 465 227 exemplaires par jour, dont 398 597 exemplaires vendus.

Les chiffres sont tout aussi négatifs pour Echourouk El Youmi, le tirage passe de 300 000 en 2015 contre 436 701 en 2014, (Graphique1). Le journal chutait, en 2014, de 17,8 % avec une

diffusion totale quotidienne de 350 551 exemplaires contre 426 603 exemplaires en 2013.

Les deux quotidiens ont été classés en tête des journaux algériens les plus vendus en 2013 par L'Office de justification de diffusion. Mais les deux journaux sont en recul de plus en plus. Le tirage du journal Echourouk El Youmi en 2010 était de 671 094 exemplaires par jour, dont 512 967 d'exemplaires vendus. El Khabar enregistre lui aussi une baisse de son tirage et sa diffusion depuis 2010 quand le tirage était 453 810 exemplaire par jour dont 379 043 numéros vendus.

La plus forte chute a été enregistrée par El Khabar en 2015, avec une diffusion totale quotidienne de 200 000 exemplaires. Quelques 286.000 exemplaires d'Echourouk El Youmi ont été vendus chaque jour, en 2015.

D'ailleurs, ce n'est pas un hasard si les tirages des journaux baissent. Les deux journaux privés gérés selon la demande du marché. Ils ont baissé leur tirage pour minimiser au maximum les exemplaires invendus. Le taux des invendus est extrêmement élevé en 2015. Pour Echourouk El Youmi, Son taux d'invendus est de l'ordre de 15 % à 20%, contre 22% pour El khabar. Les journaux cités précédemment enregistrent une baisse constante depuis 2010.

Les quotidiens sont de moins en moins vendus. La tendance à la baisse observée dans les tirages ne semble pas vouloir s'inverser, puisque les jeunes lisent moins les journaux papier que les lecteurs plus âgés. Selon Salim guehaf, le secrétaire de rédaction du quotidien Echourouk El Youmi, « Aujourd'hui, aucun journal ne peut tirer plus de 300 000 exemplaire par jour, à cause de la concurrence féroce de l'audiovisuel, nous avons créé notre ennemis». A-t-il affirmé, dans un entretien accordé à nous ([6]).

De même, pour le rédacteur en chèf du quotidien El Khabar, Mohamed Beghali, l'Internet est en train de tuer la presse écrite, «En Algérie, comme partout dans le monde, l'internet est le vrai concurrent de la presse écrite, les journaux papier affichent des ventes en chute libre depuis plusieurs années, les quotidiens misent sur le numérique en créant des sites Internet » a-t-il dit, dans un entretien accordé à nous ([7]). Comme le souligne Florian Sauvageau «Les jeunes s'informent d'une manière qui est différente de leurs aînés. Ils « grignotent » l'information, surtout l'information gratuite»([8])

Le quotidien Echourouk El Youmi a vu son tirage baissé en raison d'une lourde dette qu'il a accumulée après des imprimeries de l'état. Contrairement au journal El Khabar, qui possède sa propre imprimerie, mais les coûts d'impressions restent élevés, en raison du prix élevé du papier et de l'encre sur le marché international. En

outre, les deux journaux ont baissé leur tirage en raison de l'augmentation du prix du journal, qui est passé à 20 DA en 2015. « Nous avons prévu, de baisser le tirage pour avoir un taux d'invendus supportable sur le plan financier, On nous a dit qu'une augmentation du prix de vente du journal entraînerait une hausse des prix d'impression » a-t-il déclaré Cherif Rezki, PDG du quotidien El Khabar, en ajoutant: «A chaque fois qu'il y a augmentation du prix du journal, le tirage baisse d'au moins 15%», dans un entretien accordé à Maghreb Emergence ([9]).

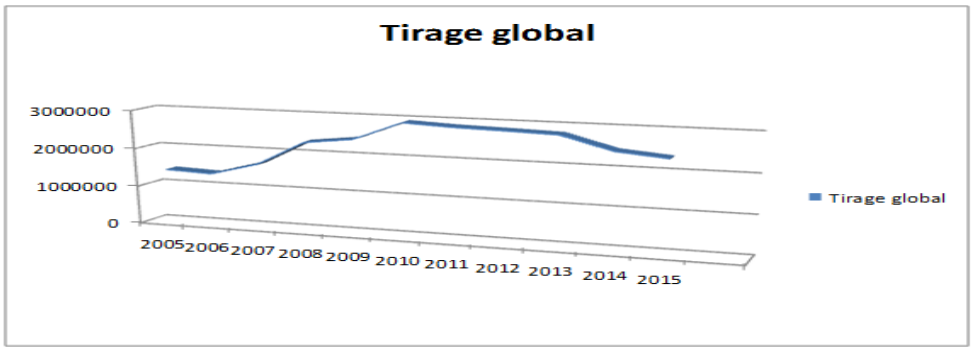
2. Le paysage médiatique est en passe d'être modifié:

Le paysage médiatique est, en effet, se compose de 149 quotidiens, 33 hebdomadaires, 73 mensuels et 4 bimensuels, 55 chaines de radio nationales thématiques et régionales diffusant plus de 800 heures de programmes par jour, cinq chaines publiques de télévision et une trentaine d'autres de droit étranger destinés au public Algérien ([10]). Le tirage journalier de toute la presse quotidienne nationale (86 titres) en 2010 était de 2 930 932 exemplaires.

De façon générale, la presse algérienne connaît un recul. Le tirage moyen des 149 quotidiens est en baisse, (Graphique2). En 2015, il s'établissait à 2 360 315 d'exemplaires par jour. « Graphique2 ». En 2005, le nombre de titres était de 43, avec un tirage global de 1424832 exemplaires par jour. Ce qui représente la moitié du tirage

de la presse quotidienne en 2015, et ce, au moment où le nombre de titres a presque décuplé (149). C'est à dire que le tirage actuel de la presse reste très faible.

Graphique2: Tirage global de la presse écrite algérienne



Source: graphique réalisé par nous (Z. DJEKRIF) sur les données du ministère de la communication

Le tirage global des 102 quotidiens en 2011, était de 2 871 714 millions d'exemplaires par jour. Les jeunes lisent moins la presse écrite, son financement est menacé. Grande source de revenus de la presse a sensiblement reculé avec la crise qui touche le secteur de la presse écrite depuis 2011.

En 2015, la presse écrite tous statuts confondus compte 321 titres dont 149 quotidiens (Graphique3).Des dizaines de titres sont en difficulté avec la crise qui frappe le monde de l'économie en général et les entreprises de presse en particulier. Des journaux cessent de paraître, uns après les autres. Des directeurs de publication

expliquent cela par l'absence de la publicité institutionnelle, seule source de revenu pour les journaux. La majorité des titres leur diffusion avait du mal à dépasser les 5000 copies vendues par jour.

Graphique3 : Evolution du nombre de quotidiens en Algérie



Source: graphique réalisé par nous (Z. DJEKRIF) sur les données du ministère de la communication.

Les entreprises économiquement viables ne sont pas aussi nombreuses. Dans un entretien paru, le 7 Juin 2014, dans le journal électronique Tout Sur l'Algérie, le ministre de la Communication Hamid Grine, a annoncé: «Seule une vingtaine de titres parmi les 160 est viable, si un journal n'est pas viable économiquement et financièrement et s'il a une mauvaise gestion, il faudrait qu'il arrête. C'est évident ». Mostoufaoui Belkacem, professeur en science de l'information et de communication, explique que la création de la majorité des titres n'a jamais été soumise aux règles du métier d'édition de quotidien d'information pour la bonne raison qu'elles se sont «glissées» dans des ouvertures opérées par des copains et des coquins proches des robinets décideurs d'ouverture de la manne de

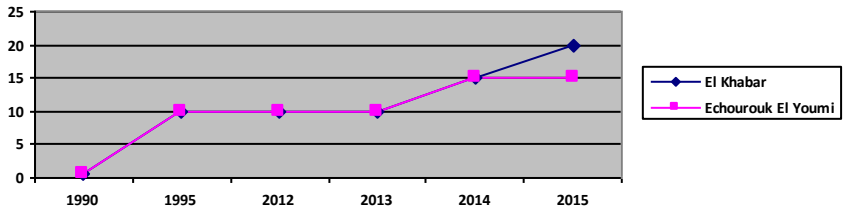
pub de l'ANEP qui les arrosaient ; et des imprimeries d'Etat dont elles ont asséché le patrimoine en ne réglant pas leurs factures([11]).

Le volume des entrées publicitaires de l'Agence nationale d'édition et de publicité (ANEP), ait baissé de 50%, l'agence a perdu jusqu'à 50% de ses recettes, selon la déclaration de Hamid Grine, lors d'un point de presse informel, en marge du Salon sur les médias qui s'est tenu à Annaba, le 16 février 2016. Dans un contexte de recul de la publicité, la presse écrite algérienne relevant du secteur privé connait des heures sombres.

3. Le double financement de la presse écrite en Algérie :

L'augmentation de prix de vente qui est passé à 15 DA et puis à 20 DA, est liée à la chute des revenus publicitaires, conséquence à la fois de la crise économique et d'une évolution du marché, avec l'émergence des télévisions privées et de l'Internet. En outre, Pour tenter d'amortir le choc de l'augmentation des frais d'impression, des éditeurs ont augmenté le prix de vente qui est passé à 20 DA.

Graphique4 : Evolution du prix de vente



Source: graphique réalisé par nous (Z. DJEKRIF)

Chaque éditeur a le droit de fixé son propre prix. Le prix de vente n'a pas augmenté depuis près de 19 ans. En 2014, Le quotidien El Khabar avait augmenté, son prix de vente qui est passé ainsi de 10 à 15 DA, (Graphique4). Le prix du numéro d'Echourouk El Youmi est passé de 10 DA à 15DA à dater de Mars 2014. En 2015 La direction du journal El Khabar, a décidé de revoir à la hausse le prix de vente, passant de 15 à 20 DA. Echourouk El Youmi a décidé en 2016 d'augmenter son prix qui passe à 20 DA.

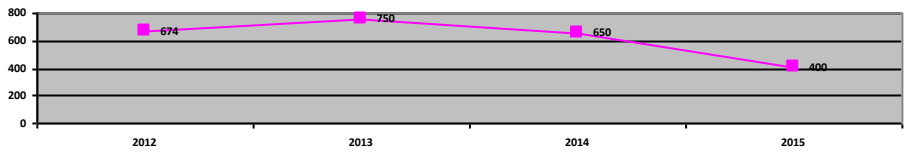
Les raisons ayant motivé cette augmentation sont les mêmes que celles qui avaient motivé la décision des deux journaux. Des facteurs économiques, liés notamment à la dure concurrence de numérique et de l'audiovisuel. Enfin des facteurs politiques, liés particulièrement aux prissions politique. C'est le cas d'El Khabar, qui a accusé publiquement le ministre Hamid Grine, de faire pression sur des annonceurs privés, "Les ventes d'El Khabar nous aident à résister aux pressions sur les annonceurs privés", a souligné Cherif Rezki, dans un

entretien accordé à la Radio du Maghreb Emergence, le 13 Mai 2015 ([12]). Selon Salim Guehaf, l'Agence Nationale d'Edition et de la Publicité (ANEP) avait suspendu la publicité étatique au quotidien Echourouk El Youmi, pondent 4 mois en 2015.([13])

Les recettes publicitaires des quotidiens baissent depuis 2011. Les recettes publicitaires d'El Khabar chutait en 2014 à 650 millions de DA contre 750 millions de DA en 2013 (graphique5).

El Khabar enregistrait une forte chute en 2015. Cette réduction des ressources tirées de la publicité se conjugue à une baisse tendancielle des tirages qui sont passées de « près de 400 000 par jour en début 2014 à environ 270 000 aujourd'hui pour 85% de ventes », Selon le directeur de publication du quotidien, Cherif Razki.

Graphique5 : Les recettes publicitaires du quotidien El khabar



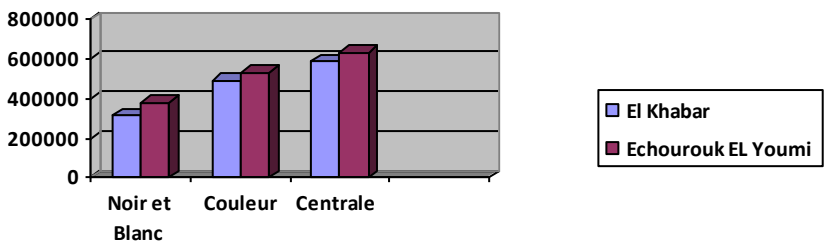
Source: graphique réalisé par nous (Z. DJEKRIF) sur les chiffres du Cherif Rezki, PDG d'El Khabar.

En ce qui concerne Echourouk El Youmi, Salim Guehaf a déclaré: «Aujourd'hui, les recettes de la publicité institutionnelle du journal ont chuté de plus de 60 %» ([14]). Les revenus publicitaires sont au cœur de la crise économique qui secoue l'univers des médias ([15]).

4. Les investissements publicitaires dans la presse écrite en Algérie:

Chaque quotidien a ses propres tarifs publicitaires. La même page se vend à un tarif différent selon l'audience. Les tarifs publicitaires dans Echourouk El Youmi sont plus élevés que ceux dans El khabar (Grafique6). Une page noir et blanc dans le quotidien Echourouk se vend à plus de 37 millions centime, contre plus de 31 millions centime dans le quotidien El khabar. Pour les pages centrales en couleur, les tarifs dans Echourouk sont fixés à plus de 63 millions de centime, et à plus de 58 millions de centime dans El khabar.

Grafique6 : Les tarifs publicitaires de la presse écrite



Source: graphique réalisé par nous (Z. DJEKRIF) sur la base des données du journal El khabar et Echourouk.

En fait, les deux quotidiens demandent des tarifs élevés pour le même espace. En revanche le choix du publicitaire se porte sur le journal à large public, c'est pour cela Echourouk qui tire et diffuse plus d'exemplaires fixe des tarifs plus élevés. Notant qu'il s'agit d'un produit de grande consommation.

Les grands annonceurs dans le marché algérien sont les opérateurs de téléphonie mobile, l'automobile et le secteur de l'agroalimentaire qui vient en troisième position. « Selon le cas le choix du publicitaire ira soit vers un support national généraliste, soit vers un support spécialiste afin de trouver sa « cible utile » Fixation des prix de vente de l'espace publicitaire. Les supports déterminent ce tarif en tenant compte l'audience ». ([16])

Selon le chercheur en science de l'information, Belkacem Ahcen Djaballah, Pour la presse écrite il y a deux sortes de concurrence: la concurrence sur les prix et la concurrence hors prix la plus préférable et favori. Les médias ont des prix administrés et historique et rigides. On préfère donc jouer sur la concurrence hors prix (nombre de page, suppléments divers gratuits, rapidité de la diffusion, distribution améliorés, promotion, concours tarifs publicitaire étudiés). Belkacem Ahcen Djaballah constate que fournir deux produits différents est

une chose habituelle dans les médias «La demande pour l'un des produits, en l'occurrence l'espace publicitaire, soit affectée par les ventes de l'autre produit, en l'occurrence les exemplaires du journal».([17])

Le marché de publicité qui consiste à vendre de l'espace à des annonceurs peut dans certains cas dépasser par son importance le premier, puisque certains médias en tirent plus de recettes que de la vente. Selon Salim Guehaf, Environ 65% des revenus d'Echourouk provient de la publicité. Les revenus prévenant de la publicité dans El Khabar ne dépasse pas 50% en 2015. Avant 2012, le taux des rentrées publicitaires était de 80%, Selon le directeur de la direction commerciale du quotidien El Khabar.

5. L'audiovisuel : Un nouvel environnement concurrentiel

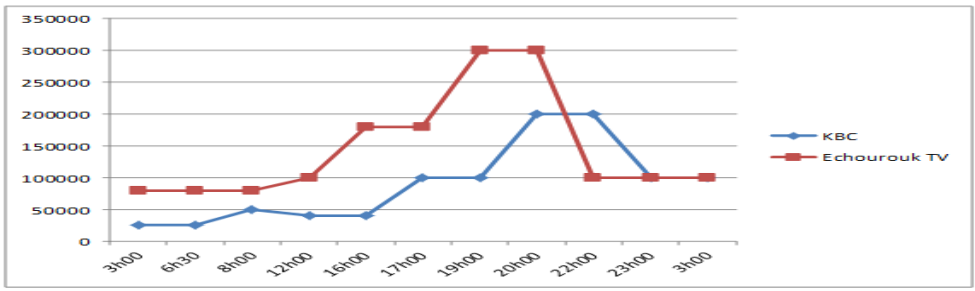
Comme dans le marché de la presse écrite, les chaines de télévision sont financées par la publicité, qui se décline sous plusieurs formes. Ainsi, le parrainage fait partie de ces moyens de financement. Les chaines proposent alors de financer une partie ou l'intégralité d'une émission en l'échange d'une ou de plusieurs apparitions de la marque durant cette même émission.

Dans les chaines généralistes comme « KBC » et « Echourouk TV », les programmes sont combinés pour satisfaire le plus large auditoire possible. La chaine de télévision généraliste « KBC », réserve au

prime-time, de 20 heures à 23 heures, une grande place aux émissions de plateau Talk-Show politiques et économiques, ainsi l'information sportive et des émissions consacrées au sport. Il s'agit d'une production interne.

Les médias peuvent cibler leurs publics au préalable et procéder à une sélection en conséquence. Les publics utilisent leurs propres critères de pertinence et d'intérêt de manière non aléatoire, et donc pas très variée. Tout idéal d'une offre d'information diverse telle qu'émise et reçue comprend des limites intrinsèques et permanentes. La diversité ne peut pas être obtenue sur commande, en l'absence d'une demande réelle ou potentielle de la part des consommateurs d'information ([18]).

Graphique7 : Les tarifs publicitaires dans les chaines de télévision



Source: graphique réalisé par nous (Z. DJEKRIF) sur la base des données des chaines de télévision

Ces pratiques, qui concernent beaucoup les programmes de débats et de divertissement est pour attirer les annonceurs (un spot publicitaire de 30 seconds coûts 20 millions centime). En revanche, Echourouk TV inscrit dans sa grille des programmes au prime-time (19 heure à 22 heure) des émissions sociales, en ce qui s'appelle la télé réalité qui occupé une place croissante dans les programmes de ces chaines. En outre Elle consacre la majorité de sa programmation à des programmes religieux. Elle est attractive en raison des audiences qu'elle attire et donc des recettes publicitaires qu'elle permet de gagner (tarif spot de 30 seconds couts 30 millions centime).

L'audience mesurée est la variable clé de l'économie de l'audience, qui suppose, pour fonctionner, des médias qui rassemblent, en un même « lieu », des contenus, des annonceurs et des audiences : l'assemblage des contenus permet de produire une audience qui est ensuite vendue aux annonceurs sous forme d'emplacements publicitaires disposés à côté des contenus. Dans l'économie des médias traditionnelle, l'audience mesurée possède un certain nombre de propriétés, étroitement corrélées aux exigences des annonceurs. Premièrement, la qualité de l'audience dépend de sa taille et de sa composition Sociodémographique. ([19])

Pour simplifier on peut dire que chaque chaine de télévision a sa propre programmation, mais les deux chaines investissent dans les programmes de flux qui ont des couts assumés en totalité par les

diffuseurs et en général réalisé en plateau. «Les programmes de stock peu liés à l'actualité et dont la diffusion peut être répétée: animation, fiction, documentaire, ce qui les apparente à des marchandises, aux programmes de flux : information, sport, variétés, débats de plateau, divertissements, jeux, qui perdent toute valeur une fois diffusés, tout comme la presse d'actualité chaude ».[20]

Conclusion:

Le modèle économique dans lequel enchâssent les médias en Algérie, reste fragile, basé sur la publicité. En effet, que ce soit dans le secteur de la presse écrite ou dans celui de l'audiovisuel, les entreprises médiatiques algériennes connaissent des moments difficiles.

Nous avons vu que le lectorat et les tirages des quotidiens sont en baisse. Dans ce contexte, nous avons observé que des mesures ont été prises par les entreprises de presse algérienne pour faire face à cette crise. Plusieurs entreprises médiatiques algérienne sont Aujourd'hui de grands groupes de presse qui se sont constitués par l'adoption d'une stratégie de diversification (Le groupe de presse El Khabar, Echourouk, Ennahar, El bilad,...etc).

Pour le chercheur au CNRS, Jean-Marie CHARON, dans cette logique, la fabrication des produits (contenus, services) n'est plus le cœur de l'activité du groupe. Les groupes de communication pluri-

médias sont à la tête d'entreprises qui peuvent être qualifiées «d'entreprises réseaux ». Elles sont généralement, regroupées par types de média, chaque média ou domaine d'édition jouissant d'une totale autonomie vis-à-vis des autres «Par diversification, il faut entendre des stratégies visant à développer des activités hors de l'édition de presse. Celle-ci peut concerner des médias : radios, télévision, télématique, puis Internet»[21]. Michel Mathien, chercheur en économie des médias, considère la presse, la radio et la télévision comme les « produits » d'une entreprise de communication de masse. l'entreprise médiatique et montre que, pour être viable, elle est contrainte à diversifier ses activités en engageant des stratégies de « concentrations verticales » qui intègrent la production, la diffusion et la distribution de programmes, ou de « concentrations horizontales » qui relient, par exemple, l'audiovisuel et la presse.([22])

A travers cette stratégie, des entreprises médiatiques tentent de s'adopter aux nouvelles conditions dans lesquelles évoluent les médias, et offrir des activités qui peuvent contribuer à une rentabilité plus élevée pour leurs entreprises, en investissant dans l'audiovisuel et le numérique.

Au final, devant cette situation où les entreprises de presse tentent de tirer leur épingle du jeu dans un monde médiatique en mutation rapide, il est intéressant de noter que le double financement (publicité et lecteurs) est le modèle d'affaires le plus

répandu dans le secteur de la presse écrite algérienne, même si la ventilation des recettes diffère d'un titre à l'autre. En ce qui concerne la télévision, un seul modèle d'affaire existe celui de la «télévision commerciale » essentiellement financée par la publicité.

[1] Cahier de la communication, **Pluralisme, professionnalisme et crédibilité**, mais 2015. Page07.
[2] Hamid Grine, ministre de la Communication, publié sur son compte Twitter, le 2 août 2016.
[3] Kevin MELLET, **The Power of like. How Brands Reach and Influence Fans Through Social Media Marketing**, 2012, page 176.

[4] Djamila Ould Khettab, **Le journalisme web en plein boom en Algérie**, Doha centre for media freedom, publié le 26/05/2015.

[5] Abdelmadjid RAMDANE, **Opacité du champ audiovisuel en Algérie: liberté avec limitations**, cahier politique et droit, Revue Université de Ouargla,14, 01, 2016, page6.
[6] Entretien réalisé le 5 mai 2016
[7] Entretien réalisé le 10 mai 2016
[8] Sauvageau, Florian. 2010. **« L'avenir incertain des quotidiens »,** dans L'État du Québec, p. 358.

[9] *Yazid Taleb, **El Khabar veut renforcer un modèle économique solide**, Maghreb émergence, 14 mai 2015.*

[10] Cahier de la communication, **pluralisme, professionnalisme et crédibilité**, mais 2015. Page07.
[11] Belkacem Mostefaoui, **Un marché informel des médias a été construit dans notre pays,** El watan, 17 février 2016.
[12] Cherif Rezki, la Radio du Maghreb Emergence, le 13 Mai 2015.
[13] Entretien réalisé le 5 mai 2016.
[14] Entretien réalisé le 5 mai 2016
[15] Colette Brin et Marilou St-Pierr, **Crise des médias et effectifs rédactionnels au Québec,** 2013, Québec, page 7.
[16] Nadine TOUSSAINT-DESMOULINS, **L'économie des médias,** Presses Universitaires de France, 2008, Paris page 37.
[17] Belkacem Ahcen Djaballah, **Economie des médias et de l'information**, OPU, Alger, 2008. Page 9.

[18] Franck REBILLARD, LOICQ M, **Pluralisme de l'information et media diversité. Un état des lieux international,** Paris, 2013, page33.
[19] Philip M. NAPOLI, **Audience Evolution. New technologies and the Transformation of Media Audiences**, New York, Columbia University Press, 2010, page 272.
[20] Nadine TOUSSAINT-DESMOULINS**, L'économie des médias**, Presses Universitaires de France, 2008, Paris page62.
[21] Jean-Marie CHARON**, Stratégies pluri-médias des groupes de presse**, 2009, France, page 64.
[22] Michel MATHIEN, **Economie générale des médias**, Paris, Éd. Ellipses, coll. Infocom, 2003, 240 p.

Bibliographie:

1. Nathalie SONNAC, L'économie de la presse: vers un nouveau modèle d'affaires, 2009, Université Paris 2, France.
2. Jean GABSZEWICZ & Nathalie SONNAC, L'industrie des médias, 2006, La Découverte, Paris.
3. Jean-Marie CHARON, Stratégies pluri-médias des groupes de presse, 2009, France.
4. Alain LAVIGNE, Concentration des médias et rapports entre les journalistes, leurs dirigeants et leurs sources apparentées : exploration d'impacts potentiels, 2005, Québec.
5. Franck REBILLARD, LOICQ M, Pluralisme de l'information et media diversité. Un état des lieux international, 2013.
6. Franck REBILLARD, Internet et pluralisme de l'information, 2012.
7. Marie-Hélène Lavoie, La concentration de la presse à l'ère de la «convergence », 2001, Québec.
8. François DEMERS, Concentration de la propriété des médias et réaménagement de la place publique médiatique : leçons des affaires Voilà et Star Académie, 2006 Québec.

9. D. BOUADJIMI, du pluralisme politique au pluralisme médiatique: l'expérience algérienne, Alger.
10. Colette Brin et Marilou St-Pierr, Crise des médias et effectifs rédactionnels au Québec, 2013, Québec.
11. Arthur Kanengieser, Sensibilité des obligations de production de la télévision à la pénétration de la SVOD, 2014, Paris.
12. Vers une nouvelle politique industrielle audiovisuelle, étude.
13. Warner A. Meier, Media Concentration Governance, 2006.
14. Pierre Albert et Christine le teinturier, Les médias dans le monde. Enjeux internationaux et diversités nationales, Ellipses, 1999.
15. Jean-Louis MISSIKA, La fin de la télévision, Seuil, 2006, Paris.
16. Nadine TOUSSAINT-DESMOULINS, L'économie des médias, Presses Universitaires de France, 2008, Paris.
17. Rodolphe Vidal, les systèmes d'information et les technologies de l'information et de la communication, Enjeux et outils de la responsabilité sociale de l'entreprise dans une perspective de contribution à la soutenabilité, La Revue des Sciences de Gestion, 2008, paris.
18. Patrick Quinn, Secrets pour rédiger sa publicité, top édition, 1999, paris.
19. Philippe Bouquillion , LA Constitution Des Pôles Des Industries De la Culture et de la Communication,
20. Bernard GUILLOU, Les stratégies multimédias des groupes de communication, 1985, France.
21. Olivier Bomsel and Camille Rosay, Why territories matter Vertical restraints and portability in audiovisual media services , 2013, Paris.

L'effet de l'acculturation sur la motivation intrinsèque et l'implication affective des travailleurs d'origine chinoise en Algérie.

HOCINI Amar, Université de Bejaia.

بعبارة أخرى،يتميز العمال الصينيون الذين يجدون صعوبات في التأقلم أو"التكيف الاجتماعي-الثقافي" في حياتهم الخاصة بمستويات متوسطة من الدافعية الداخلية وضعيفة من الإشراك العاطفي مقارنة بالعمال المحليين الذين لا يجدون مثل هذه الصعوبات في التكيف.وأخيرا،بينت النتيجة الثالثة والأخيرة لهذه الدراسة أن الإشراك التنظيمي هو الذي يؤثر على الدافعية في العمل وليس العكس، أي أنه كلما ارتفع مستوى الإشراك التنظيمي العاطفي للفرد اتجاه مؤسسته الأصلية كلما ارتفع مستوى الدافعية الداخلية لديه.

بعد الاطلاع على الأبعاد النظرية لمصطلح المثاقفة، إلى جانب تحليل العلاقة بين هذا المصطلح والدافعية الداخلية و الإشراك التنظيمي العاطفي ، تمكنت الدراسة الحالية من تقديم إضافات علمية فيما يخص تسيير الموارد البشرية في إطار المؤسسات المتعددة الثقافات.

الكلمات المفتاحية : المثاقفة ،التكيف الثقافي – الاجتماعي،الانسجام في العمل،الدافعية الداخلية، والإشراك التنظيمي العاطفي.

Résumé :

Partant du constat de l'importance du nombre d'accords d'association effectués entre les entreprises chinoises et algériennes notamment, dans le secteur du bâtiment et des travaux publics (BTP), nous proposons dans cette présente étude d'appréhender le

ملخص باللغة العربية:

انطلاقا من واقع ارتفاع نسبة عدد عقود الشراكة بين المؤسسات الجزائرية و الصينية في مجال البناء و الأشغال العمومية ، نحاول من خلال هذه الدراسة اختبار أثر ظاهرة المثاقفة أو"صعوبة التكيف الاجتماعي-الثقافي" للعمال الصينيين في حياتهم الخاصة على نمط الدافعية الداخلية والإشراك التنظيمي العاطفي لديهم في إطار مجمع الشراكة بين المؤسسة الصينية لانجاز الطرقات (CRCC) والشركة الجزائرية للجسور و الأشغال الفنية (SAPTA).تهدف هذه الدراسة التي أجريت على (184) عاملا يمثلون الجنسيتين الجزائرية والصينية إلى تحقيق ثلاثة أهداف أساسية: يتمثل الأول في وصف ظاهرة المثاقفة لدى العمال الصينيون في إطار المجتمع الجزائري من جهة، وإبراز العلاقة بين توجهات المثاقفة المعتمدة من طرفهم ومستويات الدافعية الداخلية و الإشراك التنظيمي العاطفي لديهم. وأخيرا، إبراز طبيعة العلاقة بين الدافعية و الإشراك.

استنادا إلى معطيات هذه الدراسة توصلنا إلى ثلاث نتائج أساسية: تتمثل الأولى في أن العمال الصينيين هم الذين يجدون صعوبات في "التكيف الاجتماعي–الثقافي" في حياتهم الخاصة مقارنة بالعمال المحليين.أما الثانية ،فبينت نتائجها أن إشراكهم التنظيمي العاطفي نحوى مؤسستهم الأصلية هو الذي تأثر بشكل ملحوظ بمؤشر تكيفهم "الاجتماعي-الثقافي" مقارنة بالدافعية الداخلية لديهم.

phénomène d'acculturation des salariés chinois, d'un point de vue des difficultés liées à l'adaptation socioculturelle dans leurs vies privées, et son incidence sur leur ajustement au travail, soit leur motivation intrinsèque vis-à-vis de leurs activités professionnelles et l'implication affective envers leur organisation mère.

Cette étude a été menée sur un échantillon de (184) salariés, représentant les deux nationalités, algérienne et chinoise ; vise un triple objectif à savoir: - Dresser un portrait de l'acculturation des salariés d'origine chinoise en Algérie. - identifier la relation entre les orientations d'acculturation et les niveaux de motivation et d'implication organisationnelle. – Et identifier la relation entre l'implication affective et la motivation autodéterminée ; concepts longtemps étudiés séparément.

Par cette démarche, ce travail a permis de tirer trois conclusions. La première et que les salariés chinois de l'entreprise CRCC (China Railway construction corporation limeted) travaillant en association avec l'entreprise SAPTA (Société Algérienne des ponts et travaux d'arts), ressentent plus de difficultés d'adaptation socioculturelle que les salariés algériens. En d'autres termes, ils ont plus de problèmes d'acculturation. La deuxième conclusion, a montré l'effet significatif de l'adaptation socioculturelle sur les niveaux de motivation intrinsèque et de l'implication affective des salariés chinois. Autrement dit, les salariés chinois, ont plus de problèmes d'adaptations dans leurs vies privées « Problème d'acculturation », et ils affichent à la fois des scores modérés de motivation intrinsèque, et faibles d'implication affective au travail, que les salariés algériens n'ayant pas connus ces difficultés. La troisième et dernière conclusion, montre l'effet significatif de l'implication organisationnelle sur la motivation. C'est- à - dire, plus l'implication affective de l'individu envers son entreprise mère est forte plus sa motivation intrinsèque au travail se trouve renforcée.

En ayant vérifié un certain nombre de dimensions théoriques des concepts d'acculturation, d'adaptation socioculturelle et d'ajustement au travail et en ayant établi un lien entre acculturation et motivation intrinsèque et implication affective ; cette étude apporte une contribution scientifique et managériale intéressante pour la gestion des ressources humaines dans le cadre des entreprises multiculturelles.

Mots clés : acculturation, adaptation socioculturelle, ajustement au travail, motivation intrinsèque et implication affective

1. Problématique de recherche:

Dans un contexte de mondialisation des marchés et des systèmes de production, la pression exercée sur les organisations pour une ouverture vers l'étranger se fait sentir. Cette ouverture se manifeste par le nombre grandissant d'entreprises qui établissent des unités d'affaires ou de production délocalisées, qui s'associent par voies d'alliances stratégiques, d'acquisitions ou de fusions.

Ces alliances dans beaucoup de cas sont motivées par l'ambition de revitaliser l'entreprise et de procéder à un changement profond. En outre, ces opérations de développement sont justifiées par la volonté de l'entreprise à prendre position sur un nouveau marché et de détenir le plus grand nombre de parts, et que d'autres situations peuvent se présenter à l'entreprise réalisatrice de ces activités. Il s'agit de consolider ses positions dans des secteurs à rendement ; dans le cas de surcapacité d'un secteur, l'entreprise gagne des parts de marché, et fait appel à telles alliances et accords d'associations.

La mondialisation et le développement technologique constituent des motifs conduisant aussi les dirigeants à avoir recours aux activités de rapprochement externes. Pour cette raison, beaucoup d'entreprises créent ce genre de rapprochement où celles-ci sont complètement cédées à d'autres.

Face à cette mondialisation connue par l'ouverture et la concurrence élargie, la considération accordée aux différences culturelles et l'interaction entre les cultures deviennent un enjeu essentiel pour toute organisation, qui cherche à satisfaire la demande diversifiée et intégrer des équipes de travail d'origine multiculturelles. Le contact prolongé de ces équipes, implique au niveau individuel et collectif la mise en oeuvre d'un processus d'acculturation. Les modèles de (Berry, 1980,2005) ou encore (Bourhis et al,1997) posent l'intégration comme un résultat possible de ce processus. De la même manière,

le modèle de (Camilleri ,1990) identifie une série de stratégies identitaires adoptées par les migrants.

En psychologie, l'intégration n'est qu'une alternative, loin d'être la seule en mesure de garantir le bien-être des individus, ou la qualité de leur relation à la société d'accueil et à ses membres.(René Mokounkolo et Pasquier,2008).

Par ce plan présenté, notre présente recherche s'interroge sur l'effet du processus d'acculturation « difficultés d'adaptation socioculturelle » des salariés « Chinois », dans leurs vies privées, qui peuvent influencer leur ajustement au travail,à cause de l'absence de motivation intrinsèque vis-à-vis de leurs activités professionnelles et le manque d'implication affective envers l'entreprise mère.

A ce titre, le prix d'une expatriation en échec peut baisser l'attachement de l'individu à son entreprise d'origine d'une part et influencer négativement son mode de motivation intrinsèque d'une autre part. Ainsi, on estime à 25% le nombre de personnes envoyées en mission à l'étranger, et qui quittent l'entreprise mère dans une année au retour (Black, 1988 ; Gergersen et Black, 1992).

En revanche, une personne adaptée, s'implique dans l'entreprise, et sa motivation pour ses activités professionnelles augmente (Jun et coll, 1997 ; Gergersen et Black, 1992) .Les conséquences de telle situation poussent à comprendre les facteurs clés et de succès de l'acculturation ou de l'adaptation socioculturelle des salariés étrangers à la société d'accueil. Lorsqu'une personne s'installe et travaille dans un autre pays, son bien être ne suit pas de fait. Car, cette même personne est sujette à un processus d'acculturation qui peut avoir des conséquences négatives sur son ajustement au travail, notamment du point de vue de l'implication et de la motivation.

Faciliter l'ajustement de ces expatriés dans leur nouveau contexte socioprofessionnel constitue un acte essentiel du management. En raison de la

difficulté à susciter la motivation intrinsèque et l'implication affective des salariés culturellement distincts. Car, le processus d'acculturation résultat de l'interaction entre ces derniers, produit selon (Bourhis, et al) des changements non seulement chez la population étrangère mais aussi, au sein de la société qui l'accueille. Et définit l'acculturation comme un processus bidirectionnel découlant d'un contact prolongé entre deux cultures différentes.

Le modèle d'acculturation de (Bourhis et al) est à la fois bidimensionnel, en ce sens, ce dernier considère que l'acquisition de la culture du pays d'accueil évolue indépendamment du maintien ou de l'abandon de la culture d'origine des étrangers. Dans notre cas, il s'agit des salariés Chinois du groupement « CRCC-SAPTA », chargé de la réalisation de la pénétrante reliant le port de Bejaia avec l'autoroute est-ouest.

Il considère aussi, l'acculturation de bidirectionnel dans la mesure où il tient compte des préférences du groupe minoritaire (salariés étrangers), et des attentes du groupe majoritaire (les salariés nationaux) vis-à-vis de l'acculturation du premier.

Le modèle de (Bourhis et al ,1997) prévoit aussi, une série de variables psychosociologiques corrélées avec les orientations d'acculturation (Bourhis et Montreuil,2004). Une forte identification à la majorité d'accueil, un sentiment de menace identitaire, l'absence de contact et de désir d'en avoir avec l'exo-groupe, une orientation de dominance sociale élevée, grande discriminations perçues envers l'exo-groupe, des attitudes défavorables vis-à-vis de l'étranger,un sentiment d'anxiété en présence de membres de l'exo-groupe, la perception de relations intergroupes conflictuelles sont autant de corrélats des orientations assimilationniste, marginalisation et séparation. Celles-ci ont en commun de privilégier l'homogénéité culturelle, en attendant des personnes d'origine

étrangères qu'elles abandonnent leur culture d'origine au profit de la culture d'accueil, qu'elles ne se mêlent pas au groupe majoritaire relevant du pays d'accueil.

En revanche, une faible identification au groupe majoritaire, l'existence de contacts et la volonté d'en avoir avec l'exo-groupe, un sentiment de sécurité identitaire, peu de discriminations vécues par l'exo-groupe, des attitudes favorables à l'égard de l'immigration, une faible dominance sociale, une perception de relations intergroupes harmonieuses sont des variables corrélées à l'orientation d'intégration. Cette dernière autorise les personnes d'origine étrangère à conserver leur culture d'origine, et qui implique l'adaptation de la majorité d'accueil à cette culture minoritaire et vis versa.

En outre, ce modèle prédit le type de relations intergroupes qui naissent de la concordance ou de la discordance entre les attentes de la majorité et les préférences du groupe minoritaire. Dans la mesure où l'ajustement psychologique au travail peut intervenir dans un contexte de relations intergroupes, nous avons supposé l'existence d'un lien entre ces stratégies d'acculturation (intégration, séparation, assimilation, et marginalisation) et les différentes dimensions de l'ajustement au travail traitées dans cette étude à savoir : la motivation intrinsèque et l'implication affective.

Cette méthode est pertinente pour l'étude de l'acculturation, mais dans notre présent travail, ce concept est évalué du point de vue des difficultés qui découleront de ce phénomène plutôt que par les différentes orientations d'acculturation adoptées par les individus.

A la lumière de cela, il parait claire que la réussite de l'investissement dans le travail n'est plus tributaire de l'aspect économique (matériels, financier) des entreprises en association, mais également par la bonne prise en charge totale des besoins de l'homme exprimés au travail, et le respect de ses "valeurs

culturelles, habitudes, normes sociales, traditions". Voir même ses croyances religieuses dont le rôle est déterminant pour son ajustement au contexte de travail multiculturel.

Dans cette optique, nous essayons d'illustrer ces propos, par la présentation d'un travail de recherche au sein du groupement « CRCC-SAPTA ». Ce travail se veut une contribution à l'étude de l'incidence du problème d'acculturation « difficultés d'adaptation socioculturelle » des salariés Chinois, dans leurs vies privées sur leur ajustement au travail. La motivation intrinsèque et l'implication affective de ces salariés sont les deux dimensions explicatives de cet ajustement.

Deux concepts, longtemps étudiés indépendamment, sont aujourd'hui développés dans des modèles intégrateurs, dont celui de (Meyer et al ,2004) représente une voie de recherche innovante. Ce modèle vise à faire comprendre comment ces deux concepts sont reliés avec les comportements attendus par l'organisation, et comment ils contribuent à la performance de l'individu. Par ailleurs, ce modèle est particulièrement adapté à notre recherche, dans la mesure où il redonne une place centrale aux besoins de l'individu et à ses valeurs culturelles qui sont au cœur du processus d'acculturation qui constitue les fondements de notre présente recherche.

Dès lors, plusieurs raisons sont réunies pour motiver l'étude et la compréhension du processus d'acculturation des chinois en Algérie et chercher à identifier le lien entre l'acculturation des chinois dans leurs vies privées et leur motivation intrinsèque et implication affective au travail.

Ainsi, les questions de recherche se présentent comme suit : l'acculturation des chinois du groupement « CRCC-SAPTA » est–elle source de difficultés socioculturelle au sein de leurs vies privées ? Et sont-ils ajustés au travail ? Autrement dit, sont-ils caractérisés par des niveaux élevés de motivation

intrinsèque vis-à-vis de leurs activités professionnelles et d'implication affective envers leur entreprise mère?

1. Les hypothèses :

Pour répondre à ces questions, nous avons émis deux hypothèses.

H1-Il y a une différence significative des difficultés d'adaptation socioculturelle « Problème d'acculturation » vécues par les salariés chinois dans leurs vies privées que les salariés algériens.

H2-Il existe une différence significative dans les niveaux de motivation et d'implication affective des salariés algériens et chinois du groupement selon les degrés de difficultés d'adaptation socioculturelle.

2. Les objectifs :

- Comprendre la problématique de l'acculturation des salariés chinois de la CRCC.

-Identifier la relation entre les orientations d'acculturation ou « difficultés d'adaptation socioculturelle » des chinois avec leurs niveaux de motivation intrinsèque et d'implication affective au travail.

-Identifier la relation entre les deux dimensions de l'ajustement au travail longtemps étudiées séparément à savoir : l'implication affective et la motivation autodéterminée.

-Formuler des recommandations pour une meilleure intégration et adaptation socioculturelle des chinois à l'environnement socioprofessionnel en Algérie.

Cet objectif vise à comprendre le processus d'acculturation s'inscrivant dans le champ de la psychologie interculturelle, en vue d'éclairer la nature des

dispositifs à mettre en place ; en vue d'optimiser l'adaptation socioculturelle des salariés étrangers « chinois » au sein de la société algérienne.

3. Analyse conceptuelle et cadre théorique :

Nous allons présenter ici l'analyse des différentes dimensions des concepts clés de cette présente recherche dans le cadre de leurs approches théoriques respectives à savoir : Adaptation socioculturelle ou « Orientations d'acculturation », ajustement au travail, la motivation intrinsèque et implication affective.

3.1. Acculturation :

L'acculturation se définit comme un processus résultant du contact continu et direct entre groupes d'individus de cultures différentes, impliquant des changements ,pour l'un des groupes ou pour chacun d'entre eux,des modèles culturels originaux Redfield, Linton,et Herscovits (1936) (Wagner, et al,2013).Différents modèles ont été proposés pour rendre compte du processus d'acculturation vécu par les immigrants établis dans les pays d'accueil (Sam,2006).Les premiers étaient unidimensionnels et décrivaient une assimilation progressives et inévitable du groupe minoritaire à la culture dominante de la majorité d'accueil (p.ex.Gordon ,1964).Le modèle de (Berry,1980,2005) marque un tournant en proposant de considérer l'acquisition de la culture majoritaire et le maintien de la culture d'origine comme deux dimensions distinctes et indépendantes du processus d'acculturation des immigrés. Quatre formes d'acculturation chez les immigrés établis en pays d'accueil sont proposées (Sabatier et Berry, 1999).

L'intégration concilie le maintien de la culture d'origine de l'immigré avec l'acquisition de la culture d'accueil. L'assimilation implique le rejet de la culture d'origine au profit de la culture dominante du pays d'accueil. Les immigrés qui

adoptent l'orientation d'acculturation séparatiste insistent pour le maintien de la culture d'origine et le rejet de la culture majoritaire du pays d'établissement. Enfin, les immigrés endossent la marginalisation dans la mesure où ils ne s'identifient plus à la culture de leur endogroupe et subissent le rejet des membres de la majorité d'accueil.

Par la suite, des modèles bidirectionnels, qui s'adressent aussi bien au groupe minoritaire qu'au groupe majoritaire voient le jour, comme c'est le cas du modèle d'Acculturation Interactif (MAI) (Bourhis et al, 1997) qui retient notre attention dans la mesure où il envisage l'acculturation sous l'angle de la psychologie des relations intergroupes. Ce modèle, propose que les minorités immigrantes et les membres de la majorité d'accueil puissent endosser six types d'orientations d'acculturation qui les guident dans leurs contacts intergroupes au travail ; à l'école, dans les lieux publics et dans leurs relations interpersonnelles. Trois orientations d'acculturation vont dans le sens d'un accueil favorable des immigrants à savoir :L'intégrationnisme, l'intégrationnisme de transformation et l'individualisme. Les trois autres orientations moins accueillantes des membres de la majorité d'accueil ont en commun le rejet de la culture de l'autre à savoir : L'assimilationnisme, le ségrégationnisme et l'exclusionnisme.

La mesure des orientations d'acculturation suscitées, par le biais des instruments de mesure de l'acculturation, est la méthode la plus pertinente pour l'étude de ce phénomène. Mais dans notre étude, ce concept est évalué du point de vue des difficultés d'adaptation socioculturelle que ce phénomène peut engendrer plutôt que par les différents types d'orientations adoptées par les individus. L'étude de l'acculturation par le biais des instruments de mesure de l'adaptation socioculturelle a été pratiquée à de multiples reprises, comme nous allons le voir ci-dessous.

3.2. **Adaptation socioculturelle (ASC):**

Dit aussi « adaptation comportementale » (Ward et Rana-Deuba, 1999). Cette adaptation concerne l'apprentissage de la nouvelle culture, la somme des difficultés vécus dans l'exercice des taches quotidiennes est la clé du succès de participation de l'individu à la société d'accueil. Elle est corrélée selon les recherches antérieurs (Berry,2003) au temps passé sur place, à la maîtrise de la langue locale, à la distance culturelle et à la qualité de contacts avec la société d'accueil (Ward et Kennedy,1993). Ainsi, une forte identification à la société d'accueil mène à de moins grandes difficultés socioculturelles (Ward et Rana-Deuba).

D'après Berry (1997),(ASC) des migrants sont conditionnés par leurs apprentissages culturels ou leurs niveaux d'adaptations aux changements vécus dans la société d'accueil. Selon lui, il existe cinq grands types de changements auxquels l'individu devrait s'adapter.

- Premièrement, il y a de fortes chances que des changements physiques s'opèrent : changement de type de maison, de climat, de degré de pollution, de densité de population etc.
- Deuxièmement, les changements peuvent être biologiques : nouvelles maladies, régime alimentaire etc.
- Troisièmement, des changements culturels, par définition, s'opèrent : politiques, économique, techniques, linguistiques, religieux et au niveau des systèmes de valeurs. Ainsi, (Berry,2001) donne une définition de l'acculturation comme aboutissant à de nombreux changements culturels : « a process that entails contact between two cultural groups,which results in numerous cultural changes in both parties ».

- Quatrièmement, de nouveaux types de relations sociales, à l'intérieur d'un groupe, où de rapports de domination avec d'autres peuvent être mis en place.
- Cinquièmement, il y aurait des changements psychologiques concernant l'individu, au niveau de son comportement et de sa santé mentale. L'étude de l'acculturation dans notre recherche, sera centrée sur le niveau individuel (attitudes et comportements) soit les différentes difficultés socioculturelles vécues par les salariés d'origine chinoise dans leurs vies privées au sein de la société Algérienne.

3.3. **Ajustement au travail** :

En étudiant le concept d'acculturation, l'idée de l'ajustement fait référence au bien être psychologique face à la vie ailleurs que dans son lieu d'origine : « Cross-cultural adjustment is the extent to which individuals are psychologically comfortable living outside of their home country » (Caliguiri,2000).

Par contre, on entend par l'ajustement au travail dans cette présente recherche, la motivation intrinsèque où autodéterminée des salariés chinois vis-à-vis de leurs activités professionnelles et leurs implications affectives « attachement émotionnel » envers l'entreprise mère. Pour plus de précision, nous allons présenter les définitions des deux dimensions de l'ajustement au travail telles que appréhendées dans cette étude comme suit :

3.4. **La motivation intrinsèque ou autodéterminée** :

En s'appuyant sur les postulats de la théorie de l'autodétermination de Deci et Ryan (1985) on constate qu'elle distingue entre trois modes de motivation à savoir : la motivation autodéterminée (où intrinsèque),la

motivation non autodéterminée (où extrinsèque) et l'amotivation (où l'absence de motivation).

La motivation autodéterminée suppose que l'individu se sent complètement libre de ses choix, alors que la motivation non autodéterminée implique que ses actions sont influencées et guidées par des pressions extérieures. Ainsi, la théorie de l'autodétermination considère qu'il existe différentes formes de régulation comportementale plus au moins autodéterminées. La motivation intrinsèque est conceptualisée comme étant la motivation la plus autodéterminée. Un individu est intrinsèquement motivé lorsqu'il s'investit dans une activité, parce qu'il la trouve intéressante, et qu'il ressent du plaisir et de la satisfaction à la pratiquer. A l'inverse, la motivation extrinsèque implique que la satisfaction ne provient pas de l'activité en elle-même, mais plutôt de facteurs externes liés à l'engagement dans celle-ci (ex : récompenses financières).

Concernant la motivation intrinsèque au quelle nous réservons une place centrale dans cette étude, ce mode de motivation implique que les actions du salarié au travail sont complètement libres, et relèvent du choix où de la volonté de l'individu, parce qu'il les trouve intéressantes. C'est en générale le mode le plus retenue dans les plus récentes études sur la motivation, dans le contexte organisationnel, car elle sous-tend un acte libre de la personne d'en faire des efforts au travail.

3.5. **Implication affective** :

En se référant au modèle tridimensionnelle (d'Allen et Meyer, 1996) dans cette étude, modèle ayant fait l'objet de nombreuses validations par une abondante littérature, l'implication organisationnelle est pour eux un état psychologique caractérisant la relation du salarié à l'organisation et qui, par

ailleurs, a des effets sur la décision d'adhésion ou de démission en tant que membre de l'institution.

Selon la conception de l'implication proposée par Meyer et Allen, on peut considérer l'implication organisationnelle comme constituée de trois composantes : implication affective, implication normative et implication calculée. En fait, il s'agit de voir que, selon les auteurs, la relation qui lie le salarié à son entreprise peut refléter différents degrés dans chacune de ces formes d'implication. En effet, un salarié peut simultanément ressentir un fort attachement à une organisation (implication affective) et se sentir obligé de rester (implication normative). Un autre peut apprécier de travailler pour l'organisation mais reconnaître cependant que le fait de la quitter serait difficile et négatif pour lui d'un point de vue financier notamment (implication calculée). En fin, un troisième peut ressentir un degré élevé de désir, de besoin et d'obligation pour rester avec son employeur actuel.

Sur ces bases, la nature de la relation entre une personne et son organisation peut être fondée sur un attachement affectif, une obligation morale et/ou un calcul opportuniste. Concernant l'attachement affectif auquel nous réservons une place centrale dans notre présente recherche, cette composante « affective » met en relief l'adhésion de l'individu à tout ce que peut représenter l'organisation. Elle reflète la force de l'identification du salarié à son entreprise et sa volonté d'en rester membre. C'est en générale la dimension la plus retenue dans les plus récentes études sur l'implication organisationnelle car elle sous-tend un acte libre de la personne d'en rester membre dans l'organisation.

4. Méthode :

4.1. Participants et procédure :

L'échantillon adopté est de type probabiliste, en vue de répondre à l'objectif global de notre étude à savoir tester l'approche théorique adoptée et de généraliser ses résultats. Le type d'échantillonnage utilisé est le stratifié proportionnel, dont on a réalisé un prélèvement de (33%) de la population globale de la zone (2) du groupement CRCC-SAPTA, estimée à (556) salariés dont (320) algériens et (236) chinois. Le prélèvement à été réalisé par un tirage au hasard à l'intérieur de chaque sous-groupe (Nationalité Chinoise et Algérienne).Ainsi, (184) hommes ont participé à cette étude soit (106) salariés algériens et (78) chinois. Cet échantillon comprend (22) agents d'exécution (11.95%), (117) agents de maîtrise (63.58%) et (45) cadres (24.45%) avec une ancienneté de travail dans l'entreprise de (2 ans à 4 ans).

Nous avons écarté de notre échantillon les salariés chinois ayant moins de (2 ans) de travail avec le partenaire algériens et ce, selon la proposition de Hofsted (1991), qui souligne que la période dite acculturative, débute après la phase de choc culturel, soit environ deux années après la migration où de travail avec les membres du groupe étranger. En effet, la période d'euphorie, en tout début de séjour,généralement suivie d'une phase de sentiments négatifs à l'égard du pays d'accueil ou l'inverse, communément appelée « choc culturel » suscite des réponses davantage liées à des réactions émotionnelles intenses vécues sur le moment (« c'est magnifique,je voudrais rester ici pour toujours ! » où « c'est affreux, je voudrais partir le plus vite possible »).Dans le but d'éviter l'influence de cette phase sur le degré «d'adaptation socioculturelle » des salariés du groupement, nous avons décidé d'écarter de notre échantillon les salariés chinois ayant moins de (2) ans de travail en Algérie.

4.2. Mesure :

4.2.1. **L'adaptation socioculturelle** : Tel que signalé auparavant, le concept de l'acculturation dans la présente étude est évalué du point de vue des difficultés (ASC) que ce phénomène peut engendrer plutôt que par les différents types d'orientations d'acculturation adoptées par les salariés du groupement . Etudier l'acculturation par le biais de l'instrument de mesure de (ASC) a été pratiqué à de multiple reprise, cette méthode va être privilégiée. Cette instrument que nous allons utilisé dans notre étude est celui de Ward et Kennedy en (1999) : le SCAS (Socio cultural Adaptation Scale) tiré de la thèse de (Abotossaway,2002). A la base cet outil comporte (29) items,avec une échelle de likert à (5) niveaux, allant de « pas du tout difficile » (1) à « extrêmement difficile » (5).(exemple d'items : « Comprendre le fonctionnement politique algérien » ; « Comprendre le système de valeurs Algérien » ; « Entretenir des relations familiales en vivant en Algérie » ; « Me faire des amis en Algérie »,etc.).

Des scores importants sur cette échelle indiquent que les répondants ont de grandes difficultés à interagir et à s'identifier à la culture dominante ou d'accueil. Par ailleurs, il est à signaler que le nombre d'items à été ramené à (24) items dans plusieurs recherche comme (Abotossaway,2002) se l'est accordé. En outre, cette échelle a été traduite en français et utilisée à de multiples reprises dans plusieurs études. Aussi, cet outil est réputé comme facilement adaptable aux différentes cultures et présentant régulièrement des alphas de Cronbach allant de .76 à .91 selon l'étude de (Abotossaway).

4.2.2. **Motivation intrinsèque** : La motivation intrinsèque des salariés a été mesurée à l'aide de (4) items issus de la version révisée de l'échelle de

motivation au travail (Gagné et al,2008). En se référant à une échelle de Likert en(7) points s'étendant de (1) « pas du tout » à (7) « exactement »,les participants doivent indiquer pour chacun des énoncés,le degré auquel ceux-ci correspondent aux raisons pour lesquelles, ils font ou feraient des efforts au travail. Ainsi, tous les énoncés étés précédés de la question : « Pourquoi faites-vous ou feriez-vous des efforts au travail ? ». Cette sous échelle de quatre items permet de mesurer la motivation intrinsèque (ex : Parce que j'aime vraiment ce travail » ; a=0.79.

4.2.3. **Implication affective** : Nous allons utiliser la sous échelle version française de l'Echelle d'Implication Organisationnelle (Allen et Meyer, 1996 ; Stinglhamber, 2002) pour mesurer la dimension de l'implication affective. Cette composante affective (6 items) fait référence à l'attachement émotionnel des salariés à leur entreprise. Pour chacune des propositions, les participants doivent indiquer s'ils ne sont « pas du tout d'accord », « assez peu d'accord », « Indécis», « assez d'accord », où « tout à fait d'accord ».L'alpha de Cronbach de cette sous-échelle est égale à 0.82, attestant d'une cohérence interne satisfaisante. (ex :Je me sens attaché affectivement à mon entreprise » ; « Je suis fier d'appartenir à mon entreprise »,etc.).

4.3. Méthode de recherche:

Une recherche quantitative à l'aide des quatre outils développés ci-dessus a été adoptée. Une partie visait à recueillir les données personnelles des répondants a été rajoutée au début de ces échelles à savoir : nationalité, durée de travail avec le partenaire actuel, et catégorie socioprofessionnelle. Afin de mieux comprendre leurs liens avec l'acculturation des salariés du groupement en question.

Ce questionnaire, pour être valable, a été présenté en deux langues (française et anglaise) à un comité d'évaluateurs constitué de (8) enseignants, et a fait l'objet d'un près-test. Ainsi, ce questionnaire a reçu l'approbation de 100% des juges relevant de la spécialité de psychologie du travail et des organisations. Ce questionnaire a ensuite fait l'objet d'un pré-test impliquant douze salariés soit six de chaque nationalité (algérienne et Chinoise), qui ont été encouragés à faire des commentaires sur les différents items dont le sens ne leur paraissait pas clair. Certains items ont ainsi été précisés.

5. Résultats de l'étude :

5.1. Résultats de la première hypothèse :

La première hypothèse posée, est fondamentale pour la suite du déroulement de cette étude, et celle de l'existence d'une différence significative (ASC) entre individus de nationalités différentes (Algérienne et Chinoise). Plus spécifiquement, l'hypothèse suivante est proposée : il y a une différence significative des difficultés d'adaptation socioculturelle où « problème d'acculturation » vécues par les salariés Chinois dans leurs vies privées que les salariés algériens. Autrement dit, les salariés d'origine chinoise travaillant dans le groupement sont plus susceptibles de difficultés d'adaptation que les salariés Algériens.

Afin d'établir une comparaison entre les salariés selon la nationalité nous avons utilisé le (t) test, dans lequel la nationalité est posée comme variable indépendante,et l'indice (ASC) comme variable dépendantes. Il est à signaler que l'indice de l'adaptation a été crée grâce à la fonction « Compute » de SPSS.

L'indice d'adaptation socioculturelle ($\overline{X}$= 1.98) est la réponse moyenne donnée à l'instrument de mesure de (ASC) : échelle de mesure de (24) questions, en (5) points allant de « pas du tout difficile » à « extrêmement

difficile ».Ci-après le tableau (n°1) représentant les moyennes des réponses des deux groupes de nationalités sur l'échelle de (ASC):

Tableau (1) : Adaptation socioculturelle des salariés du groupement « CRCC-SAPTA » selon la nationalité :

Nationalité	Moyennes Chinoise N=78	Moyennes Algérienne N=106	t	p
Indice d'adaptation socioculturelle	2.31	1.61	4.10	0.000

Les résultats montrent que les salariés chinois travaillant dans le cadre du groupement « CRCC-SAPTA », ont plus de difficultés (ASC) ($\overline{X}$=2.31,p<.01) que les salariés Algériens ($\overline{X}$=1.61,p<.01).Ce résultat est cohérent avec la littérature sur l'acculturation :le phénomène d'acculturation auquel est confronté le groupe étranger engendre des difficultés (ASC) en général supérieures à celles du groupe de la majorité d'accueil (Arends-Toth et Van de Vijver,2003 ; Belkaid,2000 ; Berry,2001 ;Bourhis ,1997 ; Komizarof,2009 ; Safdar,2008 ; Wagner ,2013).

Afin de préciser les résultats, nous allons mener le même type d'analyse en prenant comme variables dépendantes chaque item de l'échelle (ASC), il ressort que (17) items de cette échelle montrent des différences significatives (p<0.05). Concernant (16) items sur (24) de cette échelle, les salariés chinois éprouvent plus de difficultés que les salariés Algériens. « Suivre les règles et

règlementations Algériennes » item (18), « Utiliser les transports en commun en Algérie » item (22), « vivre avec ce type de climat météo en Algérie » item (23), sont les seuls points sur lesquels les salariés chinois éprouvent moins de difficultés en moyenne que les salariés Algériens.

En guise de synthèse, il est important de distinguer les salariés de ce groupement selon leur nationalité. Les salariés de nationalité Chinoise et Algérienne ont des différences dans l'intensité de difficultés vécues, qui sont significatives sur différents points. Sur la majorité des items de l'échelle (ASC) de (Ward et Kennedy, 1999), en convergence avec la littérature (Ex : Ahren, 2005), les individus du groupe étranger, soit les salariés chinois, ressentent plus de difficultés qu'au sein du groupe local Algérien. Néanmoins, sur les trois items suscités, les résultats obtenus sont inverses.

Il est important de noter que les « règles et réglementations » d'une façon particulière sont supposées être respectées beaucoup plus par les salariés locaux, à savoir les algériens, étant donnée qu'elles relèvent de leur contexte social. Mais, compte tenu d'autres considérations, le salarié Algérien n'est pas favorable aux respects des règles et réglementation en vigueurs. Contrairement aux salariés chinois. Par conséquent, et compte tenu des résultats empiriques et de la littérature, la première hypothèse appliquée à l'adaptation socioculturelle est confirmée.

5.2. Résultats de la deuxième hypothèse :

La deuxième hypothèse posée stipule que les salariés ayant le moins de difficultés (ASC) dans leurs vies privées où moins de problème « d'acculturation », sont beaucoup plus ajustés au travail. Ils ont les niveaux les plus élevés de motivation intrinsèque et d'implication affective au travail, que les salariés ayant des difficultés (ASC).

Conformément aux résultats de la première hypothèse, nous avons procédé à la division des répondants en deux groupes en fonction des moyennes relatives à l'indice (ASC). Le premier groupe est constitué essentiellement de salariés d'origine chinoise ayant plus de difficultés (ASC). Le deuxième groupe est composé d'algériens ayant moins de difficultés d'adaptation. Les moyennes et écart-types des variables où dimensions de l'ajustement au travail soient la motivation intrinsèque et l'implication affective pour chacun des deux groupes sont présentés dans le tableau (n°2) ci-dessous :

Tableau (2) : Les moyennes et écarts-types des variables de l'ajustement au travail « Motivation intrinsèque et implication affective » pour chacun des deux groupes.

Groupe **Variables dépendantes** **« Dimensions de l'ajustement au travail »**	**Groupe 1** **«Indice d'adaptation socioculturelle Faible»** **N=78 chinois**	**Croupe 2** **«Indice d'adaptation socioculturelle Fort»** **N= 106** algériens
Motivation Intrinsèque	4.51	4.31
Implication affective	2.54	5.72

Note, pour chaque variable, les moyennes avec des indices différents indiquent une différence significative à $p<0.05$.

Les moyennes obtenues pour chaque groupe ont permis de donner un nom à chacun d'eux. Le premier groupe est nommé «Indice d'adaptation socioculturelle Faible » regroupant (78) individus soit (42.39% de l'échantillon). Ce groupe comprend les salariés relevant de la nationalité chinoise dont l'indice (ASC) est faible. Il est caractérisé par un niveau modéré de motivation intrinsèque et faible d'implication affective. Le second groupe est nommé « Indice d'adaptation socioculturelle fort » composé de (106) individus représentant les salariés algériens, soit, (57.60% de l'échantillon). Les membres de ce groupe présentent des scores modérés de motivation intrinsèque vis-à-vis de leurs activités professionnelles et des scores élevés d'implication affective envers leur entreprise mère.

Deux ANOVA associées à des tests post-hoc de Newman-Keuls sont ensuite menées pour analyser les différences entre les deux groupes au niveau de la motivation intrinsèque et de l'implication affective (voir Tableau 2). La première analyse a montré qu'il existe des différences significatives entre les deux groupes concernant la motivation intrinsèque ou autodéterminée $F(2.176)=3.64, p<0.05$.Les tests post-hoc de Newman-Keuls ont révélé que les salariés chinois du groupe (1), malgré leur faible (ASC) sont caractérisés par des scores plus au moins élevés de motivation intrinsèque comparativement aux salariés algériens du groupe (2) qui affichent une forte (ASC).

Ensuite, les résultats de l'ANOVA avec l'implication affective comme variable dépendante ont également révélés un effet significatif $F(2.177)=13.93$; $p<0.01$. Plus spécifiquement, les résultats montrent que les salariés algériens ayant moins de difficulté (ASC), présentent des scores d'implication affective

nettement supérieurs à ceux du groupe (1) , constitué essentiellement de salariés chinois ayant plus de difficultés d'adaptation.

6. Discussion :

Le premier objectif de cette recherche est de dresser un portrait de la situation de l'acculturation. C'est-à-dire, les problèmes (ASC) auxquels sont confrontés les salariés chinois de la CRCC travaillant en association avec l'entreprise Algérienne SAPTA. En vue d'examiner par la suite l'effet éventuel de ces difficultés d'adaptation au sein de leur vie privée sur leur motivation et implication organisationnelle, par conséquent, leur ajustement au travail. Pour se faire, nous avons proposé l'hypothèse suivante « Les salariés chinois travaillant en association avec l'entreprise algérienne SAPTA sont plus susceptibles de difficultés (ASC) que les salariés Algériens ».

Il ressort des résultats de cette première hypothèse, que les salariés de nationalité chinoise et Algérienne ont des différences dans l'intensité de difficultés vécues dans leur vie privée, qui sont significatives sur différents points. Sur la majorité des items, en convergence avec la littérature (Ex : Ahren, 2005 ; Berry, 2005 ; Bourhis, 1997 ; Bourhis et Bougie, 1998 ; Cohen-Emrique. M ,1989 ; Cognet M, 1999 ; Komizarof ,2009), les individus du groupe étranger, en l'occurrence les salariés chinois ressentent plus de difficultés que leurs homologues algériens. Néanmoins, sur trois items, « Suivre les règles et réglementations Algériennes » item (18), « Utiliser les transports en commun en Algérie » item (22), « vivre avec ce type de climat météo en Algérie » item (23), les résultats obtenus sont inverses.

Il est important de noter à ce titre, que les règles et réglementations d'une façon particulière sont supposées être respectées beaucoup plus par les salariés Algériens étant donné qu'elles relèvent de leur contexte social. Mais, pour

d'autres considérations le salarié Algérien n'est pas favorable au respect des règles et réglementation en vigueurs, contrairement aux salariés chinois qui manifestent plus de discipline au travail malgré leurs difficultés (ASC) dans leurs vies privées. Ceci, peut s'expliquer par le style de commandement trop rigide « Autoritaire » du dirigeant chinois envers ses compatriotes. Par conséquent, et compte tenu des résultats, la première hypothèse appliquée (ASC) a été confirmée.

Le deuxième objectif de cette présente étude est d'identifier la relation entre les orientations d'acculturation ou difficultés (ASC) des salariés chinois et Algériens avec leurs niveaux de motivation intrinsèque et d'implication affective au travail. Pour atteindre cet objectif, nous avons émis l'hypothèse suivante « Les salariés ayant le moins de difficultés (ASC) c'est-à-dire, moins de problèmes d'acculturation, ont les niveaux les plus élevés de la motivation intrinsèque, et d'implication affective au travail, que ceux ayant plus de difficultés d'adaptation ».

Dans le but de procéder à la vérification de cette hypothèse, nous avons procédé conformément aux résultats de la première hypothèse à la division des répondants en deux groupes en fonction de leur indice (ASC), puis d'analyser les relations entre ces indices et les deux dimensions de l'ajustement des salariés au travail à savoir la motivation intrinsèque et l'implication affective. Le premier groupe est constitué de salariés chinois ayant plus de difficultés (ASC); le deuxième groupe est composé de salariés algériens ayant moins de difficultés d'adaptation.

Les résultats des deux ANOVA qui sont conduites avec la motivation intrinsèque et l'implication affective comme variables dépendantes révèlent un effet significatif entre les deux groupes, plus précisément, les salariés chinois du

groupe (1) (Indice ASC Faible) obtiennent des scores de motivation intrinsèque plus élevés que les salariés algériens du groupe (2) et ce, malgré leur difficultés (ASC). En revanche, ils obtiennent de moins bons scores d'implication affective envers leur entreprise mère que les salariés algériens du deuxième groupe (Indice ASC fort).

Les résultats évoqués montrent que les salariés algériens qui ont moins de difficultés (ASC) dans leurs vies privées, présentent des niveaux modérés de motivation intrinsèque envers leurs activités professionnelles, et des niveaux élevés d'implication affective envers leur entreprise mère. A l'opposé de ces résultats, il ressort que les salariés chinois ayant beaucoup plus de difficultés (ASC), obtiennent des scores plus au moins élevés de motivation intrinsèque que les salariés algériens, ceci malgré leurs difficultés (ASC), et de faibles scores en termes d'implication affective envers leur entreprise. Par conséquent, et compte tenu de ces résultats, la deuxième hypothèse appliquée à l'effet de (ASC) sur les deux dimensions de l'ajustement au travail est partiellement confirmée.

Conformément à nos hypothèses, les résultats obtenus dans cette étude ont également permis de montrer le type de relation entre les deux dimensions de l'ajustement au travail longtemps étudiées séparément, à savoir : l'implication affective et la motivation autodéterminée. Il est important de préciser que plus le niveau de l'implication affectif est élevé chez le salarié algérien ayant moins de difficultés (ASC), plus son score de motivation intrinsèque est presque comparable. Ceci, est cohérent avec la théorie de la régulation des objectifs de (Meyer et al, 2004) qui suppose que plus l'attachement émotionnelle de l'individu envers son entreprise est fort, plus sa motivation intrinsèque vis-à-vis de ses activités professionnelles se trouvent renforcée. Ce qui veut dire que le

lien psychologique liant l'individu à son organisation de part son rôle bénéfique joue un rôle protecteur de la motivation intrinsèque au travail (Meyer et al).

En revanche, malgré qu'il a été montré que la motivation autodéterminée est importante dans l'augmentation de l'implication affective et de la satisfaction des salariés envers leur entreprise (Eby, Freeman, Rusch et Lance, 1999 ; Ganesan et Weitz, 1996 ; Karatepe et Uludag,2007), les résultats obtenus par les salariés d'origine chinoise dans la présente étude infirment cette relation, étant donné que leurs scores plus au moins élevés de la motivation intrinsèque n'ont pas pus augmenter leur implication affective envers leur entreprise mère. Ainsi, il est important de souligner, que les scores faibles d'implication affective des chinois envers leur entreprise, sont due essentiellement à leurs difficultés (ASC) tels que évoqués par cette étude. ceci est assez positifs pour l'entreprise, dans la mesure où ces niveaux sont associés à des conséquences négatives dans le domaine du travail (voir Gagné et al, 2008 ; Meyer et al, 2004 ; Thévenet M, 2000).

Finalement, les résultats de cette étude confirment les propositions de notre approche théorique de (Meyer et al) du moins pour les salariés algériens.

Conclusion :

Contrairement à certaines études ayant montré que la motivation et l'implication organisationnelle d'un personnel issu de cultures différentes, ne peuvent être influencées que par la compatibilité de leurs orientations d'acculturation au sein de la même entreprise, (René de cotret, 2003), les résultats obtenus dans cette recherche, soulignent qu'il est important de prendre en compte la combinaison des différents facteurs internes et externes à l'entreprise, lieu de travail. Notamment, l'effet des difficultés (ASC) vécus par les salariés dans leurs vies privées sur les deux concepts suscités, dimensions de l'ajustement au travail.

Un individu peut donc, n'éprouver aucune difficulté d'acculturation ou d'adaptation à son travail, mais s'il en éprouve de trop importantes dans sa vie privée, il subira les conséquences de ses difficultés (ASC) sur son ajustement psychologique au travail. Surtout que la détérioration du lien affectif entre le salarié et son entreprise est réelle « implication affective faible », et la diminution du niveau de motivation intrinsèque ou autodéterminé en vers ses activités professionnelles, qui se fait sentir.

Ainsi, l'amélioration des conditions objectives et subjectives qui favorisent (ASC) des salariés expatriés d'une façon générale, et des salariés chinois d'une façon particulière, dans une entreprise pluraliste doit être prévue. Pour que cette attitude prédomine et en même temps que se réduise la possibilité du sentiment d'être marginalisé parmi les personnes dont le vécu est au carrefour de différentes cultures.

En conclusion, même si cette étude présente des limites, dues aux contingences de terrain, et elle nécessite d'être revue avec d'autres échantillons, relevant d'autres secteurs d'activités, elle reste néanmoins, une contribution

précieuse à l'examen de l'incidence du problème d'acculturation dans la vie privée des salariés expatriés sur leur ajustement au travail. Cette recherche nous a révélés des informations importantes sur l'effet des degrés (ASC) sur la motivation autodéterminée, et l'implication affective des salariés du groupement CRCC-SEPTA. Enfin, il est important de souligner que le nombre de participants à cette étude (n=184) n'est pas conséquent comparativement à la population globale. D'autres recherches futures devront regrouper des échantillons importants touchant d'autres secteurs d'activités autres que le (BTP) afin de généraliser les résultats.

Implications managériales :

Les résultats obtenus ont des applications pratiques dans le milieu du travail. En montrant que les niveaux les plus élevés d'implication affective et de motivation intrinsèque sont associés à l'indice (ASC) fort. La présente recherche met en évidence la nécessité de faciliter (ASC) des salariés d'une façon générale et celle des expatriés d'une façon particulière. En vue de renforcer les liens affectifs avec leurs entreprises mères « implication psychologique » d'une part, et le renforcement de la motivation autodéterminée « motivation intrinsèque » vis-à-vis de leurs activités professionnelles d'autres part.

Ainsi, la question de l'amélioration des conditions de travail, la compatibilité des systèmes de valeurs, la rémunération au mérite, et l'autonomie, etc, doivent donc être associées à celle de (ASC) des salariés dans leurs vies privées. Le renforcement de la communication entre les expatriés et locaux, l'apprentissage de la langue locale, la formation à la compréhension des valeurs culturelles, normes et règles de la société d'accueil, répondre aux besoins des expatriés en matière de régime alimentaire préféré, l'exercice du culte religieux, sont autant de propositions que la direction du groupement « CRCC/SAPTA » peut insérer

dans sa politique sociale, si elle souhaite réellement augmenter les performances individuelles de ses salariés et celles de l'entreprise en générale.

Enfin, il est à rappeler que les résultats de cette recherche sont en accord avec ceux des principaux travaux dans le domaine de l'acculturation à savoir : (Berry, 2008) et (Bourhis et al, 2009).

Annexe

L'échelle d'adaptation socioculturelle de (Ward et Kennedy,1999)

SCAS (Socio-cultural Adaptation Scale).

1 -Aller à des rassemblements de population des (ex : Algériens)

2- Adopter le rythme de vie (ex : Algérien)

3- Adopter une perspective (ex : Algérienne) de la culture

4-Communiquer avec des personnes issues de groupes ethniques différents en (ex:Algérie)

5 -Communiquer avec les membres du sexe opposé, en vivant en (ex : Algérie)

6 -Comprendre la vision du monde (ex : Algérienne)

7 -Comprendre le fonctionnement politique (ex : Algérien)

8 -Comprendre le système de valeurs (ex : Algérien)

9 -Comprendre les blagues et l'humour (ex : Algérien)

10-Comprendre les différences culturelles et ethniques présentes en (ex : Algérie)

11-Entretenir des relations familiales en vivant en (ex : Algérie)

12 -Exercer mon culte religieux en (ex : Algérie)

13 -Me faire comprendre auprès des (ex : Algériens)

14-Me faire des amis en (ex : Algérie) (algériens ou autres)

15-Me repérer géographiquement (ex : en Algérie)

16-Parler de moi-même avec d'autres personnes en (ex : Algérie)

17 -S'adapter à la vie (ex : Algérienne)

18 -Suivre les règles et réglementations de (ex : l'Algérie)

19 -Traiter avec la bureaucratie (ex : Algérienne)

20 -Trouver des boutiques que j'aime (ex : en Algérie)

21 -Trouver la nourriture que j'aime bien en (ex : Algérie)

22 -Utiliser les transports en commun en (ex : Algérie)

23 -Vivre avec ce type de climat météo en (ex : Algérie)

24-Voir les choses d'un point de vue (ex : Algérien)

NB/ Echelle de mesure allant de 1 ("pas du tout difficile") à 5 ("extrêmement difficile")

*Des scores importants indiquent que les répondants ont de grandes difficultés à interagir et à s'identifier à la culture dominante.

Références bibliographiques :

1-Abotossaway, D. (2002). Acculturation Stratégies, and Psychological, Sociocultural and Académie Adaptation in Canadian Aboriginal Post-Secondary Students. « Thèse de Doctorat », (Département de Psychologie, Université de Windsor, canada).

2- Ahern, A.A. (2005).Acculturation versus Cultural Identification: A Study Comparing Constructs and Measurements. «Thèse de Doctorat »,(Département de Psychologie, Université de l'Etat de l'Utah).

3- Allen, N.J. et Meyer, J.P. (1996). Affective, continuance and normative commitment to the organization: an examination of construct validity, Journal of vocational Behavior, 49,252-276.

4-Allen, N.J. et Meyer, J.P.(1997). Commitment in the Workplace, theory, research and application, Thousand Oaks, CA: Sage publications.

5- Arends-Tôth, J. and Van de Vijver, F.J.R.(2003).Multiculturalism and Acculturation: Views of Dutch and Turkish-Dutch European Journal of Social Psychology n°33.

6-Ataca, B. et Berry, J.W. (2002).Psychological, Sociocultural , and Marital Adaptation of Turkish Immigrant Couples in Canada. International Journal of Psychology n° 37.

7-Belkaid, N.(2000). Processus d'interculturation et structuration identitaire : catégorisation, formation des catégories et structure des appartenances. Le cas des migrants marocains en France, « thèse de doctorat 3è cycle »,(Université Toulouse le Mirail,France).

8-Berry, J.W.(1980).Acculturation as varieties of adaptation. In A. Padilla , edition Boulder:Westview,Canada.

9-Berry, J.W.(1997). Immigration, acculturation and adaptation. Applied Psychology : An International Review.

10-Berry, J.W.(2001).Acculturation et adaptation .In M.A.Hily et H.L.Lefebvre (Dirs), identité collective et altérité : diversité des espaces/spécificités des pratiques,édition,l'Harmattan,Paris.

11-Berry, J.W.(2003). Conceptual Approaches to Acculturation. In K.M Chun, P.B. Organization et G. Marin (dir.), Acculturation: Advances in Theory, Measurement, and Applied Research. Washington, DC: American Psychological Association.

12- Berry, J.W. (2005). Acculturation: living successfully in two cultures. International Journal of intercultural relations.

13- Berry J.W.(2008).Acculturation .In Grouse et P.Hastings , edition Handbook of socialization research, New York: Guilford Press.

14-Black, J.S.(1988).Work Role Transitions: A Study of American Expatriate Managers in Japan. Journal of International Business Studies 19 (2).

15-Bourhis, R.Y., et al.(1997). Towards an interactive acculturation model : A social psychological approach . International Journal of psychology, n°32.

16-Bourhis, R.Y., et Bougie, E. (1998).Le modèle d'acculturation interactif: une étude exploratoire, Revue Québécoise de Psychologie, n°19.

17- Bourhis, R.Y. et Montreuil, A. (2004). Acculturation orientations of comping host communities toward valued and devalued immigrants. International Journal of Intercultural Relations,n°28.

18-Bourhis, R.Y., et al. (2009). Acculturation orientations and social relations between immigrant and host community members in California. Journal of cross –cultural Psychologie,n°40.

19-Caligiuri, P.M.(2000).Selecting Expatriates for Personality Characteristics: A Moderating Effect on the Relationship between Host National Contact and Cross-Cultural Adjustment. Management International Review 40 (1).

20-Camilleri, C. (1990). Stratégies identitaires, Ed. PUF, Paris.

21-Cohen-Emerique.M.(1989). Travailleurs sociaux et migrants. La reconnaissance identitaire dans le processus d'aide, In C.Camillerie et cohen-Emerique (Dirs.), Chocs de cultures : concepts et enjeux de l'interculturel, édition L'Harmattan, Paris.

22-Cognet.M.(1999). Migration, groupe d'origines et trajectoires : vers une ethnicisation des rapports socioprofessionnels, « Thèse de doctorat de sociologie »,(Villeneuve d'Ascq,édition des presse universitaires du septentrion).

23-Deci, E.L. et Ryan. R.M. (1985). Intrinsic motivation and self-determination in human behaviour, New York, Plenum Press.

24-Eby, L.T., Freeman, D. M., Rush, M.G. et Lance, C.E. (1999). Motivational bases of affective organizational commitment: a partial test of an integrative theoretical model. Journal of Occupational and Organizational Psychology, 72, 463-483.

25-Gagné, M. et al. (2008). A temporal analysis of the relation between organisational commitment and work motivation, Psychologica Belgica,Vol.48,Canada.

26-Ganesan, S. et Weitz,B.A.(1996).The impact of staffing policies on retail buyer job attitudes and behaviour. Journal of retailing,72 , 31-56.

27-Gregersen, H.B. et Black, J.S.(1992). Antecedents to Commitment to a Parent Company and a Foreign Operation. The Academy of Management Journal 35(1).

28- Hofsteid. G. (1991).Vivre dans un monde multiculturel : comprendre nos programmations mentales, Ed. de l'organisation,Paris.

29-Jun, S., Lee, S. et coll. (1997).The Effects of Acculturation on Commitment to the Parent Company and the Foreign Operation. International Business Review 6(5).

30-Karetepe.O.M. et Uludag.O.(2007).Conflict, exhaustion, and motivation: a study of front-line employees in northern Cyprus hotels. International Journal of Hospitality Management, 26, 645-665.

31-Komizarof, A.(2009).Testing a modified Interactive Acculturation Model in Japan: American-Japanese co worker relations. International Journal of Intercultural Relations, edition: Elsevier, n°33.Récupérer de journal homepage:www.elservier.com/locate/ijintrel.

32-Meyer, J.P., Becker, T.E., et Vandenberghe , C.(2004).Employee commitment and Motivation :A conceptual Analysis and Integrative Model. Journal of applied Psychology, 89.

33-Mokounkolo,R. et Pasquier,D. (2008). «Stratégies d'acculturation : cause ou effet des caractéristiques psychosociales? L'exemple de migrants d'origine algérienne. », Les cahiers internationaux de Psychologie sociale, 79.Récupérer de http :www.cairn.info/revue-les-cahiers-internationnaux-de-psychologiesociale 2008/3 (Numéro 79), p. 57-67. DOI 10.3917/cips.079.0057.

34-Pavot, W. et Diener, E. (1993).Review of the Satisfaction with Life Scale. Psychological Assessment ,5.

35-René de cotret, E. (2003). Orientations d'acculturation et motivation au travail dans le cadre d'une fusion d'entreprise. (Thèse de maîtrise non publiée, UQAM, Canada).Récupéré d'Archipel, l'archive de publication électronique de l'UQAM : http://archipel.uqam.ca/2217.

36-Sabatier, C. et Berry, J.w.(1999).Immigration et acculturation. In R.y.Bourhis and J.P.Lyens (Eds), Stéréotypes, discrimination et relations intergroupes,Sprimont, éditions Mrdaga,Belgique.

37-Safdar, S. et al.(2008). Social axioms and acculturation orientations of English Canadians toward British and Arab Muslim immigrants. International Journal of Intercultural Relations,32.

38-Sam,D.L.(2006).Acculturation :Conceptual background and core components. In Sam,D. et Berry, J.w.(Eds), The Cambridge Handbook of Acculturation Psychology , Cambridge University Press.

39-Thévenet, M. (2000).Le plaisir de travailler, favoriser l'implication des personnes, les éditions d'organisation, Paris.

40-Stinglhamber,F. ,Bentein, K. et Vandenberghe,C.(2004). Congruence de valeurs et engagement envers l'organisation et le groupe de travail. Revue de la Psychologie du travail et des organisations, Vol.10, n°2, édition : Elsevier, France.

41- Wagner, A.L. et al. (2013).Propension à discriminer et acculturation. Revue internationale de psychologie sociale, n°1, tome 26, PUG.

42-Ward, C. et Kennedy, A. (1993).Psychological and Sociocultural Adjustment during Cross-cultural Transitions: A comparison of Secondary Students Overseas and at Home. International Journal of Psychology 28.

43-Ward, C. et Rana-Deuba,A.(1999).Acculturation and Adaptation Revisited. Journal of Cross-Cultural Psychology, 30(4).